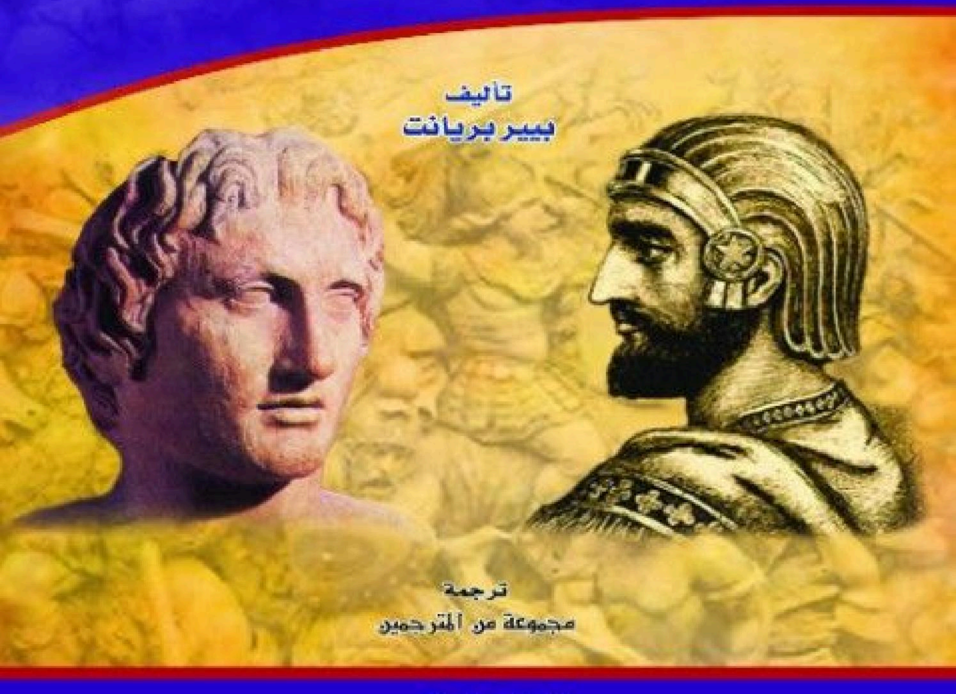
مَوسُوعَة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر



تأليف

بيير بريانت

ترجمة

مجموعة من المترجمين

المجلد الرابع

الدار العربية للموسوعات

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر

اسم الكتاب: موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية مِنْ قورش إلى الإسكندر

المؤلف: بيير بريانت

الطبعة الأولى: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-614-424-173-8 (٧ مجلدات)
ISBN 978-614-424-177-6 (المجلد الرابع)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٠٠٩٦١ ٥ ٩٥٢٥٩٤ - فاكس: ٠٠٩٦١ ٥ ٤٥٩٩٨٢
هاتف نقال: ٠٠٩٦١ ٣ ٣٨٨٣٦٣ - ٠٠٩٦١ ٣ ٥٢٥٠٦٦
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

موسوعة

تاريخ الإمبراطورية الفارسية

من قورش إلى الإسكندر

تأليف

بيير بريانت

ترجمة

بيتر تي دانيلز

بحيرة وينونا إنديانا أيزنبراونز

المجلد الرابع

الدار العربية للموسوعات

بيروت



الجزء الرابع

من عهد كسركسيس Xerxes
وحتى عهد دارا Darius الثالث
إمبراطورية في حالة من الاضطراب والفوضى

الفصل الثالث عشر

كسركسيس Xerxes الملك الأكبر 486-465

1- المصادر والمشكلات:

سنة 479 وشهرة كسركسيس Xerxes :

لقد قدمت كتب التاريخ المعاصرة صورة تقليدية مرعبة عن حكم وشخصية كسركسيس Xerxes ، ولقد تم بالفعل صياغة هذه الصورة بشكل كامل في كتاب رولينسون Rawlinson المعنون «خمس ممالك عظيمة»، وهو المؤلف الذي تم نشره عام 1867م، فلقد بدأت -مع تولي كسركسيس Xerxes السلطة- الاضطرابات الناشئة عن تدخل نساء الملك في أمور الحكم، وظهور الاغتيالات والمؤامرات، ولقد أطلق العنان لرغبات أميرات البلاط من حوله، وازداد تأثير الخصيين في القصر، ونتج عن ذلك أن «شخصية كسركسيس Xerxes انحدرت لتكون أقل من شخصية أي من الملوك الذين سبقوه»، ولقد كان هذا الملك ضعيف الشخصية، ويسهل التأثير عليه، وغير ناضج في رغباته وشهواته، وكان أيضاً قاسياً، وأنانيًّا، ومغروراً، ومؤمناً بالخرافات، وفاسقاً لا يتقيد بالمعايير الأخلاقية، ويفسر كل هذا انحطاط الإمبراطورية، والتي أصابها الإرهاق نتيجة سفك الدماء الذي نتج عن الحرب الفارسية الثانية.

ولقد كان هذا الانحلال بادياً ليس فقط على الصعيدين العسكري والإقليمي ولكن أيضاً في النواحي الإدارية وعلى صعيد «الروح الوطنية»، حيث إنه «مع وصول كسركسيس Xerxes إلى سدة الحكم بدأ الفساد يستشري في البلاط»، ولقد كانت مظاهره واضحة في زيادة التخنث والرفاهية في العادات المتبعة في القصر، ويسلم رولينسون Rawlinson بأن الملك كان قادراً على إظهار استعداده وقدرته على القيام بالأعمال الإنشائية، ولكنه يؤكد في الوقت نفسه على أن معظم المباني والإنشاءات التي ترجع إلى فترة حكمه يحتمل أنها كانت من تخطيط والده دارا Darius ، ويمكننا أن نرى أنه وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة والواضحة فقد استمر نشر وتداول هذه الصورة عن كسركسيس Xerxes حتى في المقالات والكتب التي صدرت حديثاً، ويمكنني صياغة ما يقلقني حول هذه الصورة التي يتم بها تقديم كسركسيس Xerxes في شكل سؤال واحد بسيط ومباشر وهو: ما أهمية سنة 479 ق.م في التاريخ الفارسي؟ وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نستفسر ونستقصى أولاً حول أصل وجهة النظر التي تم عرضها بالأعلى، حيث إن عملية إعادة الفحص التي قمت بها تستلزم دراسة الطريقة التي نشأت بها وجهة النظر دراسة تاريخية.

التاريخ الفارسي وتركزه في المصادر الإغريقية:

من السهل أن نرى أن وجهة النظر التقليدية هذه قائمة بشكل أساسي على قراءة غير ناقدة ومدققة للمصادر القديمة، وباستثناء الفقرة الموجودة في كتاب هيرودوت Herodotus عن اختيار ولي العهد الكتاب السابع فقرة 2-3 ، والإشارة القصيرة إلى قيام كسركسيس Xerxes بإعادة غزو مصر الكتاب السابع فقرة 7 ، فإن الكتب 7، 8، 9 بأكملها في مؤلفه «التاريخ الجامع» تم تخصيصها لفحص التحضيرات التي قام بها الملك لغزو بلاد اليونان، والهزائم التي مُنيت بها القوات الفارسية هناك في

موقعة سلاميس البحرية عام 480 ، وموقعتي بلاتيا وميكالي عام 479 ، وتتوقف رواية هيرودوت Herodotus فجأة عند إعداد كسركسيس Xerxes لمغادرة ساردیس بعد الهزيمة في موقعة ميكالي، والشيء الأكثر من ذلك هو أن الفصول الأخيرة من مؤلف هيرودوت Herodotus قد لعبت دوراً ليس بالصغير في خلق هذه الصورة عن ملك منحل أخلاقيًا، حيث يروي هيرودوت Herodotus أنه في الحقيقة وخلال إقامة كسركسيس Xerxes في ساردیس في طريق عودته من حملته الأوروبية، أنه وقع في حب زوجة أخيه ماسيستيس Masistes ، وعندما فشل في إغوائها «قام بترتيب زواج ابنة دارا Darius من ابنة أخيه ماسيستيس Masistes ، وابنة هذه المرأة أيضاً، ظناً منه أنه بهذه الطريقة سيكون هناك احتمال أكبر أن ينال من هذه المرأة» الكتاب التاسع فقرة 108 ، ثم يقوم هيرودوت Herodotus بعد ذلك بتقديم أمستريس Amestris زوجة كسركسيس Xerxes وتأثيرها الكبير والمصيري على روح وعقل زوجها، بالإضافة إلى قسوتها غير المحدودة الكتاب التاسع فقرات 109-112 ، وتلمح هذه المغامرة إلى الثورة التي قام بها ماسيستيس Masistes ، والتي أدت ليس فقط إلى مقتله وحده، ولكن أفنت أيضاً معه أولاده وقواته الكتاب التاسع، فقرة 113 ، وبإقحام هذه الروايات في قلب قصة الانتصارات اليونانية في آسيا الصغرى، فإنها قامت بتدعيم هذه الصور السلبية عن ملك خاضع للتأثيرات الشنيعة والمشينة لنساء البلاط، وأن اهتمامه بإشباع رغباته ونزواته الشريرة كان أكبر من اهتمامه بالدفاع عن الميراث الإقليمي الذي تركه له والده دارا Darius ، وفي الحقيقة فإن التأكيد -بهذه الدرجة- على قصة كسركسيس Xerxes مع زوجة أخيه ناتج عن استخدام طريقة يثور حولها الكثير من الجدل والنقاش، فمن ناحية هذه القصة نجد أنها قصة حب تتميز بسلسلة كاملة من الموضوعات والأفكار المتكررة، والتي سيكون من غير الحكمة

-إلى حد بعيد- أن نقوم ببناء أي استقراء تاريخي اعتماداً عليها، ومن ناحية أخرى فإن رواية هيرودوت Herodotus تحتوي على العديد من العناصر الإخبارية الأخرى -المقنعة بدرجة أكبر بكثير- عن السياسة والاستراتيجية التي اتبعها كسركسيس Xerxes عقب عودته من سلاميس، على الأقل إذ اختار المؤرخ أن يتحرر من التأثير الشامل للأفكار والآراء التقليدية حول كسركسيس Xerxes ، ولقد قمنا بالطبع، وفي عدة مرات بتوضيح نقاط القصور الموجودة في تاريخ هيرودوت Herodotus ، ولكن اختفاؤه كمؤرخ بعد عام 479 يشير أيضاً إلى أننا نحتاج إلى إعادة تقييم مكانه والدور الذي لعبه أثناء قيامنا بإعادة بناء التاريخ الأخميني، حيث إننا نفقد الخيط الروائي الذي يربط الأحداث المتسلسلة ببعضها منذ الفتوحات التي قام بها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، ولم يقدم أي مؤرخ يوناني آخر بديلاً صالحاً لتاريخ هيرودوت Herodotus ، وكرواية، فإن الفصول الشهيرة التي كتبها ثيوسيديس Thucydides حول بناء القوة الأثينية [الفصل الأول 89 - 95] والأعمال التي قام بها كل من بوسانياس Pausanias [الفصل الأول 128 - 130] وثيمستوكليس] Themistocles الفصل الأول 135-138]، فإن هذه الفصول -إلى حد ما- تبدأ من حيث توقف هيرودوت Herodotus ، ولكن ثيوسيديس Thucydides لم يزعم أبداً أنه يكتب تاريخ بلاد فارس، حيث إنه يلمح إلى بلاد فارس فقط بشكل سطحي، وعندما تتسنى له الفرصة للإجابة عن السؤال، فإنه يقترح ما يتصل بالسبب الذي أدى إلى اندلاع الحرب البلوبونيزية، وكيف استخدم الأثينيون القوة التي أعطتها لهم هذه الحرب في عام 432، وخلال الفترة المعروفة بفترة الخمسين سنة بنتا كونتا الفصل الأول 89 - 1، 118؟ ، وبالتأكيد فإن تحليله هذا يحتوي على فقرات يلمح فيها أيضاً إلى تاريخ بلاد فارس، مثل قصة الحملة الأثينية على مصر الفصل الأول، 104، 109 ، ولكن إعطاء أهمية كبيرة لهذه

الفقرات يمكن أن يؤدي إلى إعطاء وزن أكبر من اللازم إلى الجزء من الإمبراطورية الذي يقع على البحر المتوسط، وتنطبق هذه الاعتبارات نفسها على مؤلفات بعض الكتاب اليونانيين الآخرين، مثل ديودورس سيكيولس Diodorus Siculus أو حتى بلوتارك Plutarch ثيمستوكليس Themistocles ، أريستيدس Aristides ، سيمون Simon ، حيث إنه لا يمكن اختزال فترة حكم كل من كسركسيس Xerxes والأباطرة الآخرين الذين خلفوه إلى فترات الصعود والنزول التي مرت بها فارس نتيجة المعارك التي خاضتها ضد الأثينيين في بحر إيجة. بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles 31 ، 3 .

والرواية التي أسهم بها ستيسياس Ctesias حول الأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الفترة هي رواية ضعيفة ومشكوك في صحتها، وينطبق ذلك أيضاً على «ملخص فوتيوس Photius »، والذي باستثناء ذكره لإحدى الثورات البابلية فقرات 21-22 فإنه تظهر به جوانب القصور الفاضحة نفسها والشديدة الوضوح التي تعاني منها «رواية ستيسياس Ctesias »، فرواية ستيسياس Ctesias ليست فقط مليئة بالأخطاء 23-27 ، ولكنها أيضاً قامت بتغطية الفترة ما بين عامي 479-466 باستخدام جملتين حول العلاقات الجنسية التي أقامتها أميتيس Amytis ابنة كسركسيس Xerxes وزوجة ميجابيزوس Megabyzus خارج نطاق الزواج، والجملة الأخرى تدور حول المؤامرة التي فقد الملك فيها حياته على إثرها 28-29 ، ويبدو واضحاً أنه ابتداءً من الفقرة 22 أصبح ستيسياس Ctesias مهتماً بتاريخ الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Megabyzus أكثر من اهتمامه بسرد تاريخ الأباطرة الفرس لدرجة أنه خصص لهذه القصة فقرات طويلة حتى وصل إلى وفاة آخر أبناء ميجابيزوس Megabyzus وهو «زوبيروس Zopyrus الثاني» خلال عهد الإمبراطور أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول فقرة 43 ، ولم يقم أي

كاتب آخر من المؤلفين القدماء بسد هذه الفجوات، حيث إننا نجد عدم التوازن هذا نفسه عند جوستين Justin الفصل 3 1-1 ، وعند إيليان VHX Aelian، III، 3 : حيث يقول جوستين Justin : «إن كسركسيس Xerxes ملك فارس والذي كان فيما سبق مصدر رعب للعالم كله، أصبح محتقراً حتى من قبل مواطنيه»، ويقول إيليان Aelian : «لقد قدم ليحارب اليونانيين ولكنهم هزموه هزيمة نكراء، وفي طريق عودته تعرض لميتة من أشنع الميتات، حيث قتلة ابنه وهو نائم في سريره في إحدى الليالي».

فكرة الانحطاط:

يتم تقديم عام 479 في كل المصادر بصورة ضمنية أو صريحة على أنه كان تاريخاً مصيريًّا وحاسماً، والذي بدأت بعده آلام الاحتضار الطويلة للإمبراطورية التي أسسها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ودارا Darius ، ولقد كان أفلاطون Plato الذي قام بتوسيع تفسير التاريخ الأخميني في مجمله يعتقد هو الآخر ذلك، حيث قام في فقرته التي يتكلم فيها عن الطريقة التي تم بها تعليم وتربية أطفال الأسرة المالكة بإبراز حالة كسركسيس Xerxes ، وتوصل منها إلى استنتاج مفاده «أنه منذ ذلك الوقت أي عهد كسركسيس Xerxes لم يكن أي من ملوك الفرس عظيماً فعلاً، وأن عظمتهم كانت مجرد ألقاب وأسلوب حياة فقط» القوانين 695 هـ ، ولقد قام أفلاطون Plato أيضاً بالمقارنة بين كسركسيس Xerxes وقمبيز Cambyses ، وتوجد مقارنة مناظرة لتلك المقارنة في كتاب آريان Arian أيضاً، الفصل الرابع، 11-6 ، حيث إنه من وجهة نظر اليونانيين كان كلا الملكين نموذجاً مثاليًّا على الطاغية المجنون، ويقوم أفلاطون Plato أيضاً بالمقارنة بين كسركسيس Xerxes ودارا Darius والذي نتيجة لعدم كونه ابن ملك لم يتعرض لتأثيرات نساء البلاط الباعثة على الأسى، وتمكن بسبب ذلك من المحافظة على سياسة قوية، وأضاف إلى أراضي الإمبراطورية التي

أورثها قورش Cyrus لأبنائه -على الأقل بالقدر نفسه مرة أخرى. القوانين 695 د .

ويمكن أن نجد هـذه المقارنـة نفسـها أيضـاً في كتـاب إسشـيلوس Aeschylus ، والذي يعد مسؤولاً عن الإسهام وبالقوة نفسها في نشر هذه السمعة الكئيبـة والموحشـة لكسركسيس Xerxes ، حيث يقول إن دارا Darius كـان «ملكـاً لا نظـير لـه» فقـرة 560 ، وأنه كـان «أب خـير» فقـرات 665-670 ، وأنـه كـان «القائـد والـزعيم المحبـوب لسوسيانا» فقرات 555-556 ، وأنـه كـان «الملـك الجبـار، الخَـيِّر الـذي لا يقهـر، والـذي يعادل الآلهة في المكانة» فقرة 853-855 ، أما كسركسيس Xerxes فكان بالمقارنة مـع أبيه «ضعيف وطفولي في اختياراته التكتيكية» 353-364 ، وأنه كـان جبانـاً، حيـث أنـه بمجرد أن لاحت الهزيمة أمامـه في سـلاميس «انـدفع هاربـاً بشـكل متهـور» فقـرات 469-470 ، ولكي ينظم المقارنة بشكل أكثر وضـوحاً، يقـوم الشـاعر باستحضـار شـبح دارا Darius ، والذي شجب ما فعله ابنه الذي فقـد رشـده وإتزانـه فقـرات 829-831 ، ويقوم بتكرار الاتهام الـذي يـتهم اليونـانيون كسركسـيس Xerxes بـه دائمـاً، وهو عدم الاعتدال والتطرف هيبريس ، والـذي كـان عنـده مـا يكفـي مـن الوقاحـة للتفكير في هدم وإلقاء الجسر الـذي عـبر مـن عليـه في البحـر قبـل المعركـة فقـرات 715-725، 740 ، ولقد أصـيب كسركسـيس Xerxes نفسـه باليـأس نتيجـة هزائمـه وإخفاقاته فقرات 908-915، 934 ، فلقد كان مسـؤولاً عـن الكارثـة الشـنيعة التـي تمثلت في فقدان عدد كبير جدًّا من الرجـال والـذين كـان العديـد مـنهم مـن النـبلاء والأمراء فقرات 441-444، 765 ، ولقد تم تجريد آسيا كلها من ثرواتهـا وممتلكاتهـا للإعداد لهذه الغزوة الفاشلة فقرة 550 ، «ولقد أبيدت شـعوب بأكملهـا في المعـارك التي دارت» فقرة 827-731 ، ويمكننا عد حِفنة من الناجين فقط مـن هـذه الغـزوة

فقـرة 510 ، وفي النسـخة التـي كتبهـا إسشـيلوس Aeschylus ، كانـت عواقـب تلـك الهزائم كارثية بالنسبة لإمبراطورية الملك الأكبر، حيـث إن سـلاميس هـي «مقـبرة القـوة الفارسية» فقرة 596 ، وفي النهاية تأتي المناجاة الشائعة التي يؤديها الكورس: «لن يطـاع قانون الفرس بعد الآن على آراضي آسيا ولوقت طويل، ولن يـتم دفـع الجزيـة بعـد الآن تحت الإكراه والتهديد من الإمبراطور، ولن نحتاج إلى أن نجثو على ركبتينا لتلقي الأوامر منه، فلقد تم القضاء على قوة الملك الأكبر، لن يتم إسكات الألسنة بعد الآن، فلقد تحرر الإنسان، وأصبح يستطيع التكلم بحرية بمجرد أن تم التخلص من نـير القـوة الفارسـية.» فقرات 585-595 .

وإنه لمن الغريب أنه حتى في الكتابـات المعـاصرة، يـتم الاستشـهاد بهـذه الفقـرة لإسشـيلوس Aeschylus لتبريـر اسـتنتاج مفـاده أن الإمبراطوريـة الأخمينيـة كانـت في انحطاط مستمر، وأن كسركسيس Xerxes كان ضعيفاً للغاية، وأنـه اكتفـى بعـد ذلـك بأن يشغل نفسه بمشاريعه الإنشائية في برسيبولس، والانغماس الفاجر في مفاتن النساء .

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه النظرة التي تعتمد على آراء الإغريق قد تسللت ونفذت إلى الدراسات الإيرانية، ويمكننا ملاحظة ذلك في التفسير التقليدىالـذي يـتم تقديمـه لنقـوش «دايفا» الخاصة بكسركسـيس Xerxes . انظـر بالأسـفل 519 ، وبالإضـافة إلى ذلـك فلقـد أصبح كسركسيس Xerxes الضـعيف القـاسي الفاسـق رمـزاً حيًّـا لعـدم التسـامح الـديني: «حيث ذاعت وترددت إحـدى الملاحظـات الجديـدة التـي تشـير إلى كسركسـيس Xerxes بشكل خاص، وهي التدين العميق الذي لا يتسامح مع الأديان الأخـرى». ويـؤدي الاعـتماد على المصادر التي تعود لعهـد الإغريـق إلى الإصرار عـلى أن كسركسـيس Xerxes قـد قـام بتعديل سياسة مـن سـلفوه بشـكل خطـير، سـواء في بابـل أو في مصر، «حيـث إنـه بمجـرد

تمكنه من القضاء على التمرد المصري، قام بتجريد نفسه من لقبه الملكي المصري وقام بمعاملة هذا البلد ذو الثقافة المبجلة والجديرة بالاحترام كما لو كان أية مرزبانية أخرى، ولقد أحزن كسركسيس Xerxes الكهنة البابليين كثيراً عندما أمر بتدمير معبد ماردوك Marduk ، حيث أنهم كانوا قد فتحوا أبواب معبدهم لاستقبال قورش Cyrus »، ومن الأكيد أن الإمبراطورية ظلت موجودة وواقفة على قدميها، ولكن «التآكل الداخلي الذي أصابها هو الطريقة الوحيدة من وجهة نظر عَالم مضطرب لاستيعاب كيف تحولت كل هذه العظمة والسمو إلى أنقاض عند مواجهة القبضة الفولاذية للإسكندر الأكبر» م. مايرهوفر ، وهكذا عدنا إلى أفلاطون Plato بعد القيام بجولة في المصادر الموجودة في المركز والتي رجع إليها النص الذي يتناول الإسكندر بالشرح.

التاريخ والتوثيق:

لقد كان من الممكن اقتراح القيام بمثل هذه العمليات لإعادة بناء وجمع التاريخ فقط؛ لأن فكرة الانحطاط هذه منتشرة في جميع الكتابات الموجودة في الأدب الغربي الذي تم إنتاجه حول «الطغيان الآسيوي»، وعلى الرغم من ذلك فإن عمليات إعادة التجميع هذه لا تقوم فقط على ثقة عمياء في المصادر اليونانية بل إنها تعتمد أيضاً - من حيث الطرق التي تستخدمها- على القيام بتجميع الأدلة الموزعة بشكل متفاوت بطريقة تلقائية، وصياغتها مباشرة في صورة عرض روائي؛ وذاك لأنه بداية من عهد كسركسيس Xerxes فإن المصادر الموجودة في المركز قد أصبحت أقل بدرجة كبيرة من حيث الغزارة والتنوع عما كان عليه الحال في عهد دارا Darius الأول، حيث انخفض عدد الوثائق المصرية والبابلية انخفاضاً كبيراً، أما بالنسبة للأدلة الأثرية ومعظم ألواح الخزانة وعدد من النقوش الملكية فإنها كانت تشير بشكل أساسي إلى الأنشطة الإنشائية التي قام بها الملك الأكبر .

ولم تكن كل النقوش الملكية تتركز في صوصا وبرسيبولس فقط، حيث يشير أحد النصوص إلى وجود ورشة ملكية في إكباتانا XH ، ويوجد نقش آخر يقع بالقرب من نقوش دارا Darius DE وهو منحوت على Mt Elvend بالقرب من إكباتانا XE ، ولقد تم مؤخراً اكتشاف نقش ثالث بالقرب من بحيرة فان في أرمينيا، ولكنها مهمة صعبة أن تقوم باستنتاج بعض الدلالات التاريخية من مثل هذه النقوش، ولكن تظل الحقيقة هي أن المصادر حول عهد كسركسيس Xerxes هي مصادر غير ملائمة ومؤلفة من قطع وشظايا غير مجتمعة، وكنتيجة لذلك فإنه من المستحيل أن نقوم بإعادة تكوين تاريخ روائي متصل عن هذه الفترة، ولكن يمكن أن نستنتج منها أنه بداية من عام 479 فقد كسركسيس Xerxes اهتمامه بالمشكلات السياسية، وكرس كل وقته فقط لتزيين برسيبولس، وهذا الاستنتاج هو نتيجة نوع معين من الطرق التاريخية التي تقوم على ما يمكن أن نسميه بـ «حقيقة أن الأدلة الروائية لم تعد تذكر شيئاً عنه»، وبمعنى آخر، فإن التشويهات الواضحة التي تسببت فيها الكتابات الإغريقية الجدلية لذكرى وسمعة كسركسيس Xerxes تدفع المؤرخ إلى التساؤل حول هذا الموضوع الذي ما زال حيًّا، وأن يقوم بإلقاء نظرة ثانية على الأهمية التاريخية لفترة حكم كسركسيس Xerxes .

2- من عهد دارا Darius إلى عهد كسركسيس Xerxes :

طريقة عرض هيرودوت Herodotus للفترة والتصريحات التي قدمها كسركسيس Xerxes :

«عقب عودته إلى فارس، قام دارا Darius بتقديم القرابين ثم مات، وانتقل العرش من بعده إلى ابنه كسركسيس Xerxes »، قام ستيسياس Ctesias أو على الأقل فوتيوس Photius بهذه الكلمات البسيطة بوصف مسألة خلافة دارا Darius الفقرتان 19-20 مقدماً بذلك

تلميحاً أو إشارة ضئيلة عما حدث، وعلى الرغم من أن الملك كان رجلاً فوق كل الرجال إلا أنه نفسه كان معرضاً للضغوط السياسية، والصراع الذي دار بين قمبيز Cambyses وبارديا Bardiya وتولي دارا Darius السلطة بعد ذلك قد أوضح وبأسلوب بليغ صعوبة نقل السلطة الملكية حتى عندما كان خليفة قورش Cyrus قد تم اختياره أثناء حياته، والسؤال الأساسي هنا هو: هل كان لدى البلاط الأخميني قواعد متبعة لنقل السلطة؟ وفي بيهيستون، وكما رأينا فإن دارا Darius يصر وبالتأكيد أن ذلك كان مزيفاً على الأهمية التي يمنحها لمسألة خلافته، ولا بد أنه كان يرى ضرورة نقل السلطة إلى أحد أبنائه؛ وذلك لضمان استمرار الحكم والسلطة في أسرته .

ويقوم هيرودوت Herodotus في بداية الكتاب السابع الفقرات 2-4 بإفراد فقرة طويلة إلى قيام دارا Darius بالإعداد لمسألة الخلافة وتحديد من سيخلفه، ولقد قام هيرودوت Herodotus بتحديد تاريخ وقوع الأحداث التي تتحدث عنها هذه الفقرة بأنه كان متزامناً مع اندلاع التمرد المصري نفسه، أي بعد موقعة ماراثون بأربع سنوات عام 486 الكتاب السابع، فقرة 1 : «لقد اندلع صراع عنيف ستاسيس بين أبناء دارا Darius حول أحقية كل منهم بخلافة أبيهم بيري تيس هيجيمونيس ، ولقد كان لدى دارا Darius قبل توليه السلطة ثلاثة أبناء من زوجته السابقة والتي كانت ابنة جوبرياس Gobryas ، ورزق بأربعة آخرين بعد توليه الحكم من أتوسا Atossa ابنة قورش Cyrus ، وكان أكبر الثلاثة الأوائل هو أرتوبارزانيس Artobarzanes ، وأكبر الأربعة الأواخر كان كسركسيس Xerxes ، ولقد نشأ الصراع بين هذين الاثنين، حيث إنهما كانا من أمين مختلفتين. الكتاب السابع، فقرة «2» ».

أيهما تختار؟ فلقد قال أرتوبارزانيس Artobarzanes «أنه كان الأكبر من بين جميع أبناء دارا Darius برسبوتاتوس بانتوس تو جينو » الكتاب

السابع، فقرة 2 ، بينما أكد كسركسيس Xerxes على مكانة وعظمة أجداده والتي كانت تعود من ناحية أمه إلى مؤسس الإمبراطورية قورش Cyrus ، ومن خلال استمرارنا في تتبع ما يرويه هيرودوت Herodotus نعرف أن دارا Darius كانت في حيرة حول أيهما يختار، ولقد زاد من حيرته هذه بعض الجدل الذي قام ديماراتوس Demaratus الإسبرطي بالهمس به في أذن كسركسيس Xerxes ، والذي كان قد تم طرده للتو من بلده وجاء للمثول أمام الملك ، وبالإشارة إلى النموذج الإسبرطي، اقترح ديماراتوس Demaratus أن أحقية كسركسيس Xerxes في العرش لم يكن يمكن تخطيها؛ وذلك لأنه ولد عندما كان أبيه دارا Darius ملكاً، وهو الوضع الذي لم يكن يتمتع به أرتوبارزانيس Artobarzanes والذي تمت ولادته عندما كان أبيه لا يزال مجرد شخص عادي إيديوتِس: الكتاب السابع، فقرة «3» ، ونهاية القصة هي: «قام كسركسيس Xerxes بتبني هذا الاقتراح، وعندما رأى دارا Darius عدالة وصحة وجهة نظره قام بإعلانه وريثاً للعرش، وشخصيًّا أعتقد أن كسركسيس Xerxes كان سيصبح ملكاً حتى بدون نصيحة ديماراتوس Demaratus ؛ وذلك بسبب التأثير الهائل الذي كان لأتوسا Atossa أيخي تو بان كراتوس ، وبعد ذلك تم الإعلان للناس أن كسركسيس Xerxes هو من سيجلس على العرش بعد أبيه، وصار دارا Darius قادراً مرة أخرى على تحويل انتباهه إلى شن الحروب» الكتاب السابع، فقرة «5» .

وبدروه قام كسركسيس Xerxes بالإشارة إلى اختيار والده هذا في أحد النقوش الشهيرة XPF ، فبعد تذكر ما حدث أثناء اعتلاء والده للعرش، وبينما كان هيستاسبيس Hystaspes وأرساميس Arsames لا يزالان على قيد الحياة، كتب: «الملك كسركسيس Xerxes : لقد كان هناك أبناء آخرين لدارا Darius ، ولكن كانت الرغبة لأهورا-مازدا،

ولقد جعلني والدي دارا Darius الأعظم من بعده هو، وبعد رحيل أبي دارا Darius عن العرش، وبإرادة أهورا-مازدا، أصبحت ملكاً على عرش والدي».

هناك نقطة واحدة على الأقل يتفق حولها كل من هيرودوت Herodotus وكسركسيس Xpf 4 Xerxes ، وهي أن دارا Darius قام باختيار وريثه من بين مجموعة متعددة من أبنائه، وعلى العكس من هيرودوت Herodotus الذي يعرض مسألة الأخلاق على أنها كانت مبارزة بين كسركسيس Xerxes وأرتوبارزانيس Artobarzanes ، فإن كسركسيس Xerxes يشير إلى إخوته بطريقة ينكر فيها ضمنيًّا أن يكون لأي منهم حق خاص في أن يناقش حقه في خلافة أبيه، وبالتأكيد فإن كسركسيس Xerxes يفكر هنا في أشقائه الثلاثة ولكن دون أن يسميهم ، والذين كانوا الوحيدين أيضاً بالإضافة إليه الذين لهم الأصل الكريم والعظيم نفسه، والذين -طبقاً لهيرودوت Herodotus - كانوا أخمينيين أيضاً مثله الكتاب السابع، 7، 97 ، وطبقاً لماسيستيس Masistes الكتاب السابع، فقرة «28»، الكتاب التاسع، فقرة «107» ، وطبقاً لماسيستيس Masistes أيضاً الكتاب السابع، فقرة «64» ، ولكن كانت توجد هناك تقاليد متشعبة حتى حول هذه المسألة؛ لأنه، وكما سنرى قام بعض المؤلفين بتقديم شخصية أريارامنيس Ariaramnes . وفي الوقت نفسه، فإن حقيقة قيام كسركسيس Xerxes بكتابه مثل هذه العبارة والتي لا يوجد لها نظير ، وحقيقة تأكيده على تحقيقه «انتصاراً» على إخوته تؤكد أيضاً أنه تغلب على بعض المعارضين .

التأريخ ونوموس nomos :

لا يجب أن يتم التقليل من أهمية نص هيرودوت Herodotus ، ولكن طريقة عرضه تؤدي إلى خلق الكثير من المشكلات فيما يتعلق

بتفسير أسباب وكيفية اختيار الوريث للعرش، حيث يضع هيرودوت Herodotus قرار الخلافة في اللحظة التي «عزم فيها دارا Darius على شن الحرب ليس فقط ضد اليونان ولكن أيضاً ضد مصر»، ولقد قام دارا Darius بتسوية مسألة الخلافة هذه تحت ضغط من أبنائه «لأنهم قالوا إنه تبعاً للقانون الفارسي كاتاتون بِرسيون نومون لا يجب أن يخرج الملك على رأس جيشه إلا بعد أن يسمي خليفة له» الكتاب السابع، فقرة «2» ، ولا يوجد مثال آخر يؤكد وجود مثل هذه العادة، ومن الأشياء الأكيدة هي أنه قبل قيام قورش Cyrus بعبور نهر أراكسيس الفولجا قام بإرسال ابنه قمبيز Cambyses إلى فارس تحت حراسة كروسوس Croesus : «فلقد كان يقصد بذلك أن يمنحه صفة الملك»، وكما يشير هيرودوت Herodotus فإنه يفهم من ذلك أنه في حالة حدوث كارثة، سيخلف قمبيز Cambyses أباه قورش Cyrus الكتاب الأول، فقرة «208» ، ولكن قورش Cyrus قام بهذا الاختيار قبل ذلك بسنوات عديدة، كما يتضح ذلك من إعطائه لقمبيز Cambyses لقب «ملك بابل» لفترة قصيرة ما بين 538-537 ، وعلاوة على ذلك، فإن هذه لم تكن حملة قورش Cyrus الأولى، وينطبق هذا أيضاً على دارا Darius ، فإذا كان التاريخ الذي ذكره هيرودوت Herodotus صحيحاً، فإننا يجب أن نستنتج أن دارا Darius قد انتظر وقتاً طويلاً -إلى حد ما: ففي عام 486 كان يبلغ من العمر 65 عاماً هيرودوت Herodotus الكتاب الأول، فقرة «209» ، ولا بد أن عمر كسركسيس Xerxes في ذلك الوقت كان ما بين 30-35 عاماً فلقد تزوج أبواه عام 522 ، ومن الصعب تصديق أنه إذا كان دارا Darius فعلاً قد وجد في أولاده من يصلح ليكون ملكاً ومن لديه الشرعية الكافية ليكون ملكاً من بعده فلماذا انتظر كل هذا الوقت؟ ولماذا لم يتخذ الإجراءات التي تكفل استمرارية السلطة في أسرته من خلال الابن الذي اختاره؟ وهكذا فإننا يمكننا أن نفترض أن الاعتراف

الرسمي كان سابقاً للفترة 490-486 ، ولكن دون أن نكون قادرين على إثبات هـذا، أو اقـتراح تـاريخ أكـثر تحديـداً، وبمعنـى آخـر، فـإن مـا يسـميه هـيرودوت Herodotus «نوموس» لم يكن إلزاميًّا بأي شكل من الأشكال، بالإضافة إلى ذلك، فإننا يمكن أن نلاحظ ذلك على أساس تحليل معنى كلمة «نوموس» في إطار كل عملية مـن عمليـات الخلافـة التي تمت. انظر فصل 17-1 .

دارا Darius ، كسركسيس Xerxes وأتوسا Atossa :

بالإضافة إلى ما سبق، فإنه من الخطأ وبشكل واضح أن نذكر أن أم الأمـير والتـي هي أتوسا Atossa في هذه الحالة كان لها الحق في التدخل، وعلى الـرغم مـن أنـه في الواقع الفعلي كان لأم ولي العهد -والتي ستصبح لاحقاً أماً للملـك الـذي يحكـم- مكانـة مميزة في البلاط إيليان Aelian ، Anim ، الكتاب الرابع، فقرة «46» ، إلا أنه لم يكـن هناك ملكة أخمينية بالمفهوم الدقيق للكلمة عـلى الـرغم مـن، أثينيـوس Athenaeus XIII ، فقرة 556 ب ، ولم تكن لأم ولي العهد أية حقوق خاصة، وربما أنها كان بإمكانهـا أن تستخدم نفوذها الشخصي لا أكثر، بالإضافة إلى أن كسركسـيس Xerxes في إعلانـه عن شرعيته وأحقيته في تولي السلطة لم ينطق كلمة واحدة عـن أتوسـا Atossa وأنـه ما كان ليفعل ذلك لو أنها مارست ذلك النوع من السلطة التي ينسبها إليها هيرودوت Herodotus أحياناً، وعلى العكس من ذلك فلقد أصر على انتقال السـلطة مـن الآبـاء إلى الأبنـاء Xpf 3 ، حيـث أن الشرعيـة والأحقيـة في تـولي السـلطة لم تكـن قائمـة عـلى أسـاس الأم، ولقـد كانـت المكانـة المميـزة التـي تتمتـع بهـا أتوسـا Atossa في البلاط تعود إلى أن أحد أبنائها قـد تـم اختيـاره ليكـون وريثـاً للعـرش، ولقـد قـام دارا Darius باختيار كسركسيس Xerxes لأسباب مختلفة تماماً عـن تلـك الأسـباب التـي تمت مناقشتها فصل 3-4 ، حيث إنـه باختيـاره لأرتوبـارزانيس Artobarzanes كـان

سيضفى على عائلة جوبرياس Gobryas امتيازاً يتعارض بالتأكيد مع أهداف دارا Darius كما تكشفها سياسة الزواج الداخلي التي اتبعها؛ وذلك للمحافظة على السلطة فقط لأبنائه الذين ينحدرون من نسله بشكل مباشر .

ولي العهد:

لم يتم إعطاء الابن الذي يتم اختياره لقب ولي العهد رسميًّا إلا بعد القيام بطقس خاص، والذي قام بلوتارك Plutarch بالإشارة إليه: «لقد كان من قواعد وأساليب بلاد فارس أن الشخص الذي يتم اختياره ليكون وريثاً للعرش عليه أن يسأل الملك الحصول على عطية أو هبة ما، وأنه على الملك الذي أعلنه وريثاً له أن يعطيه ما يطلب طالما أن في سلطته أن يعطيها له». أرت. 26-5 ، وإذا تذكرنا القواعد التي تنظم إقامة مأدبة عيد ميلاد الملك هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع، فقرة «110» فإننا يمكننا أن نرى أن الملك قد قام بهذا الإعلان خلال هذه المأدبة، أو خلال الوليمة التي أقيمت بمناسبة ذكرى ميلاد ولي العهد، ويضيف بلوتارك Plutarch أنه من ذلك الحين فصاعداً كان للأمير الحق مثل والده في «أن يرتدي القبعة المنتصبة أو كيداريس كما كانوا يسمونها» وتتجلى مكانته المميزة هذه من خلال وقوفه خلف أبيه في المنحوتات البارزة الموجودة في قاعة المقابلات في خزانة برسيبولس، ومن المحتمل أيضاً أنه منذ ذلك الوقت صار يحمل لقباً خاصاً فيزا بوثرا والذي ميزه عن بقية الأمراء في القصر الملكي بربيت ، ولكن هذا اللقب الفارسي القديم هو تصور للشكل الذي كان عليه، ولا يوجد أي مثال يشهد على صحته في أي من النصوص الفارسية القديمة، ويذكر كسركسيس Xerxes ببساطة أن دارا Darius منحه لقب «ماثيستا» والذي يعني «الأعظم من بعده طبعاً » وهي الكلمة التي كانت تتم ترجمتها في المصادر القديمة إلى «الثاني في المكانة بعد الملك».

مبدأ حق البكورة:

ولكن من هو الابن الذي اختاره الملك أثناء حياته ليكون خليفة له؟ وبمفهوم آخر، هل وضع كسركسيس Xerxes قاعدة عامة في اختيار ولي العهد؟ وتبعاً لبلوتارك Plutarch -والذي يرمي إلى شيء من وراء ذكره سابقة ديماراتوس Demaratus عند هذه النقطة- فلقد جرت مناقشات مماثلة لهذه المناقشات في بلاط دارا Darius الثاني للاختيار ما بين قورش Cyrus الأصغر وأرتاكسركسيس Artaxerxes والذي سيكون هو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أرت 2-4 ، ويصبح هذا التشابه بين خلافة كل من دارا Darius الأول ودارا Darius الثاني أكثر وضوحاً إذا ما ذكرنا أنه مثلما فعلت أتوسا Atossa في الحالة الأولى، قامت باريساتيس Parysatis وهي أم الأمراء بالتدخل بقوة في المناقشة في الحالة الثانية، ولكن النتائج كانت مختلفة إلى حد ما، ويقول بلوتارك Plutarch أنه لتقرير وحسم مسألة خلافة أرتاكسركسيس Xerxes الثاني، تم اللجوء إلى حق البكورية «وذلك كما حدث مع أرتاكسركسيس Artaxerxes نفسه» 26-1 ، والاختلاف بين أتوسا Atossa وباريساتيس Parysatis هو أن المناقشات والحجج التي قدمتها باريساتيس Parysatis لمساندة أحقية الابن الذي ولد ليكون ملكاً لم يكن لها أي تأثير على الإطلاق، وتشير العديد من النصوص الأخرى إلى أن الابن الأكبر كانت له مكانة ذات وضع خاص، وتقدم أحد النصوص التي كتبها أجاثوكليس Agathoclese من سكان سيزيكوس والذي قام أثينيوس Athenaeus بالاستشهاد بها الكتاب العاشر فقرة P 515 ، تقدم المعلومة التالية: « في بلاد فارس يوجد ماء أيضاً يسمى بالماء الذهبي، ويتكون هذا الماء من سبعين نبعاً متدفقاً بالمياة الفوارة، وغير مسموح لأي شخص بأن يشرب منها سوى الملك وابنه البكر بريسيبياتوس ، وإذا قام أي شخص آخر بالشرب منها فإن العقوبة هي

الموت»، ومن الصعب فهم هذه العادة بشكل محدد، ولكن هذا التعليق واضح وصريح فيما يتعلق بالمكانة المميزة التي كان يتمتع بها الابن البكر، ودعونا نستشهد بما قاله أفلاطون Plato : «عندما يولد الابن البكر للملك هو بريسبياتوس بيس والذي يكون أيضاً الوريث للعرش، فإنه تتم إقامة وليمة لجميع أفراد الشعب بهذه المناسبة» Alc c 121 ، وبالنسبة لأفلاطون Plato ، فإن مأدبة ذكرى ميلاد الملك هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع فقرة 110 لم تكن سوى تكراراً للوليمة الأصلية، وهكذا فإنه في السنوات التالية كنت آسيا كلها تحتفل بذكرى ميلاد الملك بتقديم المزيد من القرابين وإقامة الولائم».

ويذكر أفلاطون Plato أيضاً أنه منذ مولده، كان يعهد بالابن البكر إلى بعض الخصيين المختارين بعناية، «حيث يقومون بتلبية جميع حاجات ذلك الطفل ويهتمون بشكل خاص بجعله جميلاً بقدر الإمكان، ويهتمون بتشكيل أطرافه وجعلها مستقيمة 121 د ، وتوجد فكرة سياسية خلف هذا الوصف الحي وهي أن الابن الأول الذي سيتم اختياره ليخلف أباه يجب أن يتم جعله يبدو كالملك، والذي هو بالتعريف وسيم وطويل فصل 6-4 ، ويمضي أفلاطون Plato قائلاً إنه يُعهد بالطفل بعد ذلك إلى المتخصصين التربويين، وكمثل بقية الشباب فإنه كان يتلقى تعليماً عسكريًّا، حيث يتم تدريبه وتعليمه الفروسية والصيد والشجاعة الصدق» Alc P 121P-122 ، بالإضافة إلى ذلك فإن سترابو Strabo يقول إن قادة الجماعات كان يتم اختيارهم «من بين أبناء الملك أو المرزبانات» الكتاب الخامس عشر 3-18 ، ويذكر أفلاطون Plato أنه كان يوجد في الوقت نفسه معلمون ملكيون، والذين كان يُعهد إليهم بولي العهد عند سن الرابعة عشرة، وعلى الرغم من أن أفلاطون Plato لم يستخدم الكلمة إلا أنه من الواضح أن بعض هؤلاء المعلمين أو المربين كانوا من المجوس، حيث إن أحدهم الأحكم «سوفوتاتوس» يقوم بتعليمه المعارف والتقاليد

المجوسـية» P 122 ، بلوتـارك Plutarch Artl 3-3 ، «ويقـوم أيضـاً معلـم مجـوسي بتعليمه الأشياء التي يتعين على الملك معرفتها ديداسكاي دي كاي تـا باسـيليكا » Alc 122P ، وتبعاً لما يقوله سيسيرو Cicero Div 1-41-91 «فإنه لا يمكن لأي شخص أن يكون ملكاً على بلاد فارس إلا إذا تلقى تعليماً حـول حكمـة المجـوس»، وباختصـار فإنـه بدءاً بالمراحل الأولي للطفولة وصاعداً فإنه يتم إعداد الابن البكر لتولي واجباتـه الملكيـة، وليشغل المكان الخاص به في التسلسـل الهرمـي الـديني والعسـكري والسـياسي، ويمكـن أيضاً التأكد بطريقة إحصائية من هذا التفضيل والامتياز الذي يعطي للابن البكر، حيـث يسهل فهم هذه العادة، فأولاً وقبل كـل شيء إن مسـألة خلافـة العـرش هـي مسـألة لا تختلف عن الخلافة الأسرية، حيث إن خلافة الأب على العرش تعني أيضاً تسـلم مـيراث الأسرة المالكة، والعمل على تنميته، والذي كان يعهد به بشكل طبيعـي إلى الابـن البكـر، وبشكل ما فإن اختيار دارا Darius لخليفته لا يتعارض رسميًّا مع هذه النقطة، حيـث إنه بمجرد خروج أرتوبارزانيس Artobarzanes من الصورة للأسباب السياسية التي تم ذكرها، وقع اختيار الملك على أكبر أبنائه من أتوسا Atossa .

وفي الوقت نفسه فإن تحليل الحقائق الملموسة يؤدي بنا إلى تقديم تصحيحات عديدة، وبالتأكيد فإن تعبير أفلاطون Plato «وريث العرش» هـو تعبـير مبـالغ فيـه والابن البكر هو الوحيد الذي يعهد به إلى «المعلمـين الملكيـين» ويسـتخدم أفلاطـون Plato نفسه صيغة الجمع، ويقوم بلوتارك Plutarch بتقديم المجوسي الذي تلقـي قـورش Cyrus الأصـغر دروسـاً عـلى يديـه Art 3-3 ، ولقـد تلقـى قـورش Cyrus تعليمه مع أخيـه وبـاقي الأولاد الآخـرين» زينوفـون Xenophon، Anab ، الكتـاب الأول 9-2 ، ونظراً لاحتمال وفـاة الوريـث وهـو طفـل ستيسـياس 49 Ctesias فـإن أي ابـن مـن الأبنـاء سـواء أكـان البكـر أم لا كـان يتلقـى تعلـيماً ملكيًّـا، بالإضـافة إلى

ذلـك فإنـه الملـك ظـل لـه مطلـق الحريـة في اختيـار مـن يشـاء مـن أولاده، وباسـتثناء أرتوبارزانيس Artobarzanes وتبادل الحجج والنقاشات وتدخل الجماعات السريـة في البلاط -وهو التدخل الذي توجد عليه شواهد متكررة لصالح هذا المتنافس أو ذاك- كـل هذه الأشياء تؤكـد أنـه لا توجـد قاعـدة ثابتـة، وأن تفضـيل الابـن الأكـبر كـما في حالـة أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول والثاني يرجـع إلى الصـدفة أكـثر مـن كونـه خاضـعاً لقواعد إلزامية .

وأخيراً وليس آخراً فإنه من المؤكد أن الاعتراف الرسمي بـولي العهـد لا يعنـي بـأي حال من الأحوال مشاركته في السلطة، حيث إن الملك كان واحداً، وبالرغم مـن أنـه مـن المؤكد أن ولي العهد كان يحظى بمكانه مميزة، إلا أنه هو نفسه كـان عُرضـة لأن يواجـه سخط الإمبراطور، ويظهر هذا بوضوح في قصة العلاقة بين أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني وابنه دارا Darius والذي تمت إدانته بتهمة الخيانة وأُعِدم. بلوتارك Plutarch ، Art 26-29 .

المراسم الجنائزية:

كان يتم إطفاء النار المقدسة عند وفاة الملك، كما هو موضح في الخطـوات التـي اتخذها الإسكندر بعد وفاة صديقه المفضل هيفيستيون Haephestion : فلقـد أعلـن إلى جميع الناس في آسيا أنه يجب علـيهم أن يقومـوا بجـد ومثـابرة بإطفـاء مـا يسـميه الفرس بالنار المقدسة، وذلك حتى ينتهي وقت الجنازة، وقد كانت هذه هي عـادة أهـل فارس عندما يموت ملوكهم، ولقد اعتقد الناس أن هذا الأمر هو فـألاً سـيئاً، وأن السـماء تتنبأ بموت مليكهم. ديودورس Diodorus، XVII، 114، 4-5 .

ولقد كـان هـذا المرسـوم هـو وسـيلة ترمـز إلى أن الحيـاة تـم تعليقهـا وإيقافها بشكل مؤقت حتى يتم تنصيب ملك آخر، ولقد كانـت بدايـة فـترة الحداد مثل الفترة التي أمـر بهـا الإسـكندر في الظـروف نفسـها: «فلقـد أمـر

بإعلان الحداد في جميع أجزاء البلاد البربرية». «أريان، VII، 9-14»، أو مدة الحداد التي تم الإعلان عنها حزناً على وفاة الإسكندر كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius ، X، 18-5 ، أو ذلك الأمر الذي أصدره أرتاكسركسيس Artaxerxes عندما مات الخصي تِريداتيس Tiridates إليان VH XII ،Aelian، 1 ، ولقد كان من المعتاد أن يقوم الفرس بحلق رؤوسهم كعلامة على الحزن والأسى هيرودوت Herodotus IX 24 ، أريان VII 14-4 ، بلوتارك Plutarch ، ألكس، 72-1 .

ويقوم هيرودوت Herodotus بإجراء مقارنة بين العادات الإسبرطية والبربرية قائلاً: «ولقد تمت ملاحظة إحدى العادات عندما يموت الملك، والتي هي متماثلة في كل من آسيا وإسبرطة»، ففي إسبرطة يجتمع جميع السكان «وينتحبون كما لو كانوا لا يستطيعون التوقف أبداً». VI 58، III-65، IX-24 ، وبالنسبة للفرس فيبدو أن المساهمات التي تسهم بها الشعوب الخاضعة بما فيها المساهمات المالية محددة بشكل جيد ديودورس Diodorus XVII، 114-4 ، ويمضي هيرودوت Herodotus قائلاً إنه «إذا قتل الملك في الحرب، فإنهم يصنعون تمثالاً له أيدولون ، ويقومون بحمل هذا التمثال إلى الدفن على نعش مكسو وملفوف بشكل كثيف»، ومن المحتمل أن إليان Aelian أيضاً قد قام بالإشارة إلى صنع تمثال للملك الفارسي المتوفي H XII 64 ، ولقد كان يتم تجهيز رفاة الملك المتوفي من قبل متخصصين، وقد كان هذا هو الحال مع رفاه الإسكندر الأكبر والذي تم تحنيطه من قبل بعض المصريين والخالديين «بالأسلوب نفسه الذي يستخدمونه لتحنيط ملوكهم» كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius، X ، 13 - 10 ، وحيث إن المقابر الملكية لم تكن تحتوي على أية جثث عندما تم اكتشافها، فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن أباطرة الفرس قد تمت معاملتهم بالطريقة نفسها، ويقول هيرودوت Herodotus الكتاب الأول، 140 وستراب Strabo XV، 3، 20 إن

الفرس كانوا يغطون الجثة بالشمع قبل الدفن، وهذا هو وجه شبه آخر بين عاداتهم والعادات اللاسيدومونية بلوتارك Plutarch : أجيسيلوس، 40، 1؛ نيبوس: أجيسيلوس، 8، 7؛ ديودورس Diodorus XV 93، 6 .

ونعرف أن جثة الملك المتوفي كانت تحمل إلى مكان الدفن على عربة مزخرفة ببذخ، والتي لا بد أنها كانت تشبه العربة الجنائزية للإسكندر والتي تم وصفها بعناية من قبل ديودورس Diodorus XVIII، 28 -26، 1 ، والتي اجتمع أمامها عامة الناس بالكامل، وكان إجراء هذه الطقوس الجنائزية مسؤولية ولي العهد، ومن خلال ترأسه لهذه الطقوس كان يعلن رسميًّا عن مكانته كوريث للعرش، وكان يوضح في الوقت نفسه أن الملك المتوفي مستمر في التواجد من خلال حياته هو، ومن المحتمل أن كل ملك بدوره كان يكرر التقليد الذي ابتدعه قمبيز Cambyses والمتمثل في تقديم قرابين دائمة حول مقبرة الملك المتوفي ستيسياس Ctesias 19 .

تنصيب الملك:

كان يتم في نهاية هذه الطقوس الجنائزية تنصيب الملك الجديد وتقليده مهام الحكم، والمصدر الوحيد لدينا من معلومات حول هذا الموضوع هو بلوتارك Plutarch والذي وصف تنصيب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كما يلي: «لم يمضِ وقت طويل على وفاة الملك دارا Darius الثاني حتى قام خليفته بالتوجه إلى باسارجاداي؛ وذلك حتى يقوم الكهنة الفرس بإتمام مراسم تنصيبه وتوليته العرش، ولقد كان هناك معبد مخصص لإلهة الحرب والتي يمكن أن نشبهها بـ مِنيرفا والذي كان يمر من خلاله الملك الجديد الذي يتم تنصيبه، ويجب أن يتجرد من ردائه ويرتدي ذلك الرداء الذي ارتداه قورش Cyrus الأول قبل أن يصبح ملكاً، ثم، وبعد أن يلتهم سلة من التين كان عليه أن يأكل التربنتينه وأن يشرب كوباً من اللبن الرائب، وعند هذا الحد، وحتى إذا كانوا يضيفون

إلى هذه الطقوس أية طقوس أخرى فإن معرفتها تقتصر على الأشخاص الذين يكونون موجودين هناك فقط» أرت 3، 1-2 .

وتؤكد جملة بلوتارك Plutarch الأخيرة أن اليونانيين قد سمعوا أحياناً بالطقوس الدينية الفارسية التي يسمونها «سرية» والتي لم تكن لديهم حولها سوى معلومات شفوية غير كافية. هيرودوت Herodotus الكتاب الأول 140 ، ومن الواضح أن مراسم التنصيب على وجه الخصوص كانت تتم في حضور عدد قليل من الأشخاص، وبالإضافة إلى الأمير نفسه كان يوجد هؤلاء الأشخاص الذين يسميهم بلوتارك Plutarch «كهنة» هييراييس ، ومما لا شك فيه أنه كان يقصد بهم المجوس، وتبعاً لسيسيرو Cicero فإنه «لم يكن من الممكن لشخص ما أن يصبح ملكاً على بلاد فارس إلا إذا كان قد تلقى في السابق تعليماً حول حكمة المجوس» ديف الكتاب الأول 41، 90 ، ولقد تحدث بليني Pliny عن حجراً معيناً، ويقول إنه «لا غنى عنه بالنسبة للمجوس عند قيامهم بتنصيب أحد الملوك» XXXVII، 147 ، ويلمح بلوتارك Plutarch أرت 3-3 إلى أن هؤلاء المجوس كانوا هم أنفسهم الذين عُهِد إليهم بتعليم ولي العهد .

وعلى الرغم من ذلك فإن نص بلوتارك Plutarch المثير هذا يثير بعض التساؤلات حيث إنه من الواضح أن الممارسات الطقسية كانت في الأساس تأخذ شكل تقاليد قديمة للغاية، وذلك كما يتضح من الإشارة إلى رداء قورش Cyrus الأكبر، وتشهد أيضاً على ذلك قائمة الأطعمة التي كان على الملك الجديد تناولها في حفل التتويج والتي كانت تتكون في الأساس من اللبن والأعشاب وهي التي كان يتخصص المجوس فيها أيضاً، انظر فصل 2-7 ، ولكن هل كانت مراسم التتويج التي وصفها تلك ثابتة وغير قابلة للتغيير أم أنها خضعت لبعض التغييرات خلال عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أو سابقاً؟ إن موقع حدوث هذه

المراسم هو الشيء الذي توجد شكوك في أنه قد خضع لبعض التغيير، فإننا يمكننا أن ندرك بسهولة أن إلهة الحرب كانت هي آناهيتا ، وحيث إنه يبدو أن عبادة هذه الآلهة وتقديسها قد اكتسبت أهمية جديدة في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فصل 15-8 ، فإنه يمكننا أن نتساءل عما إذا كانت مراسم التتويج قد تمت إقامتها في مكان آخر قبل ذلك، ومن المحتمل أيضاً أن تلك المراسم كانت تشتمل على مناجاة واستحضار لأهورا-مازدا، ولقد قام دارا Darius عدة مرات باستخدام الصيغة «قام أهورا-مازدا بإعطائي المملكة»، وربما كان يقصد ذلك الجزء من المراسم الذي يتم فيه تسليم شارات السلطة وعلامات الملك إلى الملك الجديد والتي تتمثل في رداء الملك كانديس ودرعه .

ولقد تميزت مراسم التتويج في جوهرها بخاصيتين ظاهرتين للغاية، فمن جهة، كانت تظهر أن الملك الأخميني كان مقدساً: حيث إن الملك كان يتم تنصيبه وإضفاء القداسة عليه من قبل طائفة الكهنة المجوس، ومن جهة أخرى، فلقد كانت هذه المراسم تعلي وتمجد من الاتصال والتواصل الملكي، وذلك من خلال الإصرار على أنها تقوم على الصلة بقورش Cyrus الأكبر، وكان نقل الرداء هو أفضل طريقة للتوضيح والإشارة إلى نقل السلطة نفسها، فمن خلال ارتداء زى معين، والذي كان ينظر إليه «رمزيًّا» على أنه هو السلطة نفسها، كان يتحول الأمير من مجرد وريث للعرش إلى الملك الأكبر، ومن المحتمل أنه في نهاية هذه المراسم، كان يظهر في جولة ببسارجاداي لتحيه الجماهير المحتشدة، وكان يقوم بإلغاء ديون الجزية المقررة على الشعب ليشير إلى اعتلائه العرش هيرودوت Herodotus الكتاب السادس الفقرة 59 ، ومما لا شك فيه أنه كان يقوم أيضاً بتأكيد أو سحب سلطة المرزبانات والحكام الموجودين في الإمبراطورية ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 71-2؛ جوزيفوس: Ant ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 185 ،

وهكذا فإن كبار المسؤولين في الإمبراطورية كانوا يظلون في مناصبهم أو يتركوها وفقاً لرغبة الملك متولي السلطة، وكانوا يقومون شخصيًّا بتقديم فروض الولاء والطاعة له .

خليفة دارا Darius :

يقول هيرودوت Herodotus وبكل بساطة «بعد وفاته انتقل السلطان إلى ابنه كسركسيس Xerxes » الكتاب السابع الفقرة 4 ، ولكن يجب أن نذكر أن جوستين Justin الكتاب الثاني الفقرات 10-1، 11 ؛ بلوتارك Plutarch Mor. 173 ب، 488 د- و يقدمان رواية تختلف في نقاط عديدة عن رواية هيرودوت Herodotus ، حيث يصفان المناظرة التي دارت عقب وفاة دارا Darius ، ويقدمان شخصاً آخر مكان أرتوبارزانيس Artobarzanes اسمه أريارامنيس Ariaramnes ويقول كلماته نفسها ، ويبدو أن أريامنيس هذا كان يشغل منصباً في باكتريا 173 ب، راجع: 488 د: «عليك بالحضور من ميديا» لمقابلة كسركسيس Xerxes ، ويصر المؤلفون القدامى على أن هذه لم تكن ثورة حقيقية، حيث إن أريارامنيس Ariaramnes ببساطة كان يقصد أن يقدم ادعاءه بأحقيته في تولي السلطة لأنه الابن الأكبر، حتى إن بلوتارك Plutarch يرى هذا على أنه إظهار لحبه الأخوي له، فلقد أرسل كسركسيس Xerxes الهدايا لأريارامنيس Ariaramnes ، وأمر مبعوثيه بنقل الرسالة التالية إليه: «بمجرد أن يقوم بالاعتراف بكسركييس Xerxes كملك، سوف يعترف به كسركسيس Xerxes لـ«التالي بعد الملك»، ولقد تمت تسوية هذا النزاع بالاستعانة بأحد الأعمام أرتابانوس Artabanus عند بلوتارك Plutarch ، أرتافرنيس عند جوستين Justin ، والذي حكم لصالح كسركسيس Xerxes ، ولقد تقبل أريارامنيس Ariaramnes الحكم عن طيب خاطر، ومن الواضح أن هذه الرواية هي إفساد لرواية هيرودوت Herodotus ، حيث إنه من

المحتمل أن المصادر التي أخذ منها كل من بلوتارك Plutarch وجوستين Justin روايتهم قد تداخلت بالرواية الرومانسية عن كسركسيس Xerxes وأخيه ماسيستيس Masistes في عام 479 والتي رواها هيرودوت Herodotus في الكتاب العاشر الفقرات 108-113 ، ويبدو أن ماسيستيس Masistes كان مرزبان باكتريا، ولقد أهانه أخوه فثار ضده، وحدث بعد ذلك أن تعرض للقتل الوحشي هو و«أبناؤه وجيشه» على يد القوات التي أرسلها الملك، وكما هو معروف من التقليد اليوناني فإن الاسم ماسيستيس Masistes يمثل الكلمة الفارسية «ماثيستا»، وهكذا فإن ماسيستيس Masistes وأريارامنيس Ariaramnes كانا الشخص نفسه؛ لأنه تبعاً لبلوتارك Plutarch فإن كسركسيس Xerxes قد منح أريارامنيس Ariaramnes لقب «الثاني بعد الملك» أي ماثيستا، وفي حين أن رواية بلوتارك Plutarch وجوستين Justin هي رواية لا يمكن تصديقها على أية حال، إلا أنها ربما تكون مبنية على حقيقة: أن تسمية وليّ العهد لم تقضِ بالضرورة على مطامح الأخوة المتنافسين معه، ويحدد بلوتارك Plutarch تاريخ هذا النزاع بأنه كان في الفترة بين وفاة دارا Darius والاعتراف الرسمي بالملك الجديد، ولقد كانت هذه فترة حساسة اتسمت بالحداد الرسمي في جميع أنحاء الإمبراطورية، وبعدها فقط يمكن أن تبدأ مراسم التتويج في باسارجاداي .

وتظهر العديد من العبارات مدى الدقة التي التمسها الملك الجديد في ربط نفسه مع أعمال وشخص أبيه، بالإضافة إلى المباني الجديدة التي يقول إنه شيدها «بعد أن أصبح ملكاً» Xpf. 4، Xsc ، ويذكر الملك الجديد قيامه بإنهاء وإكمال الأعمال التي كان قد بدأها دارا Xpf Darius، Xpg، Xv ، وبالتأكيد فإن هذا الكلام ينطبق على بوابة صوصا XSd .

والإشارات إلى الأعمال التي هي من تخطيطه وتنفيذه بشكل كامل إشارات نادرة Xpb، Xpd ، وغالباً أيضاً ما نجد ابتهالات طلباً للحماية من

أهورا-مازدا على المباني التي شيدها دارا Xpa Darius، Xpc، Xsa، Xsd ، أو تلك التي اشترك في تشييدها الاثنان: «تلك التي قد بناها أبي أو التي أكملت بنائها، أو المباني الأخرى التي أضفتها، كل المباني التي قد أضفتها أو التي كان قد بناها أبي، كل ذلك قد تم بفضل الإله أهورا-مازدا» Xpf ، وهذه الجملة مثيرة للاهتمام بدرجة أكثر؛ وذلك لأنها جاءت مباشرة بعد التذكير باختياره كوليّ للعهد واعتلائه للعرش، وهذه العبارات ليست فريدة. دعونا نسترجع على وجه الخصوص نقشاً يربط فيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني نفسه بجد جد جده دارا A2sa Darius ، فلقد كانت طريقه ليأخذ بها مكانه في التسلسل الملكي، وأيضاً لم يفوت كسركسيس Xerxes الفرصة أبداً للتذكير بأنه كان ابن دارا Darius ، وبأنه أخميني.

سحق التمردات:

بدأ كسركسيس Xerxes بتكريس كل جهوده لمتابعة المشروع الإمبراطوري الخاص بوالده، وفي الحقيقة وعقب توليه السلطة كانت بعض الأراضي مهددة، ليس بسبب الهزيمة في ماراثون بقدر ما كان هذا الأمر ناشئاً عن الثورة المصرية التي كانت قد بدأت في أواخر حكم دارا Darius ، وطبقاً لما يرويه هيرودوت Herodotus فإن الحملة على مصر لم تكن سوى فصل صغير والذي أخر الحملة اليونانية عدة أشهر والتي كان قد تم عقد العزم على شنها قبل ذلك بفترة قصيرة تحت ضغط كل من ماردونيوس Mardonius واليونانيين الميديين الكتاب السابع الفقرتان 5-6 ، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن هذا التمرد المصري أصبح خطيراً لدرجة جعلت كسركسيس Xerxes يقوم شخصيًّا بقيادة الجيش وبالطبع فإن هذا سمح له بأن يفتتح فترة حكمه بحملة عسكرية ، بالإضافة إلى ذلك، فقد استلزم الأمر أربع سنوات أخرى لإعداد الجيش الذي كان سيقوم بغزو بلاد اليونان الكتاب السابع الفقرة

20 ، وكان ذلك راجعاً فقط إلى أن القوات والعتاد الذي قام دارا Darius بجمعه خلال السنوات الثلاثة السابقة قد تم استهلاكه خلال الحملة المصرية الكتاب السابع الفقرة 1 ، ولقد قام كسركسيس Xerxes بعد قضائه على هذا التمرد بتنصيب أخيه أخيمينيس Achaemenes مرزباناً على مصر في عام 484 الكتاب السابع الفقرة 7 ، ولقد حدث بعد ذلك ببضع سنين -ومن المحتمل أنه كان في عام 481 أن اندلعت ثورة أخرى في إقليم بابل، وكان يقود هذه الثورة شخص اسمه «بل سيماني Bel-simanni » والذي لقب نفسه «ملك بابل، ملك الأراضين»، وقد كانت مدة هذه الانتفاضة قصيرة للغاية، إذ استمرت ما يقرب من خمسة عشر يوماً فقط، وعلى الرغم من ذلك فإنها أيضاً تعكس وجود مناخ مضطرب، ولكننا لا نستطيع تحديد ماذا كان مصدره أو ماذا كانت أسبابه، وعلى الرغم من هذه الحالة فإن النظرية التي تتحدث عن تصادف وقوع تمرد آخر في إقليم يهودا في عام 484 هي نظرية لا توجد أدلة كافية لتأكيدها، ومن المؤكد أن هذه النظرية تصل إلى حد الحديث عن حالة من التمرد الشامل، والتي قد تسببت في الإضرار بالإعدادات التي كانت جارية لشن الحملة الأوروبية، وببساطة فإننا يجب أن نقول مرة أخرى إن الاضطرابات التي وقعت في مصر وبابل تشير إلى أن سياسة دارا Darius الاستعمارية قد اكتشفت حدودها الطبيعية.

العودة إلى الشأن اليوناني:

تمكن كسركسيس Xerxes بعد ذلك من العودة مرة أخرى إلى متابعة تنفيذ خطة أبيه الكتاب السابع الفقرة 1 ، والتي تتمثل في غزو بلاد اليونان، ويشير هيرودوت Herodotus إلى أن الملك الجديد كانت لديه تحفظات على هذه الخطة، والتي كانت ترجع فقط إلى الحاجة إلى القضاء أولاً على التمرد المصري الكتاب السابع الفقرات 5، 7 ، ويشير أيضاً إلى وجود خلافات عديدة حول هذا الموضوع فيما بين الحاشية

الملكية، وتبعاً لهـيرودوت Herodotus فـإن كسركسـيس Xerxes اتخـذ قـرار الغـزو تحت ضغط من ماردونيوس Mardonius والحكـام اليونـانيين المبعـدين عـن بلادهـم الكتاب السابع الفقرتان 6-7 ، ويذكر هيرودوت Herodotus أيضـاً أنـه بعـد أن رجـع كسركسيس Xerxes من مصر قام بالاجتماع بكبار المسؤولين الفرس أريستوي ، وبعـد الإعلان عن قراره بغزو بلاد اليونان، اسـتمع إلى رأي كبـار المسـؤولين الفـرس، ولقـد أيـد ماردونيوس Mardonius الملك، مؤكداً بشكل خاص على الضعف والفرقة التـي يعـاني منها اليونانيون الكتاب السابع الفقرتان 9، 10 ، ومن ناحية أخرى، فلقد أكد أرتابـانوس Artabanus على مخاطر مثل هذه الحملـة، مـثلما فعـل قبـل ذلـك مـع دارا Darius عندما كان يعد لغزو أراضي سكيثيا الكتاب السابع الفقـرة 10 ، ولقـد طـرده الملـك شر طردة ناعتاً إياه بالجبن، ولكن بعد رؤيته لحلـم في منامـه، عكـس كسركسـيس Xerxes قراره الأصلي وقرر عدم غزو بـلاد اليونـان الكتـاب السـابع الفقرتـان 12-13 ، وبعـد أن عـاوده هـذا الحلـم مـرة ثانيـة في منامـه، أتى كسركسـيس Xerxes بأرتابـانوس Artabanus وألبسه ملابسه الملكية، وأجلسه على عرشه، وجعله ينام في فراشـه، ولقـد رأى أرتابانوس Artabanus الحلم نفسه، ولذلك ألح على كسركسـيس Xerxes بشـن هذه الحملة، ونتيجة لذلك أصدر كسركسيس Xerxes أوامـره بـذلك الكتـاب السـابع الفقـرات 14-18 ، ويسـجل هـيرودوت Herodotus بعـد ذلـك أنـه بعـد أن اتخـذ كسركسيس Xerxes قراره شاهد في المنام رؤية ثالثة، ولقد قام الكهنة المجـوس الـذين استشارهم بتحديد معناها بأنها: «تنبئه بغزو العالم ...، ولقـد قـام كسركسـيس Xerxes في خلال حشده لجيوشه بنهب وإفراغ كل ركن من أركان القارة» الكتاب السابع الفقرة 19 .

وتثـير هـذه المناقشـة بأكملهـا التـي ذكرهـا هـيرودوت Herodotus

شكوكاً قوية؛ وذلك لأن جميع الحوارات والنقاشات التي تم تبادلها مشتقة بالكامل من الحكم على الأحداث بعد وقوعها، ويصر هيرودوت Herodotus على أنه قد استقى معلوماته من الفرس الكتاب السابع الفقرة 12 ، ومن المحتمل جدًّا أن ماردونيوس Mardonius كانت له سمعة سيئة فيما بين الفرس أنفسهم، ونحن نعرف على سبيل المثال المعارضة التي لاقتها استراتيجياته من أرتابازوس Artabazus في عامي 480-479 الكتاب التاسع الفقرات 41-42، 58، 66 ، وأن أرتابازوس Artabazus تم تكريمه من قبل كسركسيس Xerxes بعد الحرب ثيوسيديدس Thucydides، I ، 129، 1 ، ويحتمل أن الأمر الذي أصدره كسركسيس Xerxes إلى أرتابازوس Artabazus كان مثالاً على العادة البابلية المشهورة والتي تعرف بالملوك البدلاء، ولكن وبشكل عام فإن هيرودوت Herodotus قام ببناء روايته حول مجموعة من الأفكار الأدبية المتكررة والنماذج الإنسانية التي كان من السهل على من يستمع إليها أو يقرأها أن يفسرها ويفهمها، وقد كان من أحد الممارسات الأساسية المتعارف عليها في الكتابة القيام بالمقارنة بين مستشارين؛ أحدهما طموح وغبي، والآخر حكيم ومتروٍّ وحريص فيما يفعل أو يقول، ونتج عن ذلك -حتى ولو بدون قصد- تصوير كسركسيس Xerxes كشخص متردد أو حتى جبان، وهي الصورة التي تتفق كثيراً مع الطريقة التقليدية التي يقدمه اليونانيون بها.

وفي الحقيقة فإن الوضع كان واضحاً جدًّا بالنسبة لكسركسيس Xerxes ، ففي البداية وقبل كل شيء، كان لزاماً عليه أن يتحمل مسؤولية إكمال المشروعات التي كان والده قد ابتدأ فيها بالفعل راجع الكتاب السابع، فقرة 1 ، وقد واجهته بعض الثورات وحركات التمرد، وأيضاً كان لزاماً عليه أن يثبت قدرته كملك على قيادة حملة عسكرية ناجحة، وأيضاً يجب أن نضع في الاعتبار أن قيام كسركسيس Xerxes

بتنظيم حملة عسكرية على هذا القدر من الضخامة قد سمح له بزيارة عـدد كبـير مـن البلاد الخاضعة له، وبأن يقوم بإعادة تأكيد التسلسـل القيـادي فيهـا انظـر فصـل 5-4 ، بالإضافة إلى ذلك، فإنه حتى وصول الملك إلى حدود بلاد اليونان لم يختلف مسار رحلتـه كثيراً عـن الأمـاكن الدوريـة التـي كـان يقـام فيهـا الـبلاط في هـذه الفـترة، وعنـدما قـام كسركسيس Xerxes بمغادرة سارديس فإن الأمر الـذي تـم إصـداره إلى الموكـب الملـكي كان يتفق مع البروتوكول التقليدي، وكان كسركسـيس Xerxes نفسـه «راكبـاً في عربـة تجرها الجياد النسائية Nisaean VII.40 ، ولقد استمر هذا الأمـر سـارياً إلى مـا بعـد «عبور جسر القوارب» VII.55 ، ولقد رافقه في هذه الحملة أبناؤه VIII - VII.39 103,104 ، والعديد من أفراد عائلته المقـربين، وقـد توافـدت الشـعوب والقبائـل عـلى القافلة الملكية لتبايع كسركسيس Xerxes ولتقدم له فـروض الـولاء والطاعـة والهـدايا راجـع، VII، 27 ، ولقـد صـدرت الأوامـر إلى المـدن والشـعوب بإعـداد المائـدة الملكيـة بطريقـة تليـق بالملـك VII 32، 120-118 ، ولقـد قـام الملـك بلعـب دوره المنـوط بـه لحماية الحياة النباتية VII، 31 ، وبشكل ما فلقد كان هذا الجـزء المبـدئي مـن مسـيرة كسركسيس Xerxes ذو طبيعـة سياسـية بشـكل أسـاسي، ولقـد حققـت هـذه الطبيعـة أهدافاً وأغراضاً محددة -كان هذا الملك الأكـبر الأخمينـي يرمـي إلى تحقيقهـا- فلقـد اتبـع التسلسل نفسه الموجود في المراجعات التـي تـم إجراؤهـا في أبيـدوس حـول الإمبراطوريـة VII، 45-44 ، وفي دوريسـكوس VII-59 Doriscus وو وقـام كسركسـيس Xerxes على مدار هذه الرحلة باستعراض مدى قوته وقوة الإمبراطوريـة، وفي أثنـاء زحفـه باتجـاه اليونان، قام بإجراء مسح للشعوب والأراضي الخاضعة له، كما فعل تواً في رحلته مـن بابـل إلى منف: «ولقد ابتهج ابتهاجاً عظيماً بمـا تشـهده إمبراطوريتـه مـن ازدهـار» VII، -45 VII، 100- راجـع VII، 57 ، ولقـد كـان يهـدف مـن قيادتـه لجيشـه هـذا أن يمجـد

ويعظم من سلطته وقوته، وأن يسعى إلى زيادتها عن طريق القيام بفتوحات جديدة، والتي كانت ستزيد من انبهار وإعجاب الشعوب الخاضعة له أكثر وأكثر، ومن هذا المنظور يمكننا أن نقبل المنطق أو الدافع - وإن لم تكن الكلمات نفسها- التي يقوم عليها الخطاب الذي يرويه هيرودوت Herodotus على لسان ماردونيوس Mardonius ، والذي يقول مخاطباً كسركسيس Xerxes : «لقد قمت بترويض غطرسة المصريين، وعليك الآن أن تقود جيشاً لمحاربة أثينا، افعل ذلك وسوف يذكر اسمك في عزة وشرف في جميع أرجاء الدنيا، وسوف يفكر أي شخص مرتين قبل أن يقوم بغزو أراضيك» VII، 5 .

وبالتأكيد فإن الهدف العسكري لهذه الحملة كان واضحاً ومحدداً، حيث إنه لم يكن مسألة انتقام من أثينا، ولكنه في الحقيقة كان يقصد من ورائه غزو بلاد اليونان cf VII، 138 ؛ ولهذا السبب فإن حملة كسركسيس Xerxes كان لها هدف آخر غير هدف حملة داتيس Datis قبل ذلك بعشر سنوات، فضخامة الإعدادات التي جرت لها ومشاركة الملك شخصيًّا فيها لا تدع مجالاً للشك حول ذلك، وبمشاركته في هذه الحملة قام كسركسيس Xerxes بتبني أهداف دارا Darius ؛ فتبعاً لهيرودوت Herodotus قام دارا Darius بعد عودة داتيس Datis بفترة قليلة باتخاذ قرار بإعادة محاولة غزو بلاد اليونان، وقد بدأ بالفعل في القيام ببعض التجهيزات النشطة لهذه الحملة، وذلك قبل أن يؤدي التمرد المصري ووفاته هو شخصيًّا إلى مقاطعة هذه المخططات الفارسية بصورة مؤقتة VII، 1 .

أمواج المد العاتية التي لا يمكن التغلب عليها:

بمجرد عودة كسركسيس Xerxes من مصر، شرع على الفور في الإعداد العسكري للحملة في جميع أجزاء الإمبراطورية VII، 8، 19 ، ويقوم إسشيلوس Aeschylus في أماكن عديدة بالتأكيد على ضخامة

وعظمة الجيش الذي قاده كسركسيس Xerxes : «قطيع وحشي من البشر» سطر 74 ، «المد البشري العظيم» مقارنة بأمواج المد العاتية سطر 90 ، ويقدم هيرودوت Herodotus بعض الإحصائيات حول الجيش الإمبراطوري، بينما كان يقترب من سهل «ثرموبلاي»، فيقول إنه كان هناك «277.610» ألف جندي على متن البوارج الحربية وقد كان العدد المسجل لهذه البوارج في إقليم دوريسكوس Doriscus هو 1207 بارجة VII، 89 ، وكانت طواقم سفن النقل تتكون من 240 ألف رجل ، هذا بالإضافة إلى 1.700.000 جندي من المشاة، 80 ألفاً من الفرسان، 20 ألفاً من ركبة الجمال العرب، ومجموعة من الليبيين، والذين كانوا يركبون العربات الحربية، وإضافة إلى ذلك القوات التي حشدها كسركسيس Xerxes من أوروبا والتي يصل عددها إلى 300 ألف مقاتل ، والتي تجعل العدد الإجمالي لهذه القوات 2.617.610 رجلاً، ويقول هيرودوت Herodotus أيضاً إنه يجب أن نحصي بالإضافة إلى العدد السابق عدداً مساوياً من «الخدم والأشخاص الذين تبعوا المعسكر وطواقم سفن الإمداد والسفن الأخرى»، وهكذا فإن العدد الإجمالي يصل إلى أكثر من خمسة ملايين رجل، ويضيف هيرودوت Herodotus قائلاً إن هذا العدد لم يشتمل على «الخصيين، الطاهيات زوجات الجنود» والذين لم يحاول أحد القيام بتقدير أعدادهم ...» VII 184-187 ، وأخيراً فإن لإطعام هذا الحشد الهائل - دون أن نحسب النساء، الخصيين، الدواب، الكلاب- كان يتطلب ذلك أكثر من خمسة ملايين لتراً من الدقيق في اليوم، وهكذا فإننا لا نفاجأ كثيراً عندما يقدر هيرودوت Herodotus أن «الأنهار كانت لا تفي في بعض الأحيان باحتياجاتهم من الماء» VII، 187 ، وهو التصوير الذي كان -على وجه الخصوص- ذا شعبية ضخمة في جميع الكتب والمصادر القديمة راجع فيلوستراتوس Philostratus ، فيت، أبول 1، 25 .

ولوقت طويل ظل يُحكَم على هذه الإحصائيات التي ذكرها هيرودوت Herodotus بأنها غير مقبولة، ولو للأسباب اللوجستية فقط، ومن الواضح أن بعض هذه الأرقام تعكس النماذج القديمة مثل عدد السفن والذي تم تقديره بـ1207 سفينة عند هيرودوت Herodotus وإسشيلوس Aeschylus والذي يمكن أن يعود إلى الوصف الذي وضعه هومر للسفن، بالإضافة إلى ذلك، فإنه للتأكيد على الطبيعة الجديدة بالكامل لهذا الجيش الذي قاده كسركسيس Xerxes ، يقوم هيرودوت Herodotus بالإشارة بشكل صريح إلى حرب طروادة VII، 20 ، وهناك بعض الإحصائيات الأخرى التي ذكرها عدد من المؤلفين الآخرين القدامى، والتي كانت هي الأخرى غير قابلة للتصديق، وتتدرج هذه الأرقام ما بين 700 ألف وهو تقدير إيسوقراط Isocrates و 3 مليون رجل ، وهو تقدير سيمونيديس Simonides ، ويتشارك جميع هؤلاء الكتاب في منظور يوناني واحد عند قيامهم بإحصاء عدد جيوش دارا Darius الثالث، فقد كان دافعهم هو تضخيم مجد وعظمة المحاربين اليونانيين الذين هزموا هذه الجيوش .

ويتفق الجميع مع هذا التقييم، ولكن المشكلة تكمن في أن معظم المحاولات التي تم القيام بها لتفسير ما ذكره هيرودوت Herodotus تعتمد على افتراضات ومقارنات خطيرة، وكنتيجة لذلك فإن التقديرات الحديثة تختلف بدرجة كبيرة عن بعضها البعض، وهكذا فإن الوضع الحالي يتطلب منا النقاش للوصول إلى حلول معقولة، وإذا قمنا من ناحية وللأسباب التي تم تقديمها للتو فصل 5-5 بالموافقة على وجوب تنحية المراجعة التي ذكرت في دوريسكوس Doriscus جانباً، وإذا اتفقنا من ناحية أخرى على أن عدد القوات الفارسية في المعركة الوحيدة التي خاضوها على الأراضي اليونانية معركة بلاتيا لم يكن يفوق عدد اليونانيين بكثير، فإننا يمكن أن نصل إلى رقم يقارب 60 ألف رجل كانوا هم قوام جيش ماردونيوس

Mardonius ، ونتفق على أن هذا ليس سوى تخميناً واحداً من بين مجموعة من التخمينات، ولكن ما يميز هذا التقدير هو أنه قائم على وصف المعركة، وأنه يقوم بعرض القوات المشاركة فيها بشكل أكثر دقة، ويمكننا أن نصدر هذا التعليق نفسه فيما يتصل بالسفن الحربية، فالرقم 1207 هو تقدير تقليدي لتلك السفن حتى إنه قد يكون خرافيًّا، ومما لا شك فيه أن هيرودوت Herodotus قد استعاره من إسشيلوس Aeschylus ، ومن الواضح أن السفن ثلاثية المجاديف التي يتكون منها الأسطول الملكي من غير الممكن أنها كانت تفوق السفن اليونانية في العدد بدرجة كبيرة في موقعة سلاميس البحرية، وإذا أخذنا في الاعتبار الخسائر التي منيت بها السفن الفارسية في موقعة أرتمسيوم البحرية، فإنه من المحتمل أن تقدير عدد السفن الفارسية برقم يتراوح حول 600 سفينة سوف يكون أكثر قرباً من الحقيقة عن الرقم الذي أعطاه إسشيلوس Aeschylus وهيرودوت Herodotus 1207 سفينة .

وكما يقول هيرودوت Herodotus -وهو محق في قوله- فإنه من المعقول القيام بإضافة الأفراد غير المقاتلين إلى القوات المقاتلة، وبالتأكيد كان هناك العديد منهم، حيث إن كل مرة كان يتم فيها تغيير مكان الملك والبلاط كان ذلك يتطلب عدداً هائلاً من الموظفين، ولكن إذا كنا لا نحاول إعطاء تقدير كلي لهؤلاء الأتباع -وكما رفض هيرودوت Herodotus نفسه إعطاء تقدير لهم VII، 187 - فإننا يمكن أن نتناول الموظفين العسكريين فقط من كل هذا الكم، وتسمح لنا إحدى الوثائق البابلية من عام 513 دارا 253 Darius أن نقدم تقديراً قابلاً للتصديق لعدد هؤلاء الموظفين العسكريين: حيث إن هناك فارساً يقوم بتنفيذ الاستدعاءات، وكان يصاحبه 12 رجلاً مسلحين تسليحاً خفيفاً مهمتهم تجهيزه وحمايته على غرار جنود الهلوت في الجيش الإسبرطي .

التحضيرات اللوجستية:

طبقاً لما يقوله هيرودوت Herodotus فإن فترة التحضير استمرت لمدة لا تقل عن أربع سنوات VII، 20 ، حيث أنها لم تكن فقط مسألة جمع الرجال، ولكن كان من الضروري أيضاً القيام بتعبئة طاقة إنتاجية هائلة؛ وذلك لضمان توفير الخدمات والاحتياجات اللوجستية للحملة، ولقد تم تشييد عدد من مخازن التموين في مواقع مختارة بعناية، مثل لويسي أكتي في إقليم طراقيا وتيروديزا بالقرب من برنثوس، وفي معاقل دوريسكوس Doriscus وإيون ومقدونيا، ولقد تم جمع عدد كبير من سفن النقل من أجل هذا الغرض، حيث أن الإمدادات كانت تأتي من «جميع أجزاء آسيا» VII، 25، 37 ، ولقد تطلب الأمر آلاف الرجال لحفر قناة عبر شبه جزيرة جبل آثوس أكتي ، حيث تذكر مستشارو الملك ما حدث لأسطول ماردونيوس Mardonius وتحطمه في عام 492، وأيضاً لبناء الجسور عبر نهر VII 22-24 The Strymon ، وبالتأكيد فإن بناء جسرين عبر مضيق البسفور قد تطلب أشهر طويلة من العمل، وقد فشلت المحاولة الأولى لبنائهما بسبب عاصفة هوجاء VII 26 ، وفي هذه الأثناء قام الملك الأكبر وقادة جيوشه بتجميع الفرق العسكرية في البداية في كريتالا في أقليم كبادوكيا، ثم بعد ذلك في سارديس VII، 26 وبعد قضاء الشتاء في عاصمة إقليم ليديا عامي 481-480 انطلق الملك على رأس جيشه متجهاً إلى مضيق الدردنيل وبلاد اليونان وكان ذلك في بداية ربيع سنة 480 VII 37 .

3- من سارديس وإليها 480 :

تقدم الفرس والاستراتيجية التي تبناها اليونانيون:

انطلق كسركسيس Xerxes من دوريسكوس Doriscus على رأس جيشه ومتجهاً نحو إقليم طراقيا، وشرع تدريجيًّا في تجنيد فرق جديدة من

الشعوب الخاضعة له، ولقد عبر نهر The Strymon على الجسر الذي تـم بنـاؤه سـابقاً VII 105، 116-118 ، وتم تقسيم قواته إلى ثلاث فرق، تولى قيادة كل منهـا أحـد كبـار القواد VII، 121 ، وعندما بلغوا أكَنثوس، قام كسركسيس Xerxes بإرسال الأسـطول لينتظره في ثرما عند مدخل الخلـيج VII، 121 ، وعنـدما اجتمعـت الجيـوش في هـذه المدينة، اتجهوا جميعاً صوب بييريا، وهناك علموا أن معظم شعوب ومدن وسط اليونان قد وافقت عـلى «إعطـائهم الأرض والمـاء» كإشـارة إلى خضـوعهم لهـم » VII، 132 ، وبالتأكيـد -وكـما يشرح هـيرودوت VII، 172 - فلـم يكـن لـدى هـذه الشـعوب أي اختيار، وقبل قيام اليونانيين بالتجمع في بـرزخ كورنثـه، أرسـلوا فرقـة مـنهم إلى منطقـة بالقرب من تِمبي لقطع الطريـق عـلى الفـرس، ولكـن بمجـرد أن أخـبرهم ملـك مقـدونيا الإسكندر Alexander أن الجيش الفارسي يمكنه أن يسلك طرقاً أخرى، فقاموا بمغـادرة المكان، «وقد كان من نتيجة ذلك أن الثساليين عندما وجدوا أنفسـهم بمفـردهم وبـدون أيـة مسـاندة، قـاموا وبـدون أدنى تـردد بالانضـمام إلى جانـب الفـرس والعمـل عـلى مساعدتهم بصدق وإخلاص لدرجـة أنهـم كـانوا نـافعين لكسركسـيس Xerxes بدرجـة كبيرة للغاية أثنـاء المعركـة» VII، 174 ، وبالتأكيـد فـإن هـيرودوت Herodotus كـان يسعده ما حدث، حيث إنه من الواضح أن بعض قـادة الثسـاليين الألويـاداي قـد فضـلوا من البداية التحالف مع الفرس VII، 6 كما حدث في عـام 490، فقـد فطـن الفـرس إلى كيفية استغلال الخلافات الداخلية التي توجد بين الدويلات اليونانيـة والتـي كـان العديـد منهـا مسـتعداً لإتبـاع الميـديين، وفي إحـدى الفقـرات التـي يفضـلها الأثنيـون كثـيراً وصـل هـيرودوت Herodotus إلى حـد أنـه قـال: «سـواء صـدقني مـن يسـتمع إليّ أم لا، فـإن معظم اليونانيين كانوا مستعدين إلى حد كبير لتقبل سيطرة وسيادة الفرس عليهم»، حيـث إن التفاوت في الميزان العسكري ظهر وكأنه مشكلة لا يمكـن التغلـب عليهـا VII، 138 ،

وإذا كان الفوقيون هم الشعب الوحيد من شعوب وسط اليونان الذي لم ينضم إلى جانب الفرس، فإن ذلك كان راجعاً إلى العداوة قديمة الأزل بينهم وبين الثساليين VIII ، 30 ، ودعونا نتذكر أن ديماراتوس Demaratus الإسبرطي كان لا يزال ضمن حاشية كسركسيس Xerxes ، وأنه كان يوجد معه أيضاً ممثلين عن عائلة البسستراتيين؛ ولذلك فإنه لا بد أن أحد أهداف هذه الحملة أيضاً كان يتمثل في تنصيب حكومات عميلة في العديد من الدويلات اليونانية راجع VIII، 54-55 .

وبعد مناقشات طويلة قرر اليونانيون مواجهة جيش كسركسيس Xerxes عند خط دفاعي يقع على جبهتين، وهما ثرموبلاي براً وأرتمسيوم برومونتوري بحراً، وهما موقعان قريبان جدًّا من بعضهما البعض VII، 175 ، وعندما أبحرت مجموعة من السفن الفارسية حتى وصلت إلى ثرما، تركت السفن اليونانية أرتمسيوم وألقت بمراسيها في كالسس منتوية القيام بحراسة يوريبوس، وتاركة مجموعات للمراقبة والإنذار على أرض يوبيا المرتفعة» VII، 183 ، وبينما كان كسركسيس Xerxes مستمراً في تقدمه صوب ثرموبلاي VII، 198-201 ، تعرض جزء من الأسطول والذي كان راسياً بالقرب من رأس سيبياس إلى التدمير من جراء إحدى العواصف غير المتوقعة 190-192 VII ، وطبقاً لما يقوله هيرودوت Herodotus فلقد كانت كارثة حقيقية، حيث أنه فقد بسببها عدداً كبيراً من السفن الحربية وناقلات الغلال، بالإضافة إلى عدد ضخم من الرجال، أما على البر فبالرغم من المقاومة الباسلة التي أبداها اليونانيون والتي قام هيرودوت Herodotus بتخصيص فقرة طويلة بدرجة لا تتناسب مع هذا الحدث للحديث عنها وعن الأعمال البطولية التي قاموا بها VII، 201-239 ، إلا أن الجيش الفارسي تمكن من العبور من ثرموبلاي، وفي تلك الأثناء كان الأسطول اليوناني بقيادة الإسبرطي يوربياديس Eurybiades قد ألقى مراسيه بالقرب من أرتمسيوم، ويقول

هيرودوت Herodotus إن ثيمستوكليس Themistocles الآثيني قد تمكن من إقناع اليونانيين بالحفاظ على مواقعهم هذه برغم الهزيمة التي تعرضوا لها في ثرموبلاي، ولقد كانت خسائر الفرس فادحة ليس فقط على يد اليونانيين، ولكن أيضاً لأن عاصفة أخرى ضربت أسطولهم وتسببت في إغراق قسم آخر من سفنهم، والذي كان يحاول الإلتفاف حول يوبيا لينقض على اليونانيين من الخلف، وعلى الرغم من ذلك، فإنه من وجهة نظر قيادة أركان الجيش الفارسي قد تمكن الفرس من تحقيق هدفهم، حيث أصبح الطريق إلى اليونان مفتوحاً أغسطس 840 ولقد دخل الجيش الفارسي على الفور إلى وسط اليونان متلقياً المساندة والدعم من الأشخاص الموالين للميديين VIII، 39-34 .

من ثرموبلاي إلى سلاميس:

لقد كانت أهم انتصارات الفرس تتمثل في الصعيد السياسي، ولقد قام الأسطول اليوناني تحت قيادة ثيمستوكليس Themistocles بالرسوّ في ميناء سلاميس، وتبعاً لهيرودوت Herodotus فإن الأثينيين قد تعرضوا لتثبيط الهمة بسبب البيلوبونيزيين، والذين بدلاً من أن يتقدموا إلى وسط اليونان قاموا بتحصين برزخ كورنثه ليشكلوا عائقاً يحول دون تقدم الفرس، وقد كان هدف الأثينيين هو «إعطاء أنفسهم الفرصة ليتمكنوا من إخراج نسائهم وأولادهم من أتيكا، وأيضاً لمناقشة خطوتهم التالية» VIII، 40 ، ولتلخيص ما حدث فإن الصراع الأثنيني/الإسبرطي والذي كان قد طفى بالفعل على السطح خلال مسألة اختيار القائد، قد اندلع مرة أخرى، وقد تم رفع مسألة تحديد الاستراتاجية التي سيتبناها الأسطول اليوناني إلى مجلس قادة الأساطيل البحرية اليونانية والتي كانت قد عادت في هذه الأثناء إلى سلاميس .

وبالرغم من معارضة الإسبرطيين خوض المعركة بعيداً عن قواعدهم، إلا أن ثيمستوكليس Themistocles تمكن من إقناع

يوربياديس Eurybiades بأن الحل الوحيد هو مواجهة الأسطول الفارسي في خليج سلاميس، وقد تم وضع خطط إضافية، فعلى البر سوف يستمر اللاسيديمونيون في حشد قواتهم عند البرزخ VIII، 74-70 ، وقد تم إجبار سكان أثينا والمناطق المحيطة بها على المغادرة والذهاب إلى المنفى VIII 40-64 ، وقد انتهت المعركة البحرية التي أعقبت ذلك بهزيمة مدوية لأسطول كسركسيس Xerxes في خليج سلاميس -76 VIII 96 سبتمبر 480 .

من سلاميس إلى ساردیس:

وبدلاً من أن يقنعوا بالاحتفال بالنصر الذي حققه شعبهم وهو شيء مفهوم، فإن جميع الكتاب اليونانيين يؤكدون على التردد والجبن الذي بدر من كسركسيس Xerxes والذي كان مشغولاً أكثر من أي شيء آخر بـ «الفرار وهو في حالة من الهلع» إسشيلوس Aeschylus لكي يتفادى عواقب الهزيمة، ومن الواضح أن أنباء الهزيمة قد أذهلت الفرس الذين كانوا - بدون شك- مدركين وشاعرين بتفوقهم الكبير بما فيهم الأشخاص الذين كانوا قد بقوا في البلاط الملكي، والذين تبعاً لما يقوله هيرودوت Herodotus كانوا يجهزون بالفعل لاستقبال كسركسيس Xerxes عندما يعود منتصراً VIII، 99 ، وقد كانت هذه هي الظروف التي بنى عليها هيرودوت Herodotus الخطاب الذي يروي أنه قد تم تبادله بين ماردونيوس Mardonius والملك بعد المعركة VIII، 101-100 ، حيث إن ماردونيوس Mardonius الذي كان حريصاً على تبرئة نفسه من اتهام الملك له بأنه نصح بشن حملة عسكرية باءت بالفشل قد اقترح على كسركسيس Xerxes وكان لا يعرف بعد بالاستعدادات التي يقوم بها كسركسيس Xerxes للهرب» VIII، 97 ، اقترح عليه أن يترك له جيشاً وباستخدامه «سيسلمه بلاد اليونان مكبلة بالأغلال» VIII، 100 ، ومرة أخرى فإنه تبعاً لما يذكره هيرودوت Herodotus فإن

كسركسيس Xerxes أمر بأن يتم نقل أبنائه الصغار غير الشرعيين إلى آسيا الصغرى تحت حماية أرتيميسيا Artemisia ملكة هاليكارناسوس VIII، 103-104 ، وبعد المعركة بعدة أيام قام بمغادرة أتيكا مع الجيش VIII، 113 ، وعندما وصل إلى أراضي إقليم ثسياليا، ترك جيشاً لماردونيوس Mardonius يتكون من خيرة الجند، وقام بعد ذلك بالسفر إلى مضيق الدردنيل وهي الرحلة التي استغرقت 45 يوماً VIII، 115 ، والتي اتجه بعدها إلى سارديس VIII، 117 ، ويقوم هيرودوت Herodotus بتصوير انسحاب كسركسيس Xerxes في شكل رؤيا: «لقد وصل إلى المعبر في خلال 45 يوماً ولكن بالكاد كان يوجد شق من جيشه مازال سليماً، وخلال هذه المسيرة كان الجنود يقتاتون على أفضل ما يجدونه في الأرض، فكانوا يأكلون العشب عندما لا يجدون الحبوب، وكانوا ينزعون لحاء الأشجار من كل الأنواع وأوراقها ليقتاتوا عليها، سواء أكانت هذه الأشجار مزروعة أم برية وذلك ليسدوا جوعهم، ولم يتركوا شيئاً في أي مكان، فقد كانت الإمدادات لديهم شحيحة للغاية، ولقد هاجمهم الطاعون والإسهال، وهلك العديد منهم، وتم ترك المرضى خلف الجيش، وعندما عبر الفرس أراضي إقليم طراقيا ووصلوا إلى القنطرة الممتدة على الدرنيل لم يضيعوا وقتاً وعبروا مسرعين إلى أبيدوس، وعلى الرغم من ذلك فقد عبروا في سفن، حيث إنهم وجدوا أن القنطرة لم تعد ثابتة في مكانها، فلقد تسبب الطقس السيء في تحطيمها، وكان الطعام أكثر وفرة في أبيدوس عما كان عليه الحال خلال مسيرتهم السابقة، وكان من نتيجة ذلك أن الرجال قد أتخموا أنفسهم بالطعام، مما تسبب -بالإضافة إلى تغير الماء- في وقوع العديد من الوفيات فيمن تبقى من الجيش، ولقد مضى ما تبقى منه إلى سارديس مع كسركسيس Xerxes VIII115-117 .

ومن المحتمل أن هيرودوت Herodotus قد أخذ هذه الرواية والتي

قـام بتكرارهـا العديـد مـن القـدماء مثـل جوسـتين Justin II 13، 11، 12 ، ومثـل إسشـيلوس Aeschylus سـطور 480-515 ، وفي البدايـة وقبـل كـل شيء فـإن هـذه الرواية هي موضوع أدبي، وبالتأكيد فإنها لا تمت بـأدنى صـلة للواقـع، وحتـى إذا كانـت عملية الانسحاب قد واجهت صعوبات فيما يتعلق بالظروف الجوية، فإنه مـن الصـعب تصديق أنه قد تم بالكامل استنفاد المخزونات التي كان قد جمعها القـائم عـلى الإمـداد والتموين في الجيش، ويقوم هيرودوت Herodotus بتسجيل بعـض الروايـات الأخـرى التي كان يـتم تناقلهـا في أيامـه، والتـي تشـير إلى أن كسركسـيس Xerxes قـد عـاد إلى الساحل الآسيوي عن طريق البحر، وتؤكد كـل مـن هـذه الروايـات قسـوة الملـك الأكـبر VIII، 118-119 ، ولكن هيرودوت Herodotus يقـوم بـرفض هـذه القصـص مؤكـداً على أن كسركسيس Xerxes مر بالفعل عبر أراضي أبديرا ، وأنه كافأ سكانها بـأن عقـد معهـم حلـف صـداقة، وبهديـة عبـارة عـن سـيف» والـذي يعنـى بالفارسـية القديمـة أكيناكيس » من الذهب، وسوار للرأس مرصع بالذهب VII، 120 ، وبرغم مـن ذلـك، فإن التقليد القديم يحفظ الروايات التي عارضها هيرودوت Herodotus كما في رواية جوستين Justin ، والتي تتميـز بأنهـا دراميـة وذات معنـى أخلاقـي II، 13، 9-10 :

«لقد وجد كسركسيس Xerxes القنطرة محطمة، فعبر مسرعاً في قارب للصيد، ويالهـذا المنظر، فلقد جعل -بالفعـل- الرجـال يـدركون الظـروف التـي يتعرضـون لهـا مـع هـذا التحول المذهل للأحداث، فهاهم يرونه منكفئاً على وجهه في قارب صـغير، وهـو الرجـل الذي كان يعجز المحيط بأكمله أن يحتوي سفنه، والذي أرهق الأرض بكثرة ما لديه مـن جنود، أما الآن فهو لا يجد عبداً واحداً يقوم على خدمته».

ولكـــن لا يجـــب أن يـــدفعنا هـــذا النقـــد المحتمـــل للروايـــات القديمـــة إلى الاعتقـــاد بـــأن وضـــع الفـــرس في ســـبتمبر عـــام 480 كـــان هـــو حـــالهم نفســـه قبـــل

ذلك بعدة شهور، فقد أدت الهزيمة بالتأكيد إلى إضعاف سلطة الامبراطور في بعض النواحي، وعندما عاد أرتابازوس Artabazus إلى آسيا حيث اصطحب كسركسيس Xerxes ، قام بمحاصرة بوتيداي ولكن هذا الحصار لم يكلل بالنجاح : «فقد أعلن أهل بوتيداي تمردهم الصريح على سيطرة الفرس بمجرد أن مر بهم كسركسيس Xerxes في طريق عودته إلى الشرق، ولقد علموا بهروب الأسطول الفارسي من سلاميس» VIII، 126 ، وقصة هيرودوت Herodotus حول هروب الملك تجعل من الواضح أن العديد من شعوب إقليم طراقيا قد قطعت علاقات الولاء VII، 115-116 ، وقد تصل هذه القصة إلى حد اقتراح أن مدن آسيا الصغرى كانت مستعدة لإعلان التمرد في هذا التاريخ، وتنبع هذه الفكرة من وجهة نظر مثيرة للشكوك بعض الشيء، والتي قام بصياغتها هيرودوت Herodotus مع عدد من كتاب القرن الرابع الآخرين، وعلى وجه الخصوص إفورس Ephorus والذي اقتبس منه ديودورس Diodorus الكثير، وتبعاً لما يرويه هيرودوت Herodotus فلقد حاول ثيمستوكليس Themistocles أن يفصل الأساطيل الأيونية عن الأسطول الفارسي، وذلك قبل هزيمة سلاميس ببعض الوقت ولكنه فشل في ذلك VIII، 85 ، ونعلم منه أيضاً أنه بعد موقعه سلاميس قامت الدويلات اليونانية المنتصرة بإرسال بعض السفن إلى جزر The Cyclades لمحاصرة جزيرة أندروس وأخذ المال من الجزر الأخرى هيرودوت Herodotus VIII، 111-112 ، ولكن يشرح هيرودوت Herodotus كيف أنهم كانوا في موقف لا يسمح لهم بالبدء بأي هجوم على الجزر التي غزاها داتيس Datis في عام 490 .

وعلى الرغم من تلك الهزيمة المدوية التي تعرض لها الجيش الفارسي إلا أن النتائج العسكرية لم تكن كارثية بالنسبة له، فقد ظل هذا الجيش سليماً بصورة عملية، وكان قادراً على الاستيلاء على الريف،

وحتى أن يتغلب على التحصينات التي أقامها اللاسيديمونيون عند مدخل البرزخ وذلك ما كان يعرفه الإسبرطيون ويدركونه جيداً ، وبالنسبة للأسطول الفارسي فإنه بالتأكيد لم يتم تدميره بالكامل، وقد كان الإغريق لا يزالون يرهبونه ويحسبون حسابه، وأحد الأسباب التي يقدمها الكتاب الإغريق لقيام كسركسيس Xerxes بالانسحاب إلى ساردیس يتمثل في خوفه من أن يقوم اليونانيون بتدمير القنطرة التي أقامها على الدردنيل والذي كان سيؤدي إلى احتجازه في أوروبا VIII، 97 ، وطبقاً لأحد المعتقدات واسعة الانتشار بين الكتاب اليونانيين -ولكنه خيالي بالتأكيد- فقد كان ثيمستوكليس Themistocles هو نفسه من أرسل رسالة إلى كسركسيس Xerxes بهذا الخصوص، وذلك حتى يجبره أن يعود بجيشه إلى آسيا، وقد اعتقد العديد من القادة اليونانيين عقب موقعة سلاميس أن قيادة الأركان العامة للجيش الفارسي كانت تعد لشن هجوم جديد .

ولكن كسركسيس Xerxes ومستشاريه اختاروا استراتيجية أخرى، حيث قرروا تقسيم قواتهم، ولقد عُهِد إلى ماردونيوس Mardonius بمهمة متابعة الهجوم على اليونان وتُرِك معه الجيش، أما كسركسيس Xerxes فقد عاد إلى ساردیس ومعه الأسطول، ولا بد أنه ظل هناك طوال صيف عام 479، وهكذا فإنه لم تكن هناك أي احتمالية أن الملك قد اندفع في عملية «هروب طائشة»، وفي ساردیس كان كسركسيس Xerxes في تواصل دائم مع ماردونيوس Mardonius ، واستمر في الإشراف على العملية بأكملها، وقد كان لهذه الخطة ميزة وفائدة أخرى وهي أن تواجد ماردونيوس Mardonius في بلاد اليونان أدى إلى منع اليونانيين من الشروع في الإبحار عبر الجزر، وهكذا علم الجميع أن المعركة الحاسمة سوف تقع على أرض بلاد اليونان .

4- كسركسيس Xerxes بين جبهتين 479-480 :

كسركسيس Xerxes في ساردیس وماردونيوس Mardonius في أوروبا:

في ربيع عام 479 كان من المؤكد أن ماردونيوس Mardonius أصبح جاهزاً لشنّ هجوم، وبالتأكيد فإنه كان مقتنعاً بتفوقه العسكري على اليونانيين، وهو لم يصل إلى هذه النتيجة لمجرد أنه كان شخصاً مغروراً كما أكد على ذلك هيرودوت Herodotus راجع IX، 3 ، وبدلاً من ذلك فلا بد أنه كان واعياً إلى أن الإسبرطيين كان يركزون كل جهودهم على إكمال الجدار الذي شرعوا في تشييده عبر البرزخ، وأنهم كانوا ينظرون إليه على أنه أولوية قصوى IX، V : «الجدار لم يكتمل بعد وكانوا لا يزالون يعملون على إكماله وهم في حالة رعب شديد من الفرس» IX، 8 .

وفي هذه الأثناء تسلم ماردونيوس Mardonius رسالة من كسركسيس Xerxes يأمره فيها بالاتصال بالأثنيين، وكان نصُّها كما يلي: «أوامر الملك إليه هي أن يقوم أولاً بإرجاع أراضي أثينا إليها، وثانياً أن يتركها تختار بالإضافة إلى ذلك ما تريده من الأراضي، وأن تتمتع بحريتها، «دع أثينا تتوصل إلى اتفاق مع الملك، «وقد صدرت إليه الأوامر بأن يقوم بإعادة بناء المعابد التي دمرتها النيران» VIII، 140 .

وكان هدف الفرس من وراء ذلك كما فهمه ماردونيوس Mardonius هو أن يبعث الفرقة بشكل أعمق فيما بين اليونانيين، وخاصة أن يمنع حدوث أي تعاون عسكري حقيقي بين الأثينيين والإسبرطيين: «حيث إنه إذا تمكن من أن يعقد تحالفاً مع الأثينيين، فلن تواجهه أية صعوبة في فرض سيادته على البحر، وذلك في حين أنه كان بالفعل واثقاً من تفوقه عليهم في البر» VIII، 136 ، ومن المحتمل أيضاً أن الفرس قد شعروا بأن العناصر المؤيدة لهم في أثينا كانت آخذة في النشاط كما كان الحال في

السابق، وقد كان الفرس قد حصلوا بالفعل على ولاء أسرة تيجيتيس The Tegeates ، والذين كانوا ملتزمين بمنع أي جيش إسبرطي من الدخول إلى البرزخ IX، 12 ، ولكي يكون متأكداً من أنه يمسك بجميع الأوراق في يده عهد ماردونيوس Mardonius إلى الإسكندر Alexander حاكم إقليم مقدونيا بهذه المهمة؛ وذلك لأنه من ناحية كانت تربطه صلة قرابة بالفرس، ومن ناحية أخرى كانت لديه علاقات أكثر من رسمية مع الأثينيين VIII، 136 .

وكان الإسبرطيون غير مرتاحين لما يحدث، فقاموا هم أيضاً بإرسال وفد منهم إلى أثينا، وتحدثوا إلى المجلس الأثيني بعد أن أنهى الإسكندر Alexander حديثه، وقام الأثينيون برفض هذا العرض المقدم من طرف ماردونيوس Mardonius ، ولكنهم أرسلوا إنذاراً يتضمن مهلة للإسبرطيين، ومفاده أنهم إذا رفضوا إرسال جيش لمساعدة الأثينيين -كما هددوا في السابق- فإن الأثنيون لن يكون أمامهم سوى القبول بعرض الفرس VIII 141-144 ، وعندما تسلم ماردونيوس Mardonius رد أثينا على عرضه، قام بالزحف باتجاه أتيكا والتي تم إخلاؤها من سكانها مرة أخرى، وقد قام بإعلام كسركسيس Xerxes بانتصاره هذا عن طريق استخدام الإشارات النارية من جزيرة إلى أخرى IX، 3 ، وقد قام ماردونيوس Mardonius بمبادرة دبلوماسية أخرى ولكنها لم تلقَ نجاحاً أكثر مما لاقته المبادرة الأولى، وذلك على الرغم من بعض المحاولات المتفرقة التي قام بها عدد قليل من الأثينيون لإعطائه رد إيجابي IX 4-5 ، ومرة أخرى قام الأثينيون بإرسال سفراء إلى إسبرطة شاكين من عدم رد الاسبرطيين عليهم، ولتعلم الإسبرطيين أن تصرفهم هذا سوف يضطر الأثينيين إلى إعادة فتح المفاوضات مع ماردونيوس Mardonius ، وفي النهاية قام جيش لاسيدوموني بمغادرة شبه جزيرة البلوبونيز تحت قيادة الملك بوسانياسPausanias IX، 6-11 .

ولم تتوقف أبداً الاستراتيجية الفارسية عن إبهارنا، والسؤال هنا: لماذا لم يحاول الفرس الاستفادة مما كان يبدو كموقف قوة لهم؟ وذلك بداية من ربيع عام 479 راجع VIII، 113 ، ولقد قام هيرودوت Herodotus بعد ذلك بقليل، بالتأكيد على المقارنة بين الاتجاه الذي يتمثل في الترقب ومتابعة الأحداث من ناحية، والاستراتيجية الهجومية من ناحية أخرى، حيث يقوم بتقديم كل من أرتابازوس Artabazus وماردونيوس Mardonius ، فأرتابازوس Artabazus يقترح الانتظار في سكون وتوزيع الذهب والثروات فيما بين القادة اليونانيين، حيث يقول: «سوف يقومون قريباً جدًّا بالتنازل عن حريتهم» IX، 41 ، أما ماردونيوس Mardonius فهو على العكس من ذلك يتسم بأنه «ذو شخصية عنيدة وقوية»، وينصح ببدء الهجوم على الفور ودون مزيد من التأخير، ولكن المناظرات التكتيكية والاستراتيجية بخصوص أمور لم تتضح إلا بعد ذلك بعدة شهور لا يمكن نقلها في تسلسل عكسي حتى نصل إلى ربيع عام 479، وعلى الرغم من ذلك فإنه من الواضح أن الوصف الذي قدمه هيرودوت Herodotus لماردونيوس Mardonius هو وصف مثير للشكوك بدرجة كبيرة، وذلك بالنظر إلى عرضه المستمر لماردونيوس Mardonius بالمقارنة مع أرتابازوس Artabazus فصل 6/13 بالأسفل .

وفي الحقيقة فإن القرار تم اتخاذه في سارديس، فقد قام الملك باتخاذ قراره ليس فقط بناءً على الأوضاع الأوروبية، ولكن أيضاً بالاعتماد على الظروف في آسيا الصغرى وشرق بحر إيجه، حيث كان الخطر هناك ملحاً بالدرجة نفسها أو على الأقل يمكن اعتباره كذلك، فعقب عودته إلى ساردیس أمر كسركسيس Xerxes أسطوله بقضاء الشتاء في سايمي Cyme ، وقد قضت بعض السفن ذلك الفصل السيء في ساموس، وفي ربيع عام 479 تم إرسال الأسطول بأكمله إلى

ساموس «لمراقبة المدن الأيونية التي كان هنـاك شـكوك في أنهـا تكـن مشـاعر معاديـة» ديودورس Diodorus، XI، 27، 1 هيرودوت Herodotus IX، 130 ، ومن المؤكـد أن كسركسيس Xerxes ومستشاريه كانوا على وعى بحالة الاضطراب التي تسود المدن اليونانية الموجـودة في آسـيا الصـغرى، حيـث إن تعيـين بعـض الحكـام المسـتبدين مثـل ثيومستور Theomestor في ساموس VIII، 85 لم يكن كافياً لإبعاد الخطـر، ولا بـد أن كسركسيس Xerxes كان مدركاً للمحاولة التي جـرت لقلـب نظـام حكـم سـتراتيس Strattis الطاغية الموالي للفرس في كيوس، وقد تمكـن المتـآمرون مـن الهـرب ولجـأوا إلى إسبرطة متحدثين باسم الأيونيين «وطلبوا منها أن تخلص آسيا الصغرى منهم»، ثم قـابلوا بعـد ذلـك قـادة الأسـطول اليونـاني في إيجينيـا -والـذي كـان يقـوده لويتيشـيديس Leutichides الإسبرطي- ليتوسلوا إلـيهم أن «يرسـوا في آسـيا» الكتـاب الثـامن الفقـرة 132 .

ويذكر هيرودوت Herodotus بعد ذلك أن وفد كيوس نجح - ولكـن لـيس من بدون مواجهة بعض الصـعوبات- في إقنـاع اليونـانيين بالإبحـار حتـى يصـلوا إلى ديلوس، ويقول إن اليونانيين لم يجرؤوا على المغامرة بالإبحار لما هو أبعد من جزيرة ديلوس، وكان هذا هو الحـال أيضـاً بالنسـبة للفـرس، والـذين لم يسـتطيعوا الإبحـار لما هـو أبعـد مـن سـاموس، وهكـذا «وبسـبب مخـاوفهم المتبادلـة ظلـوا يحرسـون المنطقة الفاصلة بينهم بأكملها» الكتاب الثامن الفقرة 132 ، والاحتمال الأرجح هـو أن اليونـانيين لم يسـتطيعوا مغـادرة أوروبـا بـدون الـتملص مـن قبضـة مـاردونيوس Mardonius أولاً، وكذلك كان الحال مـع كسركسـيس Xerxes في سـارديس والـذي وجد أن الوضع مقلق لدرجة جعلته يبقي أسطوله سالماً بعيداً عن الأيـونيين، وواضـعاً كل هذه الظروف في اعتباره قـرر الملـك أن يـأمر مـاردونيوس Mardonius بتقـديم مقترحاته إلى الأثينيين، ولكن هذا لم يكن مقترحاً للتفـاوض كأنـداد، حيـث إنـه طلـب

من الأثينيين القبول بسيادة الفرس عليهم كشرط أساسي لاعتراف الفرس باستقلالهم وحكمهم الذاتي لأنفسهم.

بلاتيا:

قام ماردونيوس Mardonius بعد تدميره لكل المنشآت التي كانت لا تزال موجودة في أثينا بالانسحاب باتجاه بلدة طيبة «حيث إن أرضها صالحة للقتال ويستطيع فرسانه المناورة عليها جيداً» الكتاب التاسع الفقرة 13 ، وقد قام نصب معسكر محاط بالخنادق والتحصينات الدفاعية بالقرب من المدينة الكتاب التاسع الفقرة 15 ، وقد أظهرت الاشتباكات الأولية التفوق المعهود للخيالة الفرس الكتاب التاسع الفقرات 19-23 .

وقد قرر ماردونيوس Mardonius -على عكس ما نصحه به أرتابازوس Artabazus - الالتحام مع اليونانيين في معركة بالقرب من بلاتيا معتمداً مرة ثانية على الفرسان، ولقد كانت المعركة حاسمة الكتاب التاسع الفقرة 49 ، وعندما شاهد أرتابازوس Artabazus الهزيمة المحتومة أو التي قيل عنها لاحقاً أنها كانت كذلك ، غادر ميدان المعركة على رأس الفرق التي يقودها «بنية الوصول إلى مضيق الدردنيل بأسرع ما يمكن» الكتاب التاسع الفقرة 66 ، وبعد مصرع ماردونيوس Mardonius احتمت الفرق الفارسية الباقية خلف الخنادق والتحصينات التي كانت قد أقامتها، ولكن سرعان ما تمكن الأثينيون واللاسيدمونيين من اختراق هذه التحصينات الكتاب التاسع الفقرة 70 ، وقد استولى اليونانيون على معسكر ماردونيوس Mardonius وخيمة كسركسيس Xerxes ، ولقد انبهروا بالنفائس والثروات التي كانت موجودة بتلك الخيمة أغسطس 479 ، وفي هذه الأثناء كان أرتابازوس Artabazus قد وصل إلى أبيدوس، فلقد كان يتحرك بدون توقف الكتاب التاسع الفقرات 89-90 ، ولا بد أنه قد وصل إلى هناك بعد هزيمة الفرس بفترة قصيرة .

«وقد حدث أيضاً أن الفرس قد تعرضوا لهزيمة أخرى في ميكالي في إقليم أيونيا، وكان ذلك في نفس اليوم الذي وقعت فيه هزيمة بلاتيا نفسه» الكتاب التاسع الفقرة 90 ، وفي حين أن تزامن وقوع الهزيمتين يتوافق عامة مع موضوع أدبي معروف راجع الكتاب التاسع فقرة 100 ، إلا أن هذا التزامن حقيقي، وحدث فعلاً هذه المرة، وإن لم يكن في اليوم ذاته، فلقد حرر الانتصار الذي حدث في بلاتيا الأسطول اليوناني من القيود التي منعته في السابق من مغادرة المياه الأوروبية، وفي هذه الأثناء استقبل القادة اليونانيون الذين كانوا موجودين في جزيرة ديلوس رسل من ساموس، وذلك بدون أن يعرف الطاغية ثيومستور Theomestor هويتهم، حيث قاموا بالتحدث معهم حول ما يلي: إن مجرد رؤية القوات البحرية اليونانية سوف يكون كافياً لجعل الأيونيين يثورون، وأن الفرس لن يظهروا أية مقاومة، وحتى إذا فعلوا ذلك فسوف يمثلون جائزة ثمينة سيكون من المحتمل جدًّا الفوز بها الكتاب التاسع الفقرة 90 .

وقد تم بعد ذلك عقد تحالف سيماخيا بين سكان جزيرة ساموس وبين اليونانيين الكتاب التاسع الفقرة 92 ، وقام الاسطول اليوناني بالرسو في ساموس والحديث الذي أورده هيرودوت Herodotus على لسان المبعوثين الذين أتوا من ساموس الكتاب التاسع الفقرة 96 ، والحديث الذي أورده هيرودوت على لسان المبعوثين الذين قدموا من ساموس هو مشابه بشكل لافت للنظر للحجج التي قدمها أرستاجوراس Aristagoras حاكم ملطية قبل ذلك بعشرين سنة إلى كيلومينيس Cleomenes حاكم إسبرطة: «هؤلاء الأجانب لا يميلون إلى الحرب، وكم من السهل هزيمتهم! بالإضافة إلى ذلك فإن سكان القارة هم أغنى من باقي سكان العالم مجتمعين» الكتاب الخامس الفقرة 49 .

ومن الصحيح أن منطق هيرودوت Herodotus دفعه لوصف ما

يسميه بالثورة الأيونية الثانية، والتي يحدد وقتها بأنه كان الوقت نفسه الذي وقعت فيه معركة ميكالي الكتاب التاسع الفقرة 104 ، ومن الصعب تقدير درجة الاستعداد الحقيقية التي كانت عليها القوات الفارسية، فلقد تم تعزيز جيش تيجرانيس Tigranes والذي أوكل كسركسيس Xerxes إليه مهمة حراسة أيونيا الكتاب التاسع الفقرة 96 ، تم تعزيزه بمجندين من سارديس والمناطق المحيطة بها ديودورس Diodorus ، الكتاب الحادي عشر الفقرة 34 ، ولا بد أن هؤلاء المجندين كانوا عبارة عن المستعمرين والفرق العسكرية التي كان يتوجب على الفرس من سكان السهول تقديمها عندما تقتضي الحاجة، ولقد قرر القادة الفرس ألا يخوضوا معركتهم في البحر، وأنزلوا جنودهم من السفن، واتحدت قواتهم مع قوات تيجرانيس Tigranes ، وكانوا يأملون في الفوز بمعركة برية اعتقدوا أنها ستكون حاسمة، وبمجرد أن وصل القادة اليونانيون، ضغطوا على الأيونيين للانضمام إليهم، وقد نجحت توسلاتهم مع البعض - كما يتضح من الإجراءات التي اتخذها الفرس بعد ذلك- حيث تم تجريد الفرقة العسكرية الخاصة بساموس من سلاحها الكتاب التاسع الفقرات 99، 103 .

وبعد ذلك أمر الفرس جنود ملطية بالقيام بحراسة الممرات المؤدية إلى مرتفعات ميكالي، وذلك بزعم أنهم كانوا على معرفة بذلك الجزء من البلد، ولكن كان الهدف الحقيقي هو إزاحتهم من طريق الفرس، وبعد أن قاموا باتخاذ هذه الاحتياطات ضد القوات الأيونية التي كانوا يعتقدون أنها قد تسبب لهم مشكلات إذا لاحت لهم الفرصة، مضوا ليكملوا استعداداتهم الكتاب التاسع الفقرة 99 .

ولكن معظم الأيونيين انتظروا في ترقب وحذر، فقد كانوا يعلمون أن كسركسيس Xerxes لم يغادر سارديس قط ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 35 ، ولم يكونوا غافلين عن أنه إذا كانت

نتيجة المعركة لصالح الفرس فسيكون إنتقامهم لا رحمة فيه، ولكن لم يحدث شيء من هذا، فقد انهزم الفرس منتصف أغسطس 479 ، ورجعت الفرق التي نجت من المعركة إلى سارديس لتكون بالقرب من كسركسيس Xerxes الكتاب التاسع الفقرة 107، ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 36 .

الثورة الأيونية الثانية:

«وهكذا شهد ذلك اليوم اندلاع الثورة الأيونية الثانية ضد سيطرة الفرس» الكتاب التاسع الفقرة 104 ، وهذا هو تعليق هيرودوت Herodotus بعد وصفه لسلوك الفرق الأيونية خلال المعركة، حيث إنه بتحريض من جنود ساموس، إرتدت الفرق العسكرية الأيونية الأخرى عن المعسكر الفارسي وهاجمت الفرس» الكتاب التاسع الفقرة 103 ، ولقد استغل الجنود الملطيون الموقع الذي قد أمرهم الفرس بالتمركز فيه قبل المعركة، وقاموا بتوجيه وقيادة الناجين نحو المعسكر اليوناني، وقاموا في النهاية بالاشتراك في هذا الذبح الوحشي للفرس، وأثبتوا أنهم ألد أعدائهم» الكتاب التاسع الفقرة 104 ، وبعد انتهاء المعركة عقد اجتماع للم الشمل في جزيرة ساموس حضره الأيونيون واليونانيون، وكان اللاسيديمونيون يأملون في العودة إلى شبه جزيرة البلوبونيز بأسرع ما يمكن الكتاب التاسع الفقرة 114 ، وقد نصحوا الأيونيين باللجوء إلى النفي والابتعاد الاختياري؛ لأنهم لن يستطيعوا مقاومة الهجوم المضاد المؤكد الذي سيشنه الفرس، واعترض الأثينيون على هذه الخطة، وكانت الغلبة في النهاية لما أشاروا به .

وهكذا فلقد ضم اليونانيون إلى التحالف سيماخيا الذي كونوه شعوب كل من جزيرة ساموس، وكيوس، ولِسبوس، وشعوب جزر أخرى حاربت مع اليونان ضد الأجانب، وتم أخذ الأيمان والعهود على ذلك، وألزمت كل هذه المجتمعات أنفسها بالوفاء لهذه القضية المشتركة،

وما إن تم الانتهاء من ذلك حتى أبحر الأسطول باتجاه الدردنيل؛ وذلك بغرض تدمير الجسور التي كان من المفترض أنها لا تزال قائمة في مكانها عبر المضيق الكتاب التاسع الفقرة 106 .

وهكذا نشأ ما صار يعرف فيما بعد بـ «الرابطة الديلية» نسبة إلى جزيرة ديلوس، ولكن هذه الرابطة لم تكن في ذلك التاريخ أكثر من مجرد امتداد للرابطة الهيلينية، والتي تم إنشاؤها في عام 481 في مدينة كورنثة عندما علموا بوصول كسركسيس Xerxes ، وقد انضم عدد قليل من مدن آسيا الصغرى إلى الحلف في ذلك الوقت، ثم انضمت إليه بعد ذلك المدن التي كانت تقع في الجزر، والتي كانت آمنة في مواقعها، وكانت عندها أساطيلها، وقد شاركت بعض الجزر الأخرى أيضاً، والتي لا بد أنه قد تم إضافتها إلى التحالف اليوناني خلال الرحلة البحرية فيما بين جزيرتي ديلوس وساموس التي تمت في وقت سابق لذلك راجع الكتاب التاسع الفقرة 101 .

توجه كسركسيس Xerxes من ساردیس إلى بابل:

يمكننا ملاحظة أنه قد تم إعادة بناء الأحداث طبقاً لوجهة النظر اليونانية، ولا توجد لدينا معلومات دقيقة أو على الأقل غير متحيزة حول الأفعال أو ورود الأفعال التي صدرت عن كسركسيس Xerxes ، وبعد مناقشة تلك المشاعر الشائنة التي كان يكنها الملك الأكبر تجاه زوجة أخيه، يترك هيرودوت Herodotus القصة عند هذه العبارة: «لقد غادر ساردیس متجهاً إلى صوصا» الكتاب التاسع الفقرة 108 ، ويكتب ديودورس Diodorus بدوره: «عندما علم بكل من الهزيمة في بلاتيا والهزيمة المنكرة لقواته الخاصة في ميكالي، ترك جزءاً من قواته في ساردیس لمواصلة الحرب ضد اليونانيين، بينما انطلق هو نفسه مصطحباً معه بقية جيشه في ذهول وارتباك واتجه إلى إكباتانا» الكتاب الحادي عشر الفقرة 36 ، فهل اختار كسركسيس Xerxes الهروب من مسرح الأحداث

مرة ثانية؟ والتماس السكينة والراحة في أحضان نسائه وبين مهندسيه؟ أو متى غادر سارديس؟ ولماذا؟

ومن الواضح أن طرق تقديم المؤلفين القدامى لهذا الحدث تغلب عليها في الأساس الدوافع الجدلية، وفي الحقيقة لم يعد كسركسيس Xerxes إلى مركز إمبراطوريته بمجرد عودته من أتيكا، حيث شرع في الفترة بين عودته من سلاميس ومسيره باتجاه بابل في تحصين قلعة سيليناي Celaenae ، وبنى سكناً له هناك زينوفون Xenophon، Anab الكتاب الأول الفقرات 2، 9 ، وهذا دليل على أنه لم يترك سارديس في نوبة من الذعر، وفي الحقيقة -وكما سنرى- فإن الملك الأكبر ظل في سارديس بعد الهزيمة التي تعرضت لها قواته في ميكالي، ونعلم من ستيسياس Ctesias أنه قد أرسل فصيلة من جنوده لتخريب معبد ديديما والذي كان أحد المعابد المشهورة جدًّا والذي ارتبط اسمه أيضاً ببلدة ملطية، ومن الواضح أن كسركسيس Xerxes بفعله ذلك كان يشن هجوماً مضاداً على الأيونيين المتمردين وخاصةً سكان ملطية؛ وذلك بسبب خيانتهم له في معركة ميكالي بوسانياس Pausanias ، الكتاب الثامن الفقرة 46-3 ، نعلم أيضاً أن الكهنة المسؤولين عن إدارة ذلك المعبد البرانشيداي قد لجأوا إلى كسركسيس Xerxes طلباً للحماية، وقد أعلنوا مساندتهم للفرس، وخافوا من انتقام مواطنيهم من أهل تلك المدينة، ويقول ستيسياس Ctesias إن كسركسيس Xerxes قد نوى التوجه إلى بابل، ويمكن أن نتلمس أسباب تفضيله لهذا الخيار في الوضع الذي كان سائداً في ذلك الوقت في تلك المنطقة، حيث توجد بعض الألواح البابلية التي تشير إلى أن بوادر ثورة جديدة كانت قد لاحت في الأفق، وكان يقودها رجل اسمه سماس-إريبا Samas-eriba والذي لقب نفسه بـ «ملك بابل، ملك الأراضين»، وهناك احتمال كبير أن تاريخ وقوع هذه الأحداث كان عام 479 وخاصة أغسطس- سبتمبر 479 ، وفي اللحظة

نفسها التي كان يحاول فيها الملك الأكبر إخماد الثورة الأيونية، تلقى رسالة في سارديس تنبئه بالتمرد البابلي، وهكذا تمت محاصرته بين جبهتين للمرة الثانية، وبعد المؤتمر الذي تم عقده في جزيرة ساموس أبحرت البحرية اليونانية باتجاه منطقة المضايق، وقامت بالاستيلاء على جزيرة سستوس قبل العودة مرة أخرى إلى بلاد اليونان استباقاً لبدء فصل الشتاء سبتمبر 479 هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع الفقرات 114-121 ، وفي وجه هذين الخيارين -إما إقليم أيونيا أو بابل- مال الملك إلى الخيار الثاني، وذلك بالتأكيد بسبب الأهمية الكبيرة التي كانت لبابل حيث أنها كانت تقع في قلب الإمبراطورية الفارسية، وقد قام ميجابيزوس Megabyzus بقيادة الهجوم ضد بابل أكتوبر 479 ، ولكن حتى مع ذلك، لم يقم كسركسيس Xerxes بالتخلي عن جبهة آسيا الصغرى حيث ترك هناك جنوداً على درجة عالية من التدريب .

5- الهزيمة الفارسية: أسبابها ونتائجها:

بعض التساؤلات:

رأينا كيف أنه من منظور اليونانيين ومن وجهة نظر عدد كبير من المؤرخين المعاصرين، كان عام 479 عاماً حاسماً في مسار التاريخ الأخميني فصل 13-1 بالأعلى ، وقد قمنا أيضاً بالتأكيد على تشويه الحقائق الذي كان موجوداً في التحليلات القديمة، ولكن لا يجب أن تحل تفسيراتنا الأيديولوجية للمصادر اليونانية محل الأدلة المادية الملموسة، حيث إننا بمجرد إزالتنا لشبح «الانحلال» نجد أن أكثر النصوص تحيزاً تعبر عن بعض الحقيقة، وهكذا فإنه من الملائم أن نستعين ببعض الأسئلة والتي بقدر ما يسهل صياغتها نجد أن الإجابة عليها صعبة فمثلاً: كيف يمكن تفسير الهزيمة الفارسية؟ ما مدى ضخامة نتائج هذه الهزيمة؟ كيف يمكن تقييم وضع كسركسيس Xerxes حوالي

عام 479؟ وسوف نقوم مسبقاً بالتأكيد على أن حالة الأدلة المتوافرة تسمح في أفضل الأحوال بتقديم عدد قليل فقط من التعليقات والافتراضات التفسيرية، والتي تتسم كلها أو في معظمها بدرجة مرتفعة -قلت أو زادت- من عدم التأكد من صحتها.

الأسلحة والتكتيكات:

حتى لا نقول ما هو أكثر من ذلك، فإن الهزائم الفارسية تكشف على الفور عن مدى ضعفهم على الصعيدين التكتيكي والعسكري، في ذلك الوقت على الأقل، وللأسف فإنه ليس من السهل تحديد أسباب ذلك، ويرجع هذا إلى أن حالة التناقض وعدم الاكتمال التي تتسم بها المصادر القديمة تجعل من الصعب -على وجه الخصوص- القيام بإعادة تركيب وتجميع الأساليب الحربية الفارسية بالتفصيل، بما فيها تلك الأساليب التي تم استخدامها في أهم معركة برية خاضوها وهي معركة بلاتيا.

وفي البداية، يتجلى لنا كيف أن الفرس وضعوا ثقة غير محدودة في فرسانهم، حيث إنه باستخدام أحصنتهم السريعة والتي كما يقول هيرودوت Herodotus «كانت أسرع من أفضل الركائب اليونانية» وهي الخيل الثسالية الكتاب السابع الفقرة 196 ، كان الخيالة الفرس في وضع يمكنهم من إنهاك جيش العدو -كما حدث في موقعة بلاتيا- حيث قامت إحدى كتائب الخيالة الفرس بتطويق الفرقة الفوكية: «قام الخيالة الفرس بمحاصرة هؤلاء الرجال غير المحظوظين، وشرعوا في الإطباق عليهم وأسلحتهم موجهة نحوهم حتى يبيدوهم، ووجهوا بعض رماحهم صوب الرجال الفوكيين، لكن الفوكيين صمدوا واقتربوا من بعضهم البعض، وقاموا بالتلاحم مع بعضهم، وسد الثغرات الموجودة بينهم» الكتاب التاسع فقرة 18 .

ولم تتمكن فرقة الميجاريين -الذي كانوا يقاتلون إلى جوار الفوكيين- من مجاراة خيالة الفرس، وسرعان ما اضطرت إلى طلب

إعفائها من المهمة التي تم تكليفها بها الكتاب التاسع الفقرة 20 ، ولقد كان هؤلاء الخيالة مسلحين بالرماح والأقواس الكتاب التاسع فقرة 49، راجع زينوفون Xenophon، Anab الكتاب الأول الفقرة 8-3 ، وكانوا يهاجمون في شكل سرايا من الخيالة الكتاب التاسع الفقرة 22 ، وكانوا يقذفون الرماح ويطلقون الأسهم، متحاشين الالتحام والاشتباك اللصيق مع العدو الكتاب التاسع الفقرات 49، 52 ، وللحديث عنهم بشكل سليم لم يكن هؤلاء الخيالة يهاجمون - وهو الشيء الذي كان مستحيلاً- بدون امتطائهم خيولهم، ولكن كان يقومون باستمرار بالتحرش بأعدائهم IX، 57 .

ويذكرنا ذلك النمط من القتال الذي وصفه هيرودوت Herodotus إلى حد ما بالأساليب التي استخدمها الخيالة الساكيون، والتي واجه قادة جيش الإسكندر Alexander المقدوني صعوبات بالغة في التغلب عليها في آسيا الوسطى، حيث قام الساكيون -الذين كانوا رماة مهرة من على صهوات جيادهم- بإمطار المشاة اليونانيين والمقدونيين بوابل من الأسهم، وألقوا الذعر في قلوبهم عندما تمكنوا من تطويقهم، وأخذوا يطلقون عليهم فيضاً من رماحهم وأسهمهم، ثم قاموا بعد ذلك بقطع هذا الهجوم فقط ليقوموا بمواصلته مراراً وتكراراً أريان الكتاب الرابع الفقرات 9-405 ، وقد برز الخيالة الساكيون أيضاً خلال معركة بلاتيا الكتاب التاسع الفقرة 71 .

لم تكن فرق خيالة الفرس خفيفة الحركة فحسب، ولكنها كانت أيضاً مصفحة ومدرعة بدرجة كبيرة، وهذا مثال على الطريقة التي يصف بها زينوفون Xenophon خيالة الفرس في جيوش قورش Cyrus الأصغر: «كان في القلب يوجد قورش Cyrus وفرسانه، وكان هؤلاء الفرسان مسلحين بدروع واقية للصدر وقطع لحماية الفخذين، وكانوا جميعاً -باستثناء قورش Cyrus - يرتدون خوذات على رؤوسهم، وعلى الرغم

من ذلك دخل قورش Cyrus المعركة وهو مكشوف الرأس، وكانوا يلبسون خيولهم قطعاً من الدروع لحماية مقدمة الرأس، ودروعاً لحماية الصدر ...» أناب الكتاب الأول الفقرة 8-6 .

ويصف لنا هيرودوت Herodotus درع الصدر النفيس الذي كان يرتديه الماسيستيوس الفارسي، والذي تمكن اليونانيون من إسقاطه من على صهوة جواده في معركة بلاتيا، حيث إنهم حاولوا قتله، ولكن السبب الذي أعاقهم عن قتله على الفور هو الدرع الذي كان يرتديه والذي كان مكوناً من صفائح ذهبية يضعها تحت التنك القرمزي الذي يرتديه، ولم يكن لأية ضربة من الضربات التي تلقاها على هذا الدرع أي تأثير ...» الكتاب التاسع الفقرة 22 ، ولقد أضافت فيما بعد إحدى الوثائق البابلية التي تعود لفترة حكم دارا Darius الثاني بعض التفاصيل المثيرة، حيث إن كل فارس من الفرسان الذين يتم استدعاؤهم ليتفقدهم الملك كان يجب أن يكون مزوداً بدرع حديدي للصدر، ودرع للعنق، وغطاء مصفح للرأس، وغطاء لمؤخرة العنق، ودرع نحاسي، بالإضافة إلى 120 سهماً Uc 9/3 .

ولكن استخدام مثل هذه القوة يشتمل على عدد من المساوئ والعيوب، ففي البداية وقبل كل شيء، فرض استخدامها قيود مكانية على القيادة الفارسية، حيث إن هؤلاء الخيالة لا يستطيعون المناورة سوى على سهول فسيحة مستوية السطح تقريباً، ويقول هيرودوت Herodotus إن ميلتيادس Miltiades نصح داتيس Datis بالنزول في سهل ماراثون في عام 490؛ لأنه اعتقد سواء أكان محقًّا أم مخطئاً أن «أقرب جزء من أراضي أتيكا لمدينة إرتريا، وأيضاً أصلح أرض بالنسبة لخيالة الفرس للمناورة هي في سهل ماراثون» الكتاب السادس الفقرة 102 ، «ولقد غادر ماردونيوس Mardonius أتيكا لأنها كانت أرضاً غير مناسبة بالنسبة لفرسانه» الكتاب التاسع الفقرة 13 ، وقد سقط من

الميجاريين ألف قتيل خلال الاشتباكات التي سبقت المعركـة في بلاتيـا، لأنـه «تصـادف أن أكثر النقاط اليونانية انكشافاً وعرضة للاختراق من جانب خيالة الفرس كانت هـي تلـك النقطة التي يحتلها الميجاريون»، الكتاب التاسع الفقرة 21 ، ولكن يبدو من المحتمـل - إلى حد ما- أن اليونانيين عرفوا بالضبط كيف يختارون الموقع الذي يؤدي إلى تحييد دور العديد من فرق مـاردونيوس Mardonius وإصـابتها بـالعجز ديـودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 30-6 ، وقد كتب أريان بعد ذلك بكثير أن هزيمة الفـرس في إسوس يمكن تفسيرها بأنها كانت ناتجة عن الاختيار السيء لأرض المعركة، والذي لم تكن ملائمـة لانتشـار الفرسـان وانتشـار الفـرق العديـدة التـي كـان يتكـون منهـا جـيش دارا Darius الثالث الكتاب الثاني الفقرة 6-3، 6-6 ، وكان الوضع مختلفـاً -إلى حـدٍ مـا- في حالة جوجاميلا «والتي كانت سهلاً خالياً مناسباً لتحركات الخيالة، وإذا كانت هنـاك أيـة أجزاء بارزة في ذلـك السـهل، كـان دارا Darius يصـدر أوامـره بتسـويتها حتـى تصـبح منبسـطة ومسـاوية لبـاقي أجـزاء السـهل» كوينتـوس كورتيـوس Quintus Curtius الكتاب الرابع الفقرتان 9، 10 - أريان الكتاب الثالث الفقرة 8-7 .

بالإضافة إلى ذلك، فإنه كان من الصعب تحريك هـؤلاء الفرسـان المـزودين بعـدد كبير وثقيل من الدروع -كما فسر لنا ذلـك زينوفـون Xenophon - والـذي كـان عـلى إطلاع جيد بالأمور العسكرية وبشـؤون الفروسـية، وكـان أيضـاً شـاهد عيـان عـلى مـآثر وإنجازات قورش Cyrus الأصغر .

ولم يحدث أبداً أن عسكر البربريون عـلى مسـافة أقـل مـن 60 سـتاديا أي مـا يعـادل 11 كـم مـن المعسـكر اليونـاني؛ وذلـك خوفـاً مـن أن يقـوم اليونانيون بمهاجمتهم أثناء الليل، وبالنسبة للجيش الفارسي فإن وقـت الليـل هو وقـت مؤسـف ومحـزن، حيـث كـانوا يقومـون بتقييـد أحصـنتهم بحبـل

مشدود إلى وتد، وعادة ما كانوا يقومون بتقييد قوائمها أيضاً؛ وذلك لمنعها من الهرب في حالة ما إذا تحررت من الأحبال المربوطة بها، وفي حالة إصدار إنذار للجيش، فإنه كان يتعين على الفارس القيام بربط السرج على حصانه وإلباسه اللجام أيضاً؛ ثم كان يقوم هو بارتداء درع الصدر الخاص به وامتطاء جواده، وهي كلها أمور يصعب فعلها في الليل، وفي وسط مثل هذا الارتباك أناب، الكتاب الثالث 4، 34-35 .

وقد كان درع الرجل -الذي هو عبارة عن درع ذي صفائح معدنية لكل من الفارس والجواد، وكان يحمي كلاً من صدر الحصان وقدمي الفارس- خطيراً على وجه الخصوص، ففي اللحظة التي كان يصاب الحصان فيها بالذعر أو يجرح، كان يقذف بالفارس من فوقه، وغالباً ما كان يتسبب درع الرِّجل في جرح الفارس، وفي حالة نزول الفارس على الأرض فإن لا يصبح له أي نفع على الإطلاق كما لو كان ميتاً هيرودوت Herodotus الكتاب التاسع الفقرة 22 ، ويمكن أن نضيف أنه حتى يحقق خيالة الفرس درجةً ما من الكفاءة والفاعلية، كان يتوجب عليهم التحرك بإنضباط صارم، وكانت يؤدي مقتل قائد الفرقة إلى ترك الخيالة ليتصرفوا كما يتراءى لكل منهم، كما يمكننا رؤية ذلك من الوصف الذي تم تقديمه لمقتل ماسيستيوس Masistius : «لقد فقدوه، حيث إنه لم يعد هناك من يصدر لهم الأوامر»، وبدلاً من الهجوم في شكل سرايا من الخيالة كاتا تيليا كانت القوة بأكملها تركب الخيول وتشارك في هجوم جماعي الكتاب التاسع الفقرة 22 ، ونتيجة لذلك لم يتمكن الفرس من استرجاع جثة ماسيستيوس Masistius الكتاب التاسع الفقرة 23 .

والشيء اللافت للانتباه هو أن القادة الفرس كانوا غير قادرين أو غير راغبين في التفكير في إعداد تكتيكات تعمل على التوحيد والربط الدقيق بين المشاه والخيالة إلا في حالة بعض الاشتباكات وليدة اللحظة، والتي لم تكن منسقة في الحقيقة الكتاب التاسع الفقرة 23 ، ويبدو أن خيالة

الفرس لم يتمكنوا أبداً من اختراق صفوف الكتلة المتحدة والمترابطة للمشاة اليونانيين الكتاب التاسع الفقرتان 60-61 ، وفي بلاتيا قام ماردونيوس Mardonius من فوق صهوة جواده بقيادة قواته في صورة فرق مزدوجة، ولكن سرعان ما تبعته كتائب أخرى، والتي كانت تتقدم في أقصى درجة من الفوضى وعدم النظام، «وبدون أية محاولة للمحافظة على الترتيب أو النظام المتفق عليه، حيث كانوا عبارة عن حشد من الغوغاء ينطلق وهو يصيح ويصرخ، ولم يكونوا يتخيلون أنهم بعد وقت قصير سوف يفرون هاربين» الكتاب التاسع الفقرة 59 ، وقد كان الأسلوب المفضل للفرس يتمثل في القيام بإنشاء نوع من الجدران يتكون من دروعهم المغروسة في الأرض، وبوجود مثل هذه الحماية كانوا يقومون بإطلاق السهام وقذف الرماح على المهاجم لتخويفه وترهيبه الكتاب التاسع الفقرة 61، 100 ، ولكن -وكما يذكرنا بوسانياس Pausanias الكتاب التاسع الفقرة 46 - فقد اكتسب اليونانيون خبرة من معركة ماراثون، حيث كانوا -على حد علمنا- أول من لجأ إلى الهجوم على العدو وهو يعدو ...» الكتاب السادس الفقرة 112 ، وبمجرد أن قام جنود الهّبليت المشاة اليونانيون بهذه المناورة، تم اختراق السور الواقي المكون من الدروع، وبعدها إضطر مشاة الفرس إلى التوقف عن استخدام أقواسهم، ولم يتمكنوا بعد ذلك من مضاهاة ومضارعة اليونانيين -مثلما حدث قبل ذلك في بلاتيا- الكتاب التاسع الفقرة 62 ، وميكالي الكتاب التاسع الفقرة 102 ، وتحليل هيرودوت Herodotus حول هذه النقطة يشوبه الالتباس: «في الشجاعة والقوة كان مشاة الفرس على درجة البراعة نفسها مثل خصومهم، ولكن كان عندهم قصور في الدروع، وكانوا غير مدربين، وكانوا أقل بكثير في المهارة من خصومهم، ولقد قاموا بالهجوم على الإسبرطيين، أحياناً فرادى وأحياناً في مجموعات من 10 جنود وربما أقل وربما أكثر، ولكن تم صدهم

وتشتيتهم، وقد كان السبب الرئيس وراء هزيمتهم وارتباكهم هو نقص ما لديهم من عتاد، حيث إنهم لم يكونوا مسلحين بشكل جيد، وكانوا يواجهون جنوداً مشاة مسلحين تسليحاً كثيفاً» الكتاب التاسع الفقرتان 62-63 ، وبالمثل يؤكد هيرودوت Herodotus في روايته عن معركة ميكالي على شجاعة الفرس؛ ولكنه يُظهر وبوضوح أنه بمجرد أن تم إسقاط ذلك السور الواقي المكون من الدروع، لم يكن لديهم سوى شجاعتهم ليستخدموها في مواجهة الآلة المرنة التي تمثلها الكتائب اليونانية الكتاب التاسع الفقرة 102 ، وفي الواقع فإن كلا المعركتين وبلا شك جاءت نتائجها على العكس مما كان يتوقعه الفرس، فقد فاز المشاة في ذلك اليوم راجع الكتاب التاسع الفقرات 28-31 ، وفي نهاية معركة بلاتيا على سبيل المثال، كان خيالة ماردونيوس Mardonius مازالوا سالمين كما هم تقريباً الكتاب التاسع الفقرة 69 ، ولكن بمجرد أن تم صدهم، تحولت قوات ماردونيوس Mardonius والذي كان قد لقي مصرعه إلى الاحتماء خلف السياج الذي كان قائدهم قد بناه لهذا الغرض قبل المعركة الكتاب التاسع الفقرة 15 ، ولكن سرعان ما تمكن الأثينيون من إختراقه، «حيث إنهم كانوا على معرفة وخبرة بكيفية مهاجمة الحصون» الكتاب التاسع الفقرة 70 .

الفرس والآخرون:

يؤكد هيرودوت Herodotus على شجاعة الفرس في أماكن عديدة، ففي ميكالي، وبعد أن سقط السور الواقي الذي أقاموه من دروعهم، «لم يبد العدو المزيد من المقاومة الحقيقية، حيث ولوا الأدبار جميعاً وفروا هاربين باستثناء القوات التي موطنها الأصلي هو بلاد فارس» الكتاب التاسع الفقرة 102 ، وفي موقعة بلاتيا أحاطت بماردونيوس Mardonius فرقة من خيرة جنود الفرس، وأبدوا مقاومة لا هوادة فيها ولا استسلام الكتاب التاسع الفقرة 62 ، ويعبر هيرودوت Herodotus

عما يعتقده كما يلي: حيث يذكر أن حلفاء الفرس ونقصد بهم الفرق العسكرية العرقية الأخرى لم يقاتلوا بشجاعة وجرأة، ويضيف فيما يتعلق بمعركة بلاتيا: «من الواضح تماماً أن كل شيء كان يعتمد على الفرس: حيث إن باقي فرق ماردونيوس Mardonius قد ولت الأدبار بمجرد رؤيتهم للفرس وهم يتقهقرون، وحتى قبل أن يلتحموا مع العدو» الكتاب التاسع الفقرة 68 .

ومن المحتمل أن هذا التحليل يذهب إلى حد بعيد للغاية، ومن المؤكد أن هيرودوت Herodotus في بعض الأحيان يقوم باستخدام كلمة الفرس بمعنى عريض وشامل، فعلى سبيل المثال -وطبقاً لما يقوله- فإن جميع أطقم الأسطول كانوا من الفرس والميديين والساكيين الكتاب السابع الفقرة 96-184 .

ويذكر أيضاً فيما يتعلق بمعركة بلاتيا: «من بين مشاة العدو، كانت الفرقة الفارسية هي أفضلهم في القتال؛ ومن بين الفرسان، كان الفرسان الساكيين هم الأفضل» الكتاب التاسع الفقرة 71 ، ومما لا شك فيه أن كل قائد من قادة الفرق العرقية الأخرى في الجيش الفارسي كان يعتمد بشكل أساسي على الفرقة الفارسية، ويبني قراره اعتماداً على ما يبدر منها من تصرفات، وفي مقابلة الفرقة اللاسيدمونية -والتي كانت بالتأكيد أسمى الفرق من حيث شهرتها الحربية وولعها بالقتال- الكتاب التاسع الفقرة 58 ولقد قام ماردونيوس Mardonius على رأس «صفوة» فرق المشاة الذين هم أصلاً من فارس -والذين تم تمييزهم بدقة عن الميديين- بقيادة الجيش في الهجوم الذي شنوه على اليونانيين الكتاب التاسع الفقرة 59 .

هل يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا الخلاف في الموقف يعكس أيضاً دوافع سياسية؟ يمكننا أن نتخيل مسبقاً أن الفرس قاتلوا بمرونة فائقة؛ لأنهم كانوا يدافعون عن مصالح شعبهم ومصالح ملكهم راجع

ديودورس Diodorus الكتاب الحادي العشر الفقرة 35-4 ، وهي المصالح التي لم تـتلاقَ بالضرورة مع مصالح الشـعوب التـي تـم تجنيـدها عـن طريـق القرعـة لمـلء الفراغـات واستكمال صفوف الجيش الفارسي، ونحن نعرف بالميل الموجود لدى المـؤلفين اليونـانيين لنقل صورة معينة على وجه الخصوص عن هذه الفرق، حيث يصورونها عـلى أنهـا فـرق عسكرية تم إجبارها على الزحف باتجاه بلاد اليونان تحت تهديـد السـياط، وذلـك عـلى العكس من اليونانيين الذين كانوا يقاتلون دفاعـاً عـن حـريتهم، ولكـن مـن الصـعب أن نكون متيقنين حول أي من هذه الأمور -على الرغم من كونها من الأساسيات، وبالنسـبة للتصرف الذي قامت به بعض الفرق العسكرية الأيونيـة خـلال معركـة ميكـالي وخاصـةً بعد انتصار اليونانيين فإنه يبدو مثالاً محدداً للغاية ولا يمكن أن نعمم منـه قـائلين بأنـه كان أتجاه عام عند الشعوب الأخرى. ولقد اضـطر هـيرودوت Herodotus إلى الإقـرار بأنه حتى في موقعة سلاميس، فإنه كانت توجد أقلية من اليونانيين أرادوا تبديل الصـف الذي يحاربون تحت رايته الكتاب الثامن الفقرة 11 ، وكانت مـن بيـنهم بعـض الفـرق التي شاركت في أسطول كسركسيس Xerxes ، ولكنه يركز بـدلاً مـن ذلـك عـلى هـؤلاء الـذين قـاتلوا ببسـالة تحـت نظـر كسركسـيس Xerxes والـذي كـانوا ينتظـرون منـه المكافآت والميزات والتي أعطاهم قام بإعطائهم إياها بالفعل الكتاب الثامن الفقرة 85، 90 ، ومن الصـحيح أيضـاً أن وجـود بعـض الفـرق البحريـة التـي كانـت خالصـة الـولاء لكسركسيس Xerxes الفرس، الميديين، السكاكيين قد أسهم بالتأكيـد في الحفـاظ عـلى الانضباط على متن سفن الأسطول، وعلى الرغم مـن ذلـك فـإن هـيرودوت Herodotus يقدم تفسيرات على الصعيد التكتيكي مشابهة لما كان قد أكد عليه في معركة بلاتيا: «لقد قاتل البربريون في ميناء سلاميس في حالة من عدم النظام، وكانت صفوفهم غير منتظمـة على العكس من حلفائهم اليونانيين» الكتاب الثامن الفقرة 86، 89 .

ولا بد أن يتم تفسير قرارات قادة أركان الجيش أو المخططين العسكريين على أساس عسكري بحت، وعندما يذكر هيرودوت Herodotus أن الفرس كانوا «يعانون من نقص في الدروع، وأنهم كانوا غير مدربين وأقل كثيراً في المهارة»، الكتاب التاسع الفقرة 62 ، فإنه لا يشير بذلك إلى الفرس ذاتهم الذين موطنهم هو بلاد فارس، حيث إن التعليم والتدريب الذي يحصلون عليه كان يؤهلهم لأن يصبحوا فرساناً متميزين انظر فصل 8-3 ومتمرسين على ذلك النوع من الأنشطة الذي يطلب منهم في المعركة راجع إيليان Aelian، Anim ، الكتاب الثالث فقرة 2، الكتاب السادس عشر الفقرة 25 ، ويمكن أن نفترض الشيء نفسه بالنسبة للمشاة، ومن المحتمل أيضاً أنه مثلما فعل القادة الفرس في كيليكيا في نهاية العقد الرابع من القرن الخامس ق.م ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 75-3 ، وكما فعل دارا Darius الثالث قبل معركة جوجاميلا ديودورس Diodorus الكتاب السابع عشر الفقرة 53-4، 55-1 ، فإن كسركسيس Xerxes قد اهتم بتدريب قواته، ومن المحتمل أيضاً أن العديد من الساكيين في جيش كسركسيس Xerxes لم يتم تجنيدهم مباشرة من آسيا الوسطى، ولكن تم جلبهم من المستعمرات العسكرية الموجودة في بابل وفي أماكن أخرى، وهكذا فإن تسليحهم كان مماثلاً لتسليح الفرس»، وعندما يميز هيرودوت Herodotus البحارة بأنهم كانوا من الفرس والميديين والساكيين الكتاب السابع الفقرات 96-184 ، فإن هذا يشير إلى أنه كان يتم تسليحهم وتدريبهم مع بعضهم وبالأسلوب نفسه، وهو الشيء الذي ليس مؤكداً في حالة البحارة ذوي الأصول الأخرى مثل المصريين والذين تم ذكر اسمهم في واحدة من ملخصات هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن الفقرة 32 .

وهكذا كان هذا الاتجاه هو السائد في الجيوش الأخمينية، ففي

معركة ماراثون احتل الفرس والساكيون مركز القلب في جيش داتيس Datis ، وكانوا محاربين ممتازين، ولكن ما حدث هو أن «الأثينيين والبلاتيين الذين كانوا يمثلون جناحي الجيش الأثيني قد انتصروا على الفرق التي تحتل جناحي الجيش الفارسي»، وهكذا تمكنوا من تطويق الفرس والساكيين الكتاب السادس الفقرة 113 ، لكن ولسوء الحظ، فإننا لا نعرف أيًّا من الفرق كانت تحتل جناحي الجيش الفارسي، وفي موقعة بلاتيا قام ماردونيوس Mardonius بوضع الفرق العسكرية الإيرانية في قلب جيشه وهم: الساكيين - الهنود - الباكتريين ثم الميديين والفرس، ووضع الفرق العسكرية المرسلة من حلفاء الفرس في جناحي الجيش الأوروبيين في الجناح الأيسر، الفرق الأخرى في الجناح الأيمن بما فيها البحارة المصريين ، وبمجرد أن أدرك الخيالة الملكيون استحالة اختراق الصفوف المنظمة للكتائب وللمشاة اليونانيين لجأوا إلى اتباع التكتيك التقليدي المتمثل في بناء سور واقٍ من الدروع، وقد كانت نتيجة المعركة مؤكدة خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا التأثير الكارثي لخسارة القادة المسؤولين عن تنظيم الهجمات التي تشنها الفرق الكتاب التاسع الفقرتان 22-23 .

أرتابازوس Artabazus وماردونيوس Mardonius :

يقدم لنا هيرودوت Herodotus إحدى المناظرات الساخنة التي دارت بين أرتابازوس Artabazus وماردونيوس Mardonius في عام 479، ولقد قام أرتابازوس Artabazus والذي تم تصويره على أنه «أحد الأشخاص الفرس القلائل الذين كان يضعهم كسركسيس Xerxes في منزلة خاصة»، قام بنصح ماردونيوس Mardonius بعدم خوض هذه المعركة، وقد استحضر ماردونيوس Mardonius «الطريقة الفارسية القديمة الجيدة» ويقصد بذلك «الدخول في المعركة» الكتاب التاسع الفقرة 41 ، وذلك في محادثة تم إعادة تجميعها مرة أخرى والتي

تذكرنا بالأحاديث التي نسبها ديودورس Diodorus إلى المرزبانات الفرس في عام 334 الكتاب السابع عشر الفقرة 18-2 ، ويقول هيرودوت Herodotus أن أرتابازوس Artabazus كان «رجلاً ذو بصيرة»، ويعزي هيرودوت Herodotus فيما بعد ارتداد أرتابازوس Artabazus في ذروة المعركة إلى الغيرة الكتاب التاسع الفقرة 66 ، والمقارنة بين هذين الرجلين التي تظهر في رواية هيرودوت Herodotus تبدو مقبولة، لدرجة تجعلنا نشك في أنها تعكس الحقيقية الفعلية، ولا يوجد لدينا تفاصيل عن ذلك، ويقول هيرودوت Herodotus أيضاً عن أرتابازوس Artabazus أنه «كان معروفاً بالفعل في الجيش الفارسي، وأن شهرته زادت أكثر بعد معركة بلاتيا» الكتاب الثامن الفقرة 125 ، وفي الحقيقة نحن نعرف أنه سرعان ما تم منحه مرزبانية داسيليوم ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول الفقرة 129-1 ، ومن المؤكد أنه قدم إلى سارديس لينتقد ما فعله ماردونيوس Mardonius أمام كسركسيس Xerxes ، ومن المفارقات أن هذا هو السبب الذي جعل هزيمة بلاتيا تكسبه ترقية وعلواً في القدر بين حاشية الملك .

ولكن، وعلى الرغم من أن الحياة المهنية لأرتابازوس Artabazus تشير إلى أن الفرس لم يعودوا يذكروا ماردونيوس Mardonius بالحسن من أعماله راجع الكتاب الثامن الفقرة 99 ، إلا أن هذا لا يعني أن الخطة التي كان يدافع عنها أرتابازوس Artabazus كانت أفضل خطة يمكن اتباعها في عام 479، إلا إذا قمنا بتتبع أسباب الأحداث بعد وقوعها كما فعل هيرودوت Herodotus ، هل كان من الممكن أن ينتظر الفرس فترة أطول؟ وهل كان ممكناً أن يقوموا بقضاء شتاء آخر في أوروبا بينما كانت البحرية اليونانية تستعد للانطلاق في بحر إيجه؟ من المحتمل أن القائد العام ماردونيوس Mardonius قد تلقى أوامر من كسركسيس Xerxes في تلك الأثناء، وبالنظر إلى هذه الظروف فإنه يبدو من الصعب اتباع

هيرودوت Herodotus ومؤلفين قدامى آخرين عندما يقوموا بتحميل ماردونيوس Mardonius المسؤولية الكاملة عن الهزيمة في بلاتيا، ومن المحتمل أن أي قائد عسكري في الموقف نفسه كان سيقوم باتخاذ القرار التكتيكي ذاته، ويرجع ذلك ببساطة إلى أن هذا القرار يتوافق مع المتطلبات ذات الصلة بتسليح وأسلوب الجيش الملكي في القتال، حيث إن الفرس كانوا معتادين على الفوز بالمعارك بفضل فرسانهم والتي منحتهم غالباً التفوق في المعارك التي خاضوها ضد اليونانيين في آسيا الصغرى، وقد ارتكب القائد الفارسي في عام 479 خطأين: الأول، لم يقم باستغلال خيالته الاستغلال الأمثل والتي يبدو أنها لم تشارك لا في ماراثون ولا في ميكالي ، ثانياً، يبدو أنه لم يستوعب أن خصمه هذه المرة مختلف بعض الشيء، ومن الواضح أن الفرس -وبالرغم من الخبرة التي حصلوا عليها من معركة ماراثون- لم يدركوا نتائج ثورة الجنود الهبّليت جنود المشاة الأثنيين في اليونان، أو على الأقل لم يستشفوا منها الاستنتاجات الضرورية، ولكن كيف يعقل أنهم لم يفعلوا ذلك؟

نتائج الهزائم: الخسائر الفارسية:

يتم التأكيد بشكل متكرر -في إطار النتائج التي أعقبت هذه الهزائم- على ضخامة الخسائر الفارسية، والتي إن صحت فلا بد أنها قد سببت قصوراً دائماً على الصعيد العسكري للإمبراطورية، إلا أنه لا يوجد لدينا أي دليل قابل للتصديق مهما كان، والذي يسمح لنا بتقدير أعداد القتلى بأية درجة من التأكد، ويبدو لنا أن هذا الانطباع عن وقوع خسائر فادحة في صفوف الفرس ينبع أساساً من إسشيلوس Aeschylus ، والذي ذكر عدة مرات أن شباب بلاد فارس بالكامل قد لقوا مصرعهم في هذه المعركة راجع الفصل 13-1 بالأعلى ، وباستثناء قيام إسشيلوس Aeschylus بسرد أسماء النبلاء والقادة الذين لقوا مصرعهم في موقعة سلاميس، فإن ما لدينا من معلومات عن القتلى في صفوف الفرس نتيجة المعارك التالية

محدود للغاية، ولكن هيرودوت Herodotus لم يؤكد ذلك الفرس 303-330 هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن الفقرة 89 ، والذي يكتب ببساطة أن: «من بين القتلى في هذا الصراع كان أريابجنيس Ariabignes ابن دارا Darius وأخو كسركسيس Xerxes والعديد من وجهاء بلاد فارس وميديا ووجهاء الأمم المتحالفة»، ولقد قُتِل كل من ماسيستيوس Masistius وماردونيوس Mardonius في بلاتيا الكتاب السابع الفقرات 22-23، 64 ، وقتل اثنان من القادة الفارسيين في معركة ميكالي وهم ماردونتيس Mardontes وتيجرانيس Tigranes الكتاب التاسع الفقرتان 102-103 ، ويذكر هيرودوت Herodotus أيضاً مصرع اثنين من إخوة كسركسيس Xerxes غير الأشقاء وهما أبروكوماس Abrocomas وهيبيرانثيس Hyperanthes ، وكان ذلك في موقعة ثيرموبلاي الكتاب السابع الفقرة 224 ، وبلا شك فإنه يمكن إضافة العديد من الأسماء الأخرى إلى مثل هذه القوائم الانتقائية راجع بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles الفقرات 14-3، 14-4، Arist الفقرات 9-1، 9-2، إلخ ، ولكن هذه الخسائر لم تكن حاسمة بأي شكل من الأشكال، حيث إن الشعب الفارسي استمر في النمو والازدهار، وتمكنت الأمة الفارسية بشكل مثالي من إعادة الامتلاء بالسكان مرة أخرى وبطريقة طبيعية .

تبعات هذه الهزائم: انتكاسات إقليمية:

وعندما نتناول أراضي الإمبراطورية، فإن النتيجة تكون مختلفة، فإذا قارنا الوضع بعد هزيمة ميكالي مع الأقاليم التي كان يحكمها الفرس عند وفاة دارا Darius ، نجد أن أهم الخسائر كانت في منطقة بحر إيجة، حيث تركت الهزائم البحرية الساحة فارغة لليونانيين، ومن المحتمل أنه حتى قبل هزيمة ميكالي كانت معظم الجزر التي كان قد تم غزوها في عام 490 كانت قد انفصلت عن الفرس، وعلى الرغم من ذلك فإننا يجب أن

نذكر أنه عندما غادر كسركسيس Xerxes سارديس وحتى في نهاية عام 479، فإن الخسائر في آسيا الصغرى نفسها كانت ضئيلة، وما يسميه هيرودوت Herodotus بالثورة الأيونية الثانية كانت بدون أي تأثير كما كان الحال مع الثورة الأولى، حيث ظلت مدن البر الرئيسى لآسيا الصغرى تحت سيطرة الفرس، وعلى الجهة الأخرى، وعلى العكس من التفسير الذي يمكن أن نستنتجه من صمت المصادر اليونانية، فإن كسركسيس Xerxes استمر في الاهتمام بالجبهة الغربية، فقبل مغادرته لسارديس قام باتخاذ بعض الإجراءات العسكرية والاستراتيجية، وذلك تبعاً لما يذكره ديودورس Diodorus والذي لم يذكر التفاصيل مع الأسف الكتاب الحادي عشر الفقرات 36، 37 ، ومن الواضح أنه لا يجب الاستخفاف بمدى ضخامة تلك الهزائم والانتكاسات، وكذلك أيضاً لا يجب أن نقلل من مدى خطورة الأخطاء التي ارتكبها كسركسيس Xerxes ومستشاروه، ولكن نود أن نؤكد على أنه في ذلك الوقت أي عام 479، لم يكن الكتاب قد تم إغلاقه بعد، فلم يكن أحد يعلم في ذلك الوقت إن الأثينيين سوف يقومون بشن هجوم شامل في الفترة ما بين عامي 460-470، ومن المشكوك فيه على الأقل أن الفرس كان عندهم أي علم بهذا الهجوم في ذلك الحين، ومن المؤكد أن الفرس كانوا يدركون أن الإسبرطيين قد عزموا على عدم البقاء في آسيا الصغرى، حيث إنه وعلى الرغم من خبراتهم التي حصلوا عليها من المعارك التي وقعت في أعوام 479-480، 490، إلا أن الفرس كانوا في موقع جيد لمعرفة أن الإسبرطيين كانوا غير راغبين في مغادرة أراضيهم في شبه جزيرة البلوبونيز، وحتى في شبه جزيرة البلوبونيز، كان كسركسيس Xerxes على صداقة نشطة مع شعب أرجوس الكتاب السابع الفقرة 151، الكتاب التاسع الفقرة 12 ، وبمعنى آخر فإنه لا يوجد أي سبب للقول بأن كسركسيس Xerxes بمغادرته سارديس كان

قد وصل إلى نقطة تحول فيما يتعلق بالجبهة الغربية، أو أنه قد قـرر تركيـز كـل جهـده وبشكل كامل على شؤون الأقاليم التي تقع في قلـب إمبراطوريتـه، وعـلى أيـة حـال، وفي التفكير الاستراتيجي للملك الأكبر، ما هي الاقاليم التي كانت تمثل المحيط الخارجي؟

تبعات الهزائم: هيبة ومكانة الملك الأكبر:

تظل الحقيقة هي أن الملـك الأكـبر قـد تعـرض خـلال صـيف عـام 479 إلى ثـلاث هزائم متتالية، وأنه كان لزاماً عليه مغادرة جبهة آسيا الصغرى للقضاء على تمـرد جديـد شب في بابل، ونحن لا نعرف أسباب ذلـك التمـرد بالضـبط، ولكـن يمكـن أن نفـترض أن الهزائم الفارسية كانت هي المحرك لذلك، وأنها كانت حـدثاً حـاول البـابليون الاسـتفادة منه، وبالطريقة نفسها فإن «الثورة الأيونية الثانية» كانت هـي الأخـرى نتيجـة منطقيـة لانتصارات اليونانيين، وتذكرنا هـذه الثـورات التـي تلـت ثـورة مصر في عـام 486 بمـدى هشاشة تركيب الإمبراطورية الأخمينية، بيـنما - وفي الوقـت نفسـه- يوضـح إعـادة غـزو هذه البلاد وفتحها مدى مرونة الآلة الفارسية خاصة التفـوق العسـكري للفـرس مقارنـة مع جيرانهم في الشرق الأدنى .

ولكن هل أضعفت هذه الهزائم صورة الملك الأكبر في نظر النبلاء والمخلصـين لـه؟ من الصعب -إلى حد ما- الإجابة عن سؤال حساس مثل هذا عنـد هـذه النقطـة، ولكـن التحليلات المقدمة بأسفل سوف تعطينا تلميحات وإشارات إلى إجابته، فهناك منظـوران للإجابة عن هذا السؤال، ويمكن أن نتناولهما تباعاً، ولكـن يجـب أن نقـر قبـل أن نبـدأ: «إن أيًّا منها لا يمكنـه أن يقـدم إجابـة كاملـة ومرضـية عـلى هـذا السـؤال «ونحـن نعـرف الإجابة اليونانية، حيث إن عظم هزيمة كسركسيس Xerxes تم تمثيلها بالنسـبة لليونـانيين بعناصر معينة من الغنائم، وهـي رمـوز السـلطة الملكيـة التـي وقعـت في أيـديهم، وكانـت أهـم تلـك الرمـوز هـي الخيمـة الملكيـة ومسـند قـدم كسركسـيس Xerxes . وفي روايتـه

الدرامية عن انسحاب كسركسيس Xerxes بعد موقعة سلاميس، يـذكر Herodotus هيرودوت أيضاً أنه في رحلته المتجهة إلى داخـل الامبراطوريـة قـام كسركسـيس Xerxes بترك عربة زيوس/ أهورا-مازدا المقدسة في سيريس في طراقيا الكتاب الثامن الفقرة 115 ، وهي العربة ذاتها التي احتلت مكـان الشرف في الموكـب الرسـمي للملـك عنـدما هـم بمغادرة سـارديس الكتـاب السـابع الفقـرة 40 ، ويضـيف هـيرودوت Herodotus أن كسركسـيس Xerxes لم يـتمكن مـن اسـترجاع تلـك العربـة، «لأن البيـونيين أعطوهـا للطراقيين، وعندما طلبها كسركسيس Xerxes منهم ادعوا أن الطـراقيين سـكان الأراضي المرتفعـة سرقـوا الجيـاد الصـغيرة مـن أحـد المراعـي، وأن هـؤلاء هـم الطـراقيين الـذين يعيشون بالقرب من منبع نهر The Strymon »، والفقـرة بأكملهـا التـي تتحـدث عـن انسحاب كسركسيس Xerxes مثار لكثير من الشكوك؛ حيث إنها لا تحاول فقط إظهار إحباط الملك الأكبر، ولكنها أيضاً تحاول أن تظهر عدم وفاء الشعوب الخاضعة له راجـع الكتاب الثامن الفقرة 116 ، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يوجد سبب يـدفعنا للشـك في صحة الفصل الذي يتحدث عن العربة، وفي الحقيقة، وكـما رأينـا في الفصـل 6-3 ، فـإن العربة كانت دلالة بارزة على الطبيعة المقدسة للملك الأخميني وعلاقتـه المميـزة بالإلـه أهورا-مازدا وإلى حدٍ ما كان موقف كسركسيس Xerxes مشابهاً لموقـف دارا Darius الثالـث كـما نـراه مـن خـلال الدعايـة المقدونيـة ، والـذي قـام بعـد معركتـي إسـوس وجوجاميلا بالتخلي فوراً عن علامـات ملكـه، ولكـن وعـلى الـرغم مـن مـدى كـون هـذا الفصل موحياً في نظر اليونان، فهل من المحتمل أنه قد أفقد الملـك الأكـبر مصـداقيته في أعين الفرس؟

مـما لا شـك فيـه أن الـدعايا الملكيـة قـد أنكـرت هـذه الهـزائم، وتشـتمل لائحـة الـبلاد الموجـودة في نقـش «دايفـا» عـلى الـرغم مـن أنهـا تعـود بـلا شـك

إلى فترة لاحقة، تشمل كما لو أن شيئاً لم يحدث على الأيونيين الذين يعيشون بالقرب من البحر، والأيونيين الذين يعيشون فيما وراء البحر وسكان سكودرا، ومن المؤكد أن الحال كان مثل ذلك في عامي 480-479، وفي الحقيقة فإن فحوى الرسالة التي أرسلها كسركسيس Xerxes إلى ماردونيوس Mardonius الكتاب الثامن الفقرة 140 يشير إلى أنه من وجهة نظر كسركسيس Xerxes كان تدمير القلعة في أثينا والغنائم والأسلاب التي حصل عليها من هناك دلائل سياسية ورمزية مهمة على نجاح الحملة راجع الكتاب الثامن الفقرة 55 ، ويبدو أنه عندما عاد إلى ساردِيس قام بإيداع تمثال من البرونز كان الفرس قد سلبوه من أثينا في معبد أم الآلهة بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles ، الفقرة 31-1 ، وقد صحح هذا الفعل الخطأ الذي ارتكبه الأيونيون الثائرون -قبل ذلك بعشرين عاماً- في حق معبد ساردِيس راجع الكتاب الخامس الفقرة 102 ، ومن المحتمل أن الرواية الفارسية الرسمية لتلك الأحداث تنحصر فيما رواه ديو كريسوستوم Dio Chrysostom بعد ذلك بفترة كبيرة الكتاب الحادي عشر الفقرة 149 :

«في خلال حملته على بلاد اليونان، حقق كسركسيس Xerxes النصر هناك على اللاسيديمونيين في ثرموبيلاي، وقتل ملكهم ليونيداس Leonidas هناك، ثم قام بعد ذلك بالاستيلاء على أثينا وتخريبها، وقام ببيع كل سكانها الذين لم يتمكنوا من الهرب في أسواق العبيد؛ وبعد هذه النجاحات، قام بفرض الجزية فوراً على اليونانيين، ثم عاد إلى آسيا».

وتبدو هذه الرواية متحيزة، ولكن، وكما يسهل إدراك ذلك، فإنه من المحتمل جدًّا أن الملك قد أمر بنشر هذه القصة فيما بين شعوب المناطق المرتفعة تا أنو إثني بهذه الطريقة حتى لا يقوموا بإثارة القلاقل، ويذكر كسركسيس Xerxes أيضاً في نقش دايفا أنه مثل الشعوب الأخرى التي

من المعروف أنها أعلنت خضوعها للملك، قام الأيونيون بإحضار «الباجي» الخاصة بهم أي «الجزية/ الهدية».

وكما فعل إسشيلوس Aeschylus ، يصف هيرودوت Herodotus الإحباط واليأس الذي أصاب الفرس الموجودين في صوصا عندما علموا بنبأ الهزيمة في بلاتيا، ويقوم بمقارنة هذا اليأس مع احتفالهم عند سماع أنباء الاستيلاء على أثينا: «فقد غطوا الطرقات بأغصان الآس، وقاموا بحرق البخور وانغمسوا في جميع أشكال المباهج والمتع» الكتاب الثامن الفقرة 98 ، ويتوافق المهرجان الذي تم وصفه هنا في كل تفاصيله مع نظام الموكب الملكي عندما كان الملك الأكبر دخل متجهاً إلى قصره، أو عندما كانت تحييه شعوب مدنه، وكل شيء يقودنا إلى الاعتقاد بأنه عقب عودته من بلاد اليونان محملاً بالغنائم والأسلاب، ظهر كسركسيس Xerxes منتصراً مرة أخرى، وقام بإيداع الغنائم في العواصم المتعددة لإمبراطوريته كعلامات واضحة على «انتصاره» راجع أريان، الكتاب الثالث الفقرتان 16-7، 16-8؛ الكتاب الثامن الفقرة 19-2؛ بوسَيناس الكتاب الأول الفقرات 8-5، 16-3؛ الكتاب الثامن الفقرة 46-3 .

وبالطبع، فالتصريحات الملكية لا تشكل إجابة مرضية بشكل كامل؛ وذلك لأنها تعطي صورة عن الإمبراطورية كما كان يريدها أباطرة الفرس وليس بالضرورة كما هي في الواقع، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الإعلانات والتصاريح الملكية لديها ميزة لا يمكن إنكارها وهي أنها تقدم لنا الطريقة التي يعرض بها الفرس الأحداث مقارنة مع ما تعنيه هذه الأحداث بالنسبة لليونانيين، ونلاحظ أيضاً أن هذه لم تكن المرة الأولى التي يعاني فيها الملك الأكبر من انتكاسات أو هزائم عسكرية .

فلقد توفي قورش Cyrus في خلال إحدى حملاته العسكرية في آسيا الوسطى، وعاد دارا Darius من السهول الأوكرانية دون أن يتمكن

من غزو السيكيثيين، بالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يوجد أي دليل على وجود أدنى إشارة عن عدم الولاء من جانب القادة أو الجنود الفرس، وقد كان القادة العسكريون دائماً متلهفين لخدمة الأسرة المالكة، وكانوا يعملون بالدرجة نفسها على تجنب غضب الملك عقب التعرض لإحدى الهزائم الكتاب التاسع الفقرة 107 ، و«التمرد» الوحيد المعروف هو ذلك التمرد الذي قا به ماسيستيس Masistes الكتاب التاسع الفقرة 113 ، والذي يبدو في سياق يُشَك كثيراً في أنه يمكن أن يكون معياراً، ومن الواضح أن من الأشياء التي لا تقبل النقاش هي افتراض -كما فعل جوستين Justin الكتاب الثالث الفقرة 1-1؛ إيليان VH XIII.3 Aelian أن اغتيال كسركسيس Xerxes بعد ذلك بـ 13 عاماً كان ناتجاً عن فقدان الملك لوضعه وهيبته بسبب الهزائم التي حدثت في عامي 480، 479، وباختصار فإن الهزائم العسكرية التي لا يمكن إنكارها والخسائر الأولية لبعض الأقاليم التي وقعت في عام 479، لم تكن من وجهة نظر الفرس كاسحة أونهائية، ولدينا كل الحق في الاعتقاد بأنهم على العكس من ذلك كانوا مستعدين لخوض حرب جديدة .

6- كسركسيس Xerxes وشعوبه:

مشكلة الطريقة:

يمكن أن ننسب إلى السنوات الأولى من عهد كسركسيس Xerxes حدوث تحول مفاجئ وجذري في السياسة الملكية تجاه الأراضي التي تم غزوها، ويمكن تقديم النظرية السائدة كما يلي: كانت للمراسيم التي يتم نسبتها إلى كسركسيس Xerxes في مصر وبابل - بعد الثورات التي قاموا بها- أغراض عديدة، منها: التخلي عن الألقاب التقليدية مثل الفرعون وملك بابل والتي كان يحملها أسلافه السابقون، وأن يدمر معابدهم وهياكلهم، وأن يقوم بتحويل البلاد التي كانت حتى ذلك الحين تحتفظ

ببنياتها التنظيمية والتركيبية التي تعود إلى ما قبل فترة الحكم الأخميني إلى مرزبانيات كاملة وبكل معنى الكلمة، وبالنسبة لبابل فقد تم استخلاص هذه النتائج من النصوص القديمة ومن الألواح البابلية؛ أما بالنسبة لمصر، فقد تم استخلاصها كما يخبرنا هيرودوت Herodotus في إحدى فقراته من أحد النقوش الهيروغليفية، ومن الصمت المفترض للمصادر، ويعتمد هذا التفسير أيضاً على أحد النقوش المشهورة لكسركسيس Xerxes والذي تم اكتشافه في نسخ عديدة مكتوبة بلغات متعددة الفارسية، الأكادية، الإيلامية في برسيبولس وبَسارجاداي زينوفون Xenophon ، وفي هذا النقش يقول الملك الأكبر إنه من ناحية قد أعاد النظام لبلد كانت قد عمتها الفوضى والاضطراب عقب توليه السلطة؛ ويكتب من ناحية أخرى أنه قد قام بتدمير هياكل ومعابد «دايفا» وهي الكلمة التي يفهم منها عامة أنها تشير إلى «الشياطين» أو «الآلهة المزيفة» ويستنتج في أغلب الأحيان أن هذا البلد الذي يتحدث عنه كسركسيس Xerxes لم يكن سوى بابل على الرغم من أن بعض المؤلفين قد قالوا إنه باكتريا أو إقليم ميديا أو مصر أو حتى أثينا، وينظر إلى المصادر المتعددة على أنها تكمل بعضها البعض في تقديم صورة عن كسركسيس Xerxes بأنه كان ملكاً غير متسامح، والذي ارتد بوضوح عن الاستراتيجية الأيديولوجية الأخمينية بمحاربته بعناد لمعابد الشعوب الخاضعة له بدلاً من احترامها كما فعل أسلافه من قبل .

وهكذا فإننا نرى أنه قد تم خلط النصوص والحجج بصورة آلية مع بعضها البعض لتقديم صورة مترابطة، والتي بالإضافة إلى ذلك تتوافق مع وجهة النظر التي كان يتمنى المؤلفون اليونانيون فرضها راجع فصل 13-1 ، والذي ليس من الصدفة أنها تمثل نقطة لصالح هذه الصورة، وهذه النقطة التي تتناول طريقة كسركسيس Xerxes وأسلوبه هي محط نقدنا، وفي الحقيقة فإن ترابط الأدلة لا يجب أن يكون أساساً للوصول إلى

مسلمات أو أفكار مسبقة، وإذا كان مثل هذا الترابط موجوداً، فإنه يجب أن ينشأ من تحليلات منفصلة أو إقليمية للنصوص العديدة التي تم جمعها، وهكذا فإننا سوف نبدأ بفحص حذر للأمثلة البابلية والمصرية بالإضافة إلى المثال اليوناني، وعند هذه المرحلة فقط، يمكننا الوصول إلى تفسير لما قاله كسركسيس Xerxes .

كسركسيس Xerxes وبابل: المواد والنصوص البابلية:

دعونا أولاً نفتح الملف البابلي، ومن البداية فإنها ستكون فكرة جيدة أن نقوم بفصل المعلومات الني نقلتها لنا المصادر اليونانية عن البيانات الموجودة في الألواح البابلية، ولفترة طويلة كان يتم استخلاص ثلاثة استنتاجات من هذه الألواح: وهي أن الملك الأكبر قد تخلى عن ألقابه الملكية البابلية، وأنه توقف عن ترأس الاحتفال بعيد السنة الجديدة، وأخيراً أنه قام بفصل بابل عن إقليم عبر الفرات وجعلهما وحدتين منفصلتين، وفي النهاية فإن ندرة الألواح البابلية التي تعود إلى عهد كسركسيس Xerxes والفترات التالية له، والانقطاع المفاجيء الذي أصاب بعض دور المحفوظات الخاصة، كل هذه الأشياء يمكن نسبتها إلى جميع أنواع التحولات الكبيرة التي أحدثها هذا الملك في بابل .

ولكن لا يصمد أي من هذه الاستنتاجات أمام النقد والتحليل، فاحتفاظ الملك بالألقاب التقليدية أصبح من الأكيد الآن أنه كان حادثاً في عهد كسركسيس Xerxes ، ويشهد على ذلك أيضاً وجود لقب ملك بابل في السنة الرابعة والعشرين من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول عام 441 فيها، ولكن لا يوجد سبب يجعلنا نربط ذلك مباشرة بالثورات البابلية فصل 13-7 بالأسفل، وفيما يتعلق بالطقس الخاص بمقدم السنة الجديدة، فإن الامتناع المفترض لكسركسيس Xerxes عن حضوره لا يرمز إلى شيء على الإطلاق؛ وذلك لأن مشاركة أسلافه في هذا الاحتفال ليست مسجلة هي الأخرى، وتبقى الحجة الثالثة التي تقوم

على اختفاء مقاطعة بابل وعبر الفرات في عهد كسركسيس Xerxes كنتيجة للثورة التي قامت بها، وعلى ذلك فهذا تفسير وليس تعليقاً على ألواح معينة، ويشهد أحد الألواح التي تم الكشف عنها مؤخراً على وجود لقب ووظيفة «حاكم بابل وإبيرناري» في أكتوبر 486 أي قبل وفاة دارا Darius بشهرين، وبعد 25 عاماً من تاريخ المرة التي تم فيها ذكر هذا اللقب، والتي طالما اعتقدنا أنها كانت الأخيرة BM 74554 ، وفي الواقع فإن الوثائق الموجودة لا تستبعد حدوث تغيير إداري في عهد كسركسيس Xerxes ، كما أنها لا تساند هذه الفرضية لما هو أبعد من ذلك. وعندما نقر بالطبيعة الانتقالية لما لدينا من معرفة عن بابل بسبب الحالة المتغيرة وغير المتوقعة للكتابة المسمارية، فإن أية نتيجة من هذا النوع ستكون موضع شك، حيث إنها تنطلق - وبشكل واضح- من فكرة مسبقة حول تصرف كسركسيس Xerxes ، والصلة المفترضة بين ثورة بابل وإنشاء مرزبانية منفصلة والتي يمكن تفسيرها في الاتجاه المعاكس تماماً بالدرجة نفسها من «احتمالية أن تكون صحيحة» ، وأخيراً فإن حالة هذه الوثائق تذكرنا أيضاً بألا نقوم بربط الاستنتاجات السياسية بصورة آلية بعدد الألواح، أو بفترة حكم وحالة موقع «كش» هي مقنعة بمفردها: ففي هذا الموقع نجد أن عدد الألواح التي تعود لعهد كسركسيس Xerxes 21 لوحاً وهو ضعف عدد الألواح التي تأتي من عهدي قورش Cyrus وقمبيز Cambyses مجتمعين 11 لوحاً ، وأقل بعض الشيء من عدد الألواح التي تعود لفترة حكم دارا Darius 30 لوحاً ، بالإضافة إلى ذلك فإن الاكتشافات التي تم الإعلان عنها مؤخراً مازالت مستمرة في زيادة عدد الألواح البابلية التي تعود لعهد كسركسيس Xerxes .

كسركسيس Xerxes وبابل: المواد اليونانية:

كما ذكرنا سابقاً، فإن الثورة التي أجبرت كسركسيس Xerxes على مغادرة سارديس في صيف عام 479 كانت تحت قيادة «سَماس - إريبا»، والذي كان يحمل في الفترة من أغسطس إلى أكتوبر الألقاب التقليدية الخاصة ببابل «ملك بابل، ملك الاراضين» وستيسياس Ctesias هو الوحيد الذي ذكر قصة الأحداث نفسها، والتي قام فوتيوس Photius بتلخيصها وتقديم مختصر لها، وقد كان ميجابيزوس Megabyzus ابن زوبيروس Zopyrus موجوداً في سارديس مع كسركسيس Xerxes ، والذي عهد إليه بمهمة إخماد والقضاء على هؤلاء الثوار، ولقد أكسبه هذا العمل قدراً كبيراً من الهدايا الملكية ستيسياس Ctesias 22 ، ولقد قام هيرودوت Herodotus بتقديم أعمال السلب والنهب التي قام بها كسركسيس Xerxes في معابد بابل كما يلي: «في وصفه لبابل قام بوصف معبد زيوس Zeus والذي يجب أن ننظر إليه على أنه يمثل ماردوك Marduk ؛ ويذكر هيرودوت Herodotus أنه كان هناك تمثالاً كبيراً من الذهب أجالما يمثل الإله الجالس، وكان هناك أيضاً منضدة وعرش ومسند ذهبي للقدم، وكان يوجد مذبحان خارج المعبد أحدهما من الذهب والذي كان يقوم الخالديون بتقديم القرابين عليه، وينهي وصفه قائلاً: كان يوجد أيضاً في هذا المبنى المقدس في عهد قورش Cyrus تمثال صلب من الذهب، وكان يصور رجلاً أندرياس ارتفاعه يقارب 15 قدماً - وأنا أكتب هذا على مسؤولية الخالديين- ولكنني لم أشاهده أبداً بنفسي، وكان لدارا Darius ابن هستاسبيس Hystaspes بعض المخططات والأهداف الشريرة بخصوص هذا التمثال لكنه لم ينفذها مطلقاً، حيث إنه شجاعته خانته، ولكن كسركسيس Xerxes قام بالاستيلاء عليه، وقتل الكاهن الذي حاول منعه من تدنيس هذا التمثال المقدس الكتاب الأول الفقرة 183 .

وعلى العكس مما يذكر بشكل متكرر، فإن نص هـيرودوت Herodotus لا يقـر بصحة الاستنتاج القائل بـأن كسركسـيس Xerxes قـام بنقـل التمثـال أجاملا الخـاص بماردوك إلى صوصا؛ ففي عهده كان هذا التمثال لا يزال في المعبد، هـل قـام كسركسـيس Xerxes بسرقة التمثال الآخر البشري وليس المقـدس: «أنـدرياس» ، والـذي كـان يقـع خارج الهيكل نفسه؟ إن هذا ممكن، ولكننا لا نستطيع أن نستنتج ذلك بناءً عـلى الأدلـة التـي يقـدمها هـيرودوت Herodotus وحـده، وفي الحقيقـة، فقـد حصـل هـيرودوت Herodotus عـلى هـذه المعلومـة مـن ممثلـين لهـذا المعبـد ولـدوا بعـد وقـوع هـذه الأحداث المزعومة بـأكثر مـن جيـل كامـل، ودعونـا نضـيف ملاحظتـين: قـام هـيرودوت Herodotus نفسه بتكرار هذه المقارنـة بـين دارا Darius وكسركسـيس Xerxes في حالة مصر الكتاب السابع الفقرة 7 ، ويعكـس خـوف دارا Darius في وجـود التمثـال موضوعاً شعبيًّا ومنتشراً، حيث إننا نجده يتكرر ثانيةً في روايـة هـيرودوت Herodotus الكتـاب الثـاني الفقـرة 110 ، وفي روايـة ديـودورس Diodorus الصـقلي الكتـاب الأول الفقرة 58-4 ، ويشير كلاهما إلى العلاقات التي كانت تربط دارا Darius بكهنة هياكل الإله بتاح في منف، وبمعنى آخر فإن نص هـيرودوت Herodotus يقـوم عـلى سلسـلة من الموضوعات الأدبية المتكررة والتي لا تقنع المعلق بقبولها بمعناها الظاهري .

قام المؤلفون اليونانيون على وجه الخصوص بتطـوير هـذا الموضـوع عـن تـدنيس كسركسـيس Xerxes للمقدسـات، وقـد حصـلوا عـلى مـادتهم مـن مـؤرخي الإسـكندر Alexander وقاموا كلهم بالمقارنة بين سلوك المقدونيين وسلوك الملك الأكبر: ويذكر كل من سترابو Strabo الكتاب الخامس عشر الفقرة 5-1 وديودورس Diodorus الكتـاب السابع عشر الفقرة 112-3 تدمير معبد بيلوس، ولكنهما لم يذكرا التاريخ بالتحديد .

وقد كان أريان Arrian أكثر وضوحاً، فبعد أن قام بوصف دخول الملك لبابل، حيث حضر الكهنة من بين آخرين لاستقباله وتحيته الكتاب الثالث الفقرة 16-3، كوينتوس كورتيوس Quintus Curtius الكتاب الخامس الفقرات 1، 22 ؛ كتب أريان Arrian قائلاً: عقب دخوله بابل أصدر الإسكندر Alexander توجيهاته للبابلين للقيام بإعادة بناء المعابد التي هدمها كسركسيس Xerxes ، وخاصة معبد الإله بَعَل والذي يقدره البابليون أكثر من أي إله آخر، وقد قابل في بابل الخالديين، وقام بتنفيذ جميع التوصيات الأخرى التي تتعلق بالمعابد البابلية، وقام بتقديم القرابين إلى الإله بَعَل على وجه الخصوص طبقاً لتعليماتهم وطقوسهم الكتاب الثالث الفقرات 16-4، 16-5 .

ثم عاد للحديث عن الموضوع مرة أخرى أثناء إقامة الإسكندر Alexander الثانية في المدينة 324-323 ، ويسترجع أن كسركسيس Xerxes «قام بتدمير الهياكل والمعابد البابلية» بما فيها ذلك الهيكل الموجود في بيلوس، وقد حدد تاريخ هذا التدمير بوقت عودة كسركسيس Xerxes من أوروبا، أي عام 479 الكتاب السابع الفقرة 17. 1-3 .

وليس هناك داعٍ للجدال حول الطبيعة الدعائية للنصوص اليونانية، فهذه المقارنة التي تم التأكيد عليها بين الإسكندر Alexander وكسركسيس Xerxes لا يمكن أن تزيد من ورع وتقوى الملك الذي سوف يسمح أيضاً لليونانيين فيما بعد باسترجاع «كل التماثيل أو الصور أو الأشياء النذرية الأخرى والتي قام كسركسيس Xerxes بنقلها من بلاد اليونان» الكتاب السابع الفقرة 19-2 ، وبالنسبة لأريان Arrian -وكما هو الحال مع العديد من المؤلفين اليونانيين الآخرين- فلقد صور كسركسيس Xerxes كمدمر للمعابد، وكملك يغلب عليه الإسراف والإفراط تماماً كما كان الحال مع قمبيز Cambyses فيما يتعلق بهذا

الأمر راجع أريان Arrian الكتاب الرابع الفقرة 11-6، الكتاب السابع الفقـرة 14-6 ، وفي الحقيقـة، فبدخولـه بابـل، لم يفعـل الإسـكندر Alexander شـيئاً سـوى تكـرار اتجاهات وقرارات أي فاتح من الفـاتحين، حيـث يعمـل عـلى إدانـة ذكـرى مـن سـبقوه وإظهار ورعه وتقواه تجاه الآلهة التي «حررت» السكان، وهذا بالتحديد ما فعله قورش Cyrus في عام 539 في ذلك المكان نفسه راجع الفصول 1-5، 18-3 ، ولم يكن مـن غـير المعتاد من أي ملك أن يدعى أنه قـام بإعـادة إنشـاء المبـاني والصروح التـي تحولـت إلى ركام مثل Dse 001 ، ولقد قيـل أن الإسـكندر Alexander «كـان ينـوي إعـادة بنـاء معبد بيلوس، ويقول البعض على القواعد الأصلية، بينما يقول آخرون إنه كان يرغـب في توسيعه وجعله أكبر من المعبد القديم» أريان Arrian الكتاب السابع الفقـرة 17-2 ، وبمعنى آخر، وعلى الرغم من أنه يمكـن وبسـهولة أن نقـترح أن الإسـكندر Alexander قد قام بالتصرف بالنيابة عن المعابد البابلية، إلا أنـه لا يوجـد مـا يظهـر أن «تـدميرهم» كان بسبب كسركسيس Xerxes .

وحتى إقرارنا بأن النصوص الكلاسـيكية اليونانيـة ليسـت مجـرد حمـلات لدعايـة مزيفة قام بنشرها فيما بعد ممثلو المعابد، إلا أنها تذهب إلى حد القول بأن كسركسيس Xerxes قد دمر المعابد بالكامل، حيث إن عملية إحياء تلك المعابـد والتـي تلـت ذلـك توجد عليها شواهد كافية خلال الفترة الهيلينيـة، فالقيـام بـأعمال انتقاميـة ضـد معابـد إحـدى الـبلاد الثـائرة كـان أحـد العـادات العامـة التـي لا يمكـن اعتبارهـا خاصـة لا بكسركسيس Xerxes ولا بغيره من الملوك الأخمينيين، وقـد قـام كسركسـيس Xerxes بإظهار قوته بهذه الطريقة فقط في أثينا وديديما، وهذه القرارات التي تـم شرح أسـبابها ونتائجها بالفعل لا تجعل من الملك متحيزاً أو متحاملاً على الإطلاق فيما يتعلق بمشاعره الدينية، حيث لا تعني أن الملك قد قرر اضطهاد الديانة البابلية .

كسركسيس Xerxes ومصر:

تقوم النظرية التي تقول بأنه قد تم تنفيذ سياسة «مطابقة» لما حدث في بابل في مصر، تقوم أساساً على الثغرات الموجودة في سجل وثائقي روائي والذي لنكون دقيقين لا يقوم سوى على إحدى العبارات غير الدقيقة في رواية هيرودوت Herodotus ، حيث يذكر ببساطة أنه بعد إعادة غزو وادي النيل «وتحويل البلد إلى حالة من العبودية [بولون دولوتيرن]» أسوأ من الحالة التي كانت عليها خلال فترة الحكم السابق، سلمها كسركسيس Xerxes إلى أخيه «أخيمينيس» Achaemenes ابن دارا Darius الكتاب السابع الفقرة 7 ، ومن وجهة نظر هيرودوت Herodotus فإن هذا التعبير فيه إدانة لكسركسيس Xerxes بشكل لا يقبل الجدل، ويمكن أن نذكر أيضاً أنه قد قام بالفعل بالمقارنة بين سلوك دارا Darius وسلوك ابنه فيما يتعلق ببابل الكتاب الأول الفقرة 183 ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن الإجراءات الفعلية التي اتخذها الابن، هل يجب أن نستخلص من هذا -كما يفعل دائماً- أنه بداية من تولى كسركسيس Xerxes للسلطة خضعت السياسة المصرية لتحول جذري، وأن ملامحها تمثلت في قيام الملك بمعاقبة المعابد المصرية بقسوة وتخليه عن ألقابه الفرعونية وعزله المصريين من المناصب الإدارية في الدولة؟ باختصار هل شرع كسركسيس Xerxes في تحويل مصر إلى مرزبانية بعد - طبقاً لهذا الافتراض- أن كانت لا تزال منطقة مستقلة في عهد كل من قمبيز Cambyses ودارا Darius ؟

ملاحظة أولية : إذا كانت النظرية التي تمت مناقشتها هنا قد أثارت أي أصداء، فإن ذلك يرجع جزئيًّا إلى أن هذه الحجة الصمت المفترض قد تم استخدامها بإفراط شديد، وأنه يرجع بشكل خاص إلى أن التفسير الذي تم تكوينه على أساس دراسة المواد البابلية وهي دراسة خاطئة: انظر بالأعلى قد تم فرضه على مصر، ونحن لن نصر على هذه

الملاحظة الأخيرة، على الرغم من أنها تبدو واضحة أمام الملاحظ اليقظ، وفيما يتعلق بصمت المصادر، فإن هذه هي حجة ظهرت نتيجة لليأس والتي تم توضيح مدى كونها لاتعتمد على أساس من الصحة وغير ذات قيمة في المثال البابلي ويمكن حتى أن نقول مدى خطورتها ، وإنه لمن الصحيح وبشكل واضح أنه لا توجد أدلة على بناء أية معابد جديدة في مصر بعد تلك التي بناها دارا Darius ، ولكن ما الذي يمكن استنتاجه من ذلك؟ ألا يجب أن ننتظر الأدلة حتى تأخذ درجة ما من المقارنة والتشابه؟ ويمكن أن نذكر أنه قد تم اكتشاف أحد المقابض والذي يحمل تمثالاً من البرونز عليه اسم كسركسيس Xerxes حيث نقش عليه باللغة الفارسية: «كسركسيس Xerxes الملك فازراكا» ، وتبعاً للمؤلف الذي أعلن عن اكتشاف هذه القطعة «فإن هذا العمود الحامل يمكن أن يكون الغرض منه كان يتمثل في إحضار ناووس أو جزء آخر من الأدوات المقدسة التي قدمها كسركسيس Xerxes لأحد المعابد المصرية»، وبالطبع فإن هذا الشيء ضئيل للغاية والتفسير وقابل للمراجعة، ولكن إذا تأملنا مثال معبد الكرنك، نجد أن الشواهد على أنشطة دارا Darius الإنشائية هناك ليست سوى عدداً قليلاً ومتواضعاً من الأدلة، ولم يتم اكتشاف آخر لهذه الأدلة سوى مؤخراً فقط، وإذا أضفنا إلى هذه حقيقية أن إحدى الوثائق المكتوبة باللغة الديموطيقية والتي تعود إلى سنة غير محددة من سنوات حكم كسركسيس Xerxes والتي تم الإعلان عنها مؤخراً هي الأخرى تزودنا بدليل على حدوث مراسم رسمية لدفن أم أحد العجول المقدسة أبيس ، ويمكننا أن نرى من ذلك كيف أن بعض الاستدلالات أو الاستنتاجات التاريخية قد تم استخلاصها من مجرد إشارات إحصائية .

وعلى أية حال، فإن الأدلة ليست غائبة! ولكن قوة ذلك النظير البابلي المفترض، وتلك الصورة عن كسركسيس Xerxes التي تم رسمها مسبقاً أدى إلى إهمال الأدلة الحقيقية، أو إلى الوصول إلى تفسير

متحيز، وفي الواقع، فإنه لا توجد أية شواهد على تخلي الملك الأكبر عن ألقابه الفرعونية، بل على العكس من ذلك، فإنه توجد مجموعتان من الأدلة تعارضان وتثبتان عكس مثل هذه النظرية، أولها النقوش الهيروغليفية الموجودة في وادي الحمامات والتي ترجع إلى شخص فارسي اسمه أتياواهي Atiyawahy وأحياناً إلى أخيه الذي كان يشغل منصب حاكم كوبتوس Coptos في عهد دارا Darius ، كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes ، والتي لا يمكن فيها ملاحظة أية تعديلات مهمة في الألقاب الملكية راجع بوسِنر Posener أرقام 24-25: عام 486 و484 ، وفي عامي 476، 473 أرقام 27-28 نجد أن كسركسيس Xerxes يسمى «سيد البلد المزدوجة»، وفي عام 474، يشير أتياواهي Atiyawahy إلى قمبيز Cambyses ودارا Darius وكسركسيس Xerxes كحاملين للقب «سيد البلد المزدوجة» رقم: 28 ، وفي السنة التالية تسمى النقوش دارا Darius وكسركسيس Xerxes معاً باللقب ذاته: «سيد البلد المزدوجة، ابن الإله رع، سيد التيجان، أطال الله عمره إلى الأبد» رقم 30 ، ولا يوجد أي اختلاف رئيسي في الصورة التي نحصل عليها من الزهريات الحجرية في صوصا وبرسيبولس وفي أماكن أخرى ، فنجد مكتوباً عليها: «ملك مصر العليا والسفلى، سيد البلد المزدوجة، كسركسيس Xerxes ، أطال الله عمره إلى الأبد» أرقام 43-48 ، ومن المؤكد أن بعض هذه النقوش يقول فقط «كسركسيس Xerxes ، الملك الأكبر» أرقام 49-76 ، ولكن بالنظر إلى كونها غير مؤرخة فإن تقسيم هذه النقوش بطريقة تعتمد على الموضوع والتسلسل التاريخي إلى مجموعتين منفصلتين لإظهار حدوث تغير في السياسة الملكية يجب أن يظل مجرد افتراض والذي لم تثبت صحته حاليًّا ، وكما حدث في حالة بابل، فإننا يجب أن نضع في الاعتبار الفجوات الموجودة في عملية التوثيق في حالة مصر وتثبت إحدى الآنيات الزهرية

التي تم الإعلان عنها حديثاً والتي تحمل نقوشاً تثبت وجود لقب «الفرعون الأكبر» في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول A1 orsk .

وهناك بعض التغيرات التي حدثت في الألقاب الملكية والتي لا يمكن إنكارها، فمثلاً في عهد دارا Darius ، نجد أن النقوش الموجودة على الآنية الزهرية مكتوبة باللغة الهيروغليفية فقط، بينما نجد هذه النقوش مكتوبة بأربع لغات في عهد كسركسيس Xerxes وأرتاكسركسيس Artaxerxes ، ومن الصحيح أيضاً أن لقب كسركسيس Xerxes هو أقل ثراءً من تلك الألقاب التي يلقب بها أودجاهورسنت Udjahorresnet على سبيل المثال كل من قمبيز Cambyses ودارا Darius من بعده؛ ولكن لا يعكس هذا بالضرورة تغيراً في السياسة، حيث إن السبب في ذلك راجع إلى المصدر أتياواهي ، وغرض الشيء المكتوبة عليه هذه النقوش، وهوية مستقبل الرسالة حيث إن زهرية حجرية هي وسط مختلف تماماً عن نقش مصري يسجل السيرة الذاتية لشخص ما ، وباختصار فإن الحقيقية تظل هي أن محتوى وتاريخ النقوش المعروفة حاليًا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن إعادة غزو مصر لم يتبعها قيام الملك بشكل مفاجئ بالتخلي عن ألقابه الفرعونية .

وأخيراً فإنه يجب التأكيد على أننا لا نملك وثيقة جديرة بالثقة فعلاً والتي يمكن أن تعمل كأساس لتقييم سلوك كسركسيس Xerxes فيما يتعلق بالمعابد المصرية، والنص الوحيد المتوفر لهذا الغرض هو بلاطة المرزبان الحجرية الشهيرة، وهذا النقش الهيروغليفي الذي يعود إلى السنة الرابعة من حكم الإسكندر Alexander الرابع يمجد ويعظم فضائل ومحاسن الفرعون الخيّر، والذي حدد كهنة الإلهة Wajet إلهة Buto شخصيته بأنه أحد ملوك البطالمة والذي كان حينها مرزباناً على مصر، وتذكر النقوش أن الملك في نهاية حملته الآسيوية قد أحضر معه تماثيل للآلهة وأشياء طقسية «بالإضافة إلى الأدوات الطقسية وكتب كل المعابد الموجود في

شمال وجنوب مصر، وأعادها إلى مكانها الأصلي»، وقد تم مدحه بشكل خاص لأنـه قـام بتأكيد ومد امتياز خاص بـالأراضي تـم إعطـاؤه إلى المعبـد في السـابق، ويـذكر الـنص أن الفرعون الذي لم يتم ذكر اسمه «قد قام بطرد كسركسيس Xerxes المدنس والمنتهـك لحرمات المقدسات، طرده من قصره هو ابنه الأكبر».

عدد قليل مـن الوثـائق نجـح في إثـارة اهـتمام علـماء المصريـات بهـذه الدرجـة، وتتنوع التفسيرات لهذه الوثيقة بشكل كبير، ولكن تبقى شكوك كبيرة والتي ترجع جزئيًّا وبشكل أساسي إلى مشكلات تتعلق بـالنقوش وبفقـه اللغـة، دعونـا نضـع جانبـاً بشـكل مؤقت كل الحجـج المضـادة، ونتفـق لصـالح المناقشـة أن هـذا الـنقش هـو في الحقيقـة يتحدث عن كسركسيس Xerxes ، ويكفي عند هذه النقطة أن نسترجع ما قلناه سابقاً عن المصادر اليونانية التي تتناول سياسة كسركسـيس Xerxes نحـو بابـل: فـإذا كانـت هذه المصادر في أي حال من الأحوال، وبغض النظر عـن هـذا التحيـز الاعتـذاري لصـالح الإسكندر Alexander والبطالمة من بعـده والـذي تـم التعبـير عنـه بواسـطة الأفكـار الأدبية المتكررة والكليشيهات الأيديولوجية نفسها ، إذا كانت تنقل أي ذرة من الحقيقـة فإن هذا لن يكون مفاجئاً، وكل ما يمكن أن نستنتجه من النص هو أنه بعد إعـادة غـزو مصر قام الملك الأكبر بالثأر من المعابد المصرية بافتراض أن الحالة التي تـم ذكرهـا هنـا يمكن توسيعها والزيادة عليها ، ولكن لا يمكن إضافة أي شيء أكثر من ذلك .

كسركسيس Xerxes والآلهة اليونانية:

بغية التأكد مـن سياسـة كسركسـيس Xerxes الدينيـة خـلال هـذه السـنوات، فإنـه سيكون من المفيد إعادة النظر في الممارسات الطقسية التي اتبعها خلال الحرب اليونانيـة، وفي البداية، فإن الملك لم يصطحب معه فقط الكهنة الفرس المجوس ولكنه اصطحب أيضـاً بعـض

العرافين والمتخصصين اليونـانيين، ويـذكر هـيرودوت Herodotus أن أحـد مستشـاريه كان هو جامع الآراء السـديدة أونومـاكريتوس Onomacritus والـذي تـم طـرده مـن أثينـا مـع لأسرة الباسـستراتيين، ويقـول هـيرودوت Herodotus أن أونومـاكريتوس Onomacritus ليحض كسركسـيس Xerxes عـلى الحـرب ذكـر آراء يؤيـد فيهـا شـن الحملة المستقبلية الكتاب السابع الفقرة 6 ، ولقد حـدث هـذا الشيء مـع مـاردونيوس Mardonius قبل معركة بلاتيا: ففي حين أن العراف تيسامينوس Teisamenos كان هـو العـراف الرسـمي للجـيش اليونـاني، اسـتأجر مـاردونيوس Mardonius العـراف هيجيسستراتوس Hegesistratus المنتمـي إلى إقلـيم إيـولس Aeolis ، وذلـك بعـد أن دفـع لـه مبلغـاً كبـيراً مـن المـال، ولقـد اعتمـد أيضـاً عـلى خـدمات عـراف آخـر وهـو هيبوماكوس Hippomachus الذي ينتمـي إلى مدينـة لويكـاس والـذي كـان مصـاحباً لحلفائه اليونانيين، وبناءً على إلحاح هيجيسسـتراتوس Hegesistratus «قـام باسـتفتاء المستقبل عن طريق تقديم القرابين على الطريقـة اليونانيـة» الكتـاب التاسـع الفقرتـان 37-38 ، ونعــرف أيضــاً مــن هــيرودوت Herodotus مــرة أخــرى أن مــاردونيوس Mardonius كان مهتماً باستشارة الكهنة اليونانيين الكتاب الثامن الفقـرات 133-135 ، وقـد كانـت هـذه الممارسـة منـتشرة للغايـة عـلى الأقـل بدايـة مـن عهـد كريوسـوس Croesus ، وكانت كذلك أيضاً في عهد كل من قورش Cyrus ودارا Darius .

ولقد قام كسركسيس Xerxes هـو الآخـر بتقـديم العديـد مـن القـرابين للآلهـة المحلية، «وقام في إليون بالتضحية بألف من الثـيران للإلهـة أثينـا إلهـة طـروادة»، وقـام الكهنة المجوس بإراقة الخمر تكريماً للأبطال الكتاب السـابع الفقـرة 43 ، ومـن الواضـح أن هذا يشير إلى «الأبطال الآسيويين، بريام Priam ورفاقه، وفي المقابل قام أرتـايكتيس Artayctes حـاكم جزيـرة سسسـتوس بتخريـب ضريـح Temenos المقـام في إليـوس

والمخصص لبروتيسيليوس Protesilaus الذي كان بطل اليونان في حرب طروادة، ويشير هيرودوت Herodotus إلى هذا الشخص مرتين محتقراً فيه قسوته وعدم ورعه، والذي تسبب في نزول اللعنة عليه، ويقدم أفعاله على أنها صادرة عن جرأته الشخصية ويزعم أن كسركسيس Xerxes لم يكن يعلم بخداعه وفعلته هذه» الكتاب السابع الفقرة 33، الكتاب التاسع الفقرتان 115-116 ، ولكن يبدو من المحتمل بدرجة أكبر أن تدمير هيكل Temenos المخصص للبطل اليوناني يعكس تكريم ذكرى البطل الآسيوي بريام Priam .

وعلى مدار الحملة، قام المتخصصون المجوس واليونانيون بتقديم القرابين، كل في مجال تخصصه، ولكن ليس من السهل دائماً تحديد ما إذا كان كسركسيس Xerxes يبتهل إلى الآلهة الإيرانية أم اليونانية، فمثلاً عندما وصل إلى مضيق الدردنيل: «لقد تواصلت الاستعدادات لعبور المضيق طوال ذلك اليوم، وفي اليوم التالي وبينما كانوا ينتظرون الشمس التي رغبوا في مشاهدتها وهي تشرق، قاموا بإحراق جميع أنواع التوابل على الجسور ووضعوا أغصان الآس على طول الطريق، ثم حان وقت الشروق، وقام كسركسيس Xerxes بسكب الخمر في البحر من الكأس الذهبي وصلى ووجهه متوجهاً نحو الشمس لا يمنعه أي شيء من غزو أوروبا، أو يرجعه قبل أن يحقق مبتغاه الكتاب السابع الفقرة 54 .

ثم يذكر هيرودوت Herodotus بعد ذلك أن كسركسيس Xerxes قام بشكل طقسي بإلقاء عدة أشياء في البحر الكأس، طاس للخمر، وسيف فارسي ، ولقد تسببت هذه الأفعال الطقسية في صعوبات تفسيرية عديدة لهيرودوت Herodotus : «انتهت صلاته وألقى بالكأس في الدردنيل، وألقى معها طاساً ذهبية للخمر و أسيناسيس أو سيف فارسي قصير، ولا أستطيع أن أجزم بأنه كان يقصد من وراء هذه الأشياء التي رماها في الماء أن تكون قرابين لإله الشمس، ويحتمل أنها كانت هدية للدردنيل

نفسه ليظهر له مدى أسفه لتسببه في ضربه بالسياط، وبعد أن انتهت هذه المراسم، بدأت عملية عبور النهر» الكتاب السابع الفقرة 54 .

ومن الواضح أن هذه الإشارة لإله الشمس تشير إلى المعبود الفارسي انظر الفصل 6-6 ، ولكن لا يمكن أن يتم اختزال هذا المشهد في تلك الإشارة فقط، ومن المحتمل أن هذا هو ما سبب تلك المعضلة لهيرودوت Herodotus ، ويمكننا بسهولة أن نقارن بين ما فعله كسركسيس Xerxes وبين القرابين التي قدمها الإسكندر Alexander عند المحيط الهندي بالقرب من مصب نهر الإندوس: «ثم قام بذبح الثيران كقرابين لبوسيدون Posidon إله البحار وألقاها في البحر، وبعد تقديم تلك الأضحيات، قام بسكب الخمر وألقى في البحر كأساً مصنوعة من الذهب، وطاسات ذهبية للخمر كقرابين للشكر، داعياً ومبتهلاً أن يقوم بوسيدون Posidon بمرافقته والحفاظ على سلامة القوة البحرية التي كان يعتزم إرسالها مع نيرخوس Nearchus باتجاه الخليج الفارسي أريان Arrian، Anab الكتاب السادس الفقرة 19-5 ».

وباستثناء بعض الاختلافات القليلة فيما يتعلق بعناصر تلك القصة ثور/ دينويسوس ، نجد أن النصوص متوافقة عليها، حيث نجد الملك يسكب الخمر، ثم يقوم بإلقاء الكأس المستخدمة في ممارسة الطقس، ويلقى معها طاسات ذهبية للخمر في البحر، ويضيف كسركسيس Xerxes على ذلك سيف فارسي، وبدلاً من الاعتقاد بأن كسركسيس Xerxes كان بهذه الطريقة يكرم آلهة الماء الفارسية كما كنا نعتقد قبل ذلك ، إلا أن هناك ما يدفعنا للاعتقاد بأن كسركسيس Xerxes كان يشير بذلك إلى آلهة اليونانيين، ونعرف أيضاً من هيرودوت Herodotus الكتاب السابع الفقرة 191 أن الكهنة المجوس لكي يغيروا مسار إحدى العواصف لم يكتفوا بـ «وضع تعويذات لإله الرياح أو رقيات على الرياح، ولكن قاموا بتقديم المزيد من القرابين للإله ثيتيس Thetis

وحوريات البحر» وهي الآلهة التي كانت بالنسبة لليونانيين تنحدر من .... نسل إله مـد البحر بونتوس ، وقد قام الفرس بتكريم إله الرياح نفسـه الكتـاب الأول الفقـرة 131 ، وفعل اليونانيون مثل ذلك راجع الكتاب السابع الفقرة 13 ، وهكذا فإنه من المرجح أن تلـك القـرابين الفارسـية كـان الهـدف منهـا هـو الحصـول عـلى تأييـد الآلهـة اليونانيـة لكسركسيس Xerxes وجيشه، وقد عبرت هذه الآلهة عن غضبها بالفعل عندما قامـت بتدمير الجسور الأولى، وهي الحادثة التي أدت تبعاً لما يـذكره هـيرودوت Herodotus إلى قيام الملك بأعمال انتقامية ضد البحر نفسه، وضد المهندسـين الـذين كـانوا يعكفـون عـلى بنائـه الكتـاب السـابع الفقـرات 33-36 ، ومـن الواضـح أن قيـام الإسـكندر Alexander بعد ذلك «بالتضحية بثور لبوسـيدون Posidon إلـه البحـر وللناريـدات حوريات البحر في منتصف مضيق الدردنيل، وسكب الشراب من طاس ذهبية في البحـر كقربان» أريان Arrian الكتاب الأول الفصل 11-6 ، كان كل ذلك بهدف لمقابلة تأثير تلك الـذكرى المزعجـة طقـوس كسركسـيس Xerxes وللابتهـال أن تُفـتح لـه أبـواب إمبراطورية دارا Darius الثالث .

ولقد كانت تلك الممارسة هي إحدى الممارسات الشـائعة، فعنـدما كـان يريـد أحـد الملوك الاستيلاء على بلد عدو له، كان يحتاج إلى الابتهال للآلهة المحليـة لتمنحـه حمايتهـا؛ ولتضمن نجاحه المستقبلي، ولم يفوت الإسكندر Alexander فعل ذلك مثلاً قبـل معركـة إسوس كوينتوس كورتيـوس Quintus Curtius ، الكتـاب الثالـث الفقـرات 8، 22 ، وقـد فعل داتيس Datis هذا الشيء نفسه سعياً لاسترضاء الإله أبوللو إله ديلـوس هـيرودوت Herodotus ، الكتاب السادس الفقرة 97 ، ومقارنة مع ذلك، فإن كل من يقـاوم الفـرس أو يثور عليهم كانت تتم معاقبته في حضور آلهته، وهـذا هـو سـبب تـدمير معبـد ديـديما بعد موقعة ميكالي، وبالطبع فإن هذا أيضاً هو سبب تدمير المعابد التي كانت موجودة في

قلعة الأكروبوليس في أثينا، ونقل ما بها من تماثيل نذرية الكتاب الثامن الفقرات 52-54 ، وهي الأفعال التي لا يمكن اختزالها في فكرة الانتقام فقط، وفي الحقيقة عجز هيرودوت Herodotus عن إدراك المغزى السياسي لأحد القرارات التي أصدرها كسركسيس Xerxes : «لقد استدعى إلى حضرته المبعدين الأثينيين الذين كانوا يعملون مع القوات الفارسية، وأمرهم بالصعود إلى القلعة وتقديم القرابين هناك تبعاً للطريقة الأثينية، ومن المحتمل أنه قد رأى حلماً ما أرشده إلى فعل ذلك، أو ربما أن ضميره لم يكن مرتاحاً لما حدث من تدمير للمعبد» الكتاب الثامن الفقرة 54 .

وفي الحقيقة فإن تصرف كسركسيس Xerxes كان منطقيًّا، فبعد القيام بغزو أثينا والاستيلاء على المعابد والهياكل المدنية هناك، قام بتنصيب عملائه هناك، ولن يتمكن هؤلاء الحكام العملاء من إضفاء الشرعية على سلطتهم إلا إذا حصلوا على إقرار واعتراف الآلهة المحلية، ولقد قام هيرودوت Herodotus بتكرار تلك القصة التي تنم عن الورع: «عندما صعد الأثينيون الذين أمرهم الملك بتقديم القرابين إلى المكان المقدس في القلعة، ووجدوا أن فرعاً جديدا طوله 18 إنشاً قد نبت من جذع «شجرة الزيتون المقدسة» فأخبروا الملك عن ذلك» الكتاب الثامن الفقرة 55 .

من قورش Cyrus إلى كسركسيس Xerxes :

في التحليل الأخير، نجد أن كسركسيس Xerxes عندما كان يتحرك لغزو أحد الشعوب أو عندما كان يتحرك جنباً إلى جنب معها، فإنه لم يختلف كثيراً عن أسلافه السابقين: حيث كان يستعين بخدمات المتخصصين الدينيين المحليين، وكان يقدم القرابين للآلهة المحلية، وكان يدمر الهياكل والمعابد في المدن والبلاد التي تعكر صفو النظام في إمبراطوريته، ولا يوجد في الأوامر الملكية التي وصلت إلينا أو تلك التي

يتم نسبتها إلى الملك في أي مكان من الامبراطورية بابل، مصر، أو اليونان ، ما يشير إلى نوع من العداء المتأصل أو الذي لا يمكن تجاوزه تجاه الآلهة التي تقدسها وتكرمها الشعوب المحلية، وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد من التحليل فإنه لا يوجد هناك داعٍ بعد ذلك للمقارنة بين أساليب كسركسيس Xerxes في الحكم واساليب دارا Darius .

وبالإضافة إلى ذلك، ودعونا نخرجها من طريقنا الآن، فإن نظرية «المرزبانية» لكل من مصر وبابل تنبع من فهم خاطئ للسياسة التي اتبعها كل من قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ودارا Darius على التوالي، فبحلول عام 486 لم تكن أي من مصر أو بابل تمثل مملكة ذات ارتباط ضعيف بالملك الأكبر أو أن ما يربطها به لم يكن سوى علاقة شخصية معه، وعلى الرغم من عظم نتائجها فإن التغييرات التي تم إجراؤها وخاصة في عهد دارا Darius قد قامت بالفعل بتكييف وتحويل البني والتنظيمات الإدارية والسياسية في هذين البلدين، حيث تم تحويل كل منهما إلى مرزبانية بعد الغزو مباشرة، ولقد تم غزو إحداهما في عهد قورش Cyrus بابل ، والثانية مصر في عهد قمبيز Cambyses .

7- كسركسيس Xerxes ، أهورا - مازدا، وبلاد فارس:

نقش الدايفا: دراسة المحتوى:

بعد أن قمنا بتوضيح المناظرة يمكننا الآن أن نتناول وثيقة أساسية وهي نقش الدايفا زينوفون Xenophon في الجزء الأول 1-2 ، يكرر كسركسيس Xerxes عمليًا وكلمة بكلمة الفقرات الافتتاحية لنقش دارا Darius الأول في نقصى - روستام Naqs-i Rustam صيغ الخلق والتكوين لأهورا-مازدا، سلسلة النسب، الألقاب ، ثم تلت ذلك قائمة بأسماء 31 بلداً كانت خاضعة له، وكانت تحضر له الجزية باجي ، وهي القائمة الوحيدة لأسماء الدول الموجودة في نقوش الملك هذه، ثم تأتي

بعد ذلك فقرات أثارت جدلاً لا حصر له: « فقرة 4 أ سيث كسركسيس Xerxes الملك: عندما توليت السلطة كانت واحدة من البلاد المنقوشة أسماؤها بأعلى في حالة ثورة واضطراب أيودا ، وبعد ذلك حمل أهورا-مازدا إليَّ المساعدة، وبفضل أهورا مازدا، ضربت هذه البلاد بقوة وأعدتها إلى مكانها فقرة 4 ب ، وقد كان من بين هذه البلاد بلد تمت فيها في السابق عبادة الآلهة المزيفة دايفا ، ولكني قمت بعد ذلك وبفضل أهورا-مازدا بتدمير معبد الشياطين، وأعلنت الآتي «لن تعبد الشياطين! وقمت في ذلك المكان الذي كانت تعبد فيه الشياطين في السابق بعبادة أهورا-مازدا وأرتا بتوقير وإجلال فقرة 4 جـ ، وقد قمت بعمل آخر، والذي تم تنفيذه بصورة سيئة، ولكنني قمت بتصحيحه، وكل هذه الأشياء التي قمت بفعلها قد تمكنت من فعلها بفضل الإله أهورا-مازدا ومساعدته لي، ولقد قام أهورا-مازدا بمساعدتي حتى أكملت ذلك العمل؛ فقرة 4 د أنتم يا من ستأتون من بعدي إذا كنتم تعتقدون «أنني كنت سعيداً سياتا عندما كنت حيًّا، وأني سوف أكون مرحوماً ومباركاً أرتافا بعد موتى»، عليكم احترام القانون الذي وضعه أهورا-مازدا، وأن تعبدوا أهورا-مازدا وأرتا بتبجيل واحترام، والرجل الذي يحترم القانون الذي وضعه أهورا-مازدا والذي يعبد أهورا-مازدا وأرتا بتبجيل واحترام يصبح سعيداً أثناء حياته، ويكون مرحوماً ومباركاً بعد وفاته؛ فقرة 5 الملك سيث كسركسيس Xerxes : إن هذا الذي فعلته كان كله بإرادة أهورا-مازدا، وقد ساعدني أهورا-مازدا حتى انتهيت من العمل، أتضرع لأهورا-مازدا أن يحميني من الضرر والسوء وأن يحمي أسرتي الملكية، وأن يحمي هذه الأرض: هذا هو ما أصلي لأهورا-مازدا من أجله، وهذا هو ما أتمنى أن يعطيني إياه أهورا-مازدا! .

على مدار هذه الإفادة، والتي توجد فيها عناصر كثيرة مأخوذة من DNA ، يقدم لنا كسركسيس Xerxes بهذه الطريقة فقرة من إنتاجه الخاص

بشكل مميز والتي يزعم فيها: 1 أنه قد أعاد النظام إلى بلد كان مضطرباً؛ 2 أنه قد قام بتدمير معابد وهياكل الدايفا؛ 3 أنه قد أعاد عبادة أهورا-مازدا إلى ذلك المكان؛ 4 أنه قد أعاد النظام إلى «شأن» آخر كان قد عمه الاضطراب، ويناشد هؤلاء الذين «سيأتون من بعده» أن يسيروا على خطاه، وأن يفعلوا ما سيضمن لهم السعادة في الدنيا وبعد الممات .

وقد أثار هذا النص مشكلات تاريخية عديدة ومازال مستمراً حتى الآن في إثارة هذه المشكلات، ولقد تسببت المشكلات المتعلقة بفقه اللغة، وبطريقة الكتابة والنقش والتي مازالت مثاراً للجدل، تسببت في جعل تلك المشكلات التاريخية أكثر صعوبة وتعقيداً، وإحدى هذه المشكلات الفيلولوجية تنشأ على وجه الخصوص من محاولة تفسير وفهم معنى عبارة أرتاكا برازمانيا Artaca Brazmaniya ، حيث إن مقارنة هذا النص بالنسخ البابلية والإيلامية المجزأة لم تحل هذه المشكلة؛ وذلك لأن عدد المفردات التي تم استعارتها من اللغة الفارسية هو أكبر بكثير في هذه النسخ عما هو عليه الحال في نقوش دارا Darius ، وعلى الرغم من حقيقة أن هذا الخطاب يكون كلاً مترابطاً، فإننا يجب على الأقل في البداية أن نجيب عن ثلاثة أسئلة: ما الظروف التاريخية التي تم فيها كتابة هذا البيان الملكي؟ ما الذي يقصده الملك بكلمة دايفا؟ ما التعليمات والنصائح التي يقدمها الملك لهؤلاء الأشخاص الذين يخاطبهم؟ وسوف يكون من الأفضل ألا نركز على مناقشة السؤال الأول في البداية؛ وذلك لأن إجابته تعتمد إلى حد كبير على إجابة السؤالين الآخرين.

الملك، أهورا-مازدا، الحياة والموت:

أولى النقاط المثيرة فيما يتعلق بإعلان كسركسيس Xerxes هي أنه يمثل المرة الوحيدة التي تم فيها ذكر كلمة «أرتافا» في النقوش الأخمينية، ومما يدل على أهمية المفهوم «أرتا» بالنسبة للفرس ثلاث ملاحظات هي:

1 قال هيرودوت Herodotus في جزء سابق «لقد كان الفرس معروفين لأنفسهم ولجيرانهم كـ أرتاي » الكتاب السابع الفقرة 61 . 2 يعرف هيسشيوس Hesychius هذه الكلمة بـ «الأبطال فيما بين الفرس»، 3 بالإضافة إلى ذلك فإن واحدة من المواد التي كان يعلمها الفرس لأبنائهم هي «الحقيقة».

ومن الأشياء الجديرة بالذكر فيما يتعلق باستخدام كلمة «أرتافا»، والتي يمكن أن نفهم معناها أيضاً على أنه «الموت الحميد»، هو أنها تعبر عن اعتقاد بالآخرة التي يتحدد مسارها عن طريق الحكم على سلوك الفرد عندما كان حيًّا على وجه الأرض، «فالرسالة كما يلي: إن كل من يقدم قرابين مقبولة لأهورا-مازدا يمكن أن يتأكد خلال حياته من مصيره بعد الموت، وعندما يموت فسوف يجد أنه قد تم الإقرار رسيماً بحسن مسواه» جه. كلنز ، ويعبر دارا Darius في نقش بهيستون بوضوح عن الرابطة الموجودة بين سلوك وتصرفات الشخص في الدنيا علاقاته بالملك وسعادته ورفاهيته سياتي ، وفي الحقيقة فإن هذا الشخص يوعد بحياة طويلة، وبالعديد من الأولاد، ويضيف: «ولعل أهورا-مازدا يكون صديقاً لك» DB الفقرة 60، راجع الفقرة 66 ، وهناك ابتهال مقابل موجه ضد أي شخص يعمد إلى تدمير تماثيله أو ذلك الذي لا يهتم بهم الفقرة 67 ، ونجد فكرة الخصب والنماء تلك مرة أخرى في رواية هيرودوت Herodotus عن الكلمات الأخيرة لقمبيز Cambyses الكتاب الثالث الفقرة 65 ، ولقد تم الزيادة على تصريح دارا Darius هذا في نقصى - روستام Naqs-i Rustam ، حيث يعد الملك أن يكافئ «من يتعاون معه» وأن «يعاقب من يرتكب السوء» DNb الفقرات 5 -13، 17-23 ، ولقد قام كسركسيس Xerxes -كما نعرف- بتكرار هذا الوعد XPl وأضاف له جملة أعطته وزناً وأهمية إضافيين: «أنا أكافئ الرجال ذوي النوايا الحسنة بسخاء» Xpl الفقرات 26-31 ، وقد تم الربط بين

هذه التصريحات التي صدرت عن دارا Darius والتي كررها كسركسيس Xerxes ، وبين دور القاضي والذي كان يقوم به الملك Dnb الفقرات 5-15، Xpl الفقرات 5-17 ، وإذا كان الملك يستطيع أن يتصرف بهذه الطريقة فإن هذا يرجع إلى أنه «كان ينظر إلى نفسه على أنه معين من قبل الآلهة لوضع قانون للفرس، وكالمحكم الأعلى لما هو خير وما هو شر أيسكهرا كاي كالا » بلوتارك Plutarch Art الفقرة 23-5 ، وتعرف هذه الخاصية من خواص الملك الأكبر بخاصية المعطي معيد التوزيع، حيث إنه يكافئ من يقدم له خدمات ويعاقب بشدة الثوار الكاذبين انظر الفصل 8-1 .

وفي العمود الأخير يمضي دارا Darius قُدماً ليقول: «إن كل من يعبد أهورا-مازدا سوف تنزل عليه الرحمة والبركة الإلهية، حيًّا وميتاً» الكتاب الخامس الفقرات 73، 76 ، ويخطو كسركسيس Xerxes خطوة أخرى باستخدامه كلمة أرتافا ، ولكي يحصل الرجل على خصال أرتافا يجب أن يكون وفيًّا لملكه ومخلصاً لقانون أهورا-مازدا، وباختصار فإن الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات يتم عبر شخص الملك .

أهورا-مازدا والدايفا:

لا تتوقف الروابط الموجودة بين العمود الأخير من نقش بهيستون ونقوش كسركسيس Xerxes عند الاعتبارات التالية، ونجد في ذلك العمود نفسه والذي تم ترميمه واستعادته جزئيًّا من Xph ، نجد دارا Darius يشجب ويدين الساكيين والإيلاميين واصفاً إياهم بغير المؤمنين أريكا ؛ وذلك لأنهم لا يعبدون أهورا-مازدا الكتاب الخامس الفقرات 71-76 ، ولقد عبر كسركسيس Xerxes بشكل أكثر مباشرة عن فكرة أخرى متصلة بهذا الموضوع، وذلك عندما زعم أنه قام بتدمير معابد الدايفا ليعيد إنشاء معابد تتم فيها عبادة أهورا-مازدا في ذلك المكان، وكانت كلمة «دايفا» هذه على وجه الخصوص هي نقطة البدء لمناقشات

لا حصر لها حول الديانة الزرادشتية التي كان يدين بها الأخمينيون، وفي الحقيقة نحن نعرف أنه في «الجاثا» تم وصف «الداووا» باستخفاف وبانتقاص كبير، وذلك لأن المؤمنين بهذا المذهب الديني كان يؤدون طقساً سيئاً، ومن المؤكد أن هذه الملاحظة هي أساس الإشارات المكملة «للدايفا» و«أرتاكا برازمانيا»، وإذا اتفقنا على أن العبارة تشير إلى الطرق الصحيحة للتضحية والتي يبدو أنها من الأشياء المتفق عليها: حيث إنه يتم اتهام المتشيعين لطائفة الدايفا في الجاثاس على وجه الخصوص بارتكاب «خطأ» إناه بسبب التقليد الذي يتبعونه في تقديم القرابين، وبهذا يتأكد أن كسركسيس Xerxes كان يقصد في الأساس طريقة تقديم القرابين لأهورا-مازدا، وأنه من غير المحتمل أن يكون هذا التفصيل إشارة إلى صياغة أكثر تزمتاً لعبادة رسمية تكريماً للإله الفارسي العظيم والذي يقدم كسركسيس Xerxes نفسه على أنه الكفيل المحافظ على استمرار عبادته وتبجيله بدرجة أكبر مما كان يفعل دارا Darius .

أرض الدايفا: وقت الملك ووقت التاريخ:

بدون أن نزعم أننا قد عالجنا تلك القضية معالجة كاملة، دعونا نعود إلى أول تلك الأسئلة الثلاثة: ما الظروف التاريخية التي تمت فيها كتابة ذلك النقش؟ لا يمكن تقديم دليل حقيقي يؤكد صحة أي من المقترحات التي تحدد تلك البلد التي كانت في حالة اضطراب، ويرجع ذلك أولاً وقبل كل شيء إلى أن الأسباب التي تظهر لنا من التحليل بالأعلى للعلاقات بين كسركسيس Xerxes وبابل وهو الافتراض الأكثر شيوعاً وتكراراً ، وينطبق هذا المنطق نفسه أيضاً على العلاقات التي كانت بين كسركسيس Xerxes ومصر، وكذلك أيضاً إقليم ميديا واليونان أو أي بلد آخر، ولكن السؤال الحقيقي هو ما يلي: هل كان كسركسيس Xerxes حقًّا يقصد تحديد بلد معين؟ إذا كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يسميها

صراحة؟ وفي الحقيقة فقد تعمد أن تظل غامضة، حتى إن البناء الإنشائي نفسه لا يجعلنا متأكدين مما إذا كان المكان الذي تقع فيه معابد الدايفا كان هو نفسه تلك البلد التي في حالة هياج زينوفون Xenophon فقرة 4 ب ، وبالمثل أيضاً فإنه ليس من المؤكد أن عبارة «عندما أصبحت ملكاً» كان المقصود من ورائها السنة الأولى من حكم كسركسيس Xerxes ، فهذه العبارة عبارة مبهمة جدًّا من حيث تحديدها لتاريخ معين، حيث يحتمل أنها كانت تشير إلى أي مرحلة من مراحل حكمه بدون ذكر أية تفاصيل أخرى راجع Xsc الفقرات 2-5 ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الفحص الداخلي للنقش لا يتطلب تحديد تاريخ.

لذا فلقد تعمد كسركسيس Xerxes جعل عباراته غير محددة من حيث التاريخ المحدد للأحداث التي تصفها أو الموقع الجغرافي لتلك الأحداث، وهذا ليس المثال الوحيد، حيث يكتب دارا Darius في أحد النقوش في صوصا: الملك سيث دارا Darius : لقد قمت بتصحيح الكثير من الأشياء التي تم تنفيذها بشكل سيء، فقد كانت المقاطعات في حالة اضطراب وهياج، وكان كل رجل يضرب الآخر، وقد حققت الأشياء التي تلت ذلك بفضل أهورا-مازدا، ولم يعد أي شخص يعتدي على الغير مطلقاً، ووضعت كل واحد منهم في مكانه، ووضعت قانوني الخاص والذي كانوا يرهبونه ويخشونه، وذلك حتى لا يبطش القوي بالضعيف، الملك سيث دارا Darius : وبفضل أهورا-مازدا تمكنت من إعادة الكثير من الأعمال اليدوية والحرف التي كانت قد خرجت عن الإطار والنظام المحدد لها، تمكنت من إعادة النظام إليها وإعادتها إلى مكانها الطبيعي، ولقد سقط سور إحد المدن صوصا بسبب قدمه؛ وبسبب عدم إجراء إصلاحات له في السابق، ولكني قمت ببناء سور آخر ليحمي المدينة بداية من ذلك الوقت Dse الكتاب الأول الفقرات 22-35، كِنت Dse الفقرتان 4-5 سطور 30-49 .

ولا تسمح لنا عمومية هذا النقش باستنتاج أن دارا Darius كان يشير تحديداً إلى الثورات التي وقعت في عامي 521-522 والتي يصفها بتحديد أدق في بهيستون، بالإضافة إلى ذلك، وتماماً كما كان الحال مع كسركسيس Xerxes ، في نقوش صوصا في النسخة الفارسية: Dse الفقرة 3304 ، فقد استخدم دارا Darius كلمة «يود» الاستثارة في صورة الفعل والتي لا تعطي المعنى نفسه الذي تعطيه كلمة «هاميسيا»، والتي في المقابل هي الكلمة التي تم استخدامها بشكل متكرر في نقوش بهيستون للإشارة إلى البلاد الثائرة التي تحارب الملك، وفي نقش صوصا نجد بدلاً من ذلك تمجيداً للأخلاق السامية للملك التي تقع خارج نطاق الخبرة البشرية والتي هي من تعريفها لا تحتاج إلى توضيح بواسطة موقف تاريخي، فالعاهل أولاً وقبل كل شيء هو الشخص الوحيد الذي يقود الموقف من حالة الفوضى إلى حالة النظام، والبلاد التي في حالة نظام هي تلك البلاد التي تتبع قانون الملك وقانون الإله أهورا-مازدا. وكلمة «داتا» هنا كما في كل مكان آخر لا تشير إلى وضع قضائي إداري، ولكن إلى توصيف سياسي أيديولوجي والذي يتحدى التاريخ.

ومن الواضح أن تصريحات دارا Darius تتصل بدرجة أقل بكثير بتلك النقوش الموجودة في بهيستون كما هو الحال في التصريحات التي نقشها في نقصى - روستام Naqs-i Rustam والتي تبناها كسركسيس Xerxes : لست أرغب في أن يقوم الرجل القوي سكوثي بإيذاء الرجل الضعيف تونافانت ، ولا أن يتسبب الرجل الضعيف في إيذاء الرجل الغني» 13-5 DNb ؛ Xpl الفقرات 5-14 ، ومن الواضح أنه في تلك النقوش لدارا Darius الموجودة في صوصا والتي قد استشهدنا بها تواً، نجد أن دارا Darius لا يشير إلى الثورات التي حدثت ضد سلطته، ولكنه يشير إلى فضائل الملك الذي يكفل تحقيق النظام الاجتماعي والكوني، وذلك إلى حد ما باستثناء أية إشارة يمكن تحديد تاريخها

بشكل دقيق، ويمكن أن نجد مثل هذا التصريح أيضاً في نقش الدايفا في جملة لا تحتوي على كثير من التفاصيل: «ولقد كان هناك شأن آخر تم إنجازه بشكل سيء، وقد قمت بتصحيحه» زينوفون Xenophon فقرة 4 جـ، وعلى الرغم من أن كلمة «كارتم» ذات معنى غامض، إلا أنه من المحتمل -إلى حد كبير- أنه يقصد بها هنا «الذي قمت ببنائه» مشيراً بذلك إلى فضائل الملك المشيد التي توجد عليها شواهد كثيرة في برسيولس وصوصا، وتسهم هذه الملاحظة في توسيع نطاق الحيز التاريخي الذي يتناوله هذا النقش ليشمل فترة حكم كسركسيس Xerxes بأكملها.

وفي التحليل الأخير لنقش الدايفا ومع اعترافنا بأصالته ، فإن هذا النقش يتفق تماماً مع مجموعة النقوش الملكية، وباستثناء DB وبشكل جزئي فقط، وهو الجزء الذي لم يكن بالضرورة أكثر الأجزاء أهمية بالنسبة لدارا Darius ، فإن هذه النقوش الملكية لا تمثل نصوصاً روائية بالمفهوم التاريخي الحديث، فهي أولاً وقبل كل شيء عبارة عن تأكيدات أيدولوجية والتي نظراً لأن الملك قد حدد تاريخها بالنسبة إلى فترة حكمه، نجدها لا تتماشى مع وقت التاريخ، وبمعنى آخر، لكي يتمكن المؤرخ من استخدام هذه النقوش بشكل حكيم، فإنه يتوجب عليه أن يدرك أن هذه النقوش لم تدعى أبداً أنها تهدف إلى حفظ معلومات روائية أو وصفية بحتة، وفي نقش الدايفا، نجد أن كسركسيس Xerxes لم يشر إلى بلد ثائر أو أنشطة ملكية بشكل ينطوي على تحديد مكان وزمان وقوع هذه الأحداث، ولكن بدلاً من ذلك فإنه كان يقصد من وراء هذا النقش أن يوضح دوام سلطته وسمو فضائله الملكية، وتكرار الصيغ المقتبسة من دارا Darius يسهم في ترسيخ الانطباع بدوام السلطة، ويضفي المزيد من الشرعية على حكم كسركسيس Xerxes ، والاختلاف الأكثر أهمية بين نقش دارا Darius ونقش كسركسيس Xerxes هو أن قائمة البلاد

في نقش دارا Darius تبدأ بـ «هذه هي البلاد التي قمت بغزوها»، بينما في حالة كسركسيس Xerxes يبدأ بـ «هذه هي قائمة الدول التي أصبحت ملكاً عليها»، ويعتمد كسركسيس Xerxes على فكرة الميراث الذي حصل عليه من دارا Darius تاركاً الانطباع عن طريق الحذف بأنه قد حافظ عليه سالماً، وليتباهى بدرجة أكبر بحجم إمبراطوريته، قام بإضافة البلاد التي لم تكن موجودة في القائمة من قبله الداهاي وأكوافاسيا ، وذلك على الرغم من أننا لا نستطيع أو لا يتطلب منا بالضرورة أن نربط بين هذه الإشارة وبين إحدى الحقائق التي تم تحديد تاريخها مسبقاً .

كسركسيس Xerxes وبلاد فارس:

لم تؤدِّ هذه الملاحظات إلى تجريد نقش الدايفا من أهميته التاريخية، وفي الحقيقية فإن النقش يعبر عن كل من أهمية التركة التي خلفها دارا Darius وعلى أصالة خليفته، وحتى إذا كان كسركسيس Xerxes قد استلهم أفكاره إلى حد كبير من دارا Darius ، إلا أنه لم يقلد تصاريح أبيه تقليداً أعمى، فلقد أضاف ما يجب أن نعتبره ابتكارات أيديولوجية والتي أكملت الأعمال التي كان دارا Darius قد قطع فيها شوطاً كبيراً، وبشكل عام فإن نقش الدايفا يعطينا الانطباع -بالتأكيد- بالتبريرات الدينية لسلطة من يلعب دور الملك الأكبر والذي يمثل الممثل الحقيقي لأهورا-مازدا على الأرض والذي يؤكد على سلطته في التدخل المباشر لضمان عبادته وتبجيله، ولكن من الواضح أيضاً أن سلطة كسركسيس Xerxes الدينية هي سلطة فاعلة فقط في بلاد فارس «هذه الأرض» بالنظر إلى عبادة الفرس للآلهة الفارسية، وقد كانت هذه السلطة تطبق أيضاً على الفرس المنتشرين في جميع أجزاء الإمبراطورية، هل شرع كسركسيس Xerxes في تشييد المعابد للإله أهورا-مازدا في المجتمعات المحلية الفارسية و/أو تنظيم ممارسات طقسية بطريقة مشابهة لما فعله أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فيما بعد بالنيابة عن

الإله «أناهيتا» الفصل 15-8 ؟ إن هذا ممكن، ولكن يجب أن نقر بأنه لا توجد عندنا أية معلومات واضحة بخصوص هذا الموضوع، ولقد تم ولوقت طويل ملاحظة حدوث تغير في الألقاب في بابل، وأكدت الاستكشافات الحديثة هذه النقطة، وصيغة «ملك بابل، ملك الأراضين» التي تمت إضافتها خلال السنة الأولى إلى اللقب التقليدي المستخدم في بداية كل عهد جديد، هذه الصيغة هي صيغة أكثر تعقيداً مثل «ملك فارس، ميديا، الأراضين» أو «ملك فارس، بابل، الأراضين»، ومن المؤكد أن هذه التغيرات تعكس غرضاً سياسيًّا ما، ولكن ما ذلك الغرض؟ ونتيجة للأسباب التي تم توضيحها بالفعل فيما سبق، فإن محاولة الربط بين هذه التغيرات وبين التحول المفترض في سياسة الملك الأكبر تجاه بابل هو أمر غير محتمل، وفي الحقيقة فإن هذه التعديلات والتكييفات حدثت قبل الثورات نفسها، ودعونا نفترض أن كسركسيس Xerxes كان الخليفة الوحيد لدارا Darius الذي قام بإحياء اللقب «آرى من السلالة الآرية»، بالإضافة إلى ذلك فإن المرة الوحيدة التي ذُكرت فيها هذه الصيغة كانت في رواية زينوفون Xenophon ، ولقد كان قصده من وراء ذلك هو أن يعلن وبشكل أكثر قوة عن الهيمنة السياسية والأيديولوجية للسلطة المركزية للبلاد الإيرانية وخاصة بلاد فارس نفسها، وبشكل ما فإن هذا اللقب يعكس التواصل مع أسلافه وزيادة صرامة وقسوة الأيديولوجية الملكية الأخمينية .

وبالطبع، فإن هذه التبريرات الذاتية التي يقدمها كسركسيس Xerxes لنفسه هي -إلى حد ما- مشكوك فيها بالدرجة نفسها كتشويه السمعة المنظم الذي تعرض له كسركسيس Xerxes في المصادر اليونانية وعلى يد الكتاب اليونانيين، وهذه التبريرات الذاتية لا يمكن أن تعطينا بمفردها صورة واقعية عن العلاقات بين السلطة المركزية والمقاطعات، حيث إن الملك على سبيل المثال لم يقل شيئاً عن

الثورات البابلية، ووضع المؤرخ أصعب مـن ذلـك بكثـير؛ لأن طبيعـة الأدلـة تحـول دون الاستغراق في تفاصيل الحياة اليومية الإقليمية، وعلى الرغم من ذلـك فـإن مجـرد وجـود المصادر الأخمينية الرسمية يذكر المؤرخين بألا يكتفوا بـذلك العـرض الـدرامي للأحـداث الذي يحصلون عليه من وجهـة نظـر هـؤلاء اليونـانيين الـذين يسـكنون عـلى مرتفعـات الأكروبولس في أثينا، حيث إنهم يحتاجون إلى إعادة قـراءة المصـادر اليونانيـة والمصريـة والبابلية، والتي في الغالب تمت صياغتها طوعاً أو كرهاً على غرار الفصل الـذي كـان أول مـن شرع فيـه - للأسـف الشـديد- أفلاطـون Plato والـذي يتحـدث عـن موضـوع كسركسيس Xerxes وانحلال الإمبراطورية الأخمينية .

الملك المشيد:

وقد واصل كسركسيس Xerxes في الوقـت نفسـه، وبحـماس شـديد مشروعاتـه الإنشائية في برسيبولس واضـعاً أعمالـه بشـكل متكـرر، بحيـث تكـون امتـداداً وتواصـلاً لأعمال أبيه، وكما فعل سائر الملوك الذين جاؤا من بعـده، وتتضـح أنشـطة كسركسـيس Xerxes الإنشائية لـيس فقـط مـن التصريحـات الملكيـة التـي نسـتتج منهـا عامـة «أن كسركسيس Xerxes كـان مسـؤولاً عـن إكـمال قصر دارا Darius ، ولكـن أيضـاً مـن خلال المنشآت الجديدة مثل قصر «الحريم» وهو القصر الجديد الذي تـم الانتهـاء منـه في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول» راجع زينوفون Xenophon «ل» ، وتـم أيضاً إكمال العديد من التماثيل خلال عهده، وقد أظهرت أعمال التنقيـب الأثريـة التـي تمت في بداية السبعينيات من القرن العشرين أن جهـود كسركسـيس Xerxes في هـذا المجال لم تكن تنحصر في برسيبولس فقط، وحتى الآن يشهد اثنان من النقـوش القصـيرة على قيام كسركسيس Xerxes بإنشاء قصر في قلعة صوصا ونعلـم أيضـاً أنـه قـام أيضـاً بإكمال بوابة دارا Xsd Darius .

وتظهـــر لنـــا أعـــمال كسركســـيس Xerxes أيضـــاً مـــن ألـــواح الخزانـــة،

وتظهر هذه الألواح أن أنشطته الإنشائية قد استمرت دون توقف، وتعود أقدم هذه الألواح إلى عامي 482-484 PT 12-13، 15، 17، 18؛ PT 1957: 1 ، وتوجد كمية كبيرة من الألواح التي تعود إلى السنوات الأخيرة 466-467 حيث كان يتم نقل جماعات العمال بشكل متكرر حول ساحات البناء في برسيبولس، وكما كان يحدث في الفترة السابقة، حيث كان يتم جلب هؤلاء العمال من بلاد متعددة كاريا، سوريا، أيونيا، مصر، بابل ، وأحياناً كان يتم ببساطة إعطاء هؤلاء العمال ألقاباً تميزهم من حيث الجنس مثل «حرفيين كورتاس» أو «كورتاس الخزانة»، ولكن كان يتم تصنيفهم أيضاً تبعاً للحرفة التي يتخصصون فيها، ومن الأشياء الواضحة التي نلاحظها أيضاً هي أن هؤلاء العمال لم يكونوا عمال بناء في ذاتهم ولكنهم كانوا حرفيين يقومون بأعمال الزخرفة والتشطيبات نحاتي التماثيل الخشبية والحجرية، صانعي البوابات الخشبية والحديدية، والمتخصصين في ترصيع التحف بالأحجار الكريمة، الخ ؛ ولكن كان يعمل بعضهم أيضاً بالبناء.

8- الهجمات الأثينية والأراضي الملكية 466-478 :

إنشاء الرابطة الديلية والأراضي الملكية:

تنقطع جميع الروايات المتصلة بعد عام 479 انظر الفصل 13-1 بالأعلى ؛ ولذلك فإنه لا يمكن تقديم أي عرض روائي للأحداث التي وقعت خلال السنوات التي سبقت وفاة كسركسيس Xerxes ، وتجبرنا طبيعة الأدلة على التركيز على الأحداث التي وقعت في آسيا الصغرى، وخوفاً من أن نصيب القارئ بالملل، يجب أن نؤكد مرة أخرى على أن ما نعرفه عن الموقف في آسيا الصغرى قد حصلنا عليه فقط من المصادر اليونانية التي كانت مهتمة بوجه عام بإلقاء الضوء على الانتصارات التي حققها كل من اليونانيون المتحدون والأيونيون في حرب التحرير التي

خاضوها ضد الفرس وثيوسيديدس Thucydides الذي يمثل الكاتب اليوناني الوحيد الذي أعطى إطاراً تاريخيًّا ولكنه غالباً ما يقابل بالشك والاعتراض حيث كان له هدف واحد فقط وهو أن يروي المراحل العظيمة للتوسع الاستعمارى الأثيني، والخطوط العريضة لهذه الأحداث معروفة جيداً، ولكن على الرغم من ذلك تظل هناك العديد من النقاط الغامضة الجديرة بالذكر فيما يتعلق بالتسلسل التاريخي لهذه الأحداث، وقد انطلقت البحرية اليونانية مرة ثانية في ربيع عام 478 تحت قيادة بوسانياس Pausanias ، وكان هذا الأسطول يتكون من السفن الأثينية والسفن البلوبونيزية وسفن «الحلفاء الآخرين» ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول الفقرة 94-1 ، ونقصد بها سفن الجزر الإيجيه التي كانت بحلول صيف-خريف عام 497 «قد ثارت ضد الملك» الكتاب الأول الفقرة 89-2 ، وتبعاً لديودورس Diodorus فلقد كانت مهمة بوسانياس Pausanias تتمثل في «تحرير المدن اليونانية التي كانت لا تزال تحت سيطرة الحاميات البربرية» الكتاب الحادي عشر الفقرة 44-1 ، وهكذا تم تحرير العديد من المدن في قبرص، ثم استولت البوارج البحرية على بيزنطة والتي لم تستطع المقاومة طويلاً، ثم تأتي بعد ذلك قصة بوسانياس Pausanias الإسبرطي الذي -نظراً للشكوك التي ثارت حول تعاونه مع كسركسيس Xerxes - تم استدعائه إلى إسبرطة، وهناك تم استبداله بـ «دوركيس Dorkis »، وتبعاً للمؤلفين القدامى فقد ألب سلوك بوسانياس Pausanias الحلفاء على إسبرطة، وجعلهم يتوجهون نحو أثينا ليطلبوا منها أن تتولى القيادة، وقد ركزت السلطات الإسبرطية جهودها مرة أخرى على شبه جزيرة البلوبونيز، وهذه هي الطريقة التي نشأ بها ما يسمى «الرابطة الديلية»، وقد تم تمويلها من عائدات ضريبية فرضت على كل مدينة من المدن الأعضاء تبعاً لمواردها وقامت المدن الأكثر أهمية بتقديم السفن بدلاً من الرجال ثيوسيديس Thucydides الكتاب الأول الفقرة 96-1 .

والسؤال الأول الذي تثيره الأدلة هو مدى الخسائر الإقليمية التي تكبدها الفرس، وسرعان ما يثور الجدل حول المدن التي كانت تتكون منها الرابطة الديلية عند إنشائها وبعد ذلك، ولكن يبدو من الواضح بشكل كافٍ أن ما سماه هيرودوت Herodotus بالثورة الأيونية الثانية -ولم يفوته التأكيد على ذلك- لم يترك تأثيراً دائماً على المواقع الفارسية على البر الرئيسى لآسيا الصغرى، وكان اليونانيون يعلمون مدى قوة الجيش الفارسي، ويشير العقاب القاسي الذي تم إنزاله بديديما إلى أن مدينة ملطية نفسها كانت لا تزال تحت السيطرة الفارسية، وكانت الرابطة الديلية تتكون في البداية من الجزر الأعضاء بشكل أساسي، ولا توجد أية علامات على أن الأثينيين حاولوا توسيع نطاق عملياتهم على البر الرئيسى لما هو أبعد من ذلك بعد عام 478، وبالإضافة إلى بيزنطة تمكن اليونانيون أيضاً من الاستيلاء على إيون وهي واحدة من الحاميات الفارسية التي كانت لا تزال موجودة في طراقيا، وقد تم ذلك بعد حصار طويل لها عام 476؟ ، ومن جهة أخرى فشل اليونانيون في الاستيلاء على دوريسكوس Doriscus ، كما تم التأكيد على ذلك من قبل هيرودوت Herodotus والذي يذكر أن حاكم المدينة ماسكاميس Mascames نجح في صدهم، وكان ذلك «هو سبب حصوله على الهدية السنوية من الملك الفارسي» الكتاب السابع الفقرة 106 ، وطبقاً لما يذكره ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول الفقرة 94-2 «تمكن اليونانيون أيضاً من إخضاع معظم أجزاء جزيرة قبرص»، ولكن يصعب تصديق مثل هذا التصريح، ويذكر ديودورس Diodorus فقط قيام اليونانيين بطرد الحاميات البربرية من العديد من المدن القبرصية الكتاب الحادي عشر الفقرة 44-2 ، حيث إن البحرية اليونانية لم تكن بالقوة الكافية، وكذلك كانت مدة الحملة قصيرة للغاية لدرجة يصعب معها تصديق أنهم تمكنوا من إخضاع الجزيرة بالكامل، والأكثر من

ذلك هو أن النجاحات المتفرقة التي قام اليونانيون بتحقيقها في عام 478 كانت بدون نتيجة، حيث إنه يبدو في الحقيقة أن الفرس قد تمكنوا من استعادة السيطرة على الممالك القبرصية خلال العقد الثالث من القرن الخامس ق.م، وأخيراً فإنه مما يتماشى مع التواريخ بشكل كامل أن حملة نهر يوريميدون The Eurymedon في عام 466، لم يذكر ثيوسيديدس Thucydides فيها أن الأثينيين قاموا بشن هجمة واحدة على آسيا الصغرى، فبعد الاستيلاء على إيون، لم يذكر سوى الحملة التي شنوها على كاريستوس في إقليم يوبيا، والحملة التي شنوها بعد ذلك على جزيرة ناكسوس، ولكن ناكسوس كانت تنتمي في ذلك الوقت إلى الرابطة الديلية، وحاولت التخلص من نير السيطرة الأثينية 467-466 الكتاب الأول الفقرة 98 ؛ ولذلك فإن هذه الحملة لم تكن مسألة توسع إقليمي.

ويجب التأكيد أيضاً على ما يذكره ثيوسيديدس Thucydides عن أسباب إنشاء الرابطة: «لقد كان هدفهم المعلن بروسخيما يتمثل في الرد على المعاناة والآلام التي سببها لهم الفرس، وذلك بنهب وتخريب بلاد الملك الأكبر» الكتاب الأول الفقرة 96-1 ، ولا يوجد سبب يضطرنا للشك فيما يقول ثيوسيديدس Thucydides هنا، وعلى الرغم من أنه قد تم تقديم هذه الرابطة فيما بعد على أنها أداة لتحرير المدن اليونانية الموجودة في آسيا الصغرى، إلا أن هذا المنظور لم يكن ذا أهمية في العقد الثالث من القرن الخامس ق.م، فلم يكن لدى أثينا الموارد اللازمة لإنجاح مثل هذه السياسة، حيث إن الضريبة التي كان يتم جمعها عام 487 لم تكن كافية للإنفاق على قوة بحرية دائمة تكون قادرة على التصدي بنجاح للأساطيل التي يستطيع الملك الأكبر حشدها في لحظة، ويبدو أن الهدف الرئيسى من وراء الحملة التي قادها سايمون Cimon خلال العقد الثالث من القرن الخامس ق.م كان يتمثل في جمع

الغنائم لدفع رواتب جنوده بلوتارك Plutarch ، سايمون Cimon ، الفقرة 9-6 ، وكان الاستيلاء على ناكسوس هو بمثابة ما يصفه لنا ثيوسيديدس Thucydides بداية التغير التدريجي، ويلقى ثيوسيديدس Thucydides بالضوء على سياسة بعض المدن الأعضاء في الرابطة والتي كانت تفضل «دفع الحصة المقررة عليها من التكاليف في صورة مال بدلاً من الرجال، وبهذا لا يكون رجالها مضطرين إلى مغادرة بيوتهم للمشاركة في الحملات، وهكذا، وحينما كانت أثينا تعمل على زيادة عدد سفن أسطولها باستخدام الأموال التي كان يسهم بها هؤلاء الأعضاء في الرابطة، إلا أن مواجهتهم لإحدى الثورات كانت تظهر مدى النقص الذين يعانون منه في الموارد والخبرات القتالية» الكتاب الأول الفقرة 98-3 ، وبهذه الطريقة نجح نظام الجزية الآثيني - وهو النظام الذي تم أخذه من النظام الأخميني- في تحقيق نتائج تصب تماماً في مصحلة الأثينيين.

وبالطبع فإن رواية ثيوسيديدس Thucydides هي رواية متحيزة ولم تدّعِ غير ذلك ، فقد اختار الحقائق التي يبدو أنها توضح مراحل تطور التوسع الاستعمارى الأثينية، ولكن لا توجد مصادر أخرى تسمح لنا بالوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها، وإنه من الخطير جدًّا على وجه الخصوص أن نقوم بإعادة بناء الطريقة التي توسعت بها الرابطة الديلية حتى نصل إلى بداياتها بواسطة الحساب العكسي ابتداءً من «قوائم الضريبة الأثينية» الأولى ALT والتي ترجع أصولها إلى عام 453، إن انضمام مدن البر الرئيسى في آسيا الصغرى إلى الرابطة الديلية هو مسألة مؤكدة، ولكن ما تلك المدن؟ ومتى انضمت؟ وفي إحدى الفقرات الشهيرة في كتاب بلوتارك Plutarch «حياة سايمون 12 Cimon »، نجد بلوتارك Plutarch مثله في ذلك مثل العديد من المؤلفين القدامى يبالغ كثيراً في مدح فتوحات سايمون Cimon : «ولم

يفعل أي رجل آخر أكثر مما فعله سايمون Cimon لتحطيم كبرياء الملك الفارسي، فلـم يكتفِ بطرده من بلاد اليونان، بل قـام باقتفـاء أثـره ومطاردتـه، وذلـك حتـى لا يعطـي لهؤلاء البربريين فرصـة لالتقـاط أنفاسـهم واسـتعادة قـواهم، ولقـد كـان في حالـة عمـل دؤوب، وبفضـل مـا ألحقـه بـالفرس مـن دمـار، وانتزاعـه بعـض المنـاطق مـنهم بـالقوة والثورات والتمردات التي قامت بها بعض المناطق الأخرى من أيونيا إلى بامفيليا، بفضـل هذا كله تم تخليص آسيا الصغرى من الجنود الفرس» فقرة 12-1 .

وتكمن هنا أهمية هذه الفقرة بالنسبة للتـاريخ الأخمينـي في التـاريخ الـذي تـم إعطاؤه لها، فلم تكن عند بلوتارك Plutarch أية مشكلة في وضع هـذه الحملـة تمامـاً قبل حملة نهر يوريميدون The Eurymedon عام 466 والتي يصفها بالتفصيل، وذلك هو ما فعله ديودورس Diodorus نفسه والذي يقول: بعد أن انتهى سـايمون Cimon من تعزيز أسطوله في أثينا أبحر متجهاً نحو كاريا: «لقد نجح على الفـور في إقنـاع المـدن التي تقع على الساحل، والتي كـان يسـتوطنها اليونـانيون بالقيـام بـالثورة عـلى الفـرس، ولكن بالنسبة للمدن التي كان يتحدث سكانها لغتين -والتي كانت لا تزال بهـا حاميـات فارسية- لجأ معهم إلى استخدام القوة وفرض عليهم الحصار، ثم وبعد أن كان قـد نجـح في جعل مدن كاريا تنضم إلى صفه تمكن بالمثل من إقنـاع مـدن إقلـيم ليسـيا» الكتـاب الحادي عشر الفقرة 60-4 .

وقد أثيرت بعض الشكوك حـول مـدى إمكانيـة أن يكـون سـايمون Cimon قـد تمكن من تحقيق كل هذه الفتوحات في حملـة واحـدة، وهـي التـي شـنها في عـام 466، والحق يقال فإنه لا توجد طريقة للتأكد من صحة ذلك، وعلى أية حال فحتى لـو أقررنـا بـأن بلوتـارك Plutarch وديـودورس Diodorus يشـيرون إلى أحـداث وقعـت قـبلهم بسنوات عديدة، فإننا يحق لنا أن نتساءل حول مدى صحة نسبة هذا القدر الكبـير مـن الأعمال إليه والتي تم التعبير عنها في صيغ تقليدية، ومن الواضح أن كتاب حياة سايمون

Cimon هو ليس سوى تأبين طويل والـذي يؤكـد عـلى مـدح الأعـمال العظيمـة لهـذا الرجل والذي لم يتمكن قائد واحد من القادة اليونانيين بعد وفاته من تحقيق أي إنجـاز ملموس ضد البرابرة» فقـرة 19-3 ، بالإضـافة إلى ذلـك فـإن روايـة بلوتـارك Plutarch نفسها تتحدث عن وقوع قدر كبير من أعـمال السـلب والنهـب وشـن الغـارات مسـاوياً للفتوحات الفعلية نفسـها، ويتحـدث أيضـاً عـن مواجهـة تلـك الحملـة الأثينيـة لـبعض المقاومة ومثال فاسيليس Phaselis الذي يقع تحديداً في سياق حملة نهر يوريميـدون The Eurymedon يظهر بوضح أن المدن في آسيا الصـغرى كانـت بعيـدة كـل البعـد عن الموافقة طوعاً على الاستسلام: «على الرغم من أنها كان يسـكنها اليونـانيون، إلا أنهـا لم تترك صف الفرس، ورفضت السماح لسفنه بالـدخول إلى مينائهـا، ونتيجـة لـذلك قـام بتخريب ذلك البلد، وأمر جنوده بالاصـطفاف في مواجهـة أسـوارهم» فقـرة 12-4 ، وفي حين أنه مـن غـير الممكـن التأكـد مـن مـدى وحجـم الخسـائر، يشـير كـل مـن بلوتـارك Plutarch وديـودورس Diodorus إلى أنـه في ذلـك الوقـت أي تقريبـاً في عـام 466 ، كانت العديد من مدن البر الرئيسى لآسيا الصغرى لا تزال تدور في فلك الفرس، بالإضـافة إلى ذك فإن الحاميات الأخمينية كانت منتشرة في كل مكان.

حملة نهر يوريميدون The Eurymedon ونتائجها 466 - 465 :

لم يكن الملك الأكبر غافلاً عن أن الأثينين كانوا يواجهون في ذلك الوقـت صـعوبات متزايدة مع حلفائهم الأكثر قوة، وفي فقرته التي خصصها للحديث عن هذا التطور، قـام ثيوسيديدس Thucydides بتسمية ناكسوس «والتي كانـت السـابقة الأولى عـلى كسر الارتباط القائم بين أعضاء الرابطة بإخضاع أحد أعضائها، ثم نصـل بعـد ذلـك إلى القتـال الذي دار بـرًّا وبحـراً عنـد نهـر يوريميـدون The Eurymedon » في كيليكيـا الكتـاب الأول الفقـرة 98-3، الفقـرة 100-1 ، ولقـد تـم غـزو جزيـرة ناكسـوس مـرة أخـرى مـن

قبل سايمون Cimon في عام 467، وفي خلال ذلك الوقت كانت قيادة أركان الجيش الأخميني قد تمكنت من حشد جموع غفيرة من الجند في القواعد الكيليكية والقبرصية والفينيقية والبامفيلية ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 50-60، بلوتارك Plutarch ، سايمون 12-2 Cimon، ولقد قام الملك باختيار قادته العسكريين من بين النبلاء: ويذكر إفورس Ephorus أنه كان من بينهم تثروستيس Tithraustes والذي كان على رأس البحرية الملكية وفاراندانيس Pharandates الذي كان قائداً على القوات البرية سايمون Cimon الفقرة 12-5 ، ولقد كان الأول هو ابن غير شرعي لكسركسيس Xerxes ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 60-5 ، ويذكر كاليستينيس Callisthenes اسم «أريومانديس Ariomandes » ابن جوبرياس Gobryas والذي كان يمثل القائد الأعلى كِريوتاتوس للقوات الفارسية سايمون 12-5 Cimon ، وتظهر مدى ضخامة الاستعدادات ونوعية القادة أن الملك لم يقتنع باتباع استراتيجية دفاعية، وأنه كان عازماً على شن هجوم مضاد للاستفادة من المشكلات التي تواجه أثينا، ولقد انتهت المواجهات العديدة التي وقعت برًّا وبحراً لصالح سايمون Cimon : «لقد ثبطت النجاحات التي حققها سايمون Cimon كثيراً من همة ملك فارس لدرجة أنها جعلته يعقد اتفاق السلام المشهور مع اليونانيين، والذي تعهد بمقتضاه بأن جيوشه لن تقترب أكثر من مجرى حصان من بحر اليونان، وأن أيًّا من سفنه الحربية لن تظهر في المنطقة بين جزيرة ثيرا وجزر شيليدون» Chelidon بلوتارك Plutarch ، سايمون Cimon : الفقرة 13-4، راجع الفقرة 19-4 .

وعلى الرغم من أن بلوتارك Plutarch يؤكد على ضخامة الانتصار الذي تم تحقيقه عند نهر يوريميدون The Eurymedon ، إلا أنه يذكر أن كاليستينيس Callisthenes لم يذكر شيئاً عن مثل هذه المعاهدة، وأن كل

ما قاله هو أن الملك «قد بقى في هذه الأثناء بعيداً جدًّا عن اليونـان لدرجـة أنـه عنـدما أبحر بركليز Pericles ومعه 50 سفينة وإفيـالتيس Ephialtes ومعـه 30 سـفينة لمـا هو أبعد من جزر شيليدون، لم تقابلهم سفينة فارسـية واحـدة» الفقـرة 12-4 ، ويقـول بلوتارك Plutarch إنه اختار الرواية التي تتضمن على معاهدة السلام تلـك؛ لأن نصـها كان موجوداً في المجوعة التي جمعها كراتيروس Craterus .

ويعد بلوتارك Plutarch المسؤول عن بدء المناظرة المعتـادة حـول اتفـاق سـلام كالياس Callias ، والذي يتم إرجاع تاريخه في أغلب الأحيان إلى الفـترة مـا بـين عـامي 449-448 والذي يُعزي نجاحه إلى الوساطة التي قام بهـا كاليـاس Callias هـيرودوت Herodotus ، ولكن هل تـم عقـد هـذا الاتفـاق عـلى الإطـلاق؟ وهـل كانـت سـفارة كالياس Callias مجرد تجديد للاتفاق الذي تم عقده في الفترة ما بين عـامي 467-466 قبل وفاة كسركسيس Xerxes بفترة قصيرة؟ ليست عندي هنا أية نية لإعـادة فـتح تلـك المناظرة المعقدة للغاية بكاملها، ولقد قام سيل من الكتابات بتغطية الآراء المتناقضة تمامـاً مع بعضها البعض، والحجج الرئيسية المؤيدة والمعارضة هي معروفـة ومشـهورة؛ فـالحجج المؤيدة هي: 1 نجد أن المصادر اليونانية لديها إجماع نسبي حـول هـذا الموضـوع وهـذا الإجماع كبير لدرجة يبدو معها مـن الصـعب تصـديق أن هـذا الاتفـاق هـو ببسـاطة مـن اختراع وتأليف مؤرخي القرن الرابع، وذلك على الـرغم مـن الأخطـاء الكثـيرة الموجـودة في مؤلفاتهم والتي هي من جميع الأنواع. 2 لا بد أن ملـك أثينـا قـد وجـد أنـه مـن المفيـد لمصالحه أن يعقد مثل هذه المعاهدة بعد موقعـة يوريميـدون The Eurymedon ، أمـا بالنسـبة للحجـج المعارضـة: 1 يـذكر ثيوبومبـوس Theopompus أن هـذه المعاهـدة هـي تزويـر وتلفيـق. 2 لم يـذكر ثيوسـيديدس Thucydides شـيئا عـن مثـل هـذه المعاهدة. 3 لا نستطيع تصور أن أثينا والملك الأكبر قد تصرفا بمثل هذه الطريقة. 4 لم

يكن من المعتاد أن يعقد البلاط الأخميني مثل هذه الاتفاقات، وكما هو معـروف جيـداً فإن كل حجة من هذه الحجج يمكن أن نقلبها رأساً على عقب؛ لأنه لا يوجد «دليـل» في الوقت الحالي مقنع للجميع وبدون أية تحفظات، ودعونـا نوافـق عـلى الأقـل أنـه كـان هناك مجرد اتفاق في الحقيقة ولكن ليس بشكل رسمي وذلك نتيجة للمبـادرات التـي قام بها كل من القادة اليونانيون والمرزبانات الفرس، ولكن، وعلى الـرغم مـن ذلـك فـإن هذا حل لا يبعث على الأمل كثيراً؛ وذلك لأنه لا يستطيع وحده توضيح كل شيء .

ويدور السؤال الأساسي حول مسألة الاستراتيجية والسياسة: ما الشـكل الـذي مـن الممكن أن يكون قـد اتخـذه هـذا الاتفـاق؟ وهـل كـان في صـالح الملـك الأكـبر في ذلـك الوقت؟ لا يمكن أن ترضينا إجابة بلوتارك Plutarch وهي أن الهزيمة قد روعت الملك وثبطت من همته بشكل كامل ، حيث إن هذه الفكرة تتماشى تماماً مع تلك الصور التي تم تقديمها عن كسركسيس Xerxes ، ونوبة الهياج الدعائي تلـك التـي أعقبـت انتصـار يوريميدون The Eurymedon لدرجة يصعب معهـا أن تكـون مقنعـة، وتثـير محاولـة اختبار بعض الحلول الأخرى الممكنة صعوبات قليلـة إلى حـد مـا، وخاصـة فـيما يتعلـق بالمشكلات ذات الصـلة بالتسلسـل التـاريخي، وكـما يمكـن أن يـرى أي واحـد منـا فإنـه بعـد المعركـة لم يحـاول سـايمون Cimon الاسـتفادة مـن الـنصر الـذي حققـه، ولكـن، وعـلى العكـس مـن ذلـك اكتفـى فقـط بمحـاصرة وتطويـق سـاحل طراقيـا، وهنـاك قـام بغـزو الفـرس الـذين كـانوا يقاومونـه وذلـك بمسـاعدة الطـراقيين، ثـم أبحـر بعـد ذلـك إلى م دينة ثاسوس الثائرة بلوتارك Plutarch ، سايمون Cimon الفقرة 14-2 ، ولكن تحديد تاريخ ثورة ثاسوس لا يزال يمثل مشكلة؛ وذلك بسـبب غمـوض عبـارة ثيوسـيديدس Thucydides ، ولقــد حــدث بعــد ذلــك بــبعض الوقــت أن ارتــد ســكان ثاســوس عــن تأييــد الأثينــين»

الكتاب الأول الفقرة 100-2 ، وإذا وافقنا على أن تاريخ التمرد الذي قام به أهـل مدينـة ثاسوس يعود إلى الفترة التي تلت معركة يوريميدون The Eurymedon مباشرة، فإنـه يتوجب علينا حينها أن نوافق على أن الملك الأكـبر، وبـالرغم مـن هزيمتـه لم يكـن لديـه سبب يجعله يخضع نفسه لمثل هـذه الشروط المهينـة التـي اشـتملت عليهـا المعاهـدة، حيث أن أثينا قد وجدت نفسها في ذلك المأزق نفسه الـذي تعرضـت لـه مـن قبـل عـام 467 بعد الثورة التـي قامـت بهـا جزيـرة ناكسـوس، وبالإضـافة إلى ذلـك، فقـد جـذبت جبهات جديدة اهتمام أثينا نحو بلاد اليونان مرة أخرى، وسرعان ما تعرضت المدينـة إلى كارثة غير مسبوقة في طراقيا درابسكوس، ثيوسـيديدس Thucydides : الكتـاب الأول الفقرة 100-2؛ الكتاب الرابع الفقرة 102 .

ولكن ديودورس Diodorus والذي أرجع تاريخ اتفـاق السـلام سـالف الـذكر إلى الفترة ما بين عامي 448-449 يصف لنا رد الفعل الفارسي بعد معركة يوريميدون The Eurymedon بطريقة مختلفة كليًّا عن تلك الرواية التي قدمها بلوتـارك Plutarch : «ولكن الفرس نتيجة لتلـك الانتكاسـات الكبـيرة التـي واجهـتهم قـاموا ببنـاء عـدد كبـير مـن السـفن ثلاثيـة المجـاديف؛ وذلـك خوفـاً وتحسـباً للقـوة المتعاظمـة للأثينيـين» الكتـاب الحـادي عشر الفقـرة 62-2 ، ولقـد عـاد ديـودورس Diodorus والـذي كـان يعتمد على إيفورس Ephorus بالتأكيد إلى هذه النقطة في عرضه لبدايـة فـترة حكـم أرتاكسركسـيس Artaxerxes عـام 465 : «فقـد شـغل أرتاكسركسـيس Artaxerxes نفسه بكـل مـن العائـدات وحشـد وإعـداد القـوى العسـكرية» الكتـاب الحـادي عشر الفقـرة 71-2 ، ويمكــن أن نــربط بشــكل قــاطع بــين الفقــرة الثانيــة وبــين الثــورة المصرية، وعلى الرغم من ذلك، وحيث إن الثورة المصرية لم تندلع قبل وفاة كسركسـيس Xerxes الفقـرة 71-3 ؛ ولأن الملـك لا يمكـن أن يكـون قـد قـرر إلقـاء أسـلحته أو

التراجع بشكل مخزٍ عن ساحل آسيا الصغرى بعد موقعة نهر يوريميدون\ The Eurymedon ، والسماح بذلك للبحرية الأثينية بالإنتشار بدون أية عوائق في الوقت الذي كانت فيه مشغولة بمهام أكثر أهمية، فإنه يبدو من الصعب تحديد تاريخ تلك المعاهدة وذلك إذا كانت هناك معاهدة على الإطلاق بأنها كانت في الفترة التي تلت معركة يوريميدون The Eurymedon .

حالة إقليم ليسيا: النص والصورة:

من الصعب تحديد أية نقطة دخول أخرى؛ وذلك للنقص الشديد فيما لدينا من مصادر للمعلومات، ولم تذكر المصادر الكلاسيكية شيئاً حول العلاقات اليونانية الفارسية في الفترة بين معركة يوريميدون The Eurymedon ووفاة كسركسيس Xerxes ، وهكذا فإنها لم تتحدث عن المكاسب والخسائر فيما يتعلق بالأقاليم الخاضعة لسلطة الملك في آسيا الصغرى خلال هذه الفترة، ولا يمكننا الحصول على تقييم أولي لتلك الخسائر أو المكاسب حتى عام 453، وهو العام الذي بدأت فيه سلسلة قائمة الضرائب الأثينية ATL ، وعلى الرغم من ذلك -وكما ذكرنا للتو- فإن بناء أي تقييمات عكسية اعتماداً على مثل هذه المصدر هو أمر محفوف بقدر كبير من الشك، فنحن نعرف -على سبيل المثال- أن سكان إقليم ليسيا قاموا بتقديم السفن إلى كسركسيس Xerxes في عام 480، ولكنهم بدأوا في دفع الضريبة إلى الرابطة الديلية بدءاً من الفترة ما بين عام 452-451 وحتى عام 446-445 مثلهم في ذلك مثل سكان إقليم تِلمسيا، ولكن ما التاريخ الذي ترك فيه سكان ليسيا صف الفرس لينضموا إلى الأثينيين؟ وما دلالات مثل هذا التحول؟ وهناك اعتقاد عام بأن العلاقات الجديدة بينهم وبين الأثينين كانت راجعة إلى الأنشطة التي قام بها سايمون Cimon قبل وبعد معركة يوريميدون The Eurymedon ، وهي الأنشطة التي يمكن التحقق منها أثريًّا من خلال طبقات الدمار الموجودة في

زانثوس، ولكن ما يسمى بطبقات الدمار هذه قد تم تحديد تاريخها هي الأخرى بالإشارة إلى الأنشطة المفترضة التي قام بها سايمون Cimon ، وهذا الاعتماد والدعم المتبادل فيما بين كل من «الحقائق النصية والأثرية تبين أنه وهمي وخادع».

وبالنسبة للدراسات المتصلة بالرسومات والأيقونات، فسنجد أنها هي الأخرى مليئة بالشراك الخداعية، فسنراها تارة تركز على التأثير الأثيني، وتارة أخرى تركز على التأثير الأخميني، ولكن ما العلاقات الثقافية التي يمكن إقامتها بين اقتباس الصور والأيقونات وبين التأثير السياسي الأخميني؟ ربما لا يوجد أي شك في العلاقة لنتحدث عنه، وخاصة إذا اتفقنا على أن هذه الأعمال الفنية قد تم إنتاجها في وقت كانت ليسيا فيه قد تحررت من نير الطغيان الفارسي، ومن ناحية أخرى يجب أن نؤكد على أنه لا توجد نسخة واحدة محددة من هذه الصور والأيقونات تم إنتاجها على الطراز الأخميني، ولكن كانت هناك عمليات اقتباس انتقائي لبعض العناصر من مجموعات الأيقونات الموجودة في برسيبولس، والتأثير الأثيني هو أيضاً واضح للغاية ونلمسه بالدرجة نفسها في تنفيذ بعض المنحوتات البارزة كما في اختيار بعض الصور، وهناك توضيح آخر نحصل عليه من الدليل الذي يشير إلى أنه كان هناك تدفق متزايد للواردات من الآنية الفخارية الأثينية والموجودة في موقع زانثوس، وبشكل ما، فإن نموذج إقليم ليسيا يظهر أن العمليات التي كانت تتم لصبغه بالثقافة الهيلينية كانت تسير جنباً إلى جنب مع تلك العمليات الأخرى التي كانت تهدف لصبغه بالثقافة الفارسية، حيث إنه كان يتم إقحام هذين الطعمين في ساق الشجرة الليسية، وهي الشجرة التي ظلت على قدر كبير من الحيوية، ولقد قام الحكام والنبلاء الليسيون باستعارة بعض العناصر من مجموعة الصور والأيقونات الأخمينية، وقد مكنت هذه الصور الحكام من تمجيد وتعظيم مكانتهم السياسية في داخل

المجتمع الليسي، وكذلك أيضاً مكنت النبلاء من تصوير ووصف أسلوب حياتهم الذي كان يتميز بإقامة المآدب والخروج في رحلات الصيد، ومن المدهش ملاحظة تأثيرات أخمينية واضحة في المباني في زانثوس، والتي يعود تاريخها عامة إلى الفترات التي تلت الفترة ما بين عامي 470-480 ، ولكن لا يعني هذا التخصيص بالضرورة خضوع هذا الإقليم سياسيًّا إلى سلطة الفرس أكثر مما يؤدي تبني بعض الأفكار اليونانية المتكررة إلى افتراض وجود نوع من الولاء للمصالح الأثينية في المنطقة .

9- استراتيجية كسركسيس Xerxes الغربية:

كسركسيس Xerxes ومرزبانيات آسيا الصغرى:

لتحقيق تقدم في فهم لأحداث تلك الفترة يجب أن نستعين ببعض المداخل المكملة حيث سنبدأ من ملاحظة واحدة بسيطة أشارت إليها النقاشات السابقة: حيث إننا يجب أن نفترض أن السلطات الاستعمارية الفارسية على المستوى المركزي وعلى مستوى المرزبانيات قامت نتيجة لتعرضها لتلك الهجمات الأثينية بالتفكير في استراتيجية جديدة، ومحاولة إعادة بناء تلك الاستراتيجية تبدو كتحدٍ كبير؛ وذلك لأن المصادر اليونانية لم تعطها أي اهتمام على الإطلاق، ولم تذكر عنها شيئاً، وعلى الأكثر فنحن نعلم من ديودورس Diodorus أن كسركسيس Xerxes قام قبل مغادرته لآسيا الصغرى» بترك جزء من قواته في سارديس ليقوموا بمواصلة الحرب ضد اليونانيين» الكتاب الحادي عشر الفقرة 36-7 ، ولقد تمكنا فقط عن طريق جمع مجموعة من المعلومات المتفرقة من أن ندرك أن الملك الأكبر قد قام حينها أو بعد ذلك بقليل باتخاذ سلسلة من الإجراءات التي تبدو متفرقة بشكل واضح، ولكن ذلك يرجع فقط إلى طبيعة الأدلة التي جمعناها، وفي الحقيقة فإن المؤلفين اليونانيين قد قاموا بالاستشهاد بهذه الإجراءات بدرجة كبيرة

خارج إطار المواجهة التي وقعت في العقد الثالث من القرن الخامس ق.م، وعلى سبيل المثال يتحدث زينوفون Xenophon بصورة عرضية عن سيليناي Celaenae في وصفه لمسيرة قورش Cyrus الأصغر فيقول: «ويروي أيضاً أنه في هذا المكان قام كسركسيس Xerxes أثناء انسحابه من بلاد اليونان بعد الهزيمة في تلك المعركة الشهيرة، ببناء قصر باسيليا الذي تم ذكره للتو، وأيضاً قلعة سيليناي» أناب الكتاب الأول الفقرة 2-9 ، وعندما ندرك الأهمية الاستراتيجية لهذه المدينة، فإنه سيكون من الصعب ألا نرى في هذا التعليق صدى للتعزيزات العسكرية الفارسية .

ويتحدث هيرودوت Herodotus عن أحد المراسيم الملكية خلال روايته للقصة الرومانسية عن ماسيستيس Masistes ، حيث يروي هيرودوت Herodotus أن شخصاً من هاليكارناسوس يُسمي زيناجوراس Xenagoras ابن براكسيلوس Praxilaus قد أنقذ حياة ماسيستيس Masistes ، وأن «هذا العمل قد ساعد زيناجوراس Xenagoras على الفوز بالحظوة ليس عند ماسيستيس Masistes نفسه ولكن أيضاً عند كسركسيس Xerxes ، ولقد قام كسركسيس Xerxes بمكافأته بهدية تمثلت في حكم مقاطعة كيليكيا بالكامل» الكتاب التاسع الفقرة 107 ، ومن الواضح أن هذه المعلومة يجب أن توضع في إطار المعلومات القليلة المتوافرة لدينا عن الغزو الفارسي لكيليكيا في ذلك الوقت فصل 12-5 ، ويبدو من المستحيل أن يتم اختيار شخص من إقليم كاريا ليكون مرزبانا على كيليكيًّا، ونحن نعرف على العكس من ذلك أن العلاقات الأسرية بين أسرة الملك سينيسيس Syennesis وملوك إقليم كاريا كانت علاقات قديمة وحميمة تعود إلى حوالي عام 500 ق.م «بكسوداروس Pixodarus ابن موسولوس Mausolus ، وهو رجل من إقليم سنديا، قد تزوج بإبنة ملك إقليم كيليكيا المسمى سينيسيس Syennesis » الكتاب

الخامس الفقرة 118 ، ومن المحتمل أن زينـاجوراس Xenagoras قـام بعـد مقتـل الملـك سينيسيس Syennesis في معركة سلاميس بالمطالبة بحقوقه في تولي ملك كيليكيـا، وطبقـاً لهذا الافتراض فإن الملك الأكبر نفسه هو من اتخذ هذا القرار وهـذا لـن يكـون هـو المثـال الأول على حدوث هذا النوع من التدخل المبـاشر منـذ أن أدت حملـة دارا Darius عـلى الساكين إلى استبدال أحد الملوك المتمردين بملك متمرد آخر سكونخا بالتماشي مع رغبـات الملك الأكبر DB ، الكتاب الخامس الفقرة 74 ، ولقـد حـدث هـذا الشيء نفسـه في جزيـرة قبرص خلال الثورة الأيونية هيرودوت Herodotus الكتاب الخامس الفقرة 115 ، وطبقـاً لهذا الافتراض فإن اختيار كسركسيس Xerxes لزيناجوراس Xenagoras كان يعنى تأكيد الوجود الملكي في كيليكيا، ويمكن أن نفترض أن هـذا القـرار لكسركسـيس Xerxes جـاء في إطار خطة كلية، والتي كانت تهدف تحديداً إلى حماية قبرص بشكل أفضل والسيطرة عليها، حيث إنها كانت مهددة من الهجمة التي شنها الأثينيون في عام 478، ومن المحتمل أيضاً أن هذا القرار عزز العلاقات مع إقليم كاريا، وعلى الرغم من أننا لم نسمع أي شيء عـن الملكـة أرتيميسيا Artemisia بعـد موقعـة سـلاميس، إلا أنـه مـن الواضـح أنهـا ظلـت الحليـف المخلـص للملـك، حيـث إن كسركسـيس Xerxes كلفهـا بحمايـة أبنائـه غـير الشرعيـين هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن الفقـرات 101-103 ، وفي الحقيقـة فإنـه لا توجـد إشارات على أن هاليكارناسوس والمدن الدورية الأخرى التي كانت تتبعهـا الكتـاب السـابع الفقرة 97 قد انضمت إلى الرابطة الديلية منـذ بـدايتها، بـل عـلى العكـس مـن ذلـك فـإن اكتشاف إناء فخاري منقوش عليه اسم كسركسيس Xerxes في المدينـة بوسـنر Posener رقم 51، الكتاب الخامس عشر يدفعنا إلى الاعتقاد بأن علاقتهـا مـع بـلاد فـارس لم تضـعف ولكن يجب أن نقر بأن الأدلة على ذلك هي أدلة محدودة .

ويتضح لنا أيضاً وبشكل قوي مدى انشغال واهتمام كسركسيس Xerxes بالمحافظة على المواقع الأخمينية في آسيا الصغرى من القرارات التي اتخذها بعد ذلك بفترة قصيرة في إقليم فريجيا الذي يقع على مضيق الدردنيل، وفي الحقيقة فإن ثيوسيديدس Thucydides يذكر في الملحق التكملة المهم الذي كتبه حول مغامرات بوسانياس Pausanias ويقول إنه في ذلك الحين عامي 477-478 «قام كسركسيس Xerxes بإرسال أرتابازوس Artabazus ابن فارناسيس Pharnaces إلى البحر حاملاً معه أوامر تقضي بأن يحل محل ميجاباتيس Megabates الحاكم السابق في مرزبانية داسكيليون» الكتاب الأول الفقرة 129-1 ، ولقد كان أرتابازوس Artabazus شخصاً رفيع المنزلة؛ لأن والده فارناسيس Pharnaces هذا يحتمل أنه لم يكن سوى البرناكا الذي تتحدث عنه ألواح التحصينات أي أنه كان عم دارا Darius ، ولقد شارك أرتابازوس Artabazus في حملة عام 480: وقد صاحب كسركسيس Xerxes حتى المضايق، ثم غادر ساحة معركة بلاتيا بعد أن اختلف مع ماردونيوس Mardonius حول الاستراتيجية، ولقد كان تعيينه مرزباناً على داسيليوم بداية سلسلة طويلة من الحكومات المرزبانية التي كان يرأسها أفراد من هذه الأسرة ويقول ثيوسيديدس Thucydides ببساطة أن أرتابازوس Artabazus تلقى أوامر بالاتصال ببوسانياس Pausanias ، ولكن من المؤكد أن هذا الأمر الملكي كان جزءاً من مشروع استراتيجي أكبر، وخاصة في الوقت الذي كانت فارس قد خسرت فيه مدينتي سيستوس وبيزنطة، والحقيقة تظل في أن «الوجود الملكي» في داسيليوم تم توضيحه بشكل جيد من خلال الأختام التي تم اكتشافها في الفترة ما بين عامي 1952-1955 والتي لم تنشر بعد ، والتي تمثل آثاراً متبقية ومتخلفة من السجلات المرزبانية .

ويحمل العديد من هذه الأختام رسوماً ملكية «البطل الملكي»،

شكل 56 ب صفحة 700 ، ونقوشاً باللغة الفارسية القديمة تعني «كسركسـيس Xerxes الملك».

كسركسيس Xerxes وبوسانياس Pausanias :

لقد حان الوقت لتناول قصة بوسانياس Pausanias ، حيث إنها تزودنا بتوضيح كبير حول كارت آخر من الكروت الرابحة التي كانت لدى كسركسـيس Xerxes ، وهـو ولاء بعض المدن اليونانية له، وتبعاً لثيوسيديدس Thucydides فلقد أوكل اليونـانيون إلى بوسانياس Pausanias مهمة قيادة البحرية اليونانيـة في عـام 478، ولكـن بعـد أن استولى الفرس على بيزنطة تم استدعاؤه إلى إسـبرطة، فلقـد آثـار معارضـة الحلفـاء لأنـه مارس سلطته «بشكل استبدادي»، وبالإضافة لذلك فقد تم اتهامـه بــ «الميديـة» والتـي «نظراً لكل العلامات التي ظهرت عليه كانت واحدة من الـتهم التـي كـان يوجـد عليهـا أكبر قدر من الأدلة، ولم يعِد اللاسيدومونيون تعيينه قائـداً مـرة أخـرى» الكتـاب الأول، الفقرة 94. 3-6 ، وقد تم شرح هذه «الميدية» بمزيد من التفصيل: فبعد اسـتيلاء الفـرس على بيزنطة، قام بوسانياس Pausanias بتسليم الأسرى الفرس ذوي الرتب العاليـة إلى كسركسيس Xerxes ، والذين كان من بينهم أقـارب وحلفـاء لـلأسرة المالكـة الفارسـية، وبوساطة من جونجيلوس Gongylus اليوناني، قام أيضـاً بإرسـال رسـالة إلى كسركسـيس Xerxes يطلب فيها منه أن يزوجه من ابنته، وعرض عليـه في المقابـل أن يقـوم بجعـل إسـبرطة وبـاقي أجـزاء Hellas تخضـع لـه» الكتـاب الأول الفقـرة 128 ، ولقـد قـام كسركسـيس Xerxes وهـو في غايـة السرور بإرسـال أرتابـازوس Artabazus محمـلاً بـالرد إلى داسـيليوم والـذي أكـد فيـه لبوسـانياس Pausanias عـلى اعترافـه بـه، وطلب منه التعاون مع أرتابازوس Artabazus واعداً إياه بمبالغ ضخمة من المال وبـدعم واسع، ولقد بدأ ذلك الإسبرطي بعد أن مـلأه الكبريـاء يتبنـى أسـلوب حيـاة النـبلاء الفـرس:

«فقد خرج من بيزنطة مرتدياً زيًّا ميديًّا» وكان يرافقه خلال مسيرته عبر أراضي طراقيا حراس شخصيون من الميديين والمصريين، وكان يحتفظ بمائدة فارسية، وجعل الوصول إليه والتمكن من مقابلته أمراً صعباً»، ولقد أثار هذا حقد وغضب الحلفاء، وتسبب في استدعائه للعودة إلى إسبرطة الكتاب الأول الفقرة 128، 129-1 ، وعلى الرغم من هذه الاتهامات فقد تمت تبرئته، وبعد أن أصبح مواطناً عاديًّا، ركب البحر متجهاً إلى مضيق الدردنيل الكتاب الأول الفقرة 128-3 ، وبعد أن تم إخراجه من بيزنطة، عزم على التوجه إلى كولوناي Colonae التي تقع في The Troad ، حيث كانوا كما يقولون «يتآمرون مع البربريين»، وتم استدعاؤه مرة أخرى إلى إسبرطة، وتمت إدانته، خاصة أنه قد اتهم «بالتآمر مع العبيد الهلّوتيين» الكتاب الأول الفقرات 131-134 .

وقد كانت بعض نقاشات ثيوسيديدس Thucydides ولفترة طويلة مثاراً للشكوك على الأقل لأن هيرودوت Herodotus يقول إن بوسانياس Pausanias كان ينوي الزواج من ابنة ميجاباتيس Megabates وهو ابن عم دارا Darius والذي يعتبر بالتأكيد الحاكم الذي كان قبل أرتابازوس Artabazus وذلك على الرغم من أن هيرودوت Herodotus يضيف عبارة «لو ثبت صحة ما يقولونه» الكتاب الخامس الفقرة 32 ! وإنه لمن الواضح أن بعد ذلك بخمسين سنة أصبحت تلك الصورة عن بوسانياس Pausanias ذات معنى رمزي في بلاد اليونان، وخاصة فيما يتعلق بتبنيه للعادات الفارسية، ولكن رواية ثيوسيديدس Thucydides تبدو حقيقية وصحيحة إلى حد كبير؛ ولذلك فإنه لا يوجد هناك سبب يجعلنا ننكر تبادل الرسائل بين بوسانياس Pausanias وكسركسيس Xerxes ، ويمكن أن نرى بوضوح تام حجم الفوائد التي حصل عليها الفرس من استغلاله كوكيل وعميل لهم، حيث إنهم كانوا متمرسين بالفعل على استخدام اليونانيين للعمل في خدمتهم وتحقيق مصالحهم وهو ما كان

اليونانيون يسمونه بـ «الميدية» ، وتبعاً لجوستين Justin الكتاب التاسع الفقرة 1-3 «فإن مدينة بيزنطة والتي كان قد أسسها بوسانياس Pausanias ملك إسبرطة في الأصل، ظلت تحت سيطرته لمدة سبع سنوات» وإذا صحت هذه المعلومة، فإننا يجب أن نفهم منها أن الفرس هم الذين نصبوه حاكماً على هذه المدينة مثلما قاموا بتنصيب طغاه آخرين في مدن أخرى، وأنه ظل حاكماً عليها تقريباً في الفترة بين عامي 477-478 و471-472، ومما لا شك فيه أن استيلاء الفرس على بيزنطة مكنهم من شن هجوم مضاد في طراقيا، وهو الهجوم الذي اعتمد أيضاً على قاعدتهم الموجودة في دوريسكوس Doriscus .

الهدايا المقدمة في صورة أراضي ومدن: الاستعمار والسيطرة الإقليمية:

لقد كان بإمكان كسركسيس Xerxes الاعتماد على دعم المزيد من اليونانيين ويذكر ثيوسيديدس Thucydides أيضاً جونجيلوس Gongylus وهو الشخص الذي عمل كوسيط بين بوسانياس Pausanias والملك الأكبر الكتاب الأول الفقرة 128-6 ، ومن خلال إحدى الملاحظات العابرة التي ذكرها زينوفون Xenophon عن الحملة التي قادها ثيبرون Thibron الإسبرطي في إقليم إيولس في البدايات الأولى للقرن الرابع ق.م، ولمزيد من المعلومات عن هذا الشخص: «لقد أعلن كل من جورجيون Gorgion وجونجيلوس Gongylus عن ولائهم لثيبرون Thibron ، فقد كانا أخين، وكان أحدهما حاكماً على جامبريوم وباليجامبريوم، أما الثاني فكان حاكماً على ميرينا وجرنيوم، وقد كانت هذه المدن هدية من الملك الفارسي دورون بارا باسيليوس إلى أولهم وهو جونجيلوس Gongylus ؛ لأنه اعتنق وجهة النظر والرأي الفارسي، وقد كان هو الرجل الوحيد من بين الإرتريين الذي فعل ذلك؛ ولذلك تم نفيه من تلك المدينة هيلينيكا، الكتاب الثالث الفقرة 1-6 .

ونحن نعرف أن داتيس Datis القائد الفارسي قد وجد في إرتريا في عام 490 بعض السكان الأثرياء الذين وافقوا على تسليم المدينة له «واضعين أعينهم على الفرصة الأساسية، أي المكافأة التي سيدفعها لهم الفرس» هيرودوت Herodotus الكتاب السادس الفقرتان 100-101 ، ولكن «خيانة» جونجيلوس Gongylus تعود بدلاً من ذلك إلى عام 480، فقد كانت تلك هي السنة التي عاد فيها مع كسركسيس Xerxes ، وهكذا كان بإمكانه العمل كوسيط لبوسانياس Pausanias ، وقد تمت مكافأة يونانيين آخرين في ذلك الوقت مثل ثيومستور Theomestor والذي نصبه الفرس حاكم ولاية على جزيرة ساموس، بالإضافة إلى شخص آخر من ساموس وهو فيلاكوس Phylacus «والذي تم درجه في قائمة المخلصين للملك، وتم إعطاؤه مساحة كبيرة من الأرض شورا » الكتاب الثامن الفقرة 85 ، وفي تلك الفقرة نفسها والمسماة «هيلينيكا» يستشهد زينوفون Xenophon أيضاً بحالة بعض المدن الأخرى التي سقطت في أيدي ثِبرون Thibron : «فقد استسلمت برجاموس طوعاً، وحدث مثل هذا مع مدن تويثرانيا وهاليسارنا، وهما المدينتان اللتان كانتا تحت حكم كل من يورستينيس Eurysthenes وبروكليس Procles واللذين ينحدران من نسل ديماراتوس Demaratus اللاسيدوموني، وقد قام الملك الفارسي بمنح هذه الأراضي إلى ديماراتوس Demaratus كمكافأة دورون على مشاركته في الحملة التي شنها كسركسيس Xerxes ضد بلاد اليونان» الكتاب الثالث الفقرة 1 -6 ، ونحن نعرف أن ديماراتوس Demaratus وصل إلى البلاط الفارسي قبل ذلك، وكان هذا أثناء حكم دارا Darius «والذي رحب به بهدية فخمة تتكون من الأراضي والمدن» هيرودوت Herodotus الكتاب السادس الفقرة 70 ، ولكن الهدية التي أشار إليها زينوفون Xenophon كان من الواضح أنها مكافأة جديدة منحها له كسركسيس Xerxes ، حيث إننا نعلم أن

ديماراتوس Demaratus قد حارب في صف الملك خلال حملة عام 480 .

وتوضح هذه الهدايا بقوة سياسة الملك في اجتذاب اليونانيين للعمل على خدمته، وكما يحدث، فإن تلك الهدية التي تقدم في شكل مدن لم تكن شيئاً جديداً تماماً، ونحن نعرف أن قورش Cyrus قام بالفعل بتفضيل شخص اسمه بيثاركوس Pytharcus من سيزيكوس بهذا الأسلوب نفسه، ولقد حدث ذلك في سياق تاريخي لم نستطع التعرف عليه بشكل محدد، ولكن يحتمل أن هذا يتوافق مع الفتوحات التي قام بها في آسيا الصغرى أثينيوس Athenaeus الكتاب الأول الفقرة 30 ، وفي المقابل أصبح هؤلاء الأشخاص الذين تم منحهم الامتيازات عملاء أوفياء للملك الأكبر، والذين كانت تربطهم به أيضاً التزامات عسكرية: فقد كانوا جزءاً لا يتجزأ من النظام الذي تم الاستعانة به في احتلال الأراضي والأقاليم الخاضعة للملك، ونذكر من هؤلاء العملاء أيضاً زينيث Zenis وزوجته مانيا Mania حكام داردانوس، واللذين قاما تحت سلطة وإشراف فارنابازوس Pharnabazus بإدارة جزء سترابيوين من أجزاء إقليم إيولس في بداية القرن الرابع ق.م، وكان ذلك في مقابل التزامهم بدفع جزية من الأراضي التي تقع تحت سلطتهم، وإعداد فرق عسكرية للمشاركة في الحملات زينوفون Xenophon هِيل الكتاب الثالث الفقرة 1: 10-15 ، وفي الحقيقة فإنه من الجدير بالذكر أن المدن التي تم منحها للأفراد المنتمين إلى أسرة كل من جونجيلوس Gongylus وديماراتوس Demaratus كانت تقع كلها في The Troad في ذلك الجزء الذي -كما رأينا للتو- كان تابعاً لمرزبانية فريجيا التي تقع على مضيق الدردنيل، والشيء الجدير بالذكر هو أن مدينة كولوناي هي المدينة التي وطد فيها بوسانياس Pausanias مركزه بعد مغادرته لبيزنطة تقع هي الأخرى في The Troad : وكانت هذه المدينة إحدى المدن الثلاثة التي

تولت مانيا Mania إدارتها باسم فارنابازوس Pharnabazus الثاني هِيل الكتاب الثالث الفقرة 1-13 ، ومن الصعب تصديق أن ذلك كان مجرد مصادفة، حيث إن إقليم The Troad والأقاليم المجاورة له إيولس كانت تمثل منطقة ذات أهمية قصوى بالنسبة للفرس: حيث كانت تقع واحدة من القواعد البحرية الفارسية الأساسية في مدينة سايمي Cyme الموجودة في إقليم إيولس، وكان يقود هذه القاعدة قائد معين Hyparch هيرودوت Herodotus الكتاب السابع الفقرة 194 ، وكانت هذه القاعدة هي المكان الذي رسى فيه الأسطول الفارسي عقب عودته من موقعة سالاميس، وقد كانت هذه المنطقة غنية أيضاً بالأخشاب، وذلك تبعاً لما قاله فارنابازوس Pharnabazus هيل الكتاب الأول الفقرة 1-22 ، وقصة هيرودوت Herodotus حول مسيرة كسركسيس Xerxes من ساردیس إلى مضيق الدردنيل هي الأخرى غنية بالمعلومات، فقد انطلقت القافلة باتجاه وادي كايكوس Caicus وإقليم ميسيا مارين في طريقهم على التتابع بكل من مدن أتارنيوس، طيبة، أدراميتيوم وأنتندروس قبل أن يصلوا إلى سهل إليون على ضفاف نهر The Scamander الكتاب السابع الفقرة 42 ، وقد قام الملك في «هيكل البطل الأسيوى بريام Priam » بتقديم القرابين للإلهة أثينا إلياس، وهناك أيضاً قام الكهنة المجوس بسكب الخمر تكريماً للأبطال ويقصد بهم هنا الأبطال «الآسيويون» أبطال حرب طروادة .

ومن ناحية أخرى، فإنه بعد عهد قورش Cyrus كان يتم منح الجزر أراضي على البر الرئيس، فعلى سبيل المثال منح مازاريس Mazares جزيرة كيوس في عام 545 منطقة أتارينوس في إقليم ميسيا هيرودوت Herodotus الكتاب الأول الفقرة 161 ، وهي المنطقة التي كان لسكان كيوس مصالح فيها على مدار القرن الخامس ق.م والتي كان يلجأ إليها أيضاً المبعدون طلباً للمأوى، وتظهر بعض الحوادث الأخرى كيف أنه كان

بإمكان الفرس خلال فترة السيطرة الأثينية على هذه الجزر أن يتدخلوا فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وهناك بعض الشك حول ما إذا كانت الأراضي التي تم ذكرها بالأعلى قد وضعت تحت سلطة وقيادة أرتابازوس Artabazus المرزبان الجديد لداسيليوم، وربما كان -بمبادرة منه- قد تم إرسال رجل اسمه أرثميوس Arthmios من زيليا محملاً بالمال إلى شبه جزيرة البلوبونيز لمساندة ودعم الحلفاء .

وهكذا فإننا يجب أن نستنتج أن الامتيازات والمنح الملكية كانت جزءاً من مخطط استراتيجي الهدف منه حماية المصالح الأخمينية في منطقة ذات أهمية حيوية بالنسبة لهم، ولم تتعارض حركة الاستعمار هذه مع التوسع في عدد الفرس المنتشرين في جميع أجزاء الإمبراطورية، بل على العكس من ذلك أدت إلى تدعيمها، وتم إنشاء مستوطنات فارسية تضم أعداداً ضخمة منهم على وجه الخصوص في وادي كايكوس والمناطق التابعة له .

ثيمستوكليس Themistocles في بلاط الملك الأكبر:

فاز كسركسيس Xerxes بحليف يوناني جديد تمثل في شخص خصمه السابق خلال العقد الثاني من القرن الخامس، وهو ثيمستوكليس Themistocles ، فقد تم نفي ثيمستوكليس Themistocles ذلك الشخص الذي قاد الأثينيين للانتصار في سالاميس، تم نفيه من أثينا، ولجأ في بادئ الأمر إلى أرجوس، ومع تتبع الأثينيين ومطاردتهم له وصل إلى مقدونيا، وهناك ركب سفينة متجهاً إلى بندا وعبر ثاسوس تحت حصار الأثينين له ، ورسى أخيراً في مدينة سايمي في إقليم إيولس بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles ، الفقرة 26-1 ، ويمكن أن نذكر بصورة عابرة رد فعل السكان اليونانيين الموجودين في سايمي تجاه ثيمستوكليس Themistocles ، فقد حاولوا أسره حيث إن كسركسيس Xerxes كان قد وعد بمنح جائزة من المال لمن يأتي به له، وهرب

ثيمستوكليس Themistocles بعد ذلك إلى إيجاي وهي بلدة صغيرة في إقليم إيـولس، وهناك تمكن من الاتصال بمضيفه نيوكوجينيس Nicogenes » والذي كانت له علاقات مع الأشخاص ذوي النفوذ ديناتوي من سـكان الأراضي المرتفعـة» ويحتمـل أنـه يقصـد بذلك أنهم كانوا من الفرس الموجودين في بلاط داسيليوم، ويؤكد هذا المشهد على مـدى أهميـة أرتابـازوس Artabazus ومرزبانيتـه في الاسـتراتيجية التـي تبناهـا كسركسـيس Xerxes بعد عام 479 في آسيا الصغرى، ولقـد كـان أرتابـازوس Artabazus هـو مـن أعطـى الإذن لثيمسـتوكليس Themistocles بمقابلـة الملـك في قافلـة رسـمية رسـالة ثيمستوكليس Themistocles الفقرة 30 .

وطبقـاً لثيوسـيديدس Thucydides ، فقـد كتـب ثيمسـتوكليس Themistocles رسالة إلى الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes «والذي كـان قـد جلـس عـلى العـرش للتـو» الكتـاب الأول الفقـرة 137-3 ، ويكتـب مؤلفـون آخـرون راجـع بلوتـارك Plutarch ثيمسـتوكليس Themistocles الفقـرة 27-1 «أنـه قـد قابـل كسركسـيس Xerxes »، ويحتمل أن ثيمستوكليس Themistocles قد نزل في آسيا الصغرى قبل وفاة الملك بفـترة قصيرة أغسطس 465 ، وذلك قبل أن يستقبله خليفته بعد ذلك بوقـت قليـل، ومهـما كـان الحال فقد قام الملك باستقبال هذا الأثيني بترحيب عظيم، ونظر إليه عـلى أنـه قـد أرسـلته السماء إليه ليكون مستشـاراً لـه حـول الشـؤون اليونانيـة ثيمسـتوكليس Themistocles الفقرات 29-3، 29-9 : «فقـد أيقـظ في الملـك الأمـل في رؤيـة العـالم اليونـاني بفضـله، وقـد تـم اسـتبعاده» ثيوسـيديدس Thucydides الكتـاب الأول الفقـرة 138-2 ، وقـد تـم منح ثيمستوكليس Themistocles الهدايا سـواء أكـان مـن أعطاهـا لـه هـو كسركسـيس Xerxes أو أرتاكسركسـيس Artaxerxes ويحتمـل أكـثر أنهـا كانـت مـن الثـاني : فقـد

حصل على العائدات التي تدرها العديد من المدن في آسيا الصغرى بما فيهم مغنيسيا، ميوس ولامبساكوس، وتشير هذه الهدية الملكية نفسها إلى أن الفرس كانوا لا يزالون يسيطرون على عدد جيد من المدن الساحلية بما فيها المدن الأكثر أهمية .

10- من كسركسيس Xerxes إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes :

اغتيال كسركسيس Xerxes : الأفكار الأدبية حول هذا الموضوع:

لقى كسركسيس Xerxes مصرعه خلال هذه الأحداث ضحية لمؤامرة دموية، وعلى الرغم من أن العديد من المؤلفين قد تحدثوا عن اغتيال كسركسيس Xerxes ، إلا أن حديثهم هذا عنه لم يكن في بعض الأوقات سوى مجرد إدانة للملك بعد وفاته، وهو الملك الذي تحمل عبء وتبعات الهزيمة في سلاميس، فعلى سبيل المثال، يكتب إليان Aelian ببساطة VH ، الكتاب الثالث عشر الفقرة 3 أن حياة الملك انتهت نهاية بائسة، حيث تعرض للتقطيع في سريره على يد ابنه، والمصادر الرئيسة التي لدينا عن هذه الأحداث هي روايات لكل من جوستين Justin الكتاب الثالث الفقرة «1» ، وديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 69 ، وستيسياس Ctesias الفقرتان 29-30 ، والتي تتوافق فيما بينها بشكل جزئي، وهذه المسألة هي مسالة مثيرة للغاية؛ لأنها تتعلق بالحادثة الأولى من نوعها التي يتم فيها اغتيال ملك باستثناء حالة برديا Bardiya ، وحري بنا أن نتوقف عند هذه النقطة ليس لنعيد بناء هذه الأحداث بتفصيل دقيق والتي هي مهمة مستحيلة ، بقدر ما سيكون هدفنا هو محاولة فهم كيف يمكن أن تكون تلك القصص قد انتقلت من البلاط الأخميني إلى اليونانيين ومنهم إلينا .

ويتفق المؤلفون القدامى من ناحية المضمون على هذه الصورة العريضة:

- يقدم كل من ديودورس Diodorus وستيسياس Ctesias الشخص الـذي كـان أول مـن ابتـدأ هـذه المـؤامرة والمسـمى بأرتابـانوس Artabanus عـلى أنـه كـان مـن هركانيا، وقد أعطاه ديودورس Diodorus لقب كبير الحراس الشخصيين، ويقول كل من ستيسياس Ctesias وديودورس Diodorus إنه كان يحظى برضا الملك .

- ولقد أشرك هذا الرجل أبناءه السبعة كـما يـروي جوسـتين Justin في هـذه المؤامرة، هذا بالإضافة إلى الـخصي أسـباميثريس Aspamithres كـما يقـول ستيسـياس Ctesias ؛ ويسميه ديودورس Diodorus ميثراداتـيس Mithradates ، وهـذا يجعـل منه الموظف المسؤول عن حجرة نوم الملك كاتا كويمستيس ، ويسميه جوسـتين Justin في روايته باكاباسوس Baccabasus ، ولقد أشركه في المؤامرة بعـد مقتـل دارا Darius فقط .

- وقد قام المتـآمرون باغتيـال كسركسـيس Xerxes تبعـاً لستيسـياس Ctesias في حجـرة نومـه وتبعـاً لـديودورس Diodorus وجوسـتين Justin وإيليـان Aelian بمساعدة ميثراداتيس Mithradates ديودورس Diodorus .

- تمكـن أرتابـانوس Artabanus مـن إقنـاع أخيـه الأصـغر أرتاكسركسـيس Artaxerxes أن من قتل أباهم هو أخوهم الأكبر دارا Darius ، ويضـيف ديـودورس Diodorus أن الابن الثالث هستاسبيس Hystaspes كـان حينها بعيـداً في مرزبانيتـه في باكترا، وعلى الرغم من تأكيد دارا Darius على براءته ستيسياس Ctesias ، فقـد أمـر أخـوه بإعدامـه، وكـان يصـاحبه الحـراس أرتابـانوس Artabanus ديـودورس Diodorus عندما يأتي بحثـاً عـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes ستيسـياس Ctesias أو عندما يكون على وشك النوم جوستين Justin .

- إن أرتاكسركسـيس Artaxerxes سيصـبح الملـك ستيسـياس

وسيستمر أرتابانوس Artabanus في تدبير المـؤامرات محـاولاً الاسـتيلاء عـلى Ctesias العــرش، ولقــد اشرك ميجــابيزوس Megabyzus في مؤامرتــه، ولكــن ميجــابيزوس Megabyzus يقوم بفضح كل شيء على الملـك ستيسـياس Ctesias وفي روايـة جوسـتين Justin نجد أن باكاباسوس Baccabasus هو مـن يقـوم بكشـف المـؤامرة؛ ولـذلك فإنـه توجد روايات عديدة حول الطريقة التي مات بهـا أرتابـانوس 1 : Artabanus لقـد تـم إعدامه هو و أسباميثريس Aspamithres ستيسياس 2 . Ctesias يقوم أرتاكسركسيس Artaxerxes باستدعاء الجيش ويقتل أرتابانوس Artabanus بنفسه بعد أن تـم تجريـد أرتابــانوس Artabanus مــن دروعــه جوســتين Justin ، ثــم يقــوم أرتاكسركســيس Artaxerxes باعتقــال أبنائــه. 3 بعــد أن يــتمكن الأخ المتــآمر مــن جرحــه، يقــوم أرتاكسركسيس Artaxerxes بقتله بيديه العاريتين ديودورس Diodorus .

- تبعــاً لــديودورس Diodorus وجوســتين Justin ، يقــوم أرتاكسركســيس Artaxerxes بعد ذلك بحكم الإمبراطورية دون مواجهـة مزيـد مـن المشـكلات، وتبعـاً لستيسياس Ctesias فإن قتالاً ينشأ بـين المتـآمرين، حيـث ينشـأ بـين أبنـاء أرتابـانوس Artabanus مــن ناحيــة والفــرس مــن ناحيــة أخــرى، وقــد أصــيب ميجــابيزوس Megabyzus بجروح خطيرة، ولكنه ينجو ويشفى مـن هـذه الجـروح بفضـل الطبيـب اليوناني أبوللونيدس Apollonides ، وتنشأ ثورات أخرى في باكتريا بقيادة شخص آخـر اسمه أرتابانوس Artabanus أيضاً، ولكـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes يـتمكن مـن هزيمتهم، ويخضع إقليم باكتريا ستيسياس Ctesias الفقرة 31 .

وقبــل أن نمضي في الحــديث عــن شيء آخــر، فإننــا يجــب أن نــذكر أن أرســطو Aristotle هــو الآخــر قــام بتحليــل قصــة اغتيــال كسركســيس Xerxes

هذه في فقرة طويلة يتحدث فيها عن الأسباب التي قد تدفع شخصاً ما لاغتيال طاغية أو ملك: «وهكذا فقد تآمر أرتابانيس Artapanes ضد كسركسيس Xerxes وذبحه؛ وذلك خوفاً من أن يقوم باتهامه بشنق دارا Darius على خلاف ما أمره به، وكان لديه انطباع بأن كسركسيس Xerxes سوف ينسى ما قاله له خلال تناول الطعام، وأنه سوف يغفر له هذه المخالفة» بول الكتاب الخامس الفقرة 10. 1311 ب .

ومن الواضح أنه باستثناء اسم أرتابانوس Artabanus وتلك الإشارة إلى دارا Darius ، فإن رواية أرسطو Aristotle لا تشترك في أي شيء مع روايات المؤلفين الذين تم ذكرهم للتو، ولكنها توضح أنه كانت هناك روايات عديدة يتم تداولها حول هذا الحدث، وأن ذك قد ترك انطباعاً عميقاً في مخيلة اليونانيين .

وعلى أية حال، فمن الواضح أن روايات كل من جوستين Justin وديودورس Diodorus وستيسياس Ctesias قد تم بناؤها حول مجموعة من الأفكار الأدبية البطولية الشائعة: يحصل أحد المتآمرين رفيعو المنزلة على مساعدة شريك له في القصر، ثم يقوم بقتل الملك في سريره وهي الفكرة الأدبية التي استخدمها جوستين Justin مرتين ، ويقوم حليفه الرئيسى في القصر بخيانته جوستين Justin ، ستيسياس Ctesias ويتم قتله، وقد كان للنظام الملكي الكلمة الأخيرة، وتكررت هذه التركيبة عدة مرات، وإذا كان المتآمرون الذين كانوا يخططون لاغتيال أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني قد تمكنوا من الوصول إلى حجرة نومه، فإن ذلك يرجع جزئيًّا إلى أن ولي العهد نفسه قد ساعدهم على الدخول إليها، ويرجع جزئيًّا أيضاً إلى أنهم قد حصلوا على بعض المساعدات من الخصي الذي كان مقرباً من الملك بلوتارك Plutarch أرت الفقرة 29 ، وقد تكرر هذا أيضاً في حالة اغتيال كسركسيس Xerxes الثاني، والذي تم قتله بينما كان مخموراً في قصره، ومرة أخرى نجد ن المؤامرة قد تم تنظيمها من قبل المقربين إلى

الملك ستيسياس Ctesias الفقرة 45 ، وكما رواها ستيسياس Ctesias بطريقـة خياليـة مثله في ذلك مثل هيرودوت Herodotus ، يقول إن السبعة قد تسللوا حتـى وصـلوا إلى غرفة نوم كل مـن سـمرديس Smerdis / بارديـا Bardiya حيـث كـان ينـام هنـاك في أحضـان محظيـة بابليـة ، وذلـك بالتعـاون مـع أحـد أرفـع الخصـيين منزلـة والمسـمى بــ «بجاباتيس Bagapates » «والذي كان يحمل معه كل مفاتيح القصر» الفقرة 13 .

وتكرار هذه الفكرة الأدبيـة عـن قتـل الملـك في حجـرة نومـه هـي مثـار شـكوك، ويوجد هناك عنصر مشترك في هاتين القصتين عن مقتـل كـل مـن سـمرديس Smerdis ستيسياس Ctesias ، هـيرودوت Herodotus و كسركسـيس Xerxes : وهـو الـرقم «سبعة» وهو الرقم نفسه الذي أعطاه لنا جوستين Justin عـن عـدد أبنـاء أرتابـانوس Artabanus والذين كان عددهم ثلاثة في رواية ستيسياس Ctesias ، ومقتل المتآمر في رواية ديودورس Diodorus من خلال التقاتل رجلاً لرجل هو أيضاً من الأمور التـي لا نكـاد نصـدقها، ويشـير جوسـتين Justin إلى هــذا الأمــر أيضـاً، ولكنــه ذكــر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes اتخذ احتياطاته واستدعى الجيش بالكامـل، وأخـيراً فإنـه يجب أن نذكر أن ستيسياس Ctesias قام بتغليف القصة في صورة عرض طويل لقصـة الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Megabyzus ، وقد كانت الخيانات الزوجية التـي قامت بها زوجته أميتيس Amytis إبنة كسركسيس Xerxes هي السبب الذي دفعه للانضمام إلى هذه المؤامرة، والتي لعب فيها دور الشاجب والمدين قبـل أن يقـوم بـذلك التصرف البطـولي أمـام هـؤلاء المتـآمرين المسـلحين، ومـن الواضـح أن جوسـتين Justin قد حصل على إطار حكايتـه مـن روايـة ستيسـياس Ctesias ، ومـن الواضـح أن ذلـك الاسـم المفـاجئ بكاباسـوس Baccabasus هـو تهجـي أو كتابـة للاسـم «باجابوكسـا Bagabxsa » في شكل قريب من الصورة الفارسية له ونجد بالمثل هـذا الشـكل نفسـه

«باجابــازوس Bagabazus » في روايــة دينــون Dinon الموجــودة في أثينيــوس Athenaeus ، الكتــاب الثالــث عشر الفقــرة 609أ ، وذلــك عــلى خــلاف الشــكل «ميجــابيزوس Megabyzus » الــذي تنقلــه لنــا روايــة ستيســياس Ctesias نفســه وفوتيوس Photius .

وتكرار هذه الأفكار الأدبية لا يؤدي عـلى الفـور إلى وصـف كـل المعلومـات التـي ينقلها لنا هؤلاء الرواة بأنها غير صحيحة، ومما لا شك فيه أن الملك كـان عرضـة للخطـر عندما دخل إلى حجرتـه الخاصـة، ويشـير زينوفـون Xenophon في مـرات عديـدة إلى عدم ارتياح قورش Cyrus بخصـوص أمنـه الشـخصي: «فقـد أدرك أن الرجـال يكونـون عرضة للقتل بدرجة أكبر أثنـاء تنـاولهم الطعـام، أو معـاقرتهم الخمـر، أو في الحـمام، أو عندما يكونون نائمين في فراشهم، أكثر مما يكون عليـه الحـال في أي مكـان آخـر» قـورش Cyrus ، الكتاب السابع الفقرة 5-59، راجـع الكتـاب الثـامن الفقـرة 4-3 ، وفي الوقـت نفسه فإن التركيبة الروائية للنصوص القديمة تتطلب حذراً خاصاً من جانب المعلق.

اغتيال كسركسيس Xerxes : المشكلات المتصلة بتولي السلطة من بعده:

لا يوجد هناك سبب سابق يدفعنا للشك في المعلومـات التـي يـذكرها ديـودورس Diodorus ، فقد كان لدى كسركسيس Xerxes ثلاثة أبناء يفـترض أنهـم مـن زوجتـه أمستريس Amestris ، حيث إنه لا يوجـد مـا يشـير إلى أنـه كانـت لـه زوجـة رسـمية أخرى ، وذلك بالإضافة إلى أبنائه غير الشرعيين راجع هـيرودوت Herodotus الكتـاب الثــامن الفقــرة 103، ديــودورس Diodorus الكتــاب الحــادي عشر الفقــرة 60-5 ، وتبعاً لما يرويه جوستين Justin فلقد كان دارا Darius لا يـزال مراهقـاً أدوليسـنس وأن أرتاكسركســيس Artaxerxes لم يكــن ســوى مجــرد طفــل بــوير ، أمــا الابــن الثالــث هستاسـبيس Hystaspes فــلا بــد أنــه كــان أكــبر ســناً مــن أرتاكسركســيس

Artaxerxes ، حيث إنه كان مرزباناً على باكترا في ذلك الحين، وذلك على الرغم من أنه توجد أمثلة عديدة تشير إلى أن الابن الثاني كان من الطبيعي أن يحصل على وظيفة مرزبانية كتعويض له عن ولاية العهد، وهذا ما سوف يفسر بسهولة لماذا ثار هستاسبيس Hystaspes والذي يسميه ستيسياس Ctesias في روايته أرتابانوس Artabanus عندما تولى أرتاكسركسيس Artaxerxes السلطة، حيث إنه كان يعتقد أن له أحقية أكبر في الجلوس على العرش أكثر مما لأخيه الأصغر، ويوضح جوستين Justin أن دارا Darius كان قد تم اختياره كوريث رسمي للعرش كوماتوريوس رجنو بوتيريتور ، ولكن في الحقيقة لا يوجد لدينا تأكيد مباشر على أن دارا Darius كان هو الابن الأول ربما باستثناء الإشارة إلى ذلك ضمنيًّا في رواية أرسطو Aristotle بول 1311 ب ، و«القاعدة» التي حدثنا عنها هيرودوت Herodotus الكتاب السابع الفقرة 2 ، والتي تقول بأن الملك يجب أن يعين أو يختار وريثه قبل شن أية حملة لا يوجد لها أي أساس في هذا السياق أكثر مما كان لها في مسألة خلافة دارا Darius راجع الفصل 13-2 بأعلى ، ولم يذكر مؤلف واحد من المؤلفين القدامى أن كسركسيس Xerxes قد قام بتسمية وليّ للعرش قبل مغادرته على رأس حملته المتجهة إلى بلاد اليونان عام 480، ويذكر هيرودوت Herodotus أن كسركسيس Xerxes «قد منح صولجانه» إلى عمه وكلفه بالمهمة الآتية: «قم بحماية بيتي وممتلكاتي تيرانيس » الكتاب السابع الفقرة 52 ، وسيكون من المبالغة أن نتحدث عن اختيار الملك له كوليّ على العرش في هذه الحالة، وكما ذكرنا للتو، فإن السلطة الملكية كانت غير قابلة للتجزئة، أو يتم توكيل شخص آخر بها، وسواء كان الملك في أوروبا أو في سارديس، فقد استمر في حكم الإمبراطورية بشكل مطلق دون أن يشاركه أحد في ذلك، وبدلاً من ذلك فإنه من المحتمل أنه قد عهد إلى أرتابانوس Artabanus بمهمتين هما تنفيذ

الأوامـر التـي يتلقاهـا منـه الكتـاب الثـامن الفقـرة 54 ، والحفـاظ عـلى سـلامة بيـت كسركسيس Xerxes والتي لا تستخدم حرفيًّا في هذا السياق كمـرادف للإمبراطوريـة ، ولنهتدي بهـيرودوت Herodotus الكتـاب الثـامن الفقرتـان 103-104 نوثـوي ، فـإن الأبناء الشرعيين لكسركسيس Xerxes لم يرافقوه إلى بـلاد اليونـان؛ ربمـا لأنهـم كـانوا لا يزالـون صـغاراً للغايـة، ويحتمـل أنهـم ظلـوا في الـقصر الملـكي مـع أمهـم أمسـتريس Amestris ، وقد عُهِدَ إلى أرتابانيس Artabanes برعايتهم جميعـاً ويمكـن أن نتصـور حينها أن تسمية دارا Darius كولي للعهد تمت بعد عام 479 .

بالإضافة إلى ذلك فإن كل من جوستين Justin ومعه ديودورس Diodorus بصورة أوضح منه، يذكران أن المتـآمر أرتابـانوس Artabanus قـد خطـط للاسـتيلاء عـلى اللقـب الملكي أن سِبم رجني أدوكتـوس/ كـاي تـن باسـيليان أيـس هيتـون ميتاستيسـاي ، وذهـب أفريكانوس Africanus لما هو أبعد من ذلك في كتابة Pseudo-Manetho ، الجزء 70 = سنسيلوس ، حيث يذكر أن أرتابانوس Artabanus كان الملك السادس في الأسرة السـابعة والعشرين التي حكمت في مصر ، وأنه حكمها لمدة 7 شـهور، وإذا كانـت هـذه المعلومـة صحيحة فسوف يكون هذا هو المثال الوحيد في التاريخ الأخميني كله على تولي أحد الملوك للسلطة والذي لم يكن بطريقة أو بأخرى منتسباً للسلالة الأخمينيـة، وهـذا بـدوره سـوف يقودنا مرة ثانية للتقصي حول العلاقة المتضاربة بين الطبقة الأرستقراطية والأسرة الحاكمـة، ومـن الصـعب التأكـد مـن وجـود حـل لهـذه المشـكلة، ففـي الألـواح البابليـة نجـد أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes هـو مـن خلـف أبـاه دون أن يكـون هنـاك أي انقطـاع في التواصـل مـا بـين فـترتي حكمـيهما، وقـد مـات كسركسـيس Xerxes في بدايـة أغسـطس عـام 465، وخلفـه ابنـه أرسـيس Arses والـذي كـان اسـمه الملـكي هـو أرتاكسركسـيس Xerxes دون أن يكون هناك لوح واحـد يسـجل أي شيء عـن شـخص اسـمه أرتابـانوس

Artabanus ، وينطبق هذا الشيء نفسه على الوثـائق المصريـة، وغيـاب أي ذكـر عـن مغتصـب للعـرش في الألـواح البابليـة لا يعنـي أنـه لم تقـع أي اضـطرابات عقـب وفـاة كسركسيس Xerxes فعندما مات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول لم يظهـر اسـم أي من كسركسـيس Xerxes الثـاني أو سـوجديانوس Sogdianus في أيٍ مـن الألـواح البابلية أيضاً ، ولكن يبدو أن ذلك لا يشير إلى أنه لم يتم مطلقاً الاعتراف رسميًّا بمغتصب العرش المحتمل، وعلى الجانب الآخـر نجـد أن أيًّـا مـن جوسـتين Justin أو ديـودورس Diodorus أو ستيسياس Ctesias لم يقم برواية أي شيء عن مثل هذا الحدث، وعـلى العكس من ذلك نجد أن ستيسياس Ctesias يذكر أنه بعد اغتيال كل من كسركسـيس Xerxes ودارا Darius ابنـه «أصـبح أرتاكسركسـيس Artaxerxes هـو الملـك كـاي باسـيلياي أرتاكسركسـيس Artaxerxes »، وقـال ببسـاطة إنـه يـدين بـالعرش إلى «الحماسة المتقدة سبودي » لأرتابانوس Artabanus الفقرة 30 ، ولتلخيص ما سـبق، فإننا نميل بشدة إلى الاعتقاد بأن معلومة أفريكانوس Africanus تلك هي معلومـة لا يمكن تصديقها، ومن الصعب معرفة من أين جاء بهذه المعلومة، والتي تـذكرنا وبشـكل لافت للنظر بما قاله هيرودوت Herodotus عن المجوسي الذي تربع على عرش فـارس طيلـة سـبعة أشـهر الكتـاب الثالـث الفقـرة 67، يوسـيبيوس Eusebius في كتـاب Pseudo-Manetho الجزء 71 أ-ب ، وذلك باستثناء واضح، وهو أن حكم ذلك المجوسي المسمى «بارزيا Barzia » قد تم الإقرار به في الألواح البابلية .

ومن الصعب -إلى حد ما- تحديد الظروف والملابسات الحقيقية التي أدت إلى مصرع كسركسيس Xerxes ، وقد قدم ستيسياس Ctesias لنـا أرتابـانوس Artabanus عـلى أنـه كـان ابـن أرتاسـيراس Artasyras الهركاني، والـذي كـان أحـد الشخصـيات المـؤثرة جـدًّا خـلال حكـم قمبيـز

Cambyses الفقرة 9 ، والذي كانت له علاقة بمؤامرة السبعة في عام 522 الفقرة 14 ، وكان حاقداً على الأخمينيين خلال حكم دارا Darius ولقد توفي بعد وفاة سيده بفترة قصيرة الفقرة 19 ، وهذه الذكريات أو الاسترجاعات تصب بالكاد في مصلحة ستيسياس Ctesias ، حيث إنه استخدم الاسم نفسه للإشارة إلى هستاسبيس Hystaspes أحد أبناء كسركسيس Xerxes ، والشخص الوحيد المحتمل الذي يحمل هذا الاسم هو الحاكم أرتابانوس Artabanus الذي استقبل ثيمستوكليس Themistocles عقب وصوله إلى البلاط الفارسي بلوتارك Plutarch ، ثيمستوكليس Themistocles ، الفقرة 27-2 ، وعلى أية حال، فإنه يبدو من الملائم والمعقول أن ذلك الشخص المسمى أرتابانوس Artabanus الذي تتحدث عنه المؤامرة كان الملك قد كلفه فعلاً بذلك الأمر، حيث إنه كان كبير الحراس الشخصيين .

وإذا قمنا -على سبيل النقاش فقط- باستثناء فكرة أنه كان يعمل بمبادرة شخصية منه، فإن سلوكه هذا يجب أن يكون قد أتى في إطار الصراعات بين أبناء الملك على مسألة خلافة أبيهم، وسوف نذكر ببساطة أن أرتاكسركسيس Artaxerxes يظهر بصورة حسنة في كل القصص: فقد تمت تبرئته من أي اتهامات وقيل عنه إنه كان مجرد أداة يستخدمها أرتابانوس Artabanus ، وقد استخدم فكرة أدبية مألوفة في تبرير حصوله على السلطة، وهي الفوز في مبارزة فردية جوستين Justin ، وتم إلقاء الضوء نتيجة لذلك على براعته العسكرية نيبوس Nepos ، ريجيس، الفقرة 4-1 ، هل يمكن أن نستنتج من ذلك أن هذا العرض وهذه الصورة عن أرتاكسركسيس Artaxerxes هي نتيجة للدعايا السياسية التي تم نشرها بعد وصوله إلى السلطة والتي لا بد أنها قامت بتحويل المسؤولية بأكملها عن تلك الاغتيالات إلى أرتابانوس Artabanus الذي بادر الملك الجديد بإعدامه على الفور؟ راجع أيضاً

ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر الفقرة 71-1 ، ولـن يكـون هـذا هـو المثـال الأول من نوعه، ولكنه سوف يتضمن المزيد مـن المخـاطر، حيـث إنـه سـوف يـؤدي إلى صياغة قصة عاطفية ليست جديرة بالتصديق تماماً مثـل تلـك القصـة التـي حفظهـا لنـا المؤلفون اليونانيون .

ويؤكد هذا المشهد على أن مسألة الخلافة سوف تظل دائمـاً واحـدة مـن أصـعب المشـكلات في التـاريخ الأخمينـي، كـما يـتجلى لنـا ذلـك مـن العـدد المـذهل لحـوادث الاغتيالات الملكية التي وقعت في تاريخ هذه الأسرة، وتكرار تعرض الملك المتولي للسلطة لمحاولات القتل هذه يظهر مدى هشاشة السـلطة، عـلى الـرغم مـن كـل ذلـك الاحـترام والتوقير الذي كان يحيط بشخص الملـك الفصـول 6-8 ، وفي الوقـت نفسـه، فـإن هـذه المحاولات تشهد على الاضطرابات التي كانت تكتنف عمليـة الخلافـة وانتقـال السـلطة، وحتى الطرق التي كان يتم بها الاعتراف والإقرار بوليّ العهد تشتمل على عـنصر مـا مـن عدم التيقن أو عدم التأكد، والذي يمكن توضيحه بواسطة هذا السؤال البسيط: ما الذي كان سيحدث إذا مات كسركسيس Xerxes خلال حملته الأوروبية؟ في الحقيقة يسـهل إعطاء إجابة عـن هـذا السـؤال تؤكـد تمامـاً عـلى أن الملكيـة الأخمينيـة لم تكـن ملكيـة دستورية، فالحروب بين أفراد الأسرة المالكة كانـت شـائعة بالفعـل خـلال الفـترات التـي تسبق حزم مسألة الخلافة، وكانت ستشـتعل بـالرغم مـن الـدور الـذي يمكـن أن يكـون أرتابانوس Artabanus عم كسركسيس Xerxes قادراً عـلى لعبـه، ومـن المحتمـل أنـه لدرء هذا الخطر لم يكن الملك يكشف نفسه أبداً بالمحاربة في الصفوف الأمامية في المعركـة، ولكن لم يكن يستطيع أي قدر من الحيطة والحذر أن يجنب الملك كل المخاطر! .

11- تقييم:

مهما كان الوضع، فإننا لا نستطيع الحكم على عهد كسركسيس Xerxes من خلال الصعوبات التي قابلها مع أفراد الأسرة المالكة، ومن الأولى أيضاً ألا نسلم بما يقوله المؤلفون القدامى عن أن اغتياله كان عقاباً عادلاً من القدر لرجل كان متهماً بالتطرف وعدم الاعتدال، ولا يبدو أن سياسته تختلف اختلافاً جوهريًّا عن سياسة أبيه، وذلك على الرغم من أن الهزائم التي تعرض لها على الجبهة الغربية قد أدت بلا شك إلى حدوث انكماش في مساحة تلك الإمبراطورية التي تركها له دارا Darius ، ويجب أن نؤكد مرة أخرى على أن تلك الهزائم لم تكن من وجهة نظر السلطة المركزية في الإمبراطورية سوى مجرد انتكاسات مؤقتة، وأن كسركسيس Xerxes لم يتخلَّ قط عن فكرة إعادة غزو بلاد اليونان، ولأن التصور والفكرة العامة للقصر الموجود في برسيبولس Aipa والذي شرع في بنائه كسركسيس Xerxes وأكمله إبنه أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، تعود إلى عهد كسركسيس Xerxes ، فإننا نستشف من هذا القصر أنه -كما لو كان- يزعم بلوغ مدى لم تصل إليه الإمبراطورية قط حتى في عهد دارا Darius ، حيث نجد الملك الأكبر وقد ركب إفريزاً عليه أسماء البلاد التي تدفع له الجزية، وأسماء من حصلوا على هداياه، وقد وصل عدد الوفود المسجلة على هذا الإفريز إلى 30 وفداً، وعدد الموفدين إلى 300 موفداً في مقابل 180 موفداً مسجلين على إفريز أبادانا ، وهو العدد الذي يفوق كل الأعداد السابقة .

وعلى الرغم من مواجهة كسركسيس Xerxes لبعض القيود والتناقضات، إلا أنه تمكن من دعم وتعزيز سياسة استعمارية قوية ونشطة، كان الهدف منها ترسيخ النفوذ والسلطان الفارسي، وهي السياسة التي تضمنت أيضاً التودد والتماس العون من المؤيدين اليونانيين

وخاصة في آسيا الصغرى، وعلى الرغم من صعوبة تحديد تاريخ الأدلة الأثرية والأدلة المتمثلة في الصور والرسومات بشكل دقيق البلاطات الحجرية الفارسية-اليونانية، والدمغات، والطبعات ، إلا أنه يبدو أن فترة حكم كسركسيس Xerxes اتسمت بزيادة في عدد الفرس المنتشرين في أقاليم الإمبراطورية المختلفة، وفي مساحة الأراضي التي يمتلكونها، وهذا -على الأقل- هو الانطباع الذي نحصل عليه من البيانات التي جمعناها من آسيا الصغرى، وتحديداً من منطقة داسيليوم، والتي يبدو أنها كانت في ذلك التاريخ ذات أهمية أكبر مما كانت عليه في السابق .

وقد تم تقوية وتعزيز سلطة الملك الأكبر بدرجة أكبر من خلال الدعاية الأيديولوجية التي ربطت بين الدين أهورا-مازدا والعرش، وقربتهم من بعضهم البعض أكثر فأكثر عن طريق الإعلان والتصريح بأن الملك الأكبر هو المنظم للطقوس الفارسية، وعلى الرغم من أن التأكيد على الهوية «الفارسية» للإمبراطورية لم يكن شيئاً جديداً -إذا أردنا التحدث بشكل صحيح- إلا أنه يبدو أن مظاهر التأكيد على تلك الهوية قد ازدادت شدة وقوة، وتم إعطاؤها دَفعة جديدة، ولكن هذا الإصرار على الهوية الفارسية لا يعني أن كسركسيس Xerxes سعى لاضطهاد الأديان المحلية، أو إجبار الشعوب الخاضعة له على اعتناق الديانة المازدية، وعبادة الإله أهورا-مازدا، ويحتمل أنه قد تم نقل هذه الرسالة أولاً إلى الفرس، سواء الموجودين في بلاد فارس أو المنتشرين في أقاليم الإمبراطورية المختلفة بطريقة تهدف إلى جمع الطبقة الاجتماعية المسيطرة مع بعضها البعض بشكل أكثر قرباً؛ ولتلتف حول ملكها وتؤيدها.

الفصل الرابع عشر

الفترة من تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول السلطة وحتى وفاة دارا Darius الثاني

465 / 405-404

1- ملك بعد الآخر 465 :

مصادر المعلومات والمشكلات المتعلقة بها:

بداية من تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول للسلطة يواجه المؤرخ تناقصاً مستمراً في حجم الأدلة الروائية المتوافرة، ونجد أن ستيسياس Ctesias مهتم بتاريخ أسرة ميجابيزوس Megabysus أكثر من اهتمامه بعرض تاريخ الأسرة الحاكمة، حيث إن الإطار العام للأحداث التي ترويها لنا الفقرات من 30-43 يدور حول ميجابيزوس Megabysus وأبنائه بداية من مشاركته المتناقضة في تلك المؤامرة ضد كسركسيس Xerxes وحتى وفاة ابنه الأصغر زوبيروس Zopyrus الثاني بعد موت أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهكذا فمرة أخرى نجد أن أكبر قدر لدينا من المعلومات هو عن الشؤون المتصلة ببحر إيجة، ويرجع ذلك بوجه خاص إلى ديودورس Diodorus الصقلي وثيوسيديدس Thucydides واللذين تتبعا تطورات وتقلبات الصراع الفارسي-الأثيني من آسيا الصغرى حتى مصر، ويمكننا أيضاً بفضل الكتب التوراتية التي كتبها كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah أن نقوم بتحليل الوضع الداخلي الذي كان سائداً في إقليم يهودا في ذلك الوقت، مع تحفظ

واحد وهو أنه يبدو من المستحيل اليوم تجاوز العديد من الصعوبات التفسيرية، وهناك منطقتان تم توثيق الأحداث التي وقعت فيهما بشكل ممتاز، المنطقة الأولى هـي إقلـيم بابل، وقد تم حفظ الأحداث التي وقعت فيها بفضل السجلات التي تغطي أحد الأعمال شركـة موراسـو Murasu ، وتغطـي هـذه السـجلات فـترتي حكـم أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثـاني، والمنطقـة الثانيـة هـي مصر، وذلـك بفضـل الأدلة المكتوبة باللغة الآرامية، والتـي تـأتي بشـكل أسـاسي -ولـيس حصري- مـن جزيـرة فيلة، ولقـد حفظـت هـذه الأدلـة عـلى الجلـد، ويمكننـا مـن خلالهـا أن نفصـل مراسـلة للمرزبان أرساما Arsama 74062DAE ، ويمكن أن نضـيف أيضـاً أنـه للمـرة الأولى منذ بداية عهد دارا Darius الأول توجد لدينا إشارة عابرة عن الأحـداث التـي وقعـت في شرق إيران، وفي الوقت نفسه نجد أن عدد الوثائق التي حصلنا عليها مـن برسـيبولس شهدت تناقصاً وتضاؤلاً، وعلى الرغم من أن أعمال التنقيب عن الآثار التـي تمـت مـؤخراً قد قادتنا إلى إعادة تقييم الدور الذي لعبه أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول كمشيد، إلا أن التفسير التاريخي لنتائج أعمال التنقيب هـذه مازالـت تواجهـه بعـض المشـكلات والصعوبات .

وإلى حد ما باستثناء كون هذه الأدلة المتاحة متفرقة ومتجزئة، نجد أنهـا تثـير بعـض المشكلات والصعوبات، خاصة فيما يتصل بتحديد تاريخها بدقة، ويرجع تاريخ العديـد مـن الوثائق البابلية والآرامية إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ولكن لأن فترة حكـم كـل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كانت طويلـة للغاية، فإنه في الغالب يكون من المستحيل الوصول إلى تحديـد مطلـق للتـواريخ، وتنطبـق هذه الملاحظة أيضاً على بعض الوثائق البابلية التي تعود إلى عهـد دارا Darius الأول، وفي بعض الأحيان لا نجد سوى الأسماء الشخصية التي قد تعطينا بعـض التوضـيح؛ وذلـك لأنـه

في الغالب لا يزودنا علم الببليوغرافيا أو علم الإملاء بمعايير كافية، وتواجهنا صعوبات مشابهة عند التعامل مع النقوش اليونانية والآرامية في آسيا الصغرى التي تعود لعهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، حتى عندما تكون هذه النقوش عبارة عن مصادر تاريخية ذات أهمية قصوى، وينطبق هذا -على سبيل المثال- على النقش اليوناني الموجود في ساردیس، والذي يسجل إهداء أحد المسؤولين رفيعي المستوى في المرزبانية لتمثال، بالإضافة أيضاً إلى أحد النقوش الآرامية الموجودة في كليكيا، والذي يشهد على وجود مركز للسلطة الأخمينية في الجبال، ويمكن أن نضيف أن المؤلفين اليونانيين أنفسهم يبدو أنهم قد خلطوا -عن طريق الخطأ- بين اثنين من الأباطرة الثلاثة المسمين بأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وأن هذا الاحتمال بالذات قد تم اتخاذه كمبرر جزئي لهذا الجدل الذي لا ينتمي إلى التسلسل التاريخي وتحديد التواريخ الدقيقة للمهمات التي قام بها كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah إلى القدس .

مكانة الملك الأكبر الجديد:

كان تخلي الملك عن اسمه الخاص، واتخاذ الاسم الملكي أرتاكسركسيس Artaxerxes هو أحد أول الأعمال التي قام بها الملك الأكبر الجديد، وتشهد الدلائل على أنه كان أول من استحدث هذا التقليد، ويشير اختيار مثل هذا الاسم والذي يعني «الذي قام سلطانه اعتماداً على أرتا»، يبدو أنه يشير إلى رغبة الملك في تمجيد وإعلاء القيمة السياسية الدينية للحقيقة، وللولاء الملكي، كما فعل أبوه وجده من قبل، والتي من المحتمل أنه قد تم الترحيب بها بعد تلك الصعوبات التي مرت بها مسألة الخلافة، وبالمثل فإنه من الواضح أن نقوش الملك الجديد لم تتفوه بكلمة واحدة عن الصراعات الدامية التي مهدت طريقه إلى العرش، ويكرر أرتاكسركسيس Artaxerxes صيغ التكوين الخاصة

بأهورا-مازدا المعروفة من نقشى روستام، ومبانٍ أخرى سابقة، ويقدم نفسه ببساطة كما يلي: «أنا أرتاكسركسيس Artaxerxes الملك الأكبر، ملك الملوك، ابـن الملـك كسركسـيس Xerxes ، وحفيد دارا Darius الأخميني»، وفي الوقت نفسـه نجـد أنـه كـان حريصـاً على وضع أعماله الإنشائية في تواصل وتسلسل مع أعمال أبيه A1Pa ، راجع A1I ، ولقد أضفت الدعاية السياسية الصادرة عن البلاط عـلى الملـك الجديـد جميـع الفضـائل الملكيـة التقليدية، وقد حصلنا على فكرة عن الأثر الذي خلفته هذه الحملات الدعائيـة مـن خـلال الوصف الـذي قدمـه لنـا نيبـوس Nepos : «يعـرف «مـاكروخير Macrochir » أساسـه بشكله المهيب والوسيم والذي عزز من قـواه مـا أبـداه مـن شـجاعة لا تصـدق في الحـرب، حيث إنه لم يكن هناك أحد من بين الفرس يتفـوق عليـه في مهارتـه في اسـتخدام السـلاح» ريجيس 1 ، وقد كان بلوتـارخ Plutarch أيضـاً مسروراً بالتأكيـد مـن أن «أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول كان الأبرز من حيث نبله ودماثة خلقه من بين كل ملوك فارس» أرت، فقرة 1-1، راجع فقرة 4-4 ، ويشير ديـودورس Diodorus أيضـاً إلى صـفة الدماثـة هـذه مؤكداً على الإعجاب الكبير الذي كان يكنه الفـرس للملـك الجديـد الكتـاب الحـادي عشر، فقرة 71-2 ، ولقد قام بلوتارخ Plutarch مثل العديد من المؤلفين الآخرين بذكر أنه كـان يكنى بـ «صاحب اليد الطولى» ماكروخير Macrochir معطياً تفسـيره لـذلك بـأن «يـده اليمنى كانت أطول من يده اليسرى»، ويعلق أحد المؤلفين الآخرين وهو بولوكس Pollux على ذلك قائلاً: «تعني هذه الكنية صاحب السلطة التي تصل إلى حد بعيد»، وهـو التعبـير الذي يبدو أنه يتماشى أكثر مع التفكير الملكي الفارسي انظر فصل 5-3 ، وتظل الحقيقة هي أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes كـان عليـه أن يناضـل بقـوة لتعزيـز وتـدعيم سـلطته الجديـدة، ويـذكر بلوتـارخ Plutarch أن الملـك لم يـتمكن مـن تحويـل انتباهـه إلى

جبهة بحر إيجه مباشرة بعد توليه السلطة «حيث شغلته شؤون البلاد العليا» أنو، ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 31-3 ، ولحسن الحظ نجد أن ستيسياس Ctesias يقدم لنا العديد من التفاصيل المكملة عن هذه المرزبانيات العليا: «حيث أعلن إقليم باكترا والذي كان يحكمه شخص آخر اسمه أرتابانوس Artabanus ، أعلن انفصاله عن أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد تلت ذلك معركة كبيرة ولكنها غير حاسمة بين الطرفين، ومع مواصلة القتال هبت الرياح بما لا يشتهيه معسكر الباكتريين وقبل أرتاكسركسيس Artaxerxes المنتصر استسلام كل أجزاء باكتريا» فقرة 31 ، ومن المحتمل أن أرتابانوس Artabanus هذا لم يكن سوى هيستاسبيس Hystaspes أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes ، والذي كان في ذلك الوقت مرزباناً على باكترا، وذلك تبعاً لما يقوله ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 69-2 ، وهكذا فإن هذا الحدث إذا أردنا إعطاءه الوصف الصحيح لم يكن تمرداً لأحد الشعوب الخاضعة، ولكنه كان صراعاً بين أفراد السلطة المالكة، ولا بد أن هذا الانتصار قد عزز من سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes ، والذي أثبت بهذه الطريقة مدى جلده وقوته كمحارب جيد، وكمستعيد للنظام في الإمبراطورية وبين أفراد الأسرة المالكة .

ويذكر ديودورس Diodorus بعض الجوانب الأخرى لعملية إعادة التنظيم التي أجراها أرتاكسركسيس Artaxerxes عقب توليه السلطة: حيث إنه «قام أولاً بمعاقبة هؤلاء الذين اشتركوا في قتل أبيه، ثم عمد إلى تنظيم شؤون المملكة بحيث تتماشى مع وتناسب مصالحه الخاصة، وهكذا، ففيما يتصل بالأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب المرزبانات في ذلك الوقت، قام بطرد من لمس فيه اتجاهات معادية نحوه، وقام باختيار الأكفاء من بين أصدقائه وولاهم مكانهم» الكتاب الحادي عشر، فقرة 1071 ، ويذكر جوزيفوس Josephus أن الملك قام بتعيين قادة

27 مرزبانية من الهند حتى أثيوبيا أنت، الكتاب الحادي عشر، فقرة 185 ، ولكن هل كان هذا التصرف عرضيًّا وغير مقصود، أم أنه كان تركيبيًّا ويهدف إلى شيء ما؟ إن الانطباع العام الذي لدينا هو أنه كلما جاء حاكم جديد إلى السلطة، فإنه إما يؤكد ويعطي مباركته على سلطات المسؤولين الذين يشغلون مناصب عامة الآن، أو أنه يبطل هذه السلطات وينزعها منهم، وهكذا فإنهم يخدمون تبعاً لرغبته.

ولا تشير أية وثيقة أخرى إلى أن «التمرد» الذي قام به أرتابانوس Artabanus أو أن تلك الثورة التي قام بها هستاسبيس Hystaspes قد أدت إلى خلق حالة من التمرد، أو أن هذه الأحداث قد تسببت في تغيير مفاجئ في الأشخاص الذين يشغلون المناصب المرزبانية.

ويذكر بلوتارخ Plutarch في كتابه المعنون بـ «حياة ثمستوكليس Themistocles » فقرة 29-5 ، يذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes «قد أجرى تغييرات كبيرة في البلاط، وكذلك في الأشخاص المقربين من الملك»، ولقد كان الهدف الوحيد لبلوتارخ Plutarch من وراء هذا التعليق هو توضيح كيف أن ثمستوكليس Themistocles تمكن من الحصول على مكانة وحظوة غير عادية في البلاط، وكيف أن ذلك قد أثار غيرة وحقد النبلاء الفرس الموجودين في الحاشية عليه ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 5029-6 ، ومهما كان الوضع فإننا نميل إلى مقارنة هذه المعلومة مع ما يقوله بلوتارخ Plutarch في أجزاء أخرى عن أرتاكسركسيس Artaxerxes : «لقد كان أول من أصدر الأمر بأنه إذا قام أي شخص من رفاقه الذين يصاحبونه في رحلات الصيد برمي رمحه دون انتظار أن يرمي الملك أولاً، كان أرتاكسركسيس Artaxerxes أول من ابتكر هذا الشكل من العقاب لهؤلاء الذين ينتمون للطبقة الحاكمة هوي هيجيموني كوي الذين كانوا يرتكبون هذه المخالفة: بدلاً من أن يأمر بجلدهم وباقتلاع شعرهم من رؤوسهم، كانوا يقومون بخلع ملابسهم

الخارجية فتجلد، وخلع الباروكة التي يرتدونها فيتم نتفها واقتلاع الشعر منها، وفي أثنـاء ذلك كان يقوم مالكو هذه الملابس بالتوسل للملك طلباً للرحمة وهم يبكـون» موراليـا، فقرة 173د، فقرة 565أ .

ونجـد هـذه المعلومـة نفسـها وبـالكلمات نفسـها تقريبـاً في مؤلـف أميـانوس مارسلينوس Ammianus Marcellinus في فقرة كرسها للحـديث عـن دماثـة ولطـف أخلاق أرتاكسركسيس Artaxerxes «صاحب اليد الطولى»، حيث يقوم بالمقارنـة بينهـا وبين قسوة العقاب الذي كان ينزله ملوك الفرس الآخرين بخصـومهم الكتـاب الثلاثـين، فقـرة 8-4 ، ويمكـن أن نجـد بعـض الألـواح البابليـة التـي توضـح الأشـكال «الجديـدة» للعقاب الملكي .

وهكذا فإن هناك توافقاً نسبيًّا في الروايات التـي تتحـدث عـن هـذا التقليـد، ولكـن يجب أن نشير إلى بعض الإجراءات التي يتم نسبتها إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ويجب أن يتم عزوها إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، لاحظ عـلى وجـه الخصـوص أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد حكم بالإعـدام عـلى ميجـابيزوس Megabyzus للمرة الأولى؛ لأنه كان أول من أطلق سهماً عـلى حيـوان بـري أثنـاء إحـدى رحـلات الصـيد ستيسياس Ctesias ، فقرة 40 ، ومن المؤكد أن قصة ميجابيزوس Megabysus تشـتمل على سلسلة كاملة من الأفكار المبتذلة والموضوعات الملكية المتكررة موضوع صيد الأسـود على وجه الخصوص ، والتي لا بد أنها كانت تقع كلهـا خـارج التسلسـل التـاريخي، ولكـن من الصـعب تصـور لمـاذا قـام راوي القصـة بنسـبة هـذا العقـاب إلى ملـك معـروف عنـه قيامه بالتخفيف من صرامة الإجراءات المتبعة خلال رحلات الصيد الملكية، ومـن المحتمـل أن هـذا التعـديل ببسـاطة يعـود إلى عهـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني، ويؤكـد بلوتـارخ Plutarch بشـكل خـاص عـلى أنـه قـد قـام بـالتخفيف مـن صرامـة

القواعد التنظيمية المحددة للتقاليد المتبعة في البلاط أرت، فقرة 404-5، فقرة 5 ، وأنه قد بنى ذلك على سياسة مماثلة لتلك السياسة التي اتبعها أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول فقرة 4-1 .

وفي حين أنه لا يوجد أدنى شك في أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد قام بإعادة تعريف التسلسل الهرمي للمكانات في البلاط، إلا أنه من الصعب استنتاج تفسير سياسي معين لذلك، ونميل من الوهلة الأولى للاعتقاد بأن التغيير في شكل العقاب هو دلالة على التخفيف من حدة التقاليد المتبعة في القصر، وأيضاً كإشارة على صياغة علاقة جديدة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes وبين طبقة النبلاء الفرس، والتي يمكن أيضاً تفسيرها على أنها علامة على ضعف مكانة الملك الجديد، ولكن يجدر بنا التأكيد على أن العقوبات التي يتم إصدارها على النبلاء هي جادة إلى حد ما، حيث إنها تتعلق بالأزياء، وتسريحات الشعر وباروكات الشعر والتي هي رموز تشير إلى التميز الاجتماعي والقرب من الملك، وإذا أضفنا أنه من المؤكد أن هذه العقوبات كان يتم تطبيقها علناً أمام الناس، فيتجلى لنا أن هؤلاء النبلاء لم يكونوا لينظروا لمثل هذه الإجراءات على أنها تنازل حقيقي من الملك، والذي ظل في كل الأحوال مصدر القانون والعدالة راجع بلوتارخ Plutarch ، أرت، فقرة 23-5 .

أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول في برسيبولس:

وفي الوقت نفسه، فإن الألواح تزودنا بأدلة على مواصلة العمل في برسيبولس في الفترة بين صيف عام 464 PT 76-77 وعامي 460-459 PT 79 ، وهو التاريخ الذي توقفت عنده الألواح الإيلامية، وتبعاً للتسلسل التاريخي المتفق عليه فإن آخر النقوش الآرامية الموجودة على بعض الآنيات الحجرية تعود إلى عامي 431-432، ويؤكد أحد النقوش الذي تم اكتشافه على قطعة من إحدى الأواني الفضية، يؤكد وجود أنشطة في الورشة الملكية في برسيبولس A1I ، وتوضح الألواح المتوافرة المدى

الذي وصلت إليه أعمال التشييد، حيث إنه على سبيل المثال حصل 1149 من الحرفيين على مؤن وجرايات في الموقع في الفترة ما بين عامي 459-460 PT 70 ، ولقد أكدت الحفريات التي تم إجراؤها مؤخراً تصريحات الملك التي يزعم فيها أنه أكمل الأعمال التي كان قد بدأها أبوه كسركسيس Xerxes A1Pa ، ونحن نعرف الآن أنه قد أكمل القصر ح ، بالإضافة إلى ذلك فإن أحد النقوش التأسيسية المكتوبة باللغة البابلية توضح أيضاً أنه هو من شيد «قاعة المائة عمود».

وبشكل أساسي نجد أن النقوش والحلي البارزة المركبة على المباني التي تم تشييدها في عصره تكرر الشكل نفسه، والرسالة نفسها مثل تلك النقوش والحلي المركبة على المباني التي تعود لعهد أسلافه، ولكن مع العديد من التعديلات الجديرة بالذكر، ونجد موضوع موكب البلاد التي تدفع له الجزية والأشخاص الذين قدموا له الصنائع، نجده على سلم القصر ح ، ولكن عدد الوفود المسجلة عليه هو أكبر مما كان عليه العدد المسجل على أي من المباني التي شيدها دارا Darius أو كسركسيس Xerxes ، ونجد على أبواب «قاعة المائة عمود» صورة بارزة تصور البطل الملكي وهو ينتصر على حيوان مركب شميت Schmidt، 114-117 ، وأيضاً نجد الملك جالساً على العرش، يسانده 28 ممثلاً من الشعوب الخاضعة له Pls 96-99 ، ونجد أيضاً أربع نسخ لمشهد للجمهور، ولكن يختلف تركيبه عن تركيب ذلك المشهد الذي كان يزين في الأساس اللوح المركزي في الأبادانا التي أنشأها دارا Darius ، ويتمثل الاختلاف -على وجه الخصوص- في أن الملك لم يعد يرافقه ولي العهد والذي كان يظهر خلفه عادةً، ولكننا نرى هنا فقط حامل المظلة واقفاً خلف العرش، Pls 103-107 ، شكل 22 ص219 بأعلى .

وإنه من الصعب جدًّا أن نعطي تفسيراً سياسيًّا لهذه التغيرات، ولم

يثبت أيضاً بشكل قاطع أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان في الحقيقة هـو المسـؤول عن نقل الصورة الوسطية البارزة التي كانت موجـودة عـلى السـلالم الشـمالية والغربيـة للأبادانا إلى الخزينة حتى ولو كانت هذه النظرية تجذبنا لما تشـير إليـه مـن تضـمينات سياسية، وتحديداً أن الملك الجديد لا بد أنه استحسن اختفاء صورة أخيـه دارا Darius من جوار عرش أبيه كسركسيس Xerxes ، ولكن من هـو الشـخص الـذي تـم تصـويره جالساً على عرش أرتاكسركسيس Artaxerxes في مشهد الجمهور في الخزانة؟ هـل هـو في الحقيقة كسركسيس Xerxes ؟ أم دارا Darius الأول أو أحد أفـراد الأسرة المالكـة الآخرين الذي تم جعلـه مجهـولاً؟ وهـانحن الآن تواجهنـا حزمـة ضـيقة مـن تفسـيرات الصور يمتلك كل منها بعض عناصر التصـديق، ولكـن لا يمكننـا تصـديق أيٍ منهـا بشـكل كامل، ويضفي كل هذا بعض الشكوك حول الترابط الكـلي للمناقشـة، وبـالنظر إلى هـذا القدر من الشكوك الذي لا يزال لـدينا، فإنـه سـيكون مـن غـير الحكمـة أن نفـترض أنـه ابتداءً مـن عهـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول فقـدت مدينـة برسـيبولس الـدور السياسي الذي تم إعطاؤه لصوصاً في هذه النظرية، والذي هو مناقض للواقـع، حيـث إن الملك الجديد لا يبدو أنه قد قام بأعمال إنشائية في أي مكان آخر على أثر ما قـام بـه في برسيبولس، ونحن نعرف ببساطة من أحد نقوش دارا Darius الثاني أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول قـد بـدأ في بنـاء قصر في صوصـا D2sb ، وتوضـح أحـد نقـوش أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول لم يكلـف نفسه حتى بالقيام بإعادة بناء الأبادانا الذي كان قـد بنـاه دارا Darius الأول، والـذي كان قد تعرض للتدمير نتيجة حريق شب به في عهده A2Sa .

2- الثورة المصرية الفترة ما بين عامي 454-464 :

ثورة إناروس Inarus والتدخل الأثيني:

بعد الانتصار في إقليم باكتريا، وجد أرتاكسركسيس Artaxerxes أن التهديد الأخطر لسلطته الإمبراطورية يأتي من الغرب وخاصة من مصر راجع بلوتارخ Plutarch ، ثمستوكليس Themistocles ، فقرة 31-4 ، والحقائق التي نعرفها عن هذه الثورة تأتي أساساً مما كتبه كل من ديودورس Diodorus وثيوسيديدس Thucydides ، وتتسم رواية ستيسياس Ctesias بسلسلة من الأفكار المتكررة والأسماء والتواريخ غير الممكنة فقرات 32-35 ، وتبعاً لديودورس Diodorus فإن توارد الأنباء عن اغتيال كسركسيس Xerxes وحالة الاضطراب السياسي التي تلت ذلك حفزت المصريين على محاولة استعادة حريتهم، وقد كان أول الأفعال التي قاموا بها، والتي تدل على الثورة هو قيامهم بطرد جباة الجزية من الفرس وإضفائهم لسلطة الملك على شخص ليبي اسمه إناروس 462-463 Inarus ، ولقد واجه إناروس Inarus هذا بحشد تم تجنيد أفراده من المصريين والليبيين ودعمه بالمرتزقة من كل حدب وصوب، ولقد كان إناروس Inarus مدركاً لعدم التناسب في ميزان القوى بينه وبين الفرس، فأرسل سفيراً إلى أثينا وخوله السلطة للتفاوض باسمه على عقد تحالف معهم سيماخيا ، وأن يعد الأثينيين بالفوائد والمكاسب المستقبلية الكثيرة التي سوف تعود عليهم من ذلك، ووعدهم حتى بمشاركته في السيطرة على مصر كويني باسيليا ، وقد رد الأثينيون بحماس على طلب إناروس Inarus ، وسرعان ما أرسلوا أسطولاً إلى النيل الكتاب الحادي عشر، فقرة 3071-6 ، ويمدنا ثيوسيديدس Thucydides بالتفاصيل التالية: «وفي هذه الأثناء قام إناروس Inarus ابن أبسماتيك Psammetichus الملك الليبي على الليبيين الذين يسكنون على الحدود المصرية، والذي كان مقر حكمه في مدينة ماريا التي تقع في

فاروس، قام بثورة على الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes اشتركت فيها مصر كلها تقريباً، ونصب نفسه قائداً عليها، وقد قام بدعوة الأثينيين لمساعدته، فتخلى الأثينيون عن إحدى الحملات التي كانت موجهة نحو قبرص، والتي كان لهم فيها ولحلفائهم 200 سفينة، وقد أبحروا حتى وصلوا إلى مصر، ثم أبحرت سفنهم عبر النيل، وتمكنوا من السيطرة على ثلثي البلاد، وأعدوا نفسهم لمهاجمة الثلث المتبقي والذي كان يسمى الجدار الأبيض، والذي كان يحتمي بداخله الفرس والميديون والمصريون الذين رفضوا الانضمام إلى الثورة» الكتاب الأول، فقرة 104 .

ويذكر ديودورس Diodorus أن الفرس احتموا بحصن منف بعد هزيمتهم، ولإخماد هذه الثورة، قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بإرسال جيش تحت قيادة أخمينيس Achaemenes «ابن دارا Darius ، وعمه» الكتاب الحادي عشر، فقرة 1-74 ، وهو الشخص نفسه الذي كان كسركسيس Xerxes قد ولاه مرزباناً على مصر بعد ثورة عام 484-486 هيرودوت Herodotus الكتاب السابع، فقرة 7 ، ولقد قام إناروس Inarus مدعوماً بالفرق الأثينية بتحقيق النصر على الفرس في مدينة بابريميس Papremis في الدلتا، وقد لقى أخمينيس Achaemenes مصرعه هناك هيرودوت Herodotus ، الكتاب الثالث، فقرة 12، الكتاب السابع، فقرة 7، ديودورس Diodorus ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 74 1-4، راجع ستيسياس Ctesias فقرة 32 .

وتتميز رواية ثيوسيديدس Thucydides بأنها قامت بوضع هذه الثورة في الإطار الأوسع للسياسة الأثينية، وعلى الرغم من أنه في اليونان نفسها، كان الخلاف والشقاق عن إسبرطة قد أصبح نهائيًّا، وأخذت دائرة المطالبين بشن الحرب تتزايد بشكل مستمر، إلا أن أثينا استمرت في القيام بعملياتها البحرية، ويتضح هذا من قائمة الجنود

الأثينيين الذين قتلوا في عامي 459-460 في مناطق بعيدة عن مدينتهم موزعة بين اليونان وقبرص وفينيقيا ومصر ML33 ، وآخذاً في الاعتبار الوضع الدولي الجديد قام أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي كان منشغلاً بإعداد جيش جديد -في خطوة معقولة- بإرسال ميجابيزوس Megabysus إلى إسبرطة محملاً بالمال «ليقوم برشوة البلوبونيزيين لغزو أثينا، وبهذه الطريقة سيدفعون الأثينيين إلى الانسحاب من مصر» ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول فقرة 109-2، راجع ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 74-5 ، ولم تأتِ هذه الجهود بالنتائج المتوقعة منها، فقد تم إعداد وتدريب الجيش الفارسي والأسطول في كليكيا وقبرص وفينيقيا، وانطلق في موكب تحت قيادة كل من ميجابيزوس Megabysus وأرتابازوس Artabazus ، وفي خلال هذا الوقت واصلت الحامية الفارسية صمودها في منف، بينما واصل الأثينيون وحلفاؤهم تدريباتهم واستعداداتهم، ولكن ثيوسيديدس Thucydides كان متحفظاً جدًّا في ذكر أية معلومات عن طبيعة أو مدى هذه التدريبات الكتاب الأول، فقرة 109-1 ، ولقد وصل الأسطول الفارسي إلى منف عن طريق النهر والبحر وكسر الحصار، وسرعان ما عم الشقاق العلاقات بين المصريين والأثينيين، وانتهى الأمر باستسلام المصريين واقتنع الأثينيون بضرورة عقد هدنة مع ميجابيزوس Megabysus ، والذي سمح للبعض منهم بالعودة إلى بلاد اليونان عبر الصحراء الليبية، وسرعان ما وصلت الكارثة التي تعرض لها الأثينيون إلى ذروتها عندما قام الفرس بمفاجأة مجموعة من سفنهم عند المدخل المؤدي إلى المصب المنديزي Mendesian للنيل، وتم تدميرها بالكامل تقريباً: «ولقد كانت هذه هي نهاية الحملة العظيمة التي شنها الأثينيون وحلفاؤهم على مصر» ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الأول، فقرة 110-4 ، ولقد

دامت تلك الحملة ست سنوات من عام 460-454، الكتاب الأول، فقرة 110-1 .

خصائص وتبعات هذه الثورة: مصر الفارسية ومصر المصرية:

يذكر ثيوسيديدس Thucydides أن النجاح الأول الذي حققه الأثينيون مكنهم من أن يصبحوا «أسياد مصر» الكتاب الأول، فقرة 109-2 ، ولا يوجد ما يثبت صحة هذا الإدعاء، حيث إن إناروس Inarus نفسه لم يتمكن من السيطرة سوى على جزء من مصر الكتاب الأول، فقرة 109-1 ، ولا يوجد أي أثر على التمرد سوى في الدلتا، وعلى سبيل المثال قام الفارسي المسمى أرياوراتا Ariyawrata في عام 461 بعمل أحد النقوش في وادي الحمامات، وأرخه كما يلي: «السنة الخامسة من فترة حكم ملك مصر العليا والسفلى، سيد البلد المزدوجة، أرتاكسركسيس Artaxerxes أطال الله عمره إلى أبد الآبدين، محبوب الآلهة» بوسنر Posener ، رقم 31 ، ونعرف عن نقوش مماثلة أخرى تم حفرها في السنوات التي تلت هذه الأحداث أرقام 32-33 ، وكذلك أيضاً لا توجد أية إشارات عن حدوث اضطرابات يمكن أن نستشفها من أوراق البردي المكتوبة باللغة الآرامية التي تم اكتشافها في فيلة، والتي تعود إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes .

وفي الواقع فإن هذه الثورة كانت منحصرة في الدلتا، ولقد حرص إناروس Inarus على تقديم نفسه على أنه ابن أبسماتيك Psammetichus ، والذي كان قد قدم برنامجاً يهدف إلى استعادة استقلال مصر إلى الوضع الذي كانوا يمثلون علامات ظاهرة ورموزاً للخضوع للفرس، ولكنه قام أولاً بتدعيم مركزه في القواعد الليبية قبل أن يطأ غرب الدلتا، وهكذا فإن التمرد الذي قام به كان الأخير في سلسلة طويلة من الأسر الملكية الليبية التي حكمت مصر، بالإضافة إلى ذلك، فمن الواضح أنه كان يدرك أنه في الظروف الحالية كان الهدف

الأسمى للأثينيين هو «الإضعاف من منزلة ومكانة الفرس بقدر الإمكان» ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-5 ، ولكنه لم ينجح أبداً في الفوز بولاء كل المصريين له، ولقد رأينا أنه بالرغم من طول مدة الحصار، وبالرغم من النجاحات التي حققها الأثينيون، إلا أن الفرق العسكرية المصرية التابعة للفرس ظلت على ولائها لهم في حصن الجدار الأبيض في منف الكتاب الأول، فقرة 104-2 ، ولقد ذهب إناروس Inarus إلى حد أنه وعد الأثينيين بنوع ما من تشارك السلطة والسيطرة على مصر ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-4 ، ونظراً لهذه الاعتبارات فإنه من المستحيل اعتبار هذه الثورة تعبيراً عما يعرف عادة بـ «الوطنية المصرية»، ومن المحتمل أن الوعود التي قطعها إناروس Inarus على نفسه للأثينيين لم تفعل شيئاً سوى أنها قامت بإبعاد وتنفير عدد معين من المصريين عنه، وفي نهاية الأمر قاموا بخيانة إناروس Inarus وسلموه إلى الفرس، والذين قاموا بصلبه الكتاب الأول، فقرة 110-3 .

وتكشف الأحداث أيضاً عن وجود فجوات في السيطرة الإقليمية الفارسية، حيث يكتب ثيوسيديدس Thucydides أنه بعد الانتصار الفارسي «عادت مصر للخضوع مرة أخرى إلى الملك»، ولكنه يضيف هذا التحفظ المهم: «باستثناء أميراتيوس Amyrataeus ملك المستنقعات، والذي عجزوا عن القبض عليه بسبب بعد المستنقعات؛ ولأن سكان المستنقعات كانوا هم الأكثر ولعاً بالقتال من بين كل المصريين» الكتاب الأول، فقرة 110-2 ، وفي الحقيقة فنحن نعرف أن خيرة جنود مصر كانوا يأتون من مقاطعات نومات الدلتا الكتاب الثاني، فقرات 164-165 ، ولقد أصبح حكام المستنقعات هؤلاء جزءاً من التسلسل الطويل لحكام مصر الذين حكموها منذ بداية تاريخها، وتبعاً لكل من هيرودوت Herodotus الكتاب الثاني، فقرة 152 ، وديودورس

الكتاب الأول، فقرة 66 ، فـإن أبسـماتيك Psammetichus الأول نفسـه تـم نفيـه إلى المستنقعات، وأنه تمكن من استعادة سلطته بمساعدة مرتزقة من سـكان إقليمـي أيونيـا وكاريا، ولقد كانت هذه هي الاستراتيجية نفسها التي لجأ إليها إناروس Inarus ، ومن بـين المكاسـب والمميـزات الكبـيرة التـي لاحـت أمـام الأثينيـين ديـودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-4 ربما أنها كانت وفرة قطع الأرض في مصر مقارنة بتلك التي كان أبسماتيك Psammetichus قد وزعها على المرتزقة الأيونيين والكاريين عقـب انتصاره» هيرودوت Herodotus الكتاب الثاني، فقرة 154 .

ومن الواضح أنه عقب وفاة إناروس Inarus احتفظ بالسـلطة مـن بعـده ملـك آخر من ملوك المستنقعات وهو أميراتيوس Amyrataeus ، ولم يحاول الفـرس هزيمتـه أو القضاء عليه نظراً للصعوبات العملية التي ستقابلهم إذا ما حاولوا ذلك، ويحتمـل أن أميراتيوس Amyrataeus هذا هو المصري الآخر الذي -كما يقول ستيسـياس Ctesias فقرة 32 - قد ثار في الوقت نفسه الذي ثار فيه إناروس Inarus ، وتظل الحقيقة هـي أن نسل إناروس Inarus لم ينقطع مع وفاته، حيث إنـه في عـام 444-445 قـام ملـك آخر اسمه أيضاً أبسماتيك Psammetichus بإرسال شحنات من القمح إلى أثينا مشـيراً إلى أنه في ذلك الوقت كان يسيطر على أراضي زراعية غنية في الدلتا، ولقد تكرر الموقـف نفسه في عام 412 ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرة 35-2 .

وهكذا تظهر الأحداث التي وقعت في عهـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes إلى أن الفرس لجأوا إلى خطة غير منتظمة إلى حد بعيـد لاحـتلال أراضي مصر، ولقـد كـان همهـم الأول الإبقاء على ممرات نهرية مفتوحة تربط بين منف والبحر، وعلى أية حال، فإن هـذه كانت هي ملاحظة هيرودوت Herodotus عنـدما زار مصر بعـد الثـورة بـبعض الوقـت

راجع الكتاب الثالث، فقرة 12 : «حتى هذا اليوم يقوم الفرس بفرض حراسة مشددة على هذا المرفق الذي بكونه النيل هنا، والذي تنتقل عنده المياه إلى قناتها الجديدة، حيث كان يقوم الفرس بتقوية السد كل سنة؛ لأنه إذا حدث أن دمرته مياه النهر فسوف تغمر المياه منف بالكامل» الكتاب الثاني، فقرة 99 ، وهكذا نجح الفرس من خلال فرض سيطرتهم على الأسطول النهري المصري في منع أي ثائر من أن يستغله ضدهم راجع ديودورس Diodorus الكتاب السادس عشر، فقرة 6047 ؛ ولأنهم تعاونوا مع المهندسين المصريين، فلقد كانوا في موقف مكنهم من استخدام القنوات والسدود ضد المتمردين ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 110-4 ديودورس Diodorus ، الكتاب الحادي عشر، فقرة 77-1 ، وأخيراً، فقد مكنت الحاميات المتمركزة في مصر الفرس من الإبقاء على الطريق إلى فلسطين مفتوحاً، بالإضافة إلى مصبي النيل على البحر المتوسط واللذين كانت السفن الحربية وسفن النقل الفارسية تسافر عبرهما بحرية تامة، ولقد أدرك الفرس أنهم عاجزين عن فرض سيطرتهم المباشرة على غرب الدلتا أو ربما أنهم أرادوا فقط مواصلة سياستهم التقليدية ؛ ولذلك تخلوا عن فكرة الاستعمار العسكري، ومن المحتمل أن هذا هو ما تشير إليه ملاحظة هيرودوت Herodotus فيما يتعلق بالملوك المصريين: «حيث إن الفرس كانوا معتادين على معاملة أبناء الملوك باحترام وتبجيل وحتى ترد إلى أبنائهم عروش هؤلاء الذين ثاروا ضدهم، وهناك العديد من الأمثلة التي يمكن أن نستنتج منها أن مثل هذا النوع من الكرم لم يكن معتاداً في بلاد فارس، وأحد الأمثلة الواضحة هو حالة تانيراس ابن إناروس Inarus الليبي الذي سمحوا له بأن يخلف أباه، وأحد الأمثلة الأخرى هو بوسيريس ابن أميراتيوس Amyrataeus ، والذي أعيدت له أيضاً مملكة أبيه، وهذا كله على الرغم من حقيقة أن إناروس Inarus وأميراتيوس

Amyrataeus كانا أكثر مسبب للمشكلات والاضطرابات والخسائر للفرس الكتاب الثالث، فقرة 15 ، وبمعنى آخر فعقب قيام الفرس بإعدام إناروس Inarus لم يحاولوا تشريد ابنه، ومن الواضح أن مطلبهم في مقابل ذلك هو موافقته على عدم الثورة ضدهم، وألا يحاول توسيع رقعة الأراضي التي تم تخصيصها له، وإلى حد ما كانت ملك عميل للفرس، كما كان الحال مع أميراتيوس Amyrataeus وابنه، وبالإضافة إلى الالتزامات الأخرى، فلقد طلب منهم إرسال جنود المستنقعات المشهورين، والذين يسميهم هيرودوت Herodotus الهرموتيبيين Hermotybians والكالازيريين Calasirians للملك الأكبر الكتاب الثاني، فقرات 164-165 ، ولقد شارك هؤلاء الجنود في حملة عام 480، وتم ضمهم حتى ضمن جنود «الإيبيباتيس» البحرية في جيش الصفوة الذي تركه كسركسيس Xerxes لماردونيوس Mardonius الكتاب التاسع، فقرة 320 ، ومن المؤكد عمليًّا أن هذا النظام كان معمولاً به منذ غزو قمبيز Cambyses لمصر، ودعونا نؤكد على أن إناروس Inarus في الحقيقة تتم الإشارة إليه كملك ليبي، والذي كان «ملكاً على الليبيين الموجودين على الحدود المصرية» ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 104-1 .

وفي الحقيقة فإن معاصرات الجيش الفارسي عندما انسحب من مدينة قورنائية في عام 513 توضح أنه حتى في ذلك الوقت «لم يكن معظم الليبيين في الفترة التي أكتب عنها يأبهون بملك فارس أكثر مما يأبهون به اليوم» هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع، فقرة 197 .

ولقد عمل هذا النظام لمصلحة الفرس لعقود عديدة، حيث إنهم من ناحية أبقوا على العديد من الملوك المتزامنين متبعين بذلك طريقة كانوا قد طبقوها في أجزاء أخرى من إمبراطوريتهم راجع بلوتارخ **Plutarch** أرت، فقرة 5024-9 ، ومن ناحية أخرى لأنه لم يكن بإمكان ملوك الدلتا

بمفردهم السيطرة على الممرات المائية أو على منف، وحتى وصول الأثينيين فإن حالة عدم الاستقرار التي كان إناروس Inarus يحرض عليها ويحاول إشعال فتيلها لم تكن قد انتشرت بعد، وعلى الجانب الآخر نجد أن هذه الاستراتيجية الفارسية كانت لها مخاطر هائلة، والتي تجلت بمجرد أن حصل ملوك المستنقعات على الدعم من دولة مثل أثينا، والتي كان بإمكانها إرسال أسطول قادر على الإبحار في النيل حتى يصل إلى مقر السلطة الفارسية راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 104-2 ، وكما حدث بعد ذلك بسنوات قليلة فقد توجهت مجموعة من السفن الأثينية للدلتا مرة أخرى استجابة لطلب من أميراتيوس Amyrataeus «ملك المستنقعات» الكتاب الأول، فقرة 112-3 ، وبمعنى آخر فإن المحافظة على السيطرة الفارسية على مصر اعتمدت بدرجة كبيرة على مدى مقدرة الأسطول الملكي على فرض تلك الحماية، وللتعامل مع مثل هذه الظروف، تمكنت السلطة المركزية من حشد الرجال والعتاد من الشعوب الشامية الخاضعة لها الكليكيين، القبارصة، الفينيقيين ، وقد استفاد الفرس أيضاً من تعدد الجبهات التي كان يحارب فيها الأثينيون، والذين كانوا مهتمين بدرجة أكبر بالعمل على إضعاف أرتاكسركسيس Artaxerxes ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 71-5 أكثر من اهتمامهم بغزو مصر، وقد كانت هذه الدوافع بالضبط هي نفسها ما دفع الحامية الفارسية التي كانت تحت رئاسة أرتابازوس Artabazus لفعل ما فعلته في شبه جزيرة البلوبونيز، ومنذ ذلك الحين حاول أرتاكسركسيس Artaxerxes ومن خلفوه الاستفادة من هذا الوضع الجديد الناشئ عن الشقاق الذي حدث بين أثينا وإسبرطة.

وتظل الحقيقة هي أن الاستراتيجية التي اتبعها الملك الأكبر في مصر مثلت نجاحاً مهماً له، وتبعاً لستيسياس Ctesias فقبل مغادرة مصر ترك ميجابيزوس Megabysus سارساماس Sarsamas هناك كمرزبان عليها

فقرة 35 ، ونميل للاعتقاد بأن هذا الشخص هو نفسه أرساما Arsama الذي تتحدث عنه العديد من الوثائق الآرامية، وتذكر أنه كان مرزباناً على مصر في عهد دارا Darius الثاني، وباستثناء محاولة جديدة غير ناجحة قام بها أميراتيوس Amyrataeus ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 112-3 ، ظلت مصر هادئة خلال فترة حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول.

3- شؤون إقليم عبر الفرات:

أرتاكسركسيس Artaxerxes وميجابيزوس Megabysus :

تشكل هذه الأحداث التي وقعت في مصر الإطار التاريخي لقضية ميجابيزوس Megabysus الغامضة، والتي سيقوم ستيسياس Ctesias بروايتها بتفصيل شديد في قصة إطارها كالتالي: فلقد كانت أمستريس Amestris والتي خلط ستيسياس Ctesias بينها وبين أميتيس Amytis غير راضية عن الاتفاق الذي تم بين ميجابيزوس Megabysus وإناروس Inarus واليونانيين الذين كانوا يعملون في خدمته فقرة 34 ، حيث إن هدفها الوحيد كان يتمثل في جعل الملك يعاقب قتلة ابنها أخمينيس Achaemenes ، ولقد نجحت في تحقيق هذا الهدف بعد ذلك بخمس سنوات: حيث تم صلب إناروس Inarus ومعه خمسين يونانيًّا آخر فقرة 36 ، ولقد أصاب ذلك ميجابيزوس Megabysus بالذهول الشديد، وحصل على إذن الملك في مغادرة البلاط والإقامة في سوريا، والتي أشار إليها كـ«أرضه» هي هيتو خورا ، وبمساعدة المرتزقة اليونانيين الذين كان إناروس Inarus قد جلبهم، والذين قام هو باستئجارهم، أعلن انفصاله عن الملك مدعوماً بولديه زوبيروس Zopyrus وأرتيفيوس Artyphius ، ولقد قامت قواتهم بهزيمة جيشين متتاليين أرسلهم أرتاكسركسيس Artaxerxes هزيمة منكرة، وقد كان يقود الجيش الأول

أوزيريس Usiris ، أما الثاني فكان يقوده مينوستانيس Menostanes ابن أخو الملك فقرات 37-38 ، ولقد دارت مفاوضات بين الطرفين: «ولقد منحه الملك العفو» فقرة 39 ، وعقب هذا يروي ستيسياس Ctesias مشهد صيد الأسود، ونفى ميجابيزوس Megabysus إلى الخليج الفارسي، ثم هروبه الشرس واجتماعه مرة أخرى بزوجته أميتيس Amytis ، وحصوله مرة أخرى على رضا الملك، ثم وفاته فقرات 40-42 .

ومع رواية القصة بهذه الطريقة التي مازالت تحتوي على الإثارة حيث إنها توضح العلاقة بين الملك وبين أحد النبلاء الذي ينتمي إلى أسرة متميزة، والذي كان ينحدر من نسل أحد المتآمرين الذين اشتركوا في مؤامرة عام 452، والذي حصل على مكانة بارزة وأصبح مقرباً من كسركسيس Xerxes ولقد تزوج إحدى بنات كسركسيس Xerxes وتمكن بنجاح من إخماد الثورة البابلية ، والذي لعب أيضاً دور مهماً، ولكنه غير واضح بعد تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes للسلطة، ويجب أن نذكر أيضاً أنه قبل أن يبدأ ميجابيزوس Megabysus مفاوضاته مع الملك كان حريصاً أولاً على أن تكون زوجته وابنه الصغير برفقته، وإلا فإنهم كانوا سيعتبرون كرهائن محتجزين في البلاط لضمان ولائه للملك، وبالإضافة إلى ذلك، فإن قصة ستيسياس Ctesias تقدم لنا أشخاصاً مثل أرتاريوس Artarios ، مينوستانيس Menostanes ، واللذين تم التأكد من وجودهما تاريخيًّا من خلال الألواح البابلية، ونحن نعرف على سبيل المثال أن الشخصين اللذين تم إرسالهما إلى ميجابيزوس Megabysus ، وهما بيتيساس Petisas وابنه سبيتامينيس Spitamenes واللذين كانا في ذلك الوقت، قد منحهما الملك أراضٍ في منطقة نيبور Nippur والأسماء المسجلة في الألواح هي باتيسو وأسبيتاما ، ولكن بالنسبة للقصة ككل، وبالرغم من صحة بعض التفاصيل إلا أن قصة ستيسياس Ctesias بعيدة

كل البعد عن التصديق، وكما ذكرنا عدة مرات من قبل، فإنه من الواضح أن هذه القصة هي قصة تتناول الأعمال البطولية لأسرة ميجابيزوس Megabysus ، حتى إن ستيسياس Ctesias يقوم بتتبع مغامرات أبناء ميجابيزوس Megabysus أرتيفيوس Artyphius وزوبيروس Zopyrus الثاني، حيث غادر زوبيروس Zopyrus الأراضي التي تقع تحت سلطة الملك ولجأ إلى أثينا، ولقد مات فيما بعد أثناء إحدى المحاولات الغامضة لغزو كونوس فقرة 43 ، وتقوم الرواية بأكملها حول سلسلة من الأفكار الأدبية المتكررة أميرات الفرس قاسيات القلوب اللاتي يسعين إلى الانتقام لمقتل ابن من أبنائهم، الخطوة عند الملك، خسارة رضاه، وإثارة سخطه، جرح في الفخذ، صيد الأسود، موضوع العودة .

حتى إذا وصلنا إلى نهاية مفادها أن ميجابيزوس Megabysus قد قام حقًّا بإحدى الثورات، فإنه لا يزال من الصعب تحليلها باتزان كامل، حيث إننا لا نعرف حتى الوظيفة التي كان يشغلها ميجابيزوس Megabysus خلال هذه الأحداث، ونحصل على الفكرة العامة من ستيسياس Ctesias بأنها كانت سوريا إقليم عبر الفرات ، والذي نعتقد أنها قد انفصلت في وقت سابق عن بابل، وفي الحقيقة فإن هذا يبدو محتملاً حيث يسمى أرتاريوس Artarios بـ «مرزبان بابل»، فقرة 38 ، ولكن عندما يسمى ستيسياس Ctesias سوريا بـ «أرضه» فإنه ربما يقصد بذلك الأراضي التي تم منحها لميجابيزوس Megabysus في هذه المنطقة، وإنه لمن الصحيح أن التفسيرين المرزبان، صاحب الأطيان ليسا منفصلين عن بعضهما البعض وخاصة إذا نظرنا إلى صعوبة التمييز بين الأراضي الشخصية وتلك التي تتبع الحكومة انظر فصل 11-9 ، وإذا وافقنا على أنه فعلاً كان مرزباناً، فيجب أن نؤكد على أنه المثال الأول على قيام شخص بتمرد منذ حالة أرياندیس Aryandes مرزبان مصر، والتي مازالت غامضة هيرودوت Herodotus الكتاب الرابع، فقرة 166 ،

وأحد أهم الجوانب استحقاقاً للذكر فيما يتعلق بهذه الثورة هو أن ميجابيزوس Megabysus قام بالاستعانة بمرتزقة من اليونان، وهذه هي الإشارة الأولى إلى مثل هذا التقليد، والذي سيتكرر بعد ذلك بعدة سنوات مع بسوثنيس Pissuthnes .

الاضطرابات في إقليم يهودا؟

تبعاً للمؤرخ الذي رتب الأحداث وفقاً للتسلسل الزمني، فإنه في الوقت نفسه تقريباً استمرت الاضطرابات في العصف بإقليم يهودا عزرا Ezra الكتاب الرابع، فقرة 7-24 ، حيث إن اليهود والذين كانوا كما يقول الكتاب 4، فقرة 7-24 قد تمت إدانتهم وشجب ما فعلوه في عهد كسركسيس Xerxes ، تم انتقادهم مرة أخرى في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، فقد تم إرسال رسالة من جانب الحاكم ريهوم والكاتب شمشاي، ومساندة من ممثلي الشعوب الأخرى المجاورة لإقليم يهودا، ولقد أعلموا الملك أن اليهود كانوا مستمرين في إعادة بناء المدينة وأسوارها، وقد توقعوا أن مثل هذا الأنشطة كانت تتضمن مخاطر كبيرة، حيث إنها سوف تؤدي إلى إضعاف سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes في تلك المنطقة؛ لأن القدس كانت «مدينة متمردة وشريرة»؛ ولذلك فإنهم إن لم يأخذوا حذرهم فسرعان ما سيرفض سكان هذه المدينة «دفع الجزية والضرائب أو المكوس»، ولقد طلب الحاكم من أرتاكسركسيس Artaxerxes أن ينظر في السجلات الملكية التي سوف تثبت أن القدس كانت تسعى دائماً للاستقلال، وأن يكون لهم ملوك خاصين بهم، ولقد قام الملك بفعل ذلك، وعندما اقتنع بصحة ما يقولونه، أمر الملك بوقف أعمال التشييد تلك، وأمر ريهوم ورفاقه بتنفيذ هذا المرسوم.

ولكن ما الذي نستنتجه من هذه الفقرة؟ تتمثل المشكلة في أن مكانها في التسلسل التاريخي للأحداث هو شاذ وغير مضبوط، حيث إنه يأتي

بعدها مباشرة الحديث عن الأفعال التي قام بها دارا Darius الأول، ومن الممكن أن المؤرخ أراد هنا أن ينقل فكرة معينة إلينا، والتي ما فتئ يعود إليها خلال حديثه عن المهام التي قام بها كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah ، وتحديد أن إقليم يهودا كان محاطاً بأسوار، وكانوا مستعدين لإدانته أمام السلطات المرزبانية، والذين كانوا يميلون إلى الإصغاء إليهم، ولقد بنيت قصة الجولة التفقدية التي قام بها تاتيناي حول الفكرة نفسها، فقد طلب هو أيضاً من دارا Darius أن ينظر مرة في السجلات الملكية الكتاب الخامس، 3-17 وإذا سلمنا ليس من دون إبداء بعض التحفظات بصحة هذا المشهد تاريخيًّا، فإنه من المحتمل أن الأعمال الإنشائية التي تم إجراؤها في القدس قد تجاوزت بدرجة كبيرة الترخيص الملكي السابق، والذي أشار فقط إلى بناء معبد، وعلى الجانب الآخر، فإن الصلة التي غالباً ما يتم إقتراحها بين هذا الفصل وبين التمرد المصري والثورة المحتملة لميجابيزوس Megabysus لا بد أن تظل افتراضية؛ وذلك لأنه لم يوجد حتى الآن دليل خارجي يؤكد وجود مثل هذه الصلة .

4- جبهة آسيا الصغرى - شرق بحر إيجة:

الأعمال العدائية بين الفرس والأثينيين العقد الخامس من القرن الخامس ق.م :

من المؤكد أن موقف أثينا قد ضعف بعد الحملة المصرية؛ وذلك بسبب الخسائر التي تكبدتها نتيجة هذه الحملة راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 110-1 ، وكنتيجة للمخاطر التي كانت تحيط بمركزها في بلاد اليونان نفسها، ومن المحتمل أيضاً أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استفاد من النجاح الذي حققه في مصر، وهذا هو ما يجعلنا بلوتارخ Plutarch نعتقده: فلقد «أرسل مبعوثين إلى

ثمستوكليس Themistocles في ماغنيسا، ليذكره بوعده وليستدعيه للعمل معه ضد اليونانيين» ثمستوكليس Themistocles فقرة 31-4، راجع فقرة 31-3 ، وعند قراءتنا لما كتبه بلوتارخ Plutarch ، يبدو لنا كما لو أن ثمستوكليس Themistocles لم ينفذ تعليمات الملك فقرة 31-5، سايمون Cimon فقرة 18-6 ، و راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 138-4 ، ولقد سمحت الهدنة التي عقدتها أثينا مع إسبرطة لمدة خمس سنوات 454 أو 2451 للأثينيين أن يعودوا إلى الهجوم مرة أخرى، وذلك بإيعاز من سايمون Cimon ، والذي كان قد عاد من المنفى 2451 : «بعد أن تحرر الأثينيون من عبء الحرب الهلينية، قاموا بشن حملة على قبرص باستخدام مائتي سفينة من سفنهم وسفن حلفائهم وتحت قيادة سايمون Cimon ، ولقد تم إرسال 60 سفينة من هذه السفن إلى مصر بناءً على طلب من أميراتيوس Amyrataeus ملك المستنقعات، أما باقي السفن فقد قامت بفرض الحصار حول كيتيوم ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 20112-3 .

ونعلم بهذه الأحداث أيضاً من إحدى الفقرات في كتاب بلوتارخ Plutarch سايمون Cimon ، فقرة 5018-9 ، ومن إحدى الروايات التي قدمها ديودورس Diodorus ، ولكن لسوء الحظ يبدو أن ديودورس Diodorus قد خلط بشكل جزئي بين هذا الفصل وبين حملة نهر يورميدون الكتاب الثاني عشر، فقرة 3، فقرة 104-3 .

لقد كانت القوات الفارسية تحت قيادة كل من أرتابازوس Artabazus وميجابيزوس Megabyzus ، ولقد تم تعيين أرتابازوس Artabazus قائداً أعلى لجميع القوات، وقاد الأسطول الذي كان راسياً في جزيرة قبرص، بينما قام ميجابيزوس Megabysus بقيادة الجيش الذي كان معسكراً في إقليم كليكيا ديودورس Diodorus ، الكتاب الثاني عشر، فقرة 3-2 ، وإذا صحت معلومة ديودورس Diodorus هذه فإن هذا يشير

إلى أن القائدين الفارسيين قد تلقيا أوامر بالإبقاء على قواتهم مستعدة للحرب عقب نهاية هذه الحملة على مصر راجع الكتاب الحادي عشر، فقرة 74-6 ، ولقد كان حصار كيتيون Kition بلا جدوى، وبعد مقتل سايمون Cimon فاز الأثينيون بانتصارين براً وبحراً: «ونتيجة لتحقيقهم النصر على الناحيتين البر والبحر غادرت القوات الأثينية موطنها وبرفقتها مجموعة السفن العائدة من الحملة المصرية» ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 112-4 ، وبالنسبة لثيوسيديدس Thucydides فإن جبهة آسيا الصغرى اختفت تحديداً في وقت عقد اتفاق الثلاثين عاماً من السلام مع إسبرطة 446-445 ، وعقب وفاة سايمون Cimon طرأ تغير على الخطة فتحت حماية ورعاية بركليز Pericles انصرف اليونانيون عن شن مثل هذه الحملات الكبيرة ضد الفرس مثل تلك التي كان قد قادها سايمون Cimon ؛ وذلك لأن كل ما فعلته هذه الحملات هو زيادة وتعزيز تبعية الشعوب الخاضعة للفرس.

العودة إلى «سلام كالياس Callias »:

لقد قام ديودورس Diodorus في خلال حديثه عن الحملة على قبرص بالإشارة إلى المفاوضات التي دارت بين الفرس والأثينيين الكتاب الثاني عشر، فقرة 404-5 ، فعندما سمع أرتاكسركسيس Artaxerxes بأنباء الهزائم في قبرص، قام بجمع أصدقائه، وقرر أنه سيكون من مصلحته بدء محادثات مع اليونانيين، ثم قام بإرسال تعليمات مكتوبة إلى المرزبانات والقادة العسكريين سمح لهم فيها بمناقشة شروط مثل هذه المعاهدة، ولقد قام الأثينيون من جانبهم بإرسال مبعوثين وسفراء وأعطوهم سلطات كاملة، ولقد كان قائد هؤلاء السفراء هو كالياس Callias ابن هيبونيكوس Hipponicus ، وتبعاً لديودورس Diodorus فهذه هي البنود الرئيسة للاتفاق الذي تم التوصل إليه: «سوف تخضع جميع المدن اليونانية في آسيا إلى قوانين تكون قد

وضعتها هي، ولن يقترب المرزبانات الفرس منها في البحر لمسافة يمكن قطعها في أقل من ثلاثة أيام بحراً، ولن تبحر أية سفينة حربية فارسية داخل صخور جزيرة ثيرا أو Phaselis ، وإذا قام الملك الفارسي وقادته العسكريين بالالتزام بهذه البنود فلن يقوم الأثينيون بإرسال أية قوات إلى الأراضي التي يحكمها، وبعد أن تم عقد هذا الاتفاق واستيفائه لكل الشروط، قام الأثينيون بسحب قواتهم من جزيرة قبرص الكتاب الثاني عشر، فقرة 504-6 .

دعونا نؤكد على ذلك مرة أخرى، فلم يتفوه ثيوسيديدس Thucydides بكلمة واحدة عن ذلك، وبالإضافة إلى ذلك، يشير هيرودوت Herodotus إلى وجود بعثة دبلوماسية يونانية في صوصا في الوقت نفسه والتي قد قدمت لتطلب من الملك تأكيد التحالف التقليدي ، وتضم هذه البعثة الدبلوماسية كالياس Callias ابن هيبونيكوس Hipponicus ونواب أثينيين آخرين، والذين أتوا «في مهمة لا علاقة لها بهذا الشأن الذي نتحدث عنه الآن» الكتاب السابع، فقرة 151 ، ولكن لم يذكر تاريخ هذا الفصل بالتحديد، حيث قال إنه: «بعد سنوات عديدة من حملة كسركسيس Xerxes في أوروبا»، ومن الممكن أن تاريخ هذه البعثة الدبلوماسية اليونانية يعود إلى عامي 466-465، وبشكل أساسي فإن الأعمال الأدبية القديمة التي تتحدث عن هذه المعاهدة يعود تاريخها إلى القرن الرابع، ولكن يمكن أن نتفق بشكل مؤقت أنه ربما كانت هناك محادثات بين أثينا وأرتاكسركسيس Artaxerxes حوالي عام 499، وسوف نلاحظ حينها أننا إذا نحينا جانباً التشويهات التي أحدثتها الدعاية السياسية الأثينية فيما بعد فسنجد من الواضح أن هذه المعاهدة لم تكن سوى مجرد اتفاق محدود، حيث قام الأثينيون بإخلاء قواتهم من كل من جزيرة قبرص وبلاد اليونان مقابل موافقة المرزبانات الفرس رسميًّا على عدم التدخل مباشرة في المدن

اليونانية التي كانت أطرافاً في الحلقة التي أنشأتها أثينا في ذلك الوقت، ومما لا شك فيه أن هذا الاتفاق كان بالتأكيد نصراً لأثينا و«خاصة» أنه جاء في اللحظة التي اعتقد فيها بركليز Pericles وبشكل واضح أن فصل الحروب الفارسية اليونانية قد أوشك على نهايته، ومن المنظور الفارسي يمكننا أن نتصور أن استمرار سيطرتهم على مدن الشاطئ الشرقي لبحر إيجة كان ذا أهمية أكبر بكثير من أية تنازلات شرطية اضطروا إلى تقديمها للأثينيين، حيث إنه من المؤكد أن السلطة المركزية قد اعتقدت من ناحية أن هذه التنازلات هي محدودة ومؤقتة، ومن ناحية أخرى أن أيًّا منهما لم يلزم الفرس بالتخلي عن الحقوق البارزة للملك «في الأراضي التي كان حاكماً عليها»، فلم يتنازل الملك الأكبر أبداً عن شرط دفع الجزية، حتى عندما منع الاحتلال الأثيني المرزبانات بشكل مؤقت من جباية الضرائب السنوية في المدن المتحالفة مع أثينا ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرات 4، 5، 6-1 ، وبالمثل فإن الملك الأكبر لم يشارك بنفسه مباشرة في عقد هذا الاتفاق، وقد اضطر الأثينيون إلى فرضه على المرزبانات، ويمكن أن نشك أيضاً في أن البلاط الملكي كان يعتقد أيضاً أن الوضع في اليونان كان ينطوي على احتمالات عديدة لإضعاف الموقف الأثيني.

ولقد كانت لدى الفرس أسباب قليلة جدًّا للقبول بهزيمة أو «واترلو» دبلوماسية حيث إنهم كانوا يدركون جيداً حجم الصعوبات التي تواجهها أثينا مع حلفائها، وهي الصعوبات التي عمل الفرس أنفسهم على تغذيتها، وفي الحقيقة فنحن نعرف من مرسوم Ml40 الذي يرجع تاريخه افتراضيًّا إلى عام 453-452 أن أعضاء مجلس مدينة إرثراي Erythrae قد اضطروا للموافقة على «ألا يستقبلوا في مدينتهم أي من المبعدين الميديين الذين يلجأون إليهم»، وبعد ذلك ببعض الوقت 450-451؟ صدر مرسوم آخر يقضي بتقديم أثينا لمساندة سيجيون Sigeion ضد أي عدو يأتي «من البر

الرئيس لآسيا الصغرى»، وهي العبارة التي كانت تستخدم عادة للإشارة إلى الفرس أو اليونانيين المدعومين من قبل الفرس ATL ، الكتاب الثالث، فقرة 255 ، وهكذا قام مرزبانات ساردیس وداسيليوم باستخدام الصراعات التي تنشأ بين المدن المتحالفة، وحاولوا حينها تنصيب أحزاب وأشخاص مؤيدين للانفصال عن التحالف الأثيني، ومن الطبيعي أن هذه الأحزاب سوف تقوم بطلب المساعدة والدعم من المرزبانات الفرس الموجودين على البر الرئيس .

ومن الواضح أن توقيع «سلام كالياس Callias » المفترض هذا لم يؤدِّ إلى وقف أو مقاطعة الأنشطة التي كان يقوم بها المرزبانات، ففي عام 441 اندلع صراع حدودي بين مدينة ملطية وجزيرة ساموس، ولم يتدخل الأثينيون في روح الأفعال التي قام بها أرتافرنيس Artaphernes في عام 493 انظر فصل 5/12 ، والتي اضطرت المدينتين إلى اللجوء وطلب المساعدة من المرزبان الفارسي إذ كانوا يعترفون بسلطته في هذا الوقت ، ولقد لجأ الملطيون المهزومون إلى أثينا طلباً للمساعدة، حيث إن الأثينيين قد نصبوا حكومة ديموقراطية في ساموس، وكالمعتاد لجأ المبعدون من ساموس إلى طلب المساعدة من بسوثنيس Pissuthnes مرزبان ساردیس، ولقد تم عقد تحالف سيماخيا ، وبناءً على بنود هذا الاتفاق قام بسوثنيس Pissuthnes بتجهيز «700 مقاتل مكنوا المبعدين من استعادة مكانتهم في جزيرة ساموس»، «وبعد هذا قاموا بالثورة على أثينا وقاموا بالتخلص من الحامية الأثينية وسلموا قادتها إلى بسوثنيس Pissuthnes »، وسرعان ما انضمت بيزنطة إلى هذه الثورة ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الأول، فقرة 115، 2-5 ، ومن الواضح أن سكان ساموس اعتمدوا على الدعم الفارسي الهائل لهم، وعندما أبحر بركليز Pericles متجهاً لجزيرة ساموس، قام بإرسال جزء من سفنه إلى كاريا عندما علم باقتراب الأسطول الفينيقي»، ولقد تم إرسال شخص من

ساموس وهو ستيساجوراس Stesagoras لمقابلته الكتاب الأول، فقرة 116 ، ومن الممكن أن هذه الأنباء قد نشأت نتيجة محاولة الفرس التضليل، وعلى الأقل فهي تشير إلى أن الأثينيين لم تكن عندهم أية أوهام حول إحدى فقرات هذا «السلام»، والتي تقضي بشكل أساسي بمنع أي أسطول أخميني من أن يجوب شواطئ آسيا الصغرى، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لا يوجد ما يشير إلى أنه قد طُلب من بسوثنيس Pissuthnes أن يعيد الحامية الأثينية التي تم نقل أفرادها إلى ساردیس.

وعلى أية حال، فإن هذين المثالين لما حدث في كل من ساموس وإرثراي يثبتان أن الملك الأكبر قد أصدر تعليمات إلى المرزبانات الفرس للاستفادة قدر الإمكان من الانتكاسات التي تعرضت لها أثينا، ومن الواضح أنه كان هناك في كل مدينة من المدن المتحالفة مع الأثينيين مجموعة من الأشخاص الذين يميلون للميديين، والذين كانوا مستعدين للعمل لحساب الفرس ضد الأثينيين، وفي عام 430 ذهب بعض المبعدين الأيونيين لمقابلة قائد الأسطول اللاسيدوموني ألسيديس Alcides ، وأخبروه بأنه يمكنه بسهولة أن يدفع الأيونيين للانفصال والارتداد عن صف الأثينيين: «من المحتمل أنهم سوف يحضون بسوثنيس Pissuthnes على الانضمام إليهم في الحرب» ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثالث، فقرة 31-1 ، وهذا هو الإطار الذي وضع فيه ثيوسيديدس Thucydides روايته: «قام أيتامينيس Itamenes والبربريون الذين تم استدعاؤهم من قبل أطراف معينة لمساندتهم في الصراع الطائفى» فقرة 34-1 ، قد قاموا بالانتقال إلى الجزء العلوي من مدينة كولوفون، وفي نوتيوم قام المبعدون بالاستعانة بالمرتزقة الأركاديين والبربريين من عند بسوثنيس Pissuthnes ، وقاموا بعقد وفاق جديد مع الحزب المؤيد للميديين في مدينة كولوفون، والذين انضموا إليهم من الجزء العلوي من المدينة، ثم قام باخيس Paches

الأثيني بالتخلي عن نوتيوم إلى بعض الكولوفونيين الذين لا يؤيدون الميديين هوي ميديسانتيس » فقرة 34 2-4 .

وسرعان ما سيؤدي اندلاع الحرب البلوبونيزية إلى إعطاء احتمالات جديدة للملك الأكبر للتدخل، ويعرض ثيوسيديدس Thucydides آمال اللاسيدومونيين بالشكل التالي الكتاب الثاني، فقرة 7-1 : «لقد قرروا إرسال مجموعة من الممثلين الدبلوماسيين عنهم إلى الملك الأكبر وإلى ملوك القوى البربرية الأخرى»، وبعد ذلك ببعض الوقت قاموا بالفعل بإرسال وفود دبلوماسية إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ؛ «لإقناعه بتزويدهم بالمال وبالاشتراك في الحرب» الكتاب الثاني، فقرة 67-1 ، ولقد خططوا للذهاب إلى فارناسيس Pharnaces مرزبان داسيليوم «والذي قام بتوصيلهم إلى الملك الأكبر»، وقد قام شخص من إقليم طراقيا اسمه سادوكوس Sadocus بتسليم السفراء اللاسيدومونيين إلى الأثينيين، والذين كانوا حريصين للغاية على إعاقة حدوث مثل هذه الاتصالات فقرة 67-2 .

وفي عامي 423-424 قام الأثينيون بالقبض على سفير فارسي وهو أرتافرنيس Artaphernes «مرسلاً من الملك الأكبر إلى اللاسيدومونيين» الكتاب الرابع، فقرة 50-2 ، ولقد كان فحوى الرسالة التي كانت تصله من السفراء الذين يتوافدون إليه: «ولكن إذا أرادوا التحدث بوضوح، فعليهم إرسال بعض المبعوثين مع هذا الفارسي يقصد بذلك أرتافرنيس Artaphernes » فقرة 50-2 ، وهكذا فإنه يبدو أن الاتصالات الدبلوماسية بين الإسبرطيين والأخمينيين لم تتوقف أبداً على الأقل منذ نهاية الحملة المصرية في بداية العقد الخامس الكتاب الأول، فقرة 109 2-3 ، ولو أن الإسبرطيين قد رفضوا حتى ذلك الوقت اتخاذ إجراءات حاسمة؛ لأنهم كانوا حريصين قبل أي شيء على ألا يقاتلوا بعيداً عن قواعدهم البلوبونيزية راجع الكتاب الثالث، فقرة 31-2 ،

ولقد حرص الأثينيون أنفسهم على ضمان الانتقال الآمن لأرتافرنيس Artaphernes حتى يصل إلى إيفيسوس مع كل التكريم الذي يليق بشخص في مكانته، ولقد رافقه ممثلون، والذين من الواضح أنهم تلقوا تعليمات لإجراء اتصالات مع أرتاكسركسيس Artaxerxes الكتاب الرابع، فقرة 50-3 ، ويتحدث سترابو Strabo الكتاب الأول، فقرة 3-1 عن البعثة الدبلوماسية التي ترأسها ديوتيموس Diotimus إلى صوصا، ويسخر أريستوفانيس Aristophanes من وجود سفراء أثينيين في بلاد فارس، وكذلك أيضاً سفراء فرس في أثينا في عامي 425-424، وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا أن نستنتج من ذلك أن الملك الأكبر قد أصبح بالفعل الحكم بين الأطراف اليونانية المختلفة كما سيكون عليه الحال فعلاً وبشكل واضح في القرن الرابع ق. م، ولكن تلك العملية كانت قد بدأت بالفعل في ذلك الوقت.

وباختصار فإنه حتى إذا كان هناك ما يعرف بـ «سلام كالياس Callias » في عامي 449-448، فلقد كان هذا الاتفاق يصب في مصلحة الفرس بشكل خاص، والذين من ناحية تمكنوا من الاستمتاع بممتلكاتهم في مصر وقبرص في سلام منذ ذلك الحين، ومن ناحية أخرى فإنهم لم يعودوا يرتكبون ذلك الخطأ المتمثل في تدخلهم في الشؤون الداخلية للتحالف الأثيني، وهكذا فإننا يمكن أن نتساءل عما إذا كان الاتفاق الذي تم التوصل إليه حوالي عام 449-448 كان له من وجهة نظر الفرس معنى آخر مختلف تماماً عن ذلك المضمون الذي عرضه المؤلفون اليونانيون في القرن الرابع، ويمكن أن نسترجع أنه طبقاً لديودورس Diodorus نفسه فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان ينوي بدء محادثات ليس فقط مع أثينا وحدها ولكن مع كل اليونانيين الكتاب الثاني عشر، فقرة 4-4 ، ولا يستثني هذا الإطار احتمال أن تكون العديد من المدن الأثينية قد قامت بالفعل بإرسال وفود إلى الملك الأكبر، هل

مـن الممكـن أن هـذا الموقـف يمثـل سـابقة للمـؤتمر الـذي عقـده أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني في صوصـا في عـام 387، والـذي قـام بتـلاوة مرسومـه عليـه زينوفون Xenophon ، هل الكتاب الخامس، فصل 1، فقرة 31 ؟ لقد كانـت الظـروف مختلفة على الأقل فيما يتعلق بتوازنات القوي، ولكن مـن منظـور الملـك الأكـبر لم يكـن لهذا الاختلاف أية أهمية، حيث يمكن اعتبـار الفقـرة التـي تمـنح الحكـم الـذاتي للمـدن اليونانية في آسيا الصغرى، والتي قدمها ديودورس Diodorus وآخرون على أنها انتصار يوناني باهر، يمكن النظر إليها على أنها كانت تسـتهدف أثينـا أيضـاً، حيـث إنـه بتطبيـق الفرس لهـذه الفقـرة بشـكل منـتظم، فـإنهم كـانوا يهـدفون بـذلك إلى فـرض سـيطرتهم وسيادتهم على أثينـا، ونميـل إلى الاعتقـاد بأنـه عـن طريـق التلـويح بـذلك كشـعار قـام المرزبانات الفرس في آسيا الصغرى بمساندة المؤامرات التي كانت تحيكها المـدن الأعضـاء في الحلف والتي كانت ترغب في التملص من نير التسلط الأثيني الذي لا يمكـن احتمالـه راجع ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثاني، فقـرة 63-2: تيرانـيس ، وبمعنـى آخـر، فإنـه مـن الممكـن أن الاتفـاق الـذي تـم عقـده في عـامي 449-448 قـد تـم تفسـيره بطريقتين متناقضتين تماماً في كل من أثينا وصوصا: ففي أثينا قاموا بالثناء عليـه واصـفين إياه بأنه كان انتصاراً غير مسبوق، وفي صوصا تـم النظـر إليـه عـلى أنـه تصـحيح ملـكي، وعـلى أيـة حـال، فإنـه يبـدو مـن الطريقـة التـي يقـدم بلوتـارخ Plutarch بهـا هذا الاتفاق أن الأثينيـين كـانوا مـدركين تمامـاً للقيـود والمحـددات التـي فرضـها علـيهم وتوازن القوى ، حيث إن بلوتارخ Plutarch يكتـب فـيما يتعلـق ببركليـز Pericles : «لم يستجب للدوافع الطائشة للمواطنين عنـدما كـانوا متلهفـين للتـدخل مـرة أخـرى في مصر، وإثارة المشكلات في الممتلكات البحريـة لـبلاد فـارس» بركليـز Pericles ، فقـرة 3-20 ، وفي التحليل النهائي لما حدث، فإننـا نميـل إلى الاعتقـاد بأنـه إذا كـان هنـاك حقًّـا

مفاوضات دبلوماسية في عام 449، فإن ما تمخضت عنه لم يكـن سـلام كاليـاس Callias بقدر ما كان سلاماً للملك .

ولم يكن أرتاكسركسيس Artaxerxes مستعدًّا في عام 449 لقبول شروط قد تـم تحديدها بصورة أحادية الجانب من قبل أثينا أكثر مما كان أبوه مستعداً لقبول ذلـك في عام 466، وعلى الرغم من الفجوات الموجودة في الأدلة، فإننا لا نرى ما يبرر فكرة أنه قد كانت هنـاك كارثـة عسـكرية ودبلوماسـية أخمينيـة، ومـن وجهـة نظـر أرتاكسركسـيس Artaxerxes يبدو من ناحية أنه لم يتخلَّ قط عن حقوقه في حكم آسيا الصغرى، ومـن ناحية أخرى فقد أمـر مرزبانـات سـارديس وداسـيليوم بمحاولـة اسـتعادة الأراضي التـي خسرها الفرس هناك، ونحن لا نعرف لماذا لم يشرع الملك الأكبر في عمليـة تعبئـة شـاملة لقواته للقيام بإعادة غزو تلك الأراضي بشكل أكثر نشاطاً وحيوية، والاحتمال الراجح هو أنه لم ينسَ الهزائم التي تعرض لها الفـرس مـؤخراً في المعـارك الالتحاميـة المنظمـة التـي خاضوها ضد اليونانيين، ومما لا شك فيـه أنـه كـان يعتقـد أيضـاً أن مثـل هـذه الجهـود سوف تكون غير مجدية، وأنه على أية حال يمكنه أن يأمل أن الانقسامات بين اليونـانيين والصعوبات السياسية والمالية والعسكرية التي يواجهها الأثينيون سوف تؤدي في النهايـة إلى النتيجة نفسها على المدى الطويل، وفي الحقيقة فإنه على مدار التاريخ الأخميني كان حشد أحد الجيوش الملكية يمثل آخر الاحتمالات، وكان يتم في أندر الحالات .

العودة مرة أخرى إلى زانثوس:

إنه من الصعب، بل حتى من المستحيل القيام بعمـل وصـف دقيـق على أحد الخرائط للمكاسب والخسائر الفارسية في آسيا الصـغرى في نهايـة عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وتوضح قوائم الجزية الأثينية أنه مـن عام لآخر كان يمكن أن تتغير المراكز بسرعـة كبـيرة وفي أي مـن الاتجـاهين، ولقد بذلت أثينا جهداً كبيراً بشـكل واضـح في الفـترة مـا بـين عـامي 425-

428 لتأكيد وبسط سيطرتها على الجزر اليونانية، ونحن نعرف أن الأثينيين قد خسروا في ذلك الوقت نفسه بعض المواقع المهمة للغاية مثل إقليمي كاريا وليسيا، حيث اختفى اسم ليسيا من قوائم الجزية الأثينية في نهاية العقد السادس من القرن الخامس ق. م، ولقد تكرر فشل الأثينيين في إعادة بسط سيادتهم على تلك المواقع بمعدل المحاولات نفسها التي كانوا يقومون بها، وفي عام 428 تعرض الاستراتيجوس ليسيكليز Lysicles بينما كان يقود السفن التي تجمع الجزية لإحدى الظروف المعاكسة أو الانتكاسات في إقليم كاريا وتحديداً في سهل نهر The Meander ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثالث، فقرة 19-2 ، وفي عامي 429-443 تم إرسال الاستراتيجوس الأثيني ميليساندر Melesander Lysander على رأس فرقة مكونة من 6 سفن في مهمة تقضي بالتوجه إلى كل من كاريا وليسيا: «لجمع الجزية في هذه الأجزاء، وأيضاً لمنع سفن القرصنة البلوبونيزية من اتخاذ مواقعها في تلك المياه والتحرش بـ/ومضايقة السفن التجارية المتجهة من فاسيليس إلى فينيقيا وإلى القارة المجاورة، ولكن تعرضت سفن ميليساندر Melesander Lysander للهزيمة وقتل هو نفسه في المعركة، وفقد أيضاً عدداً من جنوده وقواته ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثاني، فقرة 69.1-2 .

والنقطة الأولى المهمة في نص ثيوسيديدس Thucydides هي أن الأعمال العدائية لم تؤدِّ إلى مقاطعة التجارة مع الأقاليم التي تقع ضمن ممتلكات الملك، وهي الملاحظة التي تم التأكيد عليها بشكل عام في أماكن أخرى، ويكشف هذا النص أيضاً عن مدى الأهمية التي كانت تحتلها ليسيا في التخطيط الاستراتيجي الأثيني، وأخيراً فإنه يظهر أنه على الرغم من الجهود التي كان يبذلها الأثينيون، إلا أنهم لم يتمكنوا أبداً من إعادة تلك المنطقة إلى قلب التحالف الذي يقودونه .

ولكن ترجع أهمية هذه الفقرة لسبب آخر وهو سبب غير عادي

تماماً، حيث نجد إشارة إلى هذا الفصل في أحد النصوص المشهورة الأخرى، وهو نقش دعامة زانثوس TL44 ، وعلى الرغم من أنه قد تم فك رموز هذا النص ليس بشكل جزئي فقط، إلا أننا يمكننا قراءة الاسم ميليساندر Melesander Lysander ميلاسانترا ، حيث إنه قد تعرض للهزيمة على يد جيش يقوده شخص من ليسيا اسمه «تريبينيمي Trbbenimi »، وهو الليسى الذي سوف نتعرف عليه فيما بعد حيث كان سليل أحد الملوك من العملات المعدنية ومن نقش على أحد المقابر TL128، 135 ، وتشير فقرة أخرى إلى نصر حققته أسرة خريجا من المحتمل بعد ذلك بوقت طويل ، ومن الواضح أنه لا يوجد هناك ما يثبت أن حكام زانثوس والمدن المجاورة كان يتصرفون بناءً على تعليمات من المرزبانات الفرس، وكونهم كانوا يصورون أنفسهم بشكل متكرر على أنهم منحدرين من هارباجوس Harpagus ليس دليلاً كافياً على ذلك الاتهام، وبالتأكيد فإن افتخارهم وتمجيدهم للانتصارات التي حققوها على الأثينيين يعبر بشكل أساسي عن أنهم كانوا يرغبون في الظهور كقادة مستقلين تماماً، وبالطبع فإن هذا صب أيضاً في مصلحة الفرس، ومن المؤكد أن السلطات الفارسية قد حاولت على الفور الاستفادة من الوضع، ولكننا لن نزعم كما زعم إيسوقراط Isocrates بانيج، فقرة 161 أنه «لم يتمكن أي فارسي من إخضاع ليسيا»! حيث إن القادة الفرس ربما قاموا بالتدخل في ليسيا تماماً مثلما فعلوا قبل ذلك في إقليم أيونيا مقدمين الدعم لهؤلاء الأشخاص الذين كانوا يثيرون الناس ويحضونهم على الانفصال عن التحالف الأثيني .

5- عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah في القدس:

مهمة عزرا Ezra :

وفي تلك الأثناء استمرت الحياة في الأقاليم الأخرى في مسارها

المعتاد، بدون أن تتأثر بشكل واضح بالأحداث التي كانت تقع في آسيا الصغرى، والأشياء التي يجب أن نمر بها أولاً هي الكتب التوراتية لكل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah ، حيث تروي أن هذين اليهوديين قاما بإذن واضح من الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes ببعض البعثات إلى القدس: عزرا Ezra في السنة السابعة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes 451 ، نهيميا Nehemiah في السنة العشرين 445 ، ولقد كان عزرا Ezra «أحد الكتاب الضليعين في قانون موسى» عزرا Ezra الكتاب 7، فقرة 6 ، «فلقد كان الكاتب الكاهن، الكاتب الذي تلقى تعليماً خاصاً حول نص وصايا يهوه وقوانينه المتصلة ببني إسرائيل» الكتاب السابع، فقرة 11 ، حيث اتجه عزرا Ezra إلى القدس حاملاً معه رسالة من الملك الكتاب السابع، فقرة 12-26 ، ومصحوباً بقافلة جديدة من العائدين الكتاب السابع، فقرة 7 ، الكتاب الثامن، فقرات 1-12 ، فلقد قام الملك بتخصيص بعض المواد التي ستجعل المعبد والقرابين تستعيد فخامتها وروعتها السابقة: فكانت تشتمل على تقديمات من الملك نفسه ومن أفراد البلاط، وهدايا مرسلة من اليهود المقيمين في بابل وآنية للمعبد، بالإضافة إلى ذلك فقد صدرت الأوامر إلى المسؤولين عن خزائن إقليم عبر الفرات لتزويد عزرا Ezra بأي شيء يطلبه حتى 100 طالن من الفضة و 400 لتراً من الخمر و 400 لتراً من الزيت و 400 ألف لتر من القمح و«أي مقدار يطلبه من الملح»، ولقد كان الغرض من وراء جزء من هذه القرابين هو ضمان الحصول على الحماية الإلهية للملك وأبنائه وإمبراطوريته .

ولقد توافقت هذه الخطوات التي اتخذها أرتاكسركسيس Artaxerxes في جميع جوانبها مع تلك الإجراءات التي قام بها كل من دارا Darius وقورش Cyrus في السابق، ومن الممكن، بل من المحتمل أنه قد تم تخويل عزرا Ezra أيضاً لمواصلة العمل على بناء المعبد راجع

الكتاب السادس، فقرة 14، الكتاب التاسع، فقرة 9 ، ولقد ذهب أرتاكسركسيس Artaxerxes لما هو أبعد من ذلك، حيث نهى السلطات المرزبانية عن «تحصيل الجزية، المكوس، والجمارك» على الأفراد العاملين في المعبد، وكما أوضحنا للتو فصل 12-4 ، فهناك نموذج واحد مماثل، وهو الإعفاء من دفع الجزية، ومن نظام السخرة الذي قد منحه أجداد دارا Darius «للبستانيين المقدسين» الذين كانوا يعملون على زراعة أرض أبوللو إله أولاي ML12 .

ومن وجهة نظر كل من اليهود والسلطة الملكية، فإن المهمة الرئيسة التي تم تكليف عزرا Ezra بها كانت تقع في المجال القضائي، فقد كان في الحقيقة سيقوم بتعيين قضاة ومحكمين محليين لتحقيق العدالة لجميع سكان إقليم عبر الفرات»، ولقد وعده بإنزال عقاب تحذيري بكل من لا ينفذ «قانون إلهك والذي هو أيضاً قانون الملك» الكتاب السابع، فقرة 25 ، ولكن يجب أن نسأل حول محتوى هذا القانون، ومما لا شك فيه أنه كان يشير به إلى التوراة، ولكي «ينقي» شعب يهودا قام عزرا Ezra بالإعلان عن قانون يمنع الزيجات المختلطة، وخلال احتفال رسمي بتجديد الآداب الملائمة، قام الرجال بتطليق زوجاتهم الأجنبيات، وأبعدوا أبناءهم الذين أنجبوهم من هؤلاء النساء عزرا Ezra الكتاب العاشر ، ولكن الشيء الجدير بالذكر على وجه الخصوص هنا هو أنه منذ ذلك الحين فصاعداً تم وضع هذه القوانين تحت حماية الملك، وهكذا تم دمجها ضمن الطائفة الشاملة للقانون الملكي انظر فصل 12-7 ، وكما عبر عنها أرتاكسركسيس Artaxerxes في مراجعته للأمر الكتاب السابع، فقرة 25 ، فإن كل من يعارض ذلك القانون عن طريق رفض القرارات التي يصدرها القضاة الذين عينهم عزرا Ezra سوف يتعرضون لعقاب الملك ، وكما في العديد من الأمثلة الأخرى، فإن هذه الحالة توضح بشكل قوى الرابطة بين الحكم الذاتي الداخلي لأحد

المجتمعات والسلطة الملكية عليه، فلقد أصبح الملك هو الحامي والضامن للعادات المحلية طالما أنها لا تتعارض مع المصالح الفارسية، والأكثر من ذلك هو أنه بإعادة عزرا Ezra للانسجام إلى القدس فإنه قد خدم بذلك قضية النظام الإمبراطوري .

بعثة نهيميا Nehemiah :

بعد ذلك بثلاثة عشر عاماً، وبناء على طلب شخصي من نهيميا Nehemiah ، قام الملك بإرسال نهيميا Nehemiah أيضاً إلى القدس، فلقد نبهه أخوه حناني Hanani إلى الحالة المحزنة التي أصبحت عليها المدينة والمجتمع اليهودي، وقد قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بإعطاء رسائله إلى نهيميا Nehemiah كما فعل في السابق مع عزرا Ezra ، ولقد وجه بعض رسائله أيضاً إلى «حكام إقليم عبر الفرات» يأمرهم فيها بالعمل على تسهيل رحلة اليهودي ومرافقيه، ولقد أرسل رسائل أخرى إلى عساف Asaph «عامله المسؤول عن المنتزه الملكي»، وكلفه فيها بتقديم الخشب اللازم «لصنع بوابات قلعة المعبد، ولبناء جدران المدينة أيضاً»، هذا بالإضافة إلى البيت الذي خطط نهيميا Nehemiah للسكن فيه نهيميا Nehemiah الكتاب الثاني، فقرات 1-10 ، وسرعان ما بدأ العمل: «ولقد تم الانتهاء من السور في غضون 52 يوماً في الخامس والعشرين من أيلول» أكتوبر 445، الكتاب السادس، فقرة 15 ، ولقد قام نهيميا Nehemiah بتعيين أخيه «حناني» Hanani مسؤولاً عن القدس، وعين حناني Hananiah قائداً للحامية الكتاب السابع، فقرة 2 ، ثم شرع في إجراء إحصاء لعدد السكان الكتاب السابع، فقرات 6068 ، ولقد تم اتخاذ بعض الخطوات في وجود عزرا Ezra ؟ لإعادة التألق والرونق إلى الطقوس والحياة اليومية للمعبد والعاملين على خدمته، وبعد انقضاء 12 عاماً عاد نهيميا Nehemiah إلى الملك 433 .

ولكنه سرعان ما اضطر للعودة إلى القدس حوالي عام 430-425

عندما اكتشف أن القواعد التي كان قد وضعها لم يتم تفعيلها، خاصة أن اليهود قد توقفوا عن دفع ضريبة العشر المستحقة للعاملين على خدمة المعبد، ولقد اضطر نهيميا Nehemiah مرة أخرى إلى اتخاذ إجراء يقضي باحترام يوم السبت بوصفه يوم راحة وعبادة لليهود، ويقضي أيضاً بمنع الزيجات المختلطة الكتاب 13، فقرات 6-31 ، وهذا هو الإطار العام لتسلسل الأحداث، والذي من الواضح أنه كان يقوم على مذكرات نهيميا Nehemiah نفسه .

وعلى الرغم من المناظرات العديدة حول هذا النص المليء بالثغرات والنقاط الشائكة، إلا أن هناك نقطة واحدة تبدو مؤكدة، ولقد تلقى نهيميا Nehemiah مثله مثل عزرا Ezra أوامر من الملك الأكبر، ولكن على خلاف عزرا Ezra ، فلقد كان يشغل منصباً رسميًّا: «حاكم» بيها ، ويؤكد نهيميا Nehemiah على التناقض بينه وبين الحكام الذين سبقوه في شغل هذا المنصب الكتاب الخامس، فقرات 14-17 ، ولقد كانت صلاحياته تقع داخل «بلاد يهودا» الكتاب الخامس، فقرة 14 ، أي الإقليم المدينة الذي كان يوضع اسمه على عملات القرن الرابع ق. م «يهود»، ومن الواضح أن الإقليم الذي كان يشتمل على القدس نفسها كان مقسماً إلى مقاطعات بيليك ، والتي من المحتمل أنها كانت قبلية في الأصل، ولكنها ربما كانت مقسمة أيضاً إلى أقسام مالية فرعية، ومثل حكام الأقاليم الأخرى في المنطقة، فقد كان نهيميا Nehemiah يخضع لسلطة حاكم مرزبانية عبر الفرات، والذي بلا شك كان مقره في دمشق، ويبدو أنه كان لهذا الحاكم عزبة من الأرض تقع ضمن نطاق سلطات هذا الإقليم، والتي كانت عبارة عما يشبه جنة مرزبانية، ولقد طُلب من سكان هذا الإقليم القيام بتأدية أعمال إلزامية في هذه الأراضي التي كانت له الكتاب الثالث، فقرة 7 ، ويبدو أن نهيميا Nehemiah كان يصاحبه «مفوض من الملك لتنفيذ كل هذه الأعمال والأمور التي كانت تهم

شعب هذا الإقليم» الكتاب الحادي عشر، فقرة 24 ، وكما كان عليه الحال، فإن هذا اليهودي لم يتم تحديد نطاق سلطاته وصلاحياته بشكل واضح بالمقارنة مع سلطات وصلاحيات الحاكم، وعلى غرار نموذج المرزبان «الحقيقي» فلقد حصل حاكم يهودا على ضريبة خاصة «خبز الحاكم» ، والتي سمحت له بتزويد مائدته بالطعام كل يوم وبإمتاع ضيوفه الكتاب الخامس، فقرات 14-18 ، ولقد كانت إحدى المهام الرئيسة للحاكم هي القيام بتحصيل الجزية الملكية راجع الكتاب الخامس، فقرة 3 ، ولقد كانت له مهام عسكرية أيضاً، حيث إنه كان عليه وضع القدس في حالة استعداد وتأهب عسكري، ولقد عهد بإدارة القلعة إلى أحد رفاقه المقربين.

وقد تلقى نهيميا Nehemiah تعليمات من الملك الأكبر بالعمل تحديداً على إعادة النظام إلى الجانبين السياسي والعسكري، ويكشف الوصف الذي قدمه نهيميا Nehemiah نفسه عن وجود صراعات اجتماعية حادة للغاية، ولقد شكى عامة الناس من اضطرارهم إلى دفع أبنائهم للعمل حتى يتمكنوا من الحصول على الطعام، ولقد اضطر بعضهم إلى رهن حقولهم ومزارع العنب الخاصة بهم حتى يتمكنوا من دفع الجزية الملكية، ولإعادة السلام والاستقرار إلى الإقليم، قام نهيميا Nehemiah باتخاذ بعض الإجراءات المدهشة، حيث توقف عن جباية ضريبة «خبز الحاكم»، ولكن هذا التصرف كان له في الأساس قيمة رمزية وتبرير ذاتي ، وذلك على الرغم من أنها تأخذ في الاعتبار الآثار المجتمعة لكل من الجزية الملكية والضرائب المرزبانية، ولقد كانت المشكلة الأساسية تكمن في العلاقة بين الأغنياء والفقراء، حيث إنه بسبب قيام الأغنياء بإقراض الفقراء المال بشرط دفع فائدة عليه، نتج عن ذلك تضور الفقراء جوعاً، وطبقاً لأحد المشرعين في إقليم يهودا فإن نهيميا Nehemiah لم يكن أحد المصلحين الاجتماعيين الثوريين، حيث

إن كل ما فعله هو أنه أعلن إلغاء الديون، وطلب من الأغنياء رد الأراضي المرهونة ومزارع الكروم، وحدائق الزيتون إلى صغار الملاك الكتاب الخامس، فقرة 10 ، ولم يكن هناك أي تفكير في الواقع حول إعادة تقسيم الأراضي، وهكذا فإن معاناة صغار الملاك من الفقر لم تكن مجرد نتيجة تلقائية لفرض الجزية، والدور الذي لعبته الجزية كان يتمثل فقط في كشف وتسريع حدوث الشيء الذي كان موجوداً بالفعل في إطار العلاقات بين الطبقات التي كان يتميز بها المجتمع اليهودي، ولقد تجمعت وتلاقت أيضاً الأشكال المتعددة للضرائب، حيث إن كل شخص كان عليه أن يدفع ضريبة لإعالة والمحافظة على المعبد والقائمين عليه، وكانت قيمتها 3/1 شيكل على كل فرد الكتاب العاشر، فقرة 33 ، بالإضافة إلى «أوائل الثمر وضريبة العشر على المحاصيل، ولقد كان يتم منح هذه الأجزاء إلى الشحاذين وحراس البوابات أيضاً» الكتاب 12، فقرات 44047 ، ولقد كان العبء ثقيلاً للغاية لدرجة أنه خلال غياب نهيميا Nehemiah توقف اليهود عن جلب عشر القمح، والخمر، والزيت إلى المخازن» الكتاب الثالث عشر، فقرة 12 .

وهكذا فإنه يبدو أنه كان هناك توافقاً كبيراً في السياسة الملكية من عهد قورش Cyrus وحتى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، ولكننا لا نستطيع القول بأن الملك الأكبر كان مهتماً بشكل خاص بهذه المنطقة الصغيرة، حيث إن هذه الأهمية التي أخذها إقليم يهودا لم تكن سوى «تضليل» نتج عن التوزيع غير المتساوي للأدلة، وعلى وجه الخصوص فإنه لا يوجد ما يثبت أن صوصا أو برسيبولس كانت تنظر لإقليم يهودا على أنه خط دفاع للسلطان الفارسي ضد مصر تلك المرزبانية الجامحة صعبة المراس.

والاحتمال الأكثر رجحاناً هو أنه من وجهة نظر الفرس كانت تهدف

بعثة نهيميا Nehemiah إلى وضع أساس جديد لتقييم الجزية، ولضمان دفعها بشكل منتظم: موتاتيس موتانديس، وإذا وضعنا في الاعتبار أغراض تلك الإجراءات التي اتخذها نهيميا Nehemiah ، فإنه يمكن المقارنة بينها وبين الإصلاحات التي قام بها أرتافرنيس Artaphernes في عام 493 في مدن إقليم أيونيا التي كانت قد مزقتها الحروب والصراعات الاجتماعية راجع فصل 12-5 .

من القدس إلى فيلة:

لقد تم توضيح المبادئ التي قام عليها الحكم الذاتي لليهود والضوابط التي تحكم فاعليته عن طريق مجموعة من الوثائق الآرامية المصرية التي تعود لعهد دارا Darius الثاني، وفي عام 410، وخلال إحدى القضايا الغامضة التي سوف نعود إليها بالأسفل في فصل 8/14 وقع خلاف بين اليهود وبين حاكم Syene ، ولقد قام اليهود المنخرطون ضمن أفراد حامية فيلة بإرسال التماس وجهوه إلى كل من «الكاهن الأعلى يوحنان Johanan ورفاقه الكهنة الموجودين في القدس، وإلى «أوستانا Ostana » أخو أناني Anani ونبلاء اليهود»، أي أنهم أرسلوها إلى كل من يمثل الحكومة الداخلية في مجتمع القدس، بالإضافة إلى «حاكم إقليم يهودا» نفسه DAE، AP 30-31] 102] ، ولم يستلم هؤلاء اليهود الموجودون في فيله أي جواب على شكواهم تلك، ومن المحتمل أن السبب كان يتمثل في أنهم بهذه الطقوس قاموا بخرق «قانون موسى» والذي كان كل من عزرا Ezra ونهيميا Nehemiah قد أعلنا عنه بقوة ووضحاه مؤخراً، وفي الواقع فإن التماسهم كان يتعلق بإعادة بناء معبد يهوه الذي قاموا ببنائه على تلك الجزيرة في النيل بالتناقض مع مبدأ فرادة ووحدة مركز العبادة، وتوضح إحدى الوثائق التي من المؤكد أنها تعود لعام 419 أن اليهود الموجودين في جزيرة فيلة كانوا يدفعون ضريبة الرؤوس التي كان الهدف منها هو تغطية نفقات خدمات المعبد، وهو

السلوك الذي كان مستحقًّا للوم والتوبيخ بدرجة أكبر؛ لأن هذا المال سوف يتم استخدامه ليس فقط لتكريم يهوه، ولكن أيضاً لتكريم الآلهة الآرامية الأخرى بتيل وأنات، AP22] 89 DAE] ، وعلى العكس من ذلك فعندما تم إرسال عزرا Ezra إلى القدس، قام اليهود المستوطنون في بابل بإعطائه القرابين ليوصلها إلى المعبد في القدس عزرا Ezra الكتاب السابع، فقرة 16 .

ومن المحتمل أن اليهود أو بمعنى أدق اليهود الآراميين الذين كانوا في فيلة قد قدموا التماسهم إلى السلطان في القدس في وقت سابق على ذلك؛ وذلك لأن الملك الأكبر قد منح حكام القدس السلطة للتدخل في الشؤون ذات الصبغة الدينية الخالصة والتي تخص اليهود المنتشرين في جميع أجزاء الإمبراطورية، وعلى أية حال فإن المرسوم الملكي الذي تم إرساله إلى عزرا Ezra كان يقول: «قم بتعيين الكتبة والقضاة لإدارة شؤون العدالة لجميع سكان إقليم عبر الفرات، أي لكل الأشخاص الذين يعرفون قانون ربك/ إلهك، ويجب أن تقوم بتعليم هؤلاء الذين لا يعرفونه» عزرا Ezra الكتاب السابع، فقرة 25 .

ويمكننا أن نجد تفسيراً لهذه الأوضاع في أوراق البردي الآرامية الموجودة في مصر، وفي عام 418 قدم شخص اسمه حناني Hanani أخو نهيميا Nehemiah إلى جزيرة فيلة حاملاً معه وثيقة مهمة للغاية، والتي قامت بتنظيم ووضع ضوابط للاحتفال بعيد الفصح عند اليهود AD8] 96 DAE] ، ويبدو أن المبادرة قد جاءت في هذه الحالة من سلطات القدس التي رغبت في توحيد الطقوس التي تتم ممارستها في جميع أنحاء مواطن الشتات اليهودية، ويذكر خطاب حناني Hanani أن الأمر قد صدر من الملك والذي قام بإرساله إلى أرساما Arsama مرزبان مصر، ولكن الحكومة المركزية لم تكن في وضع يؤهلها إلى التدخل في إحدى المسائل الدينية الداخلية الخالصة للمجتمعات اليهودية الموجودة في

جميع أجزاء الإمبراطورية، وكل ما فعلته هو أنها قامت بمنح عقوبة رسمية القانون الملكي لحكم محلي قوانين هذه البلاد .

أعداء نهيميا Nehemiah ويهودا:

عندما نقرأ تسلسل الأحداث التاريخية التي يعرضها المؤرخ، فإننا نعرف منه أن وصول نهيميا Nehemiah لم يؤدِّ إلى القضاء على خطورة روح العداء التي كان يكنها جيران إقليم يهودا له، بل حدث عكس ذلك، وكما رأينا في المشهد السابق راجع بالأعلى فصل 14-4 ، فقد كان جيران إقليم يهودا يعتزمون أن ينقلوا إلى الملك الأكبر إدانتهم للطموحات الملكية التي نسبوها إلى نهيميا Nehemiah في ضوء التحصينات التي كان قد زود القدس بها للتو الكتاب السادس، فقرات 6-7 ، ولقد كان الخطر أكبر من ذلك؛ لأن العديد من جيران إقليم يهودا كان أفراد من أسرهم يسكنون في هذا الإقليم؛ وذلك بسبب الزيجات المتداخلة، والتي من الواضح أن كل جهود عزرا Ezra هذا إذا صح أنه يسبق نهيميا Nehemiah فعلاً قد فشلت في إخمادها والقضاء عليها، حتى إن ابن الكاهن الأكبر قد اختار زوجته من خارج إقليم يهودا، ولقد اضطر نهيميا Nehemiah خلال بعثته الثانية إلى ذلك الإقليم إلى تجديد هذا المنع .

ولقد نشأ تحالف ضد إقليم يهودا وضد نهيميا Nehemiah ، ويذكر المؤرخ الأسماء التالية «سنبلات Sanbalat الهاروني، توبياه Tobiah الآموني، جاسمو Gasmu العربي» نيهيميا Nehemiah الكتاب الثاني، فقرة 19، الكتاب السادس، فقرات 1-7 ، ولقد كان الأول هو «قائد القوات السومرية» الكتاب الثالث، فقرة 34 [عبري]، الكتاب الرابع، فقرة 2 [إنجليزي] ، ونحن نعرف أنه في عام 410 كان هناك شخص آخر اسمه سنبلات Sanbalat ، وكان «حاكماً على سومر» DAE 102 ، ولا بد أنه كان من نسل سنبلات Sanbalat الأول، وتزودنا أوراق

البردي والأختام التي تحمل نقوشاً، والتي تم اكتشافها في «وادي الداليا» في شمال مدينة أريحا بنقاط إرشادية إضافية تعود للفترة ما بين عـامي 375-335، ولكنهـا تتحـدث عـن شخص ثالث اسمه سنبلات Sanbalat ، والذي من المحتمل جـدًّا أنـه كـان ينتمـي إلى الأسرة نفسها، وفي وثيقة فيلة التي تعود لعام 410 نجد أنه كـان يوجـد بجـوار سـنبلات Sanbalat الأول ابنيه دالاياه Dalayah وسيليمياه Selemyah ، وهكذا فإنـه كانـت هناك أسرة ملكية حقيقية حكمت سومر على الأقـل في الفـترة التـي امتـدت بـين حكـم أرتاكسركســيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثالــث، وتظهــر أوراق الــبردي والأختـام والعمـلات الموجـودة في وادي الـداليا أن هـؤلاء الرجـال كـانوا يحملـون لقـب «حاكم بيها سومر»، ولقد كان اسم سومر هذا يطلق على إقليم مدينة وعـلى مدينـة قرية أيضاً، والتي كانت تسمى في بعض الأحيـان «سـومر بريـت طبقـاً للصـيغة التـي كانت توجد بشكل متكرر في الوثائق التي تعود للدولة الأخمينية في كـل مـن سـارديس، زانثوس، وميدانيسيكالي بالإضافة إلى جزيرة فيلة وحصـن Syene ، وهـذا كـما في أمـاكن أخرى، حيث نجد أن الفرس قـد اعترفـوا بإحـدى الأسر الحاكمـة المحليـة، ومـما لا شـك فيـه أن أبناءهـا قـد حصـلوا عـلى لقـب الحـاكم هـذا مبـاشرة مـن السـلطة المركزيـة، ومثل زملائهم في القدس، فلقد كان حكام سومر الذين ينتمـون إلى أسرة ملكيـة واحـدة يتبعون سلطة حاكم مرزبانية عبر الفرات، أما الشخصان الآخران اللذان صـورهما كتـاب نهيميا Nehemiah عـلى أنهـما أعضـاء في تحـالف معـادٍ لإقلـيم يهـودا، فإنـه يصـعب التعرف عليهما، وعادة ما يتم الربط بين اسم جاسـمو Gasmu العـربي والاسـم نفسـه الموجود في الإهداءات المنقوشة على آنية فضية تم اكتشافها في تـل المسـخوطة في مصر، حيث نجد أنه قد نقش على أحدها اسم «قاينو Qaynu ابن جاسـمو Gasmu ملـك كـدار» DAE 68، AD7 ، ولكـن حـدود هـذه المملكـة الكداريـة العربيـة، وعلاقتهـا

بالسلطات الأخمينية تظل من الأمور المحيرة، وبالنسبة لتوبياه Tobiah فمن المحتمل أنه كان جزءاً من أسرة حاكمة تعرفنا عليها أيضاً من بعض النقوش الآرامية التي تعود لفترة لاحقة، والتي تم اكتشافها في إقليم عبر الأردن عراق الأمير ، ومن المحتمل أن الفرس قد اعترفوا به كحاكم على تلك المنطقة .

ولا يبدو أن عداء سنبلات Sanbalat لإقليم يهودا كان راجعاً لأسباب دينية، حيث إنه في ذلك الوقت لم تكن كلمة سامري Samaritan قد اكتسبت بعد المعنى الطائفي الذي كان مرتبطاً بها خلال الفترة الهلينية عندما تم تأسيس الهيكل على جبل جريزيم Gerizim ، منافس القدس، حيث إنها تشير وبشكل حصري إلى سكان إقليم مدينة سومر، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه عندما لم تنصت سلطات القدس إلى التماس يهود جزيرة فيلة في عام 410، لم يتردد هؤلاء اليهود في إرسال رسالة إلى أبناء سنبلات Sanbalat DAE 102 .

وهكذا فإنه يبدو أن حاكم سومر وجاريه جاسمو Gasmu وتوبياه Tobiah لم يكونوا مرتاحين لازدياد سلطة حاكم يهودا، وهذا ما دفعهم إلى تأليب الحكومة الفارسية عليه، وبدون أن يكون لدينا إثبات على ذلك، فإننا يمكن أن نقترح أن هذه الشجارات والنزاعات المحلية حول نطاق الصلاحيات لكل حاكم من الحكام يمكن مقارنتها بالتوترات التي شهدناها في آسيا الصغرى بين مرزبانات كل من سارديس وداسيليوم، واللذين كانا دائمي التنازع على السيطرة على أراضي الجبهة The Troad ، وإذا صح هذا، فمن المحتمل أن نهيميا Nehemiah قد حصل على ضمانات حول هذه النقطة من الحكومة المركزية .

6- ملك بعد الآخر:

ستيسياس Ctesias والألواح البابلية:

طبقاً لما يقوله ستيسياس Ctesias فقرة 44 فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes وزوجته داماسبيا Damaspia لم تحدد هويتها في مكان آخر قد ماتا في اليوم ذاته، ولقد كان عندهما ولد شرعي واحد، والذي اعتلى العرش تحت اسم كسركسيس Xerxes الثاني، ولكن العديد من أبناء أرتاكسركسيس Artaxerxes غير الشرعيين الذين كانت عندهم طموحات في تولي العرش تحدوا كسركسيس Xerxes الثاني، وقد كان المتحدي الرئيس له هو سوجديانوس Sogdianus ابن ألوجون Alogune ، حيث دبر مؤامرة ضد أخيه غير الشقيق بمساعدة فارناسياس Pharnacyas ، مينوستانيس Menostanes والعديد من الأشخاص الآخرين، ولقد تم اغتيال كسركسيس Xerxes بعد مرور 45 يوماً على اعتلائه العرش «بينما كان مخموراً في قصره»، ولقد حصل سوجديانوس Sogdianus من بعده على اللقب الملكي فقرة 45 ، وقام بتعيين مينوستانيس Menostanes Chiliarch له أزابارتيس، هازاراباتيس، فقرة 46 ، ولقد حصل أخ آخر غير شقيق وهو «أوخوس Ochus » والذي هو أيضاً ابن إحدى المحظيات البابليات الأخريات كوسمارتيدين Cosmartidene على مرزبانية هركانيا من أبيه، وتزوج من إحدى أخواته غير الشقيقات وهي «باريساتيس Parysatis »، وهي ابنة لمحظية بابلية ثالثة هي أنديا Andia ، ولقد رفض أوخوس Ochus حضور الاجتماعات التي دعا إليها سوجديانوس Sogdianus ، وانضم إلى صفه العديد من الأشخاص المهمين بما فيهم أرباريوس Arbarius قائد خيالة سوجديانوس Sogdianus ، وسرعان ما نجح في الاستيلاء على السلطة، واتخذ الاسم الملكي دارا Darius الثاني فقرات 47-48 ، وهذا هو شكل تخطيطي للقصة التي رواها ستيسياس Ctesias .

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الألواح البابلية تسمح لنا باستنتاج أن الأحداث التي وقعت بين وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes وتولي دارا Darius الثاني للسلطة تكشفت تدريجيًّا في الفترة بين نهاية ديسمبر 424 وفبراير 423، ولم يعترف الكتبة البابليون رسميًّا بفترتي حكم كل من كسركسيس Xerxes الثاني وسوجديانوس Sogdianus ، وتفوتنا الكثير من التفاصيل، ومن المحتمل أن كسركسيس Xerxes قد حصل على العرش بسبب نسبه، وربما أيضاً لأن أباه قد اعترف به كولي العهد، ولكن يبدو أنه عندما علم كل من سوجديانوس Sogdianus وأوخوس Ochus بتولي أخيهم الملك، قاما وبشكل متزامن بالإعلان عن دعاواهم ومطالبهم تلك، وتظهر روايات ستيسياس Ctesias أن النبلاء كان عليهم أن يختاروا طرفاً معيناً في هذا النزاع للانضمام إليه، ولقد نجح أوخوس Ochus -في المعركة التي تلت ذلك- في أن يضم إليه العديد من الرجال المهمين مثل أرباريوس Arbarius قائد خيالة سوجديانوس Sogdianus وأرساميس أرساما Arsama مرزبان مصر، وحتى أرتوكساريس Artoxares الذي كان قد تم نفيه إلى أرمينيا في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول؛ وذلك لأنه تحدث إلى الملك بالنيابة عن ميجابيزوس Megabysus فقرة 40 .

ولقد حدث ذلك بهذه الطريقة، وبمصادفة غير عادية أن العديد من الأشخاص الذين قد تم ذكر أسمائهم للتو قد عرفناهم أيضاً من الألواح البابلية التي تخص أرشيف موراسو Murasu ، وهي مؤسسة تجارية كانت تُعني في الأساس في عهد كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني بإدارة الأراضي حول نيبور بما فيها تلك الأراضي التي منحها الملك إلى أفراد من أسرته وإلى كبار موظفي البلاط، وبالإضافة إلى «بيت نساء القصر» في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول و«بيت باريساتيس Parysatis » بعد تولي دارا Darius الثاني

الحكم، يمكننا التعرف أيضاً على أرساما Arsama والذي بالإضافة إلى الضياع والأراضي التي كانت عنده في مصر كان يحتفظ أيضاً بأراضي وماشية في بابل في عهد كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني، ويمكننا أيضاً التعرف على مينوستانيس Menostanes ابن أرتاريوس Artarios ، ولقد كان أرتاريوس Artarios أخاً لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول ومرزباناً على بابل في وقت حدوث ثورة ميجابيزوس Megabysus ، ولقد تعرض ابنه مينوستانيس Menostanes للهزيمة على يد قوات ميجابيزوس Megabysus فقرة 38 ، ثم ارتد وانضم إلى سوجديانوس Sogdianus في الصراع الدائر على السلطة، والذي عينه Chiliarch له فقرات 45-46 ، ومينوستانيس Menostanes هذا والذي هو ابن أخو أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول والمعروف بـ «مانوستانو» في الألواح البابلية يسمى أيضاً «مار بيت ساري» أو الأمير الملكي ، ولقد مات سريعاً بعد هزيمة سوجديانوس Sogdianus بفترة قصيرة، وانتقلت عزبه وأراضيه إلى «أرتهسار»، والذي بالتأكيد كان أرتوكساريس Artoxares وتبعاً لما يقوله ستيسياس Ctesias ، فقد أعلن نفسه رفيقاً لأوخوس Ochus فقرة 47 ، وبالمثل تمت مكافأة الشخص المسمى «أرباريم Arbareme » في الألواح؛ لأنه تحول إلى صف أوخوس Ochus بشكل كامل ستيسياس Ctesias ، فقرة 47 .

على الرغم من أن ستيسياس Ctesias لم يكن واضحاً حول هذه النقطة، إلا أنه يبدو أن أرتاريوس Artarios ومينوستانيس Menostanes لم ينجحا في جعل بابل تنضم إلى صف سوجديانوس Sogdianus ، والذي من المحتمل جدًّا أنه كان يعيش في صوصا بعد توليه السلطة، ويبدو واضحاً أنه في الوقت نفسه كانت القوات البابلية تساند أوخوس Ochus راجع فقرات 46-47 ، وتدفعنا الألواح البابلية للاعتقاد بأن

أوخوس Ochus قد جند وحشد الجند الذين طُلب منهم مقابل حصولهم على الأراضي أن يقوموا بالاستجابة لأي نداء يطلقه للقتال، وتبعاً لقصة ستيسياس Ctesias ، فإنه لا يبدو أنه كانت هناك معركة التحامية منظمة، فمثلما فعل تانيوكسارسيس Tanyoxarces في النهاية فقرة 10 ، وافق سوجديانوس Sogdianus على تسليم نفسه عندما أمره الملك الجديد، ولقد تم إعدامه «بعد أن حكم الإمبراطورية لمدة 6 شهور و 15 يوماً» فقرة 48 ، ولقد كان على دارا Darius الثاني بعد ذلك أن يواجه متمردين آخرين وهم: أخيه الشقيق أرسيتيس Arsites هو مثله ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes وكوسمارتيدين Cosmartidene ، وأرتيفيوس Artyphius ابن ميجابيزوس Megabysus والذي شارك قبل ذلك بحوالي 30 عاماً مع أبيه في الثورة ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول فقرة 37 ، وسرعان ما تم إعدامهم هم وفارناسياس Pharnacyas أحد مساعدي سوجديانوس Sogdianus ، أما مينوستانيس Menostanes فقد فضل الانتحار فقرات 50-51 .

الأسر والسلطات:

إن ما حدث في خلافة أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول يؤكد على مدى إلحاح وخطورة المشكلات المتعلقة بالأسرة المالكة وتعاقب السلطة فيها، ويشكل حالة خاصة، فمن المفاجئ والغريب أن أرتاكسركسيس Artaxerxes وداماسبيا Damaspia لم يكن عندهما سوى ابن شرعي واحد، وربما أن الآخرين قد ماتوا صغاراً، كما حدث مع 13 طفلاً من أطفال دارا Darius الثاني وباريساتيس Parysatis فقرة 41 ، ومهما كان الحال، فبعد خلع كسركسيس Xerxes الثاني تنافس الأبناء غير الشرعيين للملك المتوفي على تولي السلطة، وهم سوجديانوس Sogdianus وأوخوس Ochus ، وفيما بعد أريستيس Arsites ، وطبقاً لهيرودوت Herodotus الكتاب الثالث، فقرة 2 ، فإنه كانت هناك

قاعدة» نوموس والتي تجعل الأبناء غير الشرعيين غير مؤهلين للخلافة، ولكن مثلها مثل العديد من القواعد الملكية الفارسية التي يذكرها راجع الكتاب السابع، فقرة 2 ، فإن هذه القاعدة لا تملك تلك القوة أو الفاعلية الخطيرة التي ينسبها هيرودوت Herodotus إليها، ومما لا شك فيه أن «النوثوي» الأبناء غير الشرعيين كانوا من ناحية يتمتعون بمكانة كبيرة في البلاط راجع هيرودوت Herodotus الكتاب الثامن، فقرة 103، ديودورس Diodorus الكتاب الحادي عشر، فقرة 61-5 ، ومن ناحية أخرى فإن الشيء المهم على أية حال هو ضمان استمرارية الأسرة، ومن العجيب أيضاً أن أيًّا من الأسر العريقة لم تحاول على الإطلاق السيطرة على السلطة، فلقد اكتفت الأسر العريقة بالانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك من الأطراف المتنازعة على السلطة، وهذه دلالة على أن أوخوس Ochus وسوجديانوس Sogdianus كانا يعتبران فعلاً أبناء لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهكذا، فلقد حصلا على قدر ما من الشرعية الأسرية وبالتالي الملكية .

وفي حين أن معظم النبلاء قد قنعوا بالحصول على المكافآت من الملك الجديد ألقاب البلاط، منح الأراضي ، إلا أنه قد تم تخصيص أسرة واحدة للحصول على قدر أكبر بكثير من الفوائد، وفي الحقيقة فلقد قام دارا Darius الثاني في تاريخ غير معروف بتزويج ابنه أرساسيس Arsaces إلى ستاتيرا Stateira ابنة هيدارنيس Hydarnes ، وفي الوقت نفسه تزوجت ابنة الملك المسماه أمستريس Amestris من تريتوشميس Teritushmes ابن هيدارنيس Hydarnes ، ويتبع ستيسياس Ctesias ذلك بفقرة طويلة حول مغامرات الزوجين، والتي بلغت ذروتها عند وفاة تريتوشميس Teritushmes في المعركة وتعذيب أسرته بالكامل أخته، أمه، إخوته الذكور، وأختين أخريين، فقرات 54-55 ، ويرجع ستيسياس Ctesias جرائم القتل هذه كلها إلى

باريساتيس Parysatis ، والتي تمثل نموذجاً تقليديًّا «للأميرة القاسية» التي قد أثار غضبها سلوك تريتوشميس Teritushmes ، فتبعاً لستيسياس Ctesias وقع تريتوشميس Teritushmes في حب أخته روكساني Roxanne فقام بإعدام أمستريس Amestris ابنة كل من دارا Darius وباريساتيس Parysatis فقرة 54 ، ويذكر ستيسياس Ctesias أيضاً أن دارا Darius أراد أن يقتل ستاتيرا Stateira ابنة هيدارنيس Hydarnes وزوجة ابنه أرساسيس Arsaces ، ولكن باريساتيس Parysatis سمحت لنفسها بالتأثر بالتماسات وتوسلات ابنها، ولقد استجاب دارا Darius لالتماساته هو الآخر، ولكنه حذر باريساتيس من أنها ستندم نتيجة لذلك» فقرة 56 ، ونحن نعرف أنه خلال حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني قامت باريساتيس Parysatis أخيراً بالتخلص من ستاتيرا Stateira فقرة 61، بلوتارخ Plutarch ، أرت، فقرة 19 ، قبل الموافقة على زواج أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني من ابنتها أتوسا Atossa أرت، 23، فقرات 3-7 ، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم تتم إبادة الأسرة بالكامل، حيث إنه في عام 400 ق. م كان هناك أخ لستاتيرا Stateira في حاشية تيسافرنيس Tissaphernes زينوفون Xenophon ، أناب، الكتاب الثاني، فصل 3-17 .

ولقد شكلت تلك الزيجات المختلطة التي عقدتها أسرة دارا Darius الثاني مع أسرة هيدارنيس Hydarnes تغيراً جديداً جديراً بالذكر في سياسة الأسرة الأخمينية، فعلى الأقل منذ عهد قمبيز Cambyses كانت الزيجات تتقيد وبشكل صارم بسياسة الزواج الداخلي، وتبادل الزوجات مع أسرة هيدارنيس Hydarnes أدى في حد ذاته إلى منح هيدارنيس Hydarnes سلطة شخصية استثنائية، ولسوء الحظ فإننا لا نعرف عنه شيئاً، ولا يمكن الجزم بأنه كان بالفعل من نسل فيدارنا أحد المتآمرين في عام 522، ومهما كان الحال، فلا بد أنه قد قدم قدراً كبيراً من

المساعدة لأوخوس Ochus خلال النزاع على الخلافة، وفي الوقت نفسه، فإن تلك الأفعال الدموية التي سرعان ما قام بها كل من دارا Darius الثاني وباريساتيس Parysatis توضح أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن منح ترتيبات ومكانة دائمة لأسرة هيدارنيس Hydarnes ، فلقد كان زواجهم أنفسهم يهدف إلى إرجاع مفهوم وسياسة الزواج الداخلي، وذلك لمنع إحدى الأسر العريقة من المطالبة بالسلطة في يوم من الأيام، وبمعنى آخر فإن التنازلات الزيجية التي تم تقديمها لأسرة هيدارنيس Hydarnes كانت تعتمد بشكل كامل على الظروف في ذلك الوقت، حيث إنه بمجرد أن ترسخت سلطته كان دارا Darius الثاني راغباً ومستعداً -إلى حد ما- لتشذيب وقطع الأفرع المنافسة المحتملة، وفي الوقت نفسه، فإن الأحداث توضح مدى مقدرة الأخمينيين على إعادة بناء وتدعيم الأسرة الملكية، وفي الحقيقة فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول قد قام بتزويج أوخوس Ochus من أخته غير الشقيقة باريساتيس Parysatis ، ولقد كان يقصد من وراء ذلك إنشاء فرع جديد في الأسرة الأخمينية، وقبل وصول أوخوس Ochus إلى سدة الحكم كان قد أنجب طفلين هما ابنته أمستريس Amestris وابنه أرساسيس Arsaces ، والذي سيصبح فيما بعد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني فقرة 49 .

الشرعية والدعاية السياسية:

من الواضح أن انتصار أوخوس Ochus قد جاء نتيجة تآلف عدد من القوى التي تمكن من ضمها إلى صفه، ولكن يبدو أيضاً أن كل ابن من الأبناء المتنافسين على السلطة كان قادراً على شن حملة دعائية تنطوي على قدر كبير من المهارة ليثبت شرعيته وأحقيته في السلطة، ومن المحتمل أن رواية بوسانياس Pausanias العرضية الغريبة الكتاب الثاني، فقرة 5 تأتي من هذا التقليد، والتي تبعاً لها نجد أن «دارا Darius الابن غير

الشرعي نوثوس لأرتاكسركسيس Artaxerxes قام بمساندة من الشعب الفارسي هو برسون ريموس بخلع سوجديانوس Sogdianus الابن الشرعي جينيسيوس لأرتاكسركسيس Artaxerxes »، فهل كان سوجديانوس Sogdianus يحاول أن يزين ويحسن صورته عن طريقة هذا النسب الشرعي المثير للجدل إلى حد كبير ؟ إن ذلك ممكن، ولكننا لا نعرف عنه شيئاً قبل وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهل يعني اسمه The Sogdian أنه قد ولد خلال حملة والده على شرق إيران في بداية فترة حكمه؟ وهل قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بعمل ترتيبات طارئة قبل وفاته لحزم الأمور في حالة وفاة كسركسيس Xerxes المفاجئة؟ وتبعاً لهذه النظرية فقد اعترف بحقوق سوجديانوس Sogdianus في تولي السلطة بوصفه ابنه الأكبر؟ وهل كان اختيار أوخوس Ochus ليكون مرزباناً على إقليم هركانيا هو نوع من التعويض للابن الأصغر؟ وتظل كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى أيضاً بدون إجابة .

و«الأشخاص الفرس» الذين يشير إليهم بوسانياس Pausanias هم بلا شك الجيش الفارسي، والذي كما يذكر ستيسياس Ctesias كان معادياً لسوجديانوس Sogdianus فقرة 45 ، ويذكر هذه الملاحظة خلال فترة تنبع مباشرة من الدعاية التي كانت تبثها الدائرة المؤيدة لأوخوس Ochus ، ويذكر ستيسياس Ctesias أن سوجديانوس Sogdianus قد كلف شخصاً ما اسمه باجورازوس Bagorazus بقيادة العربة الجنائزية التي كانت تحمل رفاة كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول وكسركسيس Xerxes الثاني: «وفي الحقيقة فإن البغال التي كانت تجر العربة الجنائزية رفضت التحرك كما لو كانت تنتظر رفاة الابن كسركسيس Xerxes ، وعندما وصل جسد الابن اندفعت مسرعة بمعنويات مرتفعة» فقرة 45 ، ثم يقول ستيسياس Ctesias إن سوجديانوس Sogdianus قام بالتخلص من باجورازوس

Bagorazus «بحجة أنه قد تخلى عـن جسـد أبيـه» فقـرة 46 ، وعـلى الـرغم مـن أن ملخص فوتيـوس Photius لـيس واضـحاً حـول هـذه النقطـة، إلا أنـه يبـدو أن بعـض الجدل قد ثار حول كيفية التعامل مع رفاة الملـك الأب، وفي الحقيقـة فـإن تنظـيم تلـك المراسـم المهيبـة للجنـازة كانـت مـن أجـل الوريـث، والشيء الـذي قـام بـاجورازوس Bagorazus بإثـارة الشـكوك حولـه لم يكـن أكـثر أو أقـل مـن شرعيـة سـوجديانوس Sogdianus .

وتؤكد إحدى الفقرات في مؤلف بوليانوس Polyaenus الكتـاب السـابع، فصـل 17-7 على أن أوخوس Ochus كان يرى أنه قد أصبح مـن مسـؤولياته بعـد مـرور 10 شـهور أن «يعلـن عـن الحـداد الملـكي تبعـاً للتقاليـد الفارسـية»، ويقـول بوليـانوس Polyaenus أيضاً أنه خلال هذا الوقت كـان أوخـوس Ochus يخـتم الوثـائق بخـتم أبيه، وفي الحقيقة، وكما نعرف فإن أوخوس Ochus قد تم الاعتراف به كملك في فبراير 424، والفكـرة التـي نقلهـا كـل مـن ستيسـياس Ctesias وبوليـانوس Polyaenus بطريقتهم وأسلوبهم الخاص هي من المحتمل أن تكون جزءاً من الرواية الرسـمية التـي تم تناقلها بعـد تـولي أوخـوس Ochus للسـلطة، وفي هـذا الإطـار نفسـه، فقـد تناقـل اليونانيون صورة تقليدية عن دارا Darius الثاني بأنه كان ملكاً لا يعبأ كثـيراً بالتبـاهي والتفاخر بما لديه من مظاهر الرفاهية، وبأنه شـخص قـال وهـو عـلى فـراش موتـه إنـه «عدل مع رعيته ومع الآلهة» أثينيوس، الكتاب الثاني عشر، 5480 .

الملك الأكبر دارا Darius الثاني:

أدت إعادة استخدام الاسم الملكي «دارا Darius » إلى إضفاء المزيد من الشرعية عـلى الملك الجديد، وفي النقوش القليلة التي تم إنتاجها في عهده، قام دارا Darius الثـاني -مقلـداً لمن سبقوه- باستخدام كل كلمة من الكلمة الموجـودة في ألقـاب دارا Darius الأول D2Sb ، ويزعم أنه قام ببناء أبادانـا في صوصـا D2Sa ، وأنـه أكمـل قصراً آخـر هـاديس كـان قـد

بدأه أبوه D2Sb ، ولقد قام بحفر مقبرته بجوار مقبرة أبيه على المنحدر الموجود في نقسى روستام، ومن ناحية أخرى فإنه لم يقم بإعادة بناء القصر الذي كان قد شيده دارا Darius الأول، والذي قد تعرض للدمار جراء حريق خلال حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول راجع A2Sa ، وفي غياب الأدلة المكتوبة، فنحن لا نعرف شيئاً عن أية أنشطة إنشائية محتملة في برسيبولس .

7- الشؤون المتعلقة بالجبهة الغربية:

الوضع في آسيا الصغرى 413-424 :

في غياب أدلة من مركز الإمبراطورية، فإننا لا نجد أمامنا سوى روايات تتحدث بشكل شبه حصري عن الأوضاع في آسيا الصغرى ومصر، ولقد رأينا كيف أن الأثينيين قد أرسلوا أرتافرنيس Artaphernes إلى إيفيسوس قبل وفاة أرتاكسركسيس Artaxerxes مباشرة، ومن الواضح أنهم كانوا يأملون في إعادة فتح باب المحادثات مع الملك الأكبر ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الرابع، فقرة 50-3 ، ويشير أندوسيديس Andocides ، وهو خطيب أثيني من القرن الرابع، يشير بشكل شديد العمومية إلى المعاهدة التي تم عقدها بين أثينا والملك الأكبر بعد تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes السلطة: «لقد عقدنا هدنة سبونداي مع الملك الأكبر وبنينا صداقة فيليا معه إلى الأبد، ولقد تفاوض معه على هذا الاتفاق إيبليكوس Epilycus ابن تيساندروس Teisandrus أخو والدتي» باس29 ، ومن الصعب تحديد ما إذا كانت هذه الرواية تشير إلى تجديد ما يعرف بسلام كالياس Callias ، أو أنها كانت تشير إلى معاهدة جديدة، وذلك نظراً لغياب أي تأكيد خارجي باستثناء مرسوم أثيني يمدح هراكليديس Heraclides ، ولكن التاريخ نفسه هو مثار جدل ، وعلى أية حال، فإننا يمكن أن نتفق على أنه في ذلك التاريخ المفترض أي حوالي

عامي 423-424 كان كل من الملك الأكبر وأثينا لديهم من الأسباب ما يدعوهم لتجنب الدخول في مواجهة علنية.

ويمكن أن يكون هذا هو الإطار الزمني الذي حدثت فيه ثورة بسوثنيس Pissuthnes ، والتي لم يذكرها سوى ستيسياس Ctesias في إطار سرده للصعوبات التي قابلها الملك الجديد بعد توليه الحكم، حيث قام مرزبان سارديس بإعلان الثورة على الملك الجديد مستعيناً ببعض المرتزقة الأثينيين الذين كان يقودهم المسمى لايكون Lycon ، ولقد قام دارا Darius الثاني بإرسال جيش تحت قيادة ثلاثة من الجنرالات للقضاء على هذا التمرد، وكان من بين قادة الجيش تيسافرنيس Tissaphernes ، ولقد تعرض بسوثنيس Pissuthnes للخيانة من جانب لايكون Lycon ، وتم إعدام بسوثنيس Pissuthnes ، وذهب منصب مرزبان سارديس إلى تيسافرنيس Tissaphernes فقرة 52 ، ومن المحتمل أن بسوثنيس Pissuthnes قد حاول الاستفادة من الصعاب والمشكلات التي كانت تواجه دارا Darius ، فقد وصف ستيسياس Ctesias للتو الثورة التي قام بها كل من أرسيتيس Arsites وأرتيفيوس Artyphius قبل أن يتحدث عن مؤامرة غامضة قام بالتخطيط لها أرتوكساريس Artoxares ، انظر فقرات 50-51، 53 .

وعلى الرغم من أنه قد تم الإعلان عن إقامة علاقة ودية بين الأثينيين ودارا Darius ، إلا أن الأثينيين قد قاموا بخرق هذا الاتفاق بعد ذلك بعدة سنوات، وكما يقول أندوسيديس Andocides : «ونسمع بعد ذلك عن أمورجيس Amorges وهو أحد عبيد الملك وأحد المبعدين، والنتيجة: لقد أصبح الملك الغاضب حليفاً للاسيدومونيين وزودهم بـ 5000 طالن لتوفير الدعم المالي للحرب حتى ينجحوا في تدمير قوتنا» باسي 29 ، وفي الحقيقة فنحن نعرف من ثيوسيديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرة 54-3 أن الأثينيين قد أرسلوا

المساعدة لأمورجيس Amorges والذي قد ذكر اسمه أيضاً في النقوش المحفورة على دعامة زاثنوس ، ونعلم منه أيضاً أن أمورجيس Amorges هذا هو الابن غير الشرعي لبسوثنيس Pissuthnes ، وأن الملك قد أمر تيسافرنيس Tissaphernes أن يجلب ذلك المتمرد إليه حيًّا أو ميتاً الكتاب الثامن، فقرة 5-5 ، ويبدو أن القرار الأثيني بمساعدة أمورجيس Amorges قد تم اتخاذه قبل الحملة على جزيرة صقلية عام 414 .

تبعات الهزيمة الأثينية في صقلية:

سرعان ما أعطت الهزائم التي تعرض لها الأثينيون في جزيرة صقلية سبتمبر 413 الفرصة للملك الأكبر للانتقام من الأثينيين، ولقد قام ثيوسيديدس Thucydides في عرض رائع بوصف الصدمة التي تعرضت لها أثينا بسبب تلك الكارثة، لقد كان الأثينيون خائفين من أن «خصومهم في الداخل، والذين كانوا يضاعفون من استعداداتهم، سوف يهجمون عليهم بقوة برًّا وبحراً في وقت واحد يساعدهم في ذلك بعض المدن المتحالفة مع أثينا، والتي قد أعلنت تمردها» الكتاب الثامن، فقرة 1-2 ، وفي الحقيقة كانت الآمال كبيرة جدًّا في إسبرطة وفي اليونان الكتاب الثامن، فقرة 2 .

وسرعان ما توافد المبعوثون إلى لاسيدمون Lacedaemon من كل من كيوس وإرثراي، بالإضافة إلى سفراء من جانب كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus : «ولقد دعى تيسافرنيس Tissaphernes البلوبونيزيين للقدوم إليه، ووعدهم بدعم جيشهم، فلقد طلب الملك مؤخراً الجزية من حكومة ساردیس التي كانت قد تأخرت في إرسالها إلى الملك الأكبر، ولقد كان عاجزاً عن جمعها من المدن الهلينية بسبب دعم الأثينيين لهذه المدن، وهكذا اعتقد أنه إذا نجح في إضعاف أثينا فسوف يتمكن من دفع الجزية بدرجة أفضل، وسوف يتمكن أيضاً من

اجتذاب اللاسيدومونيين إلى عقد تحالف مع الملك، وبهذه الطريقة سينجح في تنفيذ ما أمره به الملك من القبض حيًّا أو ميتاً على أمورجيس Amorges » الكتاب الثامن، فقرة 4-5 .

ويصف ثيوسيديدس Thucydides آمال مشابهة كان فارنابازوس Pharnabazus يبتغي تحقيقها من وراء ذلك هو الآخر، حيث كان يأمل في «إرسال أسطول إلى الدردنيل» الكتاب الثامن، فقرة 6-1 ، وعازماً على تحقيق هذا الهدف أحضر مبعوثيه مبلغ 25 طالن الكتاب الثامن، فقرة 8-1 ، ولقد اندلع في إسبرطة صراع كبير بين الوفود المرسلة، حيث إن كل منها كان يسعى للتأثير على الإسبرطيين وإقناعهم بالاستجابة لعرضه، ولقد فضل اللاسيدومونين العروض المقدمة من تيسافرنيس Tissaphernes وجزيرة كيوس، والشيء الذي جعلهم يتجهون نحو هذه الوجهة هو التأثير الذي مارسه ألسيبياديس Alcibiades عليهم، والأكثر من ذلك كان رغبتهم في الحصول على دعم الأساطيل القوية التي كانت لدى كل من كيوس وإرثراي الكتاب الثامن، فقرة 6 3-5 ، وفي ربيع عام 412 وبعد العديد من الصعوبات، وصلت السفن اللاسيدومونية أسفل أسوار كيوس، وكان يقودها كالسيديوس Chalcideus وألسيبياديس Alcibiades ، وسرعان ما انضم إليهم ستاجيس Stages في تيوس، والذي كان أحد مساعدي تيسافرنيس Tissaphernes ، وهكذا بدأت الحرب الأيونية: وإذا قبلنا بتفسير ثيوسيديدس Thucydides ، فإن كل من فارنابازوس Pharnabazus وتيسافرنيس Tissaphernes قد جاءهم الأمر متأخراً بتحصيل الجزية من المدن اليونانية، ونظريًّا فإن الملك لم يتخلَّ مطلقاً عن حقوقه الملكية، ولكن الموقف الجديد قد أعطاه الفرصة لإعادة وضعها حيز التنفيذ، ولقد اشتملت هذه المهمة على شن عمليات علنية ضد أثينا لإعادة تأكيد وبسط السيطرة الأخمينية على ساحل آسيا الصغرى، وبمعنى آخر فإن كل المعاهدات السابقة هذه إذا كانت

موجودة أصلاً قد تم تجريدها من مضمونها، وأصبحت لاغية بسبب التصرفات التي قامت بها أثينا نفسها.

المعاهدات الاسبرطية الأخمينية 411-412 :

بعد ذلك بفترة قصيرة صيف 412 ، توصل كل من تيسافرنيس Tissaphernes وكالسيديوس Chalcideus إلى اتفاق مبدئي رسمي حول عقد تحالف سيماخيا بين الملك الفارسي وإقليم لاسيدومون، ولقد اتفق الحليفان على إعلان الحرب معاً، وكذلك أيضاً اللجوء إلى السلم معاً، ولقد تم التأكيد مرة أخرى على حقوق الملك بالشكل التالي: «أي من البلاد التي يملكها الملك أو كان أسلافه يملكونها سوف تظل كما هي خاضعة للملك، والملك سوف يتعاون مع اللاسيدومونيين وحلفائهم الآخرين في العمل على إعاقة أي شيء يأتي إلى أثينا من تلك المدن، سواء أكان مالاً أم أي شيء آخر» الكتاب الثامن، فقرة 18 ، وفي مقابل ذلك سوف يعامل الفرس أية مدينة تنهي تحالفها مع اللاسيدومونيين على أنها عدو له، ولكن من الواضح أن المعاهدة بشكل عام كانت تصب في صالح الفرس، وأنهم كانوا قادرين على إعادة بسط سيادتهم على مدن ساحل آسيا الصغرى بدون أي تكلفة كبيرة باستثناء النفقات المالية.

وعلى الرغم من أن بنود هذه المعاهدة لم تكن تقتصر على الأراضي التي تقع تحت سلطة تيسافرنيس Tissaphernes إلا أنه كمرزبان لسارديس أراد أن يكون أول المستفيدين منها، ورغماً عن الأثينيين، وبمساعدة من الجيوش البلوبونيزية تمكن تيسافرنيس Tissaphernes سريعاً من القبض على أمورجيس Amorges على جزيرة ياسوس سامحاً لحلفائه بأن يأخذوا هم الغنائم، وأن يكرهوا المرتزقة الذين كانوا يعملون لحساب ذلك المتمرد على المقاتلة والعمل لحسابهم، وذلك قبل أن يقوم بإنشاء حامية على تلك الجزيرة الكتاب الثامن، فقرة 2 28-5، 29:1 ؛ ولأن تيسافرنيس Tissaphernes كان كارهاً ومقاوماً لدفع رواتب القوات

البلوبونيزية، طالب البلوبونيزيون بعقد معاهدة جديدة والتـي تمـت صـياغتها في شـتاء عامي 411-412 الكتاب الثامن، فقرة 37 ، وفي الحقيقة فإن الفروق بين المعاهدتين لا تكاد تذكر باستثناء حقيقة أن المعاهدة في هذه المرة قد تم توقيعها باسم الملـك وباسـم أبنائه، وفي بداية عام 411، اعتبر أحد المفوضين الإسبرطيين المسمى «ليخـاس Lichas » أن المعاهدة الثانية مثيرة للسخط، وأنها فارغة وغـير ذات قيمـة فقـرة 43: 3-4 ، ولقـد نصـح ألسـيبياديس Alcibiades تيسـافرنيس Tissaphernes بـألا يتـورط مـع اللاسيدومونيين كثيراً: «ولقد أظهر بشكل عام فتوراً في الحرب كان واضحاً لدرجـة أنـه لا يختلف عليه اثنان» فقرة 46-5 ، ولكن الإسبرطيون كانوا بالكاد لـديهم الخيـارات التـي تعطى للحلفاء، ولقد اعترض ليخاس Lichas أيضاً على الملطيين، «حيث إنهم يجـب أن يظهروا درجة معقولة من الخضوع لتيسافرنيس Tissaphernes حتى يتم حسم هذه الحرب لصالحنا» فقرة 84-5 ! وفي الوقـت نفسـه، فـإن «ألسـيبياديس Alcibiades » الذي كان دائماً متشوقاً للعودة إلى أثينا منتصراً، ألـح عـلى تيسـافرنيس Tissaphernes ليسوي أموره مع أثينا، ولكن ذلك لم يحدث، بل على العكس من ذلك فـإن تيسـافرنيس Tissaphernes قد قام في صيف عام 411 بعقد معاهدة ثالثـة مـع الإسـبرطيين، ولقـد اشترك في هذه المعاهدة بشكل مباشر مرزبان إقليم فريجيا الواقع على مضيق الدردنيل، ولقد وعدهم تيسافرنيس Tissaphernes بقرب وصول أسـطول فينيقـي، ومـن هـذه اللحظة فصاعداً كان على البلوبونيزيين أن يتحملوا نفقـات سـفنهم الخاصـة؛ وذلـك لأن تيسافرنيس Tissaphernes قد وافق على تقديم المال اللازم لهم حتـى نهايـة الحـرب فقط الكتاب الثامن، فقرة 58 .

قيام أثينا بإعادة غزو المدن التي قد خسرتها 407-411 :

في الحقيقـــة لم يظهـــر أدنى أثـــر لأيٍّ مـــن الأســـاطيل الفينيقيـــة في آســـيا

الصغرى خلال هذه السنوات، ولقد اعتقد ثيوسيديدس Thucydides أن تيسافرنيس Tissaphernes لم يكن ينوي يوماً إرسال أسطول إلى الإسبرطيين الكتاب الثامن، فقرة 87 ، ونظراً لهذا فقد قرر اللاسيدومونيين في النهاية إرسال رد إيجابي على المطالب المتكررة لفارنابازوس Pharnabazus ، حيث إنه قد وعدهم بأنه «سيقوم بتحمل نفقات السفن» الكتاب الثامن، فقرة 81-2 ، ولكن الأثينيون قاموا بتحقيق الانتصار تلو الآخر، وفي الوقت نفسه أصبح النزاع والخلاف بين المرزبانات واضحاً ومسيطراً، ولقد قام تيسافرنيس Tissaphernes برحلة خاصة إلى مضيق الدردنيل، وقام بتوقيف ألسيبياديس Alcibiades ووضعه رهن الاعتقال في سارديس «قائلاً بأن الملك قد أمره بشن الحرب على الأثينيين» زينوفون Xenophon ، هل الكتاب الأول، فقرة 1-9 ، ولكن حتى وصول قورش Cyrus في عام 407، ظل القادة الفرس في حالة تخبط وفوضى لدرجة مكنت الأثينيين من شن هجوم مضاد ناجح انتهى بتحقيق الانتصار لتلك المدينة اليونانية، ولقد عجز فارنابازوس Pharnabazus عن مجابهة هذا الوضع، وفي عام 408 توصل إلى اتفاق مع القيادة الأثينية يقضي بـ: سوف يقوم فارنابازوس Pharnabazus بدفع مبلغ 20 طالن إليهم، وسوف يسمح لهم بتحصيل الجزية من مدينة كالسيدون، وسوف يلتزم بنقل سفرائهم إلى الملك هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 3-9 ، وخلال ذلك الوقت تمكن الأثينيون من الاستيلاء على بيزنطة، وفي الربيع التالي 407 ، وفي الوقت الذي كانوا يتوقعون فيه المغادرة لمقابلة الملك، لم يجد السفراء الأثينيون إلا قورش Cyrus الأصغر، وكان قد وصل إلى جورديون يصاحبه السفراء اللاسيدومونيين بقيادة بيوتيوس Boeotius ، والذي صرح بأنهم «قد حصلوا على كل ما يريدون من الملك» هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 4-2 .

دارا Darius الثاني ومرزباناته:

يجب الإقرار بأنه حتى وصول قورش Cyrus الأصغر إلى جورديون، لم تؤدي المبادرات المؤقتة وغير المنتظمة التي كان يقوم بها تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus إلى تحقيق أي نجاحات كبيرة باستثناء المعاهدات التي تم توقيعها مع إسبرطة، ولو أن تيسافرنيس Tissaphernes بدا كما لو كان غير راغب في تنفيذ هذه المعاهدات، ولقد حصل دارا Darius الثاني بالفعل على اعتراف من اللاسيدومونيين بسلطته على آسيا الصغرى، ولكن قيام أثينا بإعادة غزو آسيا الصغرى في عام 407 أدى إلى تجريد هذا الإنجاز جزئيًّا من محتواه.

ولقد كان أحد أسباب ذلك هو التنافس العنيد الذي دار بين كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus ، وعلى الرغم من أن هذا التنافس قد ظهر للمرة الأولى في عام 413 في إسبرطة، إلا أنه لم يفتر أو تخف حدته طوال تلك السنين، ويلقي ثيوسيديدس Thucydides بالضوء على قلق تيسافرنيس Tissaphernes عندما قرر الإسبرطيون إرسال قوات إلى الدردنيل، «ولقد كان منزعجاً أيضاً لاعتقاده أن فارنابازوس Pharnabazus سوف يجتذبهم إليه، وفي وقت أقل، وبتكلفة أقل ربما ينجح في تحقيق ما عجز هو عن فعله في مواجهة أثينا» الكتاب الثامن، فقرة 109-1 ، وفي الحقيقة فإن طموح تيسافرنيس Tissaphernes لم يتجاوز طموح خصمه: فلقد كان فارنابازوس Pharnabazus يدعو البلوبونيزيين للقدوم، وبذل كل جهده للحصول على الأسطول، حيث كان يأمل مثل تيسافرنيس Tissaphernes في دفع المدن التي لا تزال حكوماتها خاضعة لأثينا إلى الثورة، ولقد كانت عنده آمال كبيرة في تحقيق النجاح» الكتاب الثامن، فقرة 99 ، وبالنسبة لكل منهما فقد كان الشيء المهم هو تحقيق النجاح بطريقة تمكنه من أن ينال رضا الملك الكتاب الثامن، فقرة 1-6 ، وهذا هو السبب الذي جعل

رسل فارنابازوس Pharnabazus يرفضون المشاركة في حملة كيوس في عام 413 الكتاب الثامن، فقرة 8 ، وفي الوقت نفسه كان الهدف الرئيس لتيسافرنيس Tissaphernes هو القبض على أمورجيس Amorges ، وبالطبع فإن الحلفاء البلوبونيزيين لم يفوتوا فرصة الاستفادة من هذه الخصومة، وهذا التنافس من وقت لآخر راجع هيلينيكا، الكتاب الأول، فصل واحد، فقرة 32-33 .

وتوجد شواهد متكررة على هذه المنافسة بين المرزبانات وخاصة «بين كل من مرزبان سارديس ومرزبان داسيليوم»، والتي توجد بينهما نزاعات حدودية طويلة الأمد، وبالنسبة للملك الأكبر كانت هذه بالتأكيد طريقة مناسبة لكبح جماح المرزبانات وحتى لا تزداد أهميتهم راجع زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، الكتاب الأول، فقرة 1-8 ، ولكن النتيجة الطبيعية لذلك تمثلت في درجة ما من عدم الكفاءة، ولكن الشيء الذي يبدو غريباً على وجه الخصوص هو تمكن ألسيبياديس Alcibiades من الفرار من سجنه في ساردیس مع رفيقه الأثيني مانتيثيوس Mantitheos بعد مرور فترة قصيرة على اعتقاله على يد تيسافرنيس Tissaphernes : «حيث تمكنا من الحصول على الخيول وهربا من ساردیس ليلاً متجهين نحو كلازوميناي» هل الكتاب الأول، فصل 1، فقرة 10 ، وإذا أخذنا في الاعتبار قوة الحامية الموجودة في ساردیس، وصعوبة السفر على طرقات هذه المنطقة، فإن هذا يدفعنا للاعتقاد بأنه كان لهما شركاء في الداخل ساعدوهما على الهرب، ومن المحتمل -إلى حد ما- أن الفرس الموجودين في ساردیس كانوا معادين لاستراتيجية تيسافرنيس Tissaphernes مثل الفرس الذين كانوا موجودين في أوائل العقد الأول من القرن الخامس ق.م، والذين يبدو أنهم قد تآمروا مع هيستيوس Histiaeus حاكم ملطية السابق ضد مشروعات أرتافرنيس Artaphernes هيرودوت Herodotus الكتاب السابع، فقرة

4 ، ومن المحتمل أيضاً أن تردد تيسافرنيس Tissaphernes يعكس بدرجة أكبر حالة عامة من الشقاق والتضارب حول طريقة التعامل مع كل من أثينا وإسبرطة.

وأحد الأسباب الأخرى لوجود مثل هذه الخصومة وهذا التنازع بين المرزبانات الفرس كان يرجع في الحقيقة إلى أن أيًّا من تيسافرنيس Tissaphernes أو فارنابازوس Pharnabazus لم تكن لديه القوات العسكرية الكافية للسماح له فعلاً بحسم المعركة الدائرة في ذلك الوقت لصالحه، وذلك هو السبب الذي جعل كل منهما يعمل جاهداً لاجتذاب البلوبونيزيين إلى أرضه في عام 413، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه حتى على الأرض لم يكن الخيالة الفرس هم الذين لا يبارون في المعركة، ففي عام 409 على سبيل المثال تعرض ذلك العدد الكبير من الخيالة الذي كان لدى فارنابازوس Pharnabazus إلى الهزيمة على يد جيش ألسيبياديس Alcibiades الذي كان يتكون من الفرسان وجنود الهبليت الكتاب الأول، فقرة 2-16 ، وفي السنة نفسها تمكن ثراسيلوس Thrasyllus الأثيني من غزو أراضي ليديا «في وقت نضوج القمح»، ولم يتمكن ستاجيس Stages مساعد تيسافرنيس Tissaphernes هناك من القبض سوى على جندي واحد، وذلك على الرغم من قوة خيالته الكتاب الأول، فقرة 2: 4-5 .

ولقد تجلت سمة نقص الكفاءة هذه التي كانت تعاني منها القوات الفارسية في أوضح صورها في البحر، فباستثناء حالة ذلك الأسطول الفينيقي الغامض الذي وعد به تيسافرنيس Tissaphernes ، والذي لم يظهر على الإطلاق، لم يكن لدى المرزبانات أية أساطيل بحرية على الإطلاق، وفي أفضل الأحوال كان بإمكانهم استئجار طواقم لتشغيل السفن ولكن هذا لم يكن يمر بدون تبادل الاتهامات بشكل متكرر ، والسماح لحلفائهم البلوبونيزيين ببناء سفن باستخدام أخشاب مقطوعة

من الغابـات الملكيـة هيلينيكـا، الكتـاب الأول، فصـل 1، 24-25 ؛ ولـذلك فإنـه بسـبب تضاؤل إمكانياتهم البحرية، شارك المرزبانات الفرس بشكل هامشى في الحرب التي دارت بين الأساطيل الأثينية والأساطيل البلوبونيزية، وفي عام 411 عندما وقعـت معركـة بريـة وبحرية بين الأثينيين واللاسيدومونيين، وصلتنا هذه الصورة عما كـما يفعلـه فارنابـازوس Pharnabazus : حيـث دخـل وهـو عـلى صـهوة جـواده إلى البحـر وابتعـد فيـه قـدر الإمكان، وكان الدور الذي لعبه في القتال هو أنه أخذ ينـادي عـلى أتباعـه مـن الفرسـان والمشاة» الكتاب الأول، فقرة 1-6 ، ولقد سيطر الأثينييون على المضـايق، وتمكنـوا حتـى من فرض رسوم جمارك في صورة 10/1 الغلال على سفن الغلال التي كانت تمـر بمدينـة كالسيدون الكتاب الأول، فقرة 1-22 ، ويعبر الاتفاق الـذي تـم عقـده بـين فارنابـازوس Pharnabazus وألسـيبياديس Alcibiades في السـنة التاليـة عـن مـدى عجـز هـذا المرزبان عن صد الهجمات التي تتعرض لها أراضيه الكتاب الأول، فقرة 3: 8-13 .

وبالطبع كان لدى المرزبانات الفرس مـوارد كبـيرة مكنـتهم مـن اسـتئجار مرتزقـة على الرغم مـن محدوديـة عـددهم ، وبخاصـة حتـى يقللـوا مـن دفـع رواتـب الجنـود البلوبونيزيين الذين كانوا يقاتلون في صـفهم، ولكننـا نقـول إن مـوارد هـؤلاء المرزبانـات كانت غير محدودة وهـو مـن الأمـور غـير المؤكـدة، وفي الحقيقـة فإنـه يبـدو أن هـدف كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus كان مواصلة العمليات العسكرية ضد الأثينيين بأقل قدر ممكن من التكاليف راجـع ثيوسـيديدس Thucydides الكتـــاب الثـــامن، فقـــرة 87-5، فقـــرة 109-1 ، ويبـــدو أن البلوبـــونيزيين وتيســـافرنيس Tissaphernes نفسه أيضاً كانوا يعتمدون في الغالب على الضرائب التـي كـان يـتم جمعهـا مـــن المـــدن اليونانيـــة في آســـيا الصـــغرى، والتـــي أظهـــرت بـــدورها نوعـــاً مـــن المعارضـــة

ورفض التعاون راجع الكتاب الثامن، فقرة 36-2، فقرة 45-5 ، ولقد رفض تيسافرنيس Tissaphernes زيادة رواتب المرتزقة في مناسبة واحدة على الأقل زاعماً بأنه ينتظر وصول رد من الملك دارا Darius الثاني الكتاب الثامن، فقرة 29-1 ، وتاركاً انطباعاً بأنه سيقوم برفع الأجور عند وصول أي قدر من المال من دارا Darius فقرة 45: 5-6 ، ولقد اشتكى الحلفاء البلوبونيزيين في العديد من المناسبات من أنهم لا يحصلون على دخل منتظم يكفى لإعاشتهم الكتاب الثامن، فقرة 78 ، وفيما بعد قام ألسيبياديس Alcibiades بمخاطبة ممثلي الحلفاء بهذه الطريقة: «لقد أوضح أن تيسافرنيس Tissaphernes كان في الوقت الحالي يخوض الحرب على نفقته الخاصة تا إيديا خريماتا ، وأنه كانت عنده أسباب وجيهة للاقتصاد في الانفاق، ولكن بمجرد حصوله على تحويلات نقدية تروني من الملك سوف يقوم بإعطائهم مستحقاتهم بالكامل، وسوف يفعل الشيء المناسب مع المدن» الكتاب الثامن، فقرة 45-6 .

ومما لا شك فيه أن «نفقته الخاصة» هذه كانت تتمثل في الأموال المتوفرة لدى المرزبان في حسابه الشخصي، وكان ذلك يشتمل على مبالغ ضخمة؛ لأنه بعد ذلك بعدة سنوات تمكن تثروستيس Tithraustes من دفع رواتب بعض الجنود عن طريق سحب مبلغ 220 طالن من الفضة من «الموارد الخاصة لتيسافرنيس Tissaphernes » إيك تيس أوسياس تيس تيسافرنوس، هيلينيكا، أوكسير، فقرة 19-3 ، ولا بد أن هذه كانت إحدى الثروات الموجودة في مكان ما على الحد الفاصل بين ممتلكات الولاية وبين الممتلكات الخاصة كما كان هو الحال مع الرياض والحدائق على سبيل المثال ، ومهما كان الحال، فقد كان الملك يعتقد أن المرزبانات عليهم أن يستخدموا هذه «النفقات الخاصة» ليدفعوا رواتب الجنود، وربما أن الملك اعتقد أيضاً أن الأمر الذي أصدره

إلى تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus بتحصيل الضرائب من المدن الكتاب الثامن، فقرة 505، فقرة 6-1 كان يشير إلى أنه ليس مضطراً إلى تمويل الحرب، ويشكو المؤلف بالإضافة إلى ذلك من الجشع الكبير الذي كان يتميز به الملك الأكبر عن طريق الإشارة بشكل صريح إلى فترة حكم كل من دارا Darius الثاني وخليفته : «لقد كان الاستراتيجوس يقوم بدفع رواتب الجند بشكل باعث على الأسى، وعلى أية حال، فإن هذه كانت هي عادتهم كما حدث في حرب ديسيليا عندما تحالف الفرس مع البلوبونيزيين، حيث إنهم قاموا بتزويد حفائهم بالمال بقدر شحيح وجائر، ولقد كان حلفاؤهم على وشك العودة إلى موطنهم مع سفنهم ثلاثية المجاديف لولا أن قورش Cyrus الأصغر قد تصرف بسرعة، والملك الأكبر هو من يتحمل المسؤولية عن هذا الوضع، حيث إنه في كل مرة كان يعتزم فيها شن الحرب كان يقوم في البداية بإرسال مبلغ صغير من المال لهؤلاء الذين سيقومون بالتنفيذ، ولكنه لا يضع في اعتباره الأحداث التي تعقب ذلك لدرجة أنه إذا لم يتمكن المرزبانات من توفير التكاليف من المال الخاص بهم إيك تون إيديون كان القادة العسكريون يضطرون إلى تسريح جيوشهم.

وبمعنى آخر، فإن الملك كان يقوم باستثمار أولي، وكان يطلب من المرزبانات استغلاله بالشكل الأمثل، وإذا لم يتمكنوا من إنجاز العمل في الوقت المحدد، كان عليهم أن يدفعوا من مالهم الخاص انظر أيضاً هيلينيكا، الكتاب الأول، فقرة 5-3 ، وفي وقت الحرب كما في وقت السلم، فإن الملك الأكبر كان مقتصداً إلى حد ما، ولقد كان يراقب ثروته الخاصة بعناية، وهكذا فإننا نحصل على انطباع بأننا نرى في هذا المثال المحدد السياسة العامة التي كانت تتم بها إدارة العائدات المالية للإمبراطورية، ويمكن مقارنة ذلك -موتاتيس موتانديس- بإحدى التعليمات التي كان يشتمل عليها صك السفر الذي أعطاه أرساما

Arsama إلى القهرمان الخاص به نهتهور: «وإذا مكثت في مكان ما مدة تزيد عن يوم واحد، فلا تعطيهم أي إمدادات إضافية في الأيام الأخيرة»، وتظهر إحدى الوثائق الآرامية من مصر هذا المبدأ نفسه [AP 2 [DAE 54 ، وهكذا فإن المسؤولية المالية الشخصية للموظفين الإداريين في الدولة يبدو أنها قد امتدت لتشمل المرزبانات أيضاً، حتى عندما كانوا يشنون الحروب! ولقد كانت هذه واحدة من الطرق العديدة المستخدمة للحد من طموحات المرزبانات.

دارا Darius الثاني، آسيا الصغرى، جبهات أخرى:

يصعب فهم توقعات وأهداف الاستراتيجية التي عمد إلى تطبيقها الملك الأكبر، حيث إننا مازلنا نجهل الكثير عنها، ويوضح أحد الألواح البابلية الذي يعود تاريخه إلى نوفمبر 407 مدى جهلنا بهذه الاستراتيجية: حيث إنه يشير إلى «حالة من الحصار» في أوروك، ولا توجد لدينا أية فكرة عما يشير إليه ذلك، وتشير بعض الألواح الأخرى التي تعود لعام 422 إلى تجمع للجنود في أوروك، وهذا التناقض في التواريخ يحول دون ربطها باللوح الذي يعود لعام 407، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا يشير إلى وجود استعراضات عسكرية منتظمة، ولا يشير وجود مثل هذه الاستعراضات إلى أن تلك المنطقة كانت في حالة اضطراب في ذلك الوقت انظر بالأسفل ، وبالإضافة إلى ذلك أيضاً، فإن بعض الفقرات العرضية في كتاب زينوفون Xenophon هلينيكا تشير إلى حدوث ثورة في إقليم ميديا، وأنه قد تم إخمادها في نهاية عام 407 الكتاب الأول، فقرة 2-19 ، وتشير أيضاً إلى حرب شنها دارا Darius الثاني ضد الكادوزيين Cadusians في عام 405 الكتاب الثاني، فقرة 1-13 ، وبشكل عام، فإنه من الصحيح أننا عمليًّا لا نعرف أي شيء عن الأنشطة العسكرية التي دارت خارج منطقة آسيا الصغرى، ونتيجة لقيام بلوتارخ Plutarch بكتابة «حياة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني» -عرفنا على

سبيل المثال- أنه أيضاً قد قاد حملة ضد الكادوزيين في العقد الثاني من القـرن الرابـع ق.م أرت، فقرة 24 ، ثم، ومرة أخرى، فإن بعض الألواح الفلكية البابلية التـي تـم الإعـلان عنها مؤخراً تدفعنا للشك في هذه الضجة التـي صـمت آذاننـا، والتـي أحـدثتها المصـادر الكلاسيكية حول الأمور التي جرت على الجبهة الغربية راجع أيضاً فصل 15-1 .

وفي آسيا الصغرى نفسها تعرض المرزبانات لأخطار أخرى، ولكن المعلومات المتـوافرة لدينا عنها هـي معلومـات عرضـية، ويـذكر زينوفـون Xenophon أنـه بعـد ذلـك بعـدة سنوات، كانت هناك امرأة اسمها مانيا Mania كانت تتبع فارنابـازوس Pharnabazus ، وهي زوجة وخليفـة زينـيس Zenis حـاكم داردانـوس، ولقـد حكمـت هـذه المـرأة تلـك المنطقة في إقليم أيوليا، والتي كانت خاضعة لمرزبان داسيليوم، وبالإضافة للخدمات الأخرى التي كانت تقدمها للمرزبان، «قامت هذه المرأة أيضاً بمصاحبة فارنابازوس Pharnabazus في ميدان القتـال حتـى عنـدما غـزا أراضي الميسـيين أو البسـيديين نتيجـة لقيـامهم بسـلب وتخريب أراضي الملـك بشـكل مسـتمر» هيلينيكـا، الكتـاب الثالـث، فقـرة 1-13 ، ويـفسر عدم خضوع الميسيين والليسيين للفرس، وهو الشيء الـذي قـام المؤلفـون اليونـانيون بإلقـاء الضوء عليـه بشـكل متكـرر خـلال القـرن الرابـع، ويـفسر تكـرار الحمـلات التـي تـم شـنها ضدهم، وعندما أراد قورش Cyrus الأصغر أن يخفي عن قواته حقيقة أنه كـان يقـودهم لمحاربة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، دفعهـم للاعتقـاد أنـه كـان يقـودهم لمحاربـة البيسـيديين زينوفـون Xenophon ، الزحـف العسـكري، الكتـاب الأول، فقـرة 2-1 ، وتبعاً لديودورس Diodorus ، فقد اعتقـد الجنـود الفـرس لـبعض الوقـت خـلال معركـة يوريميدون أن البسيديين هم الذين كانوا يهاجمونهم الكتـاب الحـادي عشر، فقـرة 61-4 ، ولكـن الطبيعـة التقليديـة لعـدد مـن الإشـارات الكلاسـيكية حـول النزعـة الاسـتقلالية

الوحدوية «لشعوب الجبل» تدعو المؤرخ للتعامل معها بحذر وبأسلوب ناقد راجع فصل 16-11، 16-18 .

وأخيراً، وتبعاً لديودورس Diodorus الكتاب الثالث عشر، فقرة 46-6 ، فإن السبب الذي جعل الأسطول الفينيقي غير مؤثر على الإطلاق في آسيا الصغرى هو وصول أنباء للفينيقيين تفيد بأن «ملك العرب وملك المصريين لديهما مخططات لغزو إقليم فينيقيا»، هل دفع ذلك الخطر تيسافرنيس Tissaphernes أو حتى دارا Darius إلى أن يقوم بإعادة توجيه السفن الفينيقية باتجاه وادي النيل؟ في الحقيقة لايوجد دليل رسمي على هذا التفسير، وتدفعنا إحدى الفقرات في مؤلف ثيوسديدس Thucydides الكتاب الثامن، فقرة 35-2 إلى الاعتقاد ببساطة بأن السفن التجارية القادمة من مصر، والمحملة بالقمح قد رست في آسيا الصغرى في عام 412، ولكن من الصعب أن نستنتج من ذلك أن الأسرة الحاكمة في مصر قد انضمت إلى صف الأثينيين ضد الفرس، وبالإضافة إلى ذلك، فنحن لا نعرف أي شيء على الاطلاق عن شخصية «ملك العرب» الغامض هذا، ويشير صك السفر الذي أعطاه أرساما Arsama إلى قهرمان قصره إلى أن الطريق بين مصر وبابل في ذلك الوقت، أي حوالي عام 410-411 كان آمناً، ومن ناحية أخرى، فإنه من المحتمل أن الفرس قد استمروا في انتهاج السياسة نفسها التي ناقشناها للتو في دلتا مصر، والمتمثلة في الإبقاء على الملوك المحليين هناك، ولكن لا توجد لدينا أية معلومات على الاطلاق حول تفاصيل ذلك، وتتحدث أوراق البردى الآرامية التي تم اكتشافها في جزيرة فيلة عن وقوع اضطرابات في عام 410، وعن تقسيم القوات في القلعة إلى 4 أقسام هنديز نتيجة للمؤامرات التي دبرها شخص اسمه أنودارو Anudaru ، ولقد أصيبت ضياع أرساما Arsama بأضرار نتيجة لهذه الاضطرابات، وقتل القهرمان المصري الذي كان يعمل في خدمة

المرزبان أرساما Arsama ، ويذكر اليهود من جـانبهم أن: «بعـض الفصـائل العسـكرية المصرية قد ثارت على المرزبان في عـام 410»، ولكـن يبـدو أن هـذه الاضـطرابات كانـت محدودة، ولا يوجد رابط بينها وبـين الحـرب التـي مـن المفـترض أنهـا اسـتدعت إرسـال أسطول فارسي إلى الدلتا.

وفي التحليل الأخير، وبدون أن نرفض مثل هـذا التفسـير بالكامـل، فإننـا نميـل إلى الاعتقاد بأن الاسـباب التـي أدت إلى هـذه السـلبية الواضـحة مـن جانـب دارا Darius الثاني على جبهة آسيا الصغرى لن نجدها سواء بين المصريين أو الميديين أو الكادوزيين أو البيسيديين، ولكن يمكن تقديم سببين لهذه السلبية: أحدهما سياسي ودبلوماسي، والآخـر عسكري، ويمكننـا أن نتخيـل أنـه بالإضـافة إلى جـبن تيسـافرنيس Tissaphernes فـإن الاستراتيجية المتقلبة للإسبرطيين قد أسهمت في بث الشك والصراع بين مستشارى الملـك، ولا بـد أن الاسـتراتيجية اللاسـيدومونية قـد بـدت غريبـة ومتناقضـة عـلى دارا Darius الثاني بقدر ما بدت غريبة ومتناقضة على أبيـه أرتاكسركسـيس Artaxerxes مـن قبـل راجع ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الرابع، فقرة 50-2 ، وكل ما يمكننا قوله هو أن الملك الأكبر يبدو أنه لم يستوعب الموقف بشكل كامل، ويبـدو أن الملـك قـد توقـع - مـثلما توقـع أرتـافرنيس Artaphernes - أن اليونـانيين سـوف يقضـون عـلى بعضـهم البعض .

دارا Darius الثاني وجيوشه:

يؤكد التفسير الثاني على الضعف العسكري للملك الأكبر، وكـما نعـرف، فـإن هـذا التفسير يمثل وجهة النظر اليونانية التقليدية لبلاد فارس وخاصة في القرن الرابع وبدايـة مـن زينوفـون Xenophon في الفصـل الأخـير مـن موسـوعة قـورش Cyrus ، ونجـد منظوراً مشابهاً لهذا المنظور في عديد من أعمال المؤلفين اليونانيين مثـل أفلاطـون القـوانين 697د ، ولكـن نظـراً للطبيعـة الجدليـة لهـذه التقيـيمات فإنـه يجـب عـلى المـؤرخين بـدلاً

من ذلك أن يبنوا مؤلفاتهم على أساس من الأدلة الخارجية، والتـي تسـمح لهـم بالتأكـد من صلاحية مثل هذه التفسيرات .

ونعود بشكل عام إلى المصـادر البابليـة، وفي الحقيقـة، فإنـه يـتم التأكيـد بشـكل متكرر على أنه في إطار تطور نظام تخصيص حصص الأراضي للعسكريين نظام الهـاترو ، فـإن مـلاك قطـع الأرض تلـك بـدلاً مـن أن يقومـوا بتقـديم الخدمـة العسـكرية مقابـل حصولهم على هذه الأرض كانوا يفضلون دفـع تكاليفهـا بالكامـل إلكـو في صـورة مـال «خدمات مدفوعة» ، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة بداية من عصر دارا Darius الأول فصاعداً، ولكنهـا أصـبحت أكـثر انتشـاراً في عهـد كـل مـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول ودارا Darius الثاني، ويمكن ربـط هـذه الملاحظـة أيضـاً بـالاعتماد المتزايـد عـلى المرتزقة اليونانيين، وتشير الدلائل المتوفرة في مجملها إلى صحة الملاحظات النقديـة التـي ذكرها زينوفون Xenophon ، والتي تقول بـأن الفـرس قـد تخلـوا عـن القواعـد التـي ورثوهـا عـن أجـدادهم، والتـي تـقضي بـأن يقـوم مـلاك الأراضي بتقـديم فرسـان مـن ممتلكاتهم، وأن ينزلوا في حالة الحرب إلى ميدان القتال، ويخوضوا المعركة، بيـنما هـؤلاء الذين كانوا يقومون بحراسة النقاط الخارجية دفاعاً عن البلاد كـانوا يتلقـون أجـراً عـلى ذلك، وقد وصل إهمالهم إلى درجة أن الأعداء أصـبحوا يجولـون في أراضـيهم بـدون أيـة معارضة على الإطلاق قورش Cyrus ، الكتاب الثامن، 8 20-21 .

وحتى إذا كنا لا نصر على أن تعليقات زينوفون Xenophon هـذه هـي في الأسـاس تعليقـات سـاخرة، فإننـا لانـزال نصر عـلى أن الأدلـة البابليـة هـي أكـثر تناقضـاً مـما تبـدو عليه، وبقدر ما يمكننا بناؤه من الألواح البابلية، فإن الموقف وقـت تـولى دارا Darius الثـاني السطة يشير إلى أن نظام الهارتو كان يتم تطبيقه بشكل كامـل، فـنحن نعـرف مـن ناحيـة أن «أوخوس Ochus » الذي سيصبح في المستقبل دارا Darius الثاني كان حاكماً عـلى بابـل،

وأنه تمكـن مـن جمـع جـيش هائـل، وتشـير اللـواح البابليـة أيضـاً إلى أنـه لـكي يـتمكن المزارعون المستأجرون من الاستجابة لأوامر التعبئة كانوا يضطرون لاقتراض مبالغ ضخمة من المال من بيت موراسو Murasu ، وهناك أمثلة عديـدة عـلى هـذه العمليـة، وفي الحقيقة فنحن نعلم أنه في أغلـب الأوقـات لم يكـن أصـحاب قطـع الأراضي هـم الـذين يزرعونها بأنفسهم، ولكنهم كانوا يعهدون بإدارتها إلى شركة موراسـو Murasu ، أو إلى أية مؤسسة تجارية أخرى من النوع نفسه، وهكذا فبيـنما تشـير الوثـائق إلى أن الوضـع المالي للحاصلين على تلك المنح لم يكن جيداً، إلا أنهم كانوا على الرغم من ذلـك ملتـزمين بالوفاء بالالتزامات العسكرية التي ألقيت على عاتقهم.

وتوضح العديد من الوثائق التي تعود إلى السنة الثانية من عهـد دار الثـاني عـام 422 أنه في ذلك الوقت -وبأمر من الملك الأكبر- طلب من المزارعين المسـتأجرين في منطقـة نيبـور أن يقوموا بتقديم ضريبة «جندي الملك» سـاب سـارى للمشـاركة في تفقـد عسـكري سـوف يقام في أوروك، ويبدو أحد الألواح الأخـرى التـي تنتمـي إلى المنطقـة نفسـها أكـثر وضـوحاً في حديثه عن ذلك الحـدث: «أبلـغ جادالامـا Gadalama ابـن راهـوميلى Rahumili ، وهـو بكامل إرادته ريموت-نينورتا Rimut-Ninurta الذي يعود نسبه إلى موراسو Murasu مـا يلى: «لأن راهوميلى Rahumili تبنى أخـوك إيـلى-سـوم-إديـن Elli-sum-iddin ، فأنـت الآن تملك حصة باريك إيلى Barik-ili في الأرض التـي كـان راهـوميلى Rahumili يزرعهـا بالإيجار كأرض فرسان بيت سيسى ، اعطني حصاناً بطقمه ولجامه، وغطـاء «السـوهاتو» مـع القطعة التي تغطى الرقبة، وغـماء الفـرس، والـدرع الحديـدى، بالإضـافة إلى الغـماء، وجعبـة للسهام تحتـوي عـلى 120 سـهماً بعضـها ذو رؤوس والـبعض الآخـر ليسـت لـه رؤوس، هـذا بالإضافة إلى سيف ؟ مع الجراب الذي يوضع فيه، ورمحـين حديـدين، وسـوف أقـوم بتأديـة

الخدمة المرتبطة بحصتك من الأرض المؤجرة»، ولقد وافق ريموت نينورتا Rimut-Ninurta ، وأعطاه فرساً، والمعدات العسكرية التي ذكرها بالأعلى، بالإضافة إلى ألمينا واحدة من الفضة ليشترى بها الإمدادات التي سيحتاجها أثناء سفره استجابة لأمر الملك الأكبر القاضي بتحرك الفرسان الذين يتم حشدهم من «أراضي الفرسان» إلى أوروك، ويتحمل جادالاما Gadalama مسؤولية توفير المعدات التي يحتاجها، وسوف يقوم بتسجيلها هناك سابن الرجل المسؤول عن ديوان الجيش، وسوف يقوم بإعطاء صك التسجيل إلى ريموت نينورتا، [ثم تم تسجيل أسماء الشهود والكاتب]، وذلك في يوم 18 من شهر تيبيت من السنة الثانية لحكم دارا Darius .

وعلى الرغم من أنه كان متبنى، فقد حصل ريموت نينورتا هكذا على جزء من ضيعة الخيالة، ولكنه لم يكن راغباً في القيام بالخدمة العسكرية المرتبطة بتلك الأرض التي منحهم إياها الملك بموجب نظام الهاترو، وعقد اتفاقاً مع ابن مالك النصف الآخر من هذه العزبة، ولقد حضر جادالاما Gadalama التفقد العسكري راكباً فرساً، ومعه جميع الأسلحة المطلوبة راجع زينوفون Xenophon ، هيلينيكا، الكتاب الثالث، 4-15 .

وتتسم هذه الوثيقة بالشفافية، حيث إنها تشرح بوضوح تام أنه في ذلك الوقت كانت العزب الموجودة في منطقة نيبور تخضع لتأدية الخدمة العسكرية بشكل نشط، ولكن هوية مؤدي تلك الخدمة لم تكن تهم الإدارة، حيث كان كل ما يهم الادارة هو أن تقوم كل عزبة مسجلة في السجلات الملكية بتقديم جنود إلى الملك، والذين تمثل خدماتهم الأساس الذي يقوم عليه ذلك النظام، وبمقارنة هذه الوثيقة مع الوثائق الأخرى التي تعود إلى الفترة نفسها من ذلك العام نفسه، يتجلى لنا بشكل قاطع أنه لا يمكن النظر إلى هذه الوثيقة على أنها تمثل حالة

خاصة أو غير عادية، ومع أننا لا نستطيع إثبات ذلك، إلا أنـه مـن غـير المحتمـل لدرجـة كبيرة أن يكون الأمر بالتجمع في أوروك قد أصدره الملـك في إطـار الإعـداد لشـن إحـدى الحملات العسكرية، والتفسير المعقول بدرجة أكبر يتمثل في أنه كان يوجـد في الحقيقـة تجمع سنوي للجنود، والذي ذكر زينوفون Xenophon عـدة مـرات أنـه كـان يحـدث بشـكل منـتظم في كـل منطقـة مـن المنـاطق العسـكرية في «مكـان التجمـع المحـدد» سيلوجوس .

وفي النهاية، فإن الألـواح التـي تلـت ذلـك، والتـي تعـود إلى عهـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني تشير بشكل عام إلى استمرار العمل بهـذا النظـام، وتشـمل سـجلات الحلاق «كوسوريا Kusur-Ea » ابن «سن-أهى-بوليت Sin-ahhe-bullit » -من بين أشياء أخرى- على سبع نصوص تشير إلى حدوث إجراء مطابق عمليًّا لذلك في الفـترة بـين عامي 399-363، فلقـد عقـد أحـد أقاربـه والمسـمى «نيـدينتو-سـين Nidintu-Sin » اتفاقاً مع الحلاق «كوسوريا Kusur-Ea »، والذي يقوم بمقتضاه الحلاق بتزويده بكـل المعدات التي كان لزامـاً عـلى مـواطنى «أور» تقـديمها للقيـام بالخدمـة العسـكرية، وفي مقابل ذلك سوف يذهب بدلاً منه لحضور التجمع الملـكي الـذي عقـد في السـنة الثامنـة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وفي الحقيقة، كـان كوسـوريا Kusur-Ea ملزماً بأداء الخدمة العسكرية؛ لأنه يمتلك ربع «عزبة للرماة» بيت كاستى [363 ق. م] ، ولقد استخدمت كلمة «التجمع» هنا للتعبير عن الكلمة الفارسية القديمة «هندايسـا»، والتي توجد أيضاً في سجلات جزيرة فيلة وتعنى باللغة الآرامية «هنديز» ، وسواء تمـت تأدية الخدمة مباشرة من قبل مالك قطعة الأرض، أو أداها شخص آخر ينوب عنه بعـد أن يقوم هـو بتزويـده بالأسـلحة التـي يحتاجهـا ، فـإن الوثيقـة البابليـة توضـح هكـذا، وبشكل غير قابل للشك أن قطع الأرض ظلت مرتبطة دائماً بالالتزام الملكي الأصلي.

ولقد ظل الاعتماد على المرتزقة اليونانيين في ذلك الوقت محدوداً بعض الشيء، ولقد اعتمد تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus على الفرق العسكرية اللاسيدومونية بشكل أساسي للقيام بالمهام التي كلفهم بها دارا Darius ، والتي تتمثل في تحصيل الجزية من المدن التي لا تزال تخضع للسيطرة الأثينية، ولقد كان بإمكانهم أيضاً استخدام الضرائب التي كان يتم تحصيلها في صورة فرسان من الفرسان المنتشرين في جميع أجزاء الامبراطورية، وذلك تبعاً للنظام المشهور طويل الأمد، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه مما لا شك فيه أن الاستراتيجية الاستعمارية التي تمت مواصلتها بشكل نشط منذ أيام دارا Darius وكسركسيس Xerxes كان لها تأثير كبير في المجال العسكري، ويمكننا أن نجد أحد التأكيدات الواضحة على ذلك من خلال دراسة تركيب جيش قورش Cyrus الأصغر انظر فصل 15-2 ، ولا تدعونا الأدلة للاعتقاد بأنه كان هناك تدهور كبير في نظام قطع الأراضي العسكرية في مصر في فيلة أو في منف، وتعطينا حملات دارا Darius وجيوشه ضد الميديين والكادوزيين تأكيداً قويًّا على أن السلطة المركزية كان بإمكانها حشد قوات عسكرية فعالة بقدر ما تتطلبه الاستراتيجية، وبإختصار فإنه يبدو أن أوجه الخلل العسكرية الفارسية في آسيا الصغرى التي لا يمكن إنكارها لا يجب أن يتم تفسيرها من خلال اللجوء إلى تلك النظرية الملائمة والبسيطة عن تدهور الأوضاع العسكرية لجيش الملك الأكبر، وبالمثل فإن الملاحظة المتمثلة في أن الملك الأكبر لم يكن يرسل أموالاً لمرزباناته في آسيا الصغرى لا تشكل دليلاً كافياً على أن الخزائن الملكية كانت خاوية!

ويبدو أن كل هذه الأدلة كانت ناتجة بدرجة أكبر عن اتخاذ الملك الأكبر قراراً بانتهاج سياسة معينة، والتي فضلت لأسباب لا تزال تحتاج إلى التوضيح ألا تقوم بنشر جيوش قوية على الجبهة الإيجية، ويمكننا أن

نقدم سلسلة كاملة من التفسيرات التي ترجع ذلك إلى أسباب تقنية مثل عبء وتكلفة الضرائب على سبيل المثال ، ولكن لا يوجد تفسير واحد محدد وقاطع، وبالنظر إلى نـدرة حالات التعبئة العامة على مدار التاريخ الأخميني، ربما يجب علينا ألا نفاجأ بدرجة أكثر من اللازم أن دارا Darius الثاني لم يكن يرى أية فائـدة مـن وراء القيـام بحالـة تجنيـد شاملة في جميع أجزاء الإمبراطورية في ذلك الوقت، ويبدو من الواضح بشـكل خـاص أن الملك الأكبر ومستشاريه كانوا يعتقدون أن التحـالف اللاسـيدومونى سـوف يكـون كفـيلاً بتقديم الدعم الكافى لمرزبانات آسيا الصغرى لتكون لهم اليد العليا والتفوق هنـاك، وأن عملية إعادة فتح المدن سوف تكون كفيلة هـي الأخـرى بتمويـل العمليـات العسـكرية هناك؛ لأنها سوف تـوفر الأسـاس لإعـادة العمـل بتقـديرات الجزيـة في المـدن اليونانيـة، والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة المفترضة كان يتمثل في عملية حشد الأسـطول الفينيقـي الشهير الـذي تحـدثنا عنـه للتـو في كليكيـا، ولقـد كـان يعمـل بشـكل واضح بنـاءً عـلى توجيهات مباشرة من السلطة المركزيـة ثيوسـيديدس Thucydides ، الكتـاب الثـامن، فقرة 88-5 .

قورش Cyrus في آسيا الصغرى:

مـن المحتمـل أن قـرار دارا Darius الثـاني بإرسـال قـورش Cyrus إلى آسـيا الصغرى ربما كان الهدف منه تهدئة النزاع الذي شب بين أبنائـه، ومـن المؤكـد أنـه كـان مـدركاً لضرورة اتبـاع سياسـة أكـثر فاعليـة، ومـن المحتمـل أن بيوتيـوس Boeotius الإسبرطي ورفاقه قـد أحـاطوه علـماً بالوضـع، وأقنعـوه بضرورة الـتصرف، وعـلى الـرغم من ذلك، فإن السلطات التي تم منحها إلى قورش Cyrus وكمية الأموال التـي قـدمت لـه لشـن الحـرب لا تـدع مجـالاً للشـك فـيما يتعلـق بنيـة الملـك، وفي الحقيقـة، «فقـد أحضر قـورش Cyrus معـه رسـالة موجهـة إلى جميـع سـكان سـاحل البحـر آسـيا الصـغرى «كـاتو» ، وتحمـل هـذه الرسـالة خـتم الملـك، وكانـت تضـم مـن بـين أشـياء

أخرى هذه الكلمات: أرسل لكم قورش Cyrus كـ«كارانوس» -وتعنى كلمة «كارانوس» هذه «السيد» كيرى - لهؤلاء الذين يحتشدون في كاستولوس» هيلينيكا، الكتاب الأول، 4-3، راجع الزحف العسكري، الكتاب الأول، 1-2 ، وبمعنى آخر، فقد أصبح كل من تيسافرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus من تلك اللحظة مساعدين له، وقد كانت مهمته واضحة، وهي: «أن يكون حاكماً على كل الشعوب التي تسكن الساحل، وأن يقدم العون للاسيدومونيين في حربهم ضد أثينا» هيلينيكا، الكتاب الأول، 4-3 ، فقد ولي في ذلك الوقت الذي اتسم بتردد الملك، وبالنزاع بين المرزبانات، ولقد أصدر قورش Cyrus على الفور أوامره إلى فارنابازوس Pharnabazus بأن يقوم باحتجاز السفراء الأثينيين، ولكن بطريقة تجعل أثينا لا تنتبه إلى نوايا الملك الأكبر الجديدة، ولم يسمح لهم بمغادرة آسيا الصغرى إلا بعد ذلك بثلاثة أعوام عندما أصبح مصير الجيوش الأثينية محدداً تقريباً.

ولقد تزامن تعيين قورش Cyrus مع وصول قائد بحرى لاسيدومونى يسمى «ليساندر Lysander »، والذي كان يتسم بشكل خاص بالحيوية والحسم، وسرعان ما أصبح الرجلان يثقان في بعضهما البعض، وتمكن ليساندر Lysander بمساعدة الفرس من تدعيم جيشه وأسطوله، وقد تمكن الأثينيون عندما كان غائباً في صيف عام 406 من تحقيق نصر في جزر أرجينوزاي، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستفادة من هذا الانتصار، فقد واجهت القادة الأثينيين بعض الظروف المعاكسة! ولقد مثلت عودة ليساندر Lysander صيف عام 405 بداية مرحلة جديدة في العلاقات الإسبرطية الأخمينية، وبعد ذلك ببعض الوقت تم استدعاء قورش Cyrus الأصغر إلى حضرة والده وهو في فراش مرضه، وقبل أن يغادر قورش Cyrus قام بإعطاء ليساندر Lysander مبالغ كبيرة من المال، وتبعاً لزينوفون Xenophon «عهد بكل سلطاته إليه» هيلينيكا،

الكتـاب الثـاني، 14.1-15 ، وفي سـبتمبر مـن العـام نفسـه فـاز ليسـاندر Lysander في معركة بحرية حاسمة على الأثينيين في إيجوس بوتاموس، وبعد ذلك بعدة أشهر أبريـل-مـايو 404 سـقطت أثينـا في يـد ليسـاندر Lysander ، وفي هـذه الأثنـاء تـوفي دارا Darius الثاني في الفترة ما بين سبتمبر وأبريل 404 .

8- الملك الأكبر في بلاده:

الموراسو Murasu ، بابل، والإدارة الملكية:

سوف يكون من الأفضل أن نتوقف للحظة، وأن نحاول رسـم موازنـة إمبراطوريـة جديدة، والتي لا يجب أن تقتصر على الاعتبـارات العسـكرية والإقليميـة وحـدها، وإنمـا يجب رسمها اعتماداً على الحقـائق الإقليميـة، وأحـد أفضـل الأقـاليم مـن حيـث توثيـق الأحداث التي وقعت بها هـي بابـل، وفي الحقيقـة، فإنـه توجـد لـدينا عـدة مئـات مـن الألـواح البابليـة مـن سـجلات إحـدى المؤسسـات التجاريـة البابليـة، وهـي «الموراسـو Murasu »، والتي تم توثيق أنشطتها بشكل جيد عـلى وجـه الخصـوص في الفـترة بـين العام 25 من حكم أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول 440-439 ، والسـنة السـابعة من حكم دارا Darius الثاني 417-416 ، وتقدم بعض الألواح الأخـرى التـي تعـود إلى الفترة بـين عـامي 413-404 أدلـة عـلى أنشـطة أحـد الأتبـاع القـدامى لبيـت موراسـو Murasu ، ولكن من الصعب تحديد النطاق الذي عمل فيه، ومن المحتمل أن انقطـاع السجلات يشير إلى تفكك هذه المؤسسة، ولكن لا يجب أن نستنتج مـن ذلـك بـالضرورة حدوث تحول كبير في نمط الإدارة الزراعية، حيـث إن أفـراد عائلـة موراسـو Murasu ، والذين كانت تتركز أنشطتهم حول نيبور كانوا يمثلون شركة واحـدة مـن الشركـات التـي تمارس أعمالها التجارية في بابل في ذلك الوقت.

ولم تكن شركة موراسو Murasu بنكاً بالمفهوم الحديث للكلمة، حيث كان يتمثل نشاطهم الرئيس في إدارة الأراضي؛ ولهذا السبب تمثل سجلاتهم المصدر الرئيس لإعادة بناء صورة عن كيفية إدارة الأراضي فيما يتعلق بالتنظيم المالي، فبدلاً من أن يقوم المزارعون المستأجرون بزراعة أراضيهم بأنفسهم كانوا يعهدون بإدارة تلك الأراضي إلى شركة موراسو Murasu ، والتي كانت تقوم مقابل ذلك بتسليمهم الإيجار، وكان يقوم أفراد عائلة موراسو Murasu أنفسهم بتأجير هذه الأراضي إلى مزارعين آخرين، وهذا يفسر العدد الكبير من العقود الزراعية التي وجدت في سجلات هذه الشركة، ولقد تم وصف بعض القطع التي كان يتم استغلالها بموجب هذا النظام بأنها: «أراضٍ ملكية»، و«هدايا ملكية» نيدينتو ساري ، والتي كان يستفيد منها الأشخاص ذوو المنزلة الرفيعة والذين كانوا يتمثلون بشكل أساسي في أعضاء البلاط والإيرانيين ، ويوجد من بين هؤلاء الأشخاص بعض الأشخاص المعروفين مثل باريساتيس Parysatis والأمير أرساما Arsama مرزبان مصر، بالإضافة إلى العديد من الأشخاص المهمين الآخرين، والذين قام ستيسياس Ctesias بذكر أسماء بعضهم، ولقد كان هناك أيضاً من بين المستأجرين أعضاء في نظام الهاترو عسكريين وغير عسكريين ، والذين استعانوا هم أيضاً بخدمات أسرة موراسو Murasu ، إما كمديرين للأراضي، أو كمقرضين للمال، وكان يتم حساب الديون التي تنتج عن ذلك ليس على قطعة الأرض نفسها - والتي على الرغم من أنها كان يمكن أن تنتقل من شخص إلى آخر عن طريق الميراث إلا أنها ظلت غير قابلة للتحويل- ولكن على المحاصيل المستقبلية، وهكذا فقد لعبت أسرة موراسو Murasu دوراً مهماً للغاية، فقد كان لديهم هم ومستأجرو الأرض اهتمام مشترك بزيادة إنتاجية الأراضي من المحاصيل، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كانوا يبيعون محصول هذه المزارع، والذي كان يتسم بأنه

عرضة للتلف في أسواق مفتوحة، وبهذا سمحوا للمستأجرين بأن يدفعوا الفائدة المقررة عليهم بالفضة دون أن يشغلوا أنفسهم بعقد صفقات صعبة.

بلسونو Belsunu :

أحد الأشخاص المعروفين في هذه الفترة كان رجل بابلى يدعى بلسونو Belsunu ، والذي عرفناه من خلال سلسلة من الألواح التي تم جمعها في أرشيف تحت إحدى قلاع بابل القصر ، ويعود هذا الأرشيف إلى الفترة ما بين عامي 400-438، وهذا الرجل هو ابن بل-أوسورسو Bel-usursu ، وقد كان يسمى «حاكم بابل» بيهاتو في الفترة ما بين عامي 421-414، وهذا اللقب ليس هو نفسه ككلمة المزبان التي نعرفها، ففي بابل كان المرزبان هو الشخص الفارسي المعروف بـ «جوبارو» أو «جوبرياس Gobryas »، حيث توجد وثائق تشهد على أنه كان الحاكم حتى عام 417، وهكذا فإن بلسونو Belsunu كان أحد مساعدى المرزبان ويشير إليه أحد المؤلفين اليونانيين مسمياً إياه بالهيبارخوس ، ثم أصبح لقبه في الفترة بين عامي 401-407 «حاكم إبير ناري»، والتي يترجمها المؤلفون اليونانيون كـ«مرزبان سوريا»، وهكذا فإنه من المحتمل جدًّا أن هذا الشخص كان هو «بيليسيس Belesys » الذي يسميه زينوفون Xenophon «مرزبان سوريا» خلال الهجوم الذي شنه قورش Cyrus الأصغر على أخيه أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في عام 401 الزحف العسكري، الكتاب الأول، 4-10، راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب الرابع عشر، 5-20 ، ومن المحتمل أن هذا اللقب البابلى الجديد كان هو المكافأة التي أعطاها له دارا Darius الثاني مقابل خدماته.

وتزودنا الألواح بمعلومات مهمة جدًّا حول الدور والأنشطة المحتملة لـ«بلسونو Belsunu »، وأحد هذه الألواح - والذي يعود إلى حوالي عام 416/415- ذو أهمية خاصة: [أسطر مكسورة ...]، لقد

عرضنا السلع المسروقة إيا-إدين Ea-iddin ، ماردوك-زير-ليسير Marduk-zer-lisir ، وبل-لومور Bel-lumur ، وهم المحاسبون العاملون بمعبد أوراس، وابن سيها Siha اكتشف الممتلكات التي قام بسرقتها بل-إتانو Bel-ittannu ابن بولوتو Bullutu وابنه بل-أوسورسو Bel-usursu ، وأوراس-نصير Uras-nasir ابن نيدينتو Nidintu ، في ديلبات في بيوتهم استولوا عليها ووضعوها بعد أن تم ختمها في خزانة الإله أوراس، واحتجزوا بل-إتانوا Bel-ittannu ابن بولوتو Bullutu وابنه بل-أوسورسو Bel-usursu في دلبات، وشمعوا بيوتهم، وقد هرب أوراسو-نصير Uras-nasir ، وقدموا إلى بابل لمقابلة بلسونو Belsunu حاكمها، وقام كل من ماردوك-زير-ليسير Marduk-zer-lisir وبل-لومور Bel-lumur بعرض السلع المسروقة أمام مجلس إساجيل، وهي التي قد وجدوها في منازلهم، والتي شمعوها ووضعوها في خزانة أوراس، بناءً على ذلك خاطب المجلس حاكم بابل بالآتي: أوراسو-نصير Uras-nasir الذي سرق السلع، هرب من ديلبات وأتى إليك، قام مجلس إساجيل باستجوابه، ومعه السلع التي سرقها، وذلك في السنة الثامنة من حكم دارا Darius ، وحلفوه اليمين بخنجر حديدي إيا-إدين Ea-iddin ، وماردوك-زير-ليسير Marduk-zer-lisir المحاسبين والمشرفين على معبد أوراس».

وباختصار، فقد حدثت سرقة في هيكل الإله أوراس في ديلبات، ولقد تم القبض على اللصوص، وتم ختم المسروقات التي وجدت معهم، وحفظت في خزانة الإله، وقد ذهب أحد اللصوص ليجد بلسونو Belsunu «حاكم بابل»، وفي الوقت نفسه قام خزنة الهيكل بإرسال القضية إلى مجمع إساجيلا في بابل، والذي قام بدوره بتقديم إلتماس إلى بلسونو Belsunu ليسلم لهم ذلك الوغد الكافر الذي ارتكب هذا الجرم، ولقد فرضت على المذنبين عقوبة أن يقوموا بسداد قيمة هذه

المسروقات إلى خزانة الهيكل من مالهم الخاص، ويلقى هذا النص بعض الضوء على أحد المدن -وهي ديلبات- والتي كانت مجهولة نسبيًّا في ذلك الوقت، وعلى استمرارية الممارسات الإدارية التي كانت موجودة في عهد قورش Cyrus وقمبيز Cambyses ، وخاصة دور مجمع إيساجيلا المدني، وعلاقته بالحاكم، وتوضح أيضاً طول العملية، حيث إنه قد مرت أربع سنوات بين وقوع الحدث ومعاقبة المجرمين.

وبالتوازي مع أنشطته العامة، كان بلسونو Belsunu يدير بنشاط عملاً تجاريًّا في القطاع الخاص، وهو ما يذكرنا بما فعلته أسرة موراسو Murasu من قبل، فلم يكن فقط يدير أرضه التي أعطاها له الملك الأكبر كـ«هدية ملكية» نيدينتو ساري ، ولكنه كان يقوم أيضاً بزراعة أراضٍ أخرى من النوع نفسه، والتي كان يملكها عامة أشخاص يحملون أسماء إيرانية، ويتضح أيضاً مدى اندماج بلسونو Belsunu في المجتمع البابلي من لوح آخر والذي لم يذكر لقبه ، وفيه يستقبل أحد مساعدى/خدم بلسونو Belsunu توجيهات من سيده يأمره فيها بالتأكد من تقديم القرابين بشكل منتظم على مدار الشهور الاثني عشر للعام الخامس من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إلى الآلهة زابادا ونينورتا.

دارا Darius الثاني في مصر:

وبالتحول للحديث عن مصر، نلاحظ أن الأدلة المتمثلة في صورة نقوش على المبانى والتماثيل هي أقل كثيراً في عددها من الأدلة المشابهة لها التي تعود إلى عهد كل من قمبيز Cambyses ، ودارا Darius ، وكسركسيس Xerxes ، وتعود آخر الأدلة الموجودة في وادى الحمامات، وكذلك آخر الأدلة المنقوشة على أواني إلى عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول بوسنر Posener ، أرقام 33: 78-82 ، ولكن، وعلى العكس من ذلك توجد العديد من الوثائق الآرامية التي تعود إلى ولاية أرساما Arsama في عهد دارا Darius الثاني،

وتسمح لنا بإعادة بناء المستويات المتعددة للمسؤولين الفرس في مصر، ونظام الجنود المستعمرين وإدارة الممتلكات الملكية بإخلاص قدر الامكان انظر فصل 11-7 ، ويشهد أيضاً عدد قليل من الأدلة المنعزلة على «وجود» دارا Darius الثاني في مصر، فأولاً يوجد الإطار المزخرف الذي يحمل اسم دارا Darius الثاني في معبد الخارجة، كأنما أراد أن يستفيد من سياسة سلفه المميز، ويبدو أيضاً أن معبد حورس في إدفو قد استفاد من منح قطع كبيرة من الأراضي، ولقد وجد ختم في منف يبدو أنه قد نقش عليه اسم دارا Darius الثاني، ويصور بطلاً ملكيًّا ينتصر على اثنين من كائنات السفينكس، ويمكننا أن نؤكد في النهاية على أنه قد تمت كتابة نسخة باللغة الآرامية من نقش بيهستون، وجزء من نقش نقسى-روستام على ظهر إحدى أوراق البردى التي يمكن نسبتها بشكل مؤكد إلى عهد دارا Darius الثاني قبل عام 418 ، ولسنا متأكدين مما إذا كان هذا هو تعبير عن رغبة الملك في إعادة بث وإحياء أعمال سلفه؛ لربط نفسه سياسيًّا به، ويحتمل بدلاً من ذلك أن تلك البردية قد كتبها أحد التلاميذ وهو يتمرن، وإذا صح ذلك فإن هذه الوثيقة توضح ببلاغة ووضوح كبيرين الطرق والوسائل العملية التي تم من خلالها نشر الأيديولوجية الملكية الأخمينية فيما بين أبناء المستعمرين اليهود-الآراميين في جزيرة فيلة، وسوف يكون من الخطير جدًّا أن نستنتج من ذلك -كما يحدث أحياناً- أن الفجوات الموجودة لدينا في الأدلة تشير تلقائيًّا إلى عدم اهتمام السلطة المركزية بهذا الإقليم الذي لم يحدث في وقت من الأوقات أن تقلصت الأهمية الجوهرية له، وبالنظر إلى الأدلة المتوافرة نظرة شاملة سنجدها بدلاً من ذلك تشير إلى عدم حدوث أية تغيرات جوهرية في السياسة الملكية تجاه مصر خلال القرن الخامس ق.م، أي بعد قيام أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول بإعادة غزوها.

السلطات الفارسية تواجه اليهود والمصريين الموجودين في فيلة:

يزودنا أحد الملفات الآرامية التي وجدت في فيلة بقدر أكبر من المعلومات عن حدث معين، ففي السنة الرابعة عشرة من حكم الملك الأكبر دارا Darius الثاني 410 قام اليهود القاطنون في جزيرة فيلة أثناء غياب المرزبان أرساما Arsama في بابل بإرسال شكوى إلى منف بخصوص كل من المصريين الموجودين هناك وحاكم Syene المسمى ويدرانجا Widranga ، وذكروا فيها أن مديرى هيكل خنوم قد عقدوا اتفاقاً مع ويدرانجا Widranga ، «وقاموا بإعطائه المال والنفائس»، ونتيجة لذلك «لن يسمح المصريون لليهود بإحضار الوجبات التي تقدم كقرابين إلى المعبد والبخور والقرابين التي سيقومون بتقديمها إلى الإله يهوه إله السماء، وأحرقوا المعبد، وأخذوا جميع التركيبات الباقية لأنفسهم»، وباختصار «فقد قاموا بتدمير المذبح»، وهكذا فقد طلب اليهود أن تتم إعادة بناء الهيكل في مكانه السابق، وللتأكيد على مدى مخالفة خصومهم للقانون -وهم المصريين المتآمرين مع ويدرانجا Widranga - ذكر اليهود أيضاً أن أعداءهم قاموا بالتعدي على الممتلكات الملكية: «حيث إنهم دمروا جزءاً من مخازن الملك الموجودة في حصن يب، وقاموا ببناء سور في وسط حصن يب»، وأخيراً، قاموا بسد بئر كانت تتزود منه الحامية بالماء وقتما تتجمع هناك» هنديز .

وقد قام اليهود بتحميل ويدرانجا Widranga المسؤولية الكاملة عن ذلك، فتبعاً لهم كان ويدرانجا Widranga هو من أمر بتدمير هيكل يهوه بناءً على طلب من كهنة معبد خنوم، ولتنفيذ ذلك أرسل رسالة إلى ابنه «نافاينا Nafaina » الذي خلفه كقائد للحامية راب هايلا الموجودة في حصن Syene ، وقد قام نافاينا Nafaina بقيادة مجموعة من الجنود من المصريين و«من جنسيات أخرى»، وشرع في تدمير الهيكل بالكامل،

واستولى على الآنية المقدسة الموجودة فيه، وكنتيجة لهذا طالب اليهود بفتح تحقيق في هذا الأمر يقوم به القضاة والشرطة والمخبرون المكلفون بشؤون المقاطعة الجنوبية.

وفي الوقت نفسه، قام اليهود بإرسال مذكرة إلى سلطات القدس، وبالتحديد إلى يوحنان Johanan كبير أحبار اليهود ورفاقه الأحبار الموجودين في القدس، «وإلى أوستانيس Ostanes أخو أناني Anani ونبلاء اليهود»، ولكن لم يصلهم رد على هذه الرسالة، وبعد ذلك بثلاث سنوات أي في عام 407 توجهوا إلى كل من «باجوهي Bagohi » «حاكم إقليم يهودا» و«دالاياه Dalayah » و«سيليمياه Selemyah » أبناء سنبلات Sanbalat حاكم إقليم سومر»، وقد ذكر هؤلاء الحكام أن المجتمع اليهودي ظل في حالة حداد طوال ثلاثة أعوام، وحددوا أنهم لم يقوموا «بتقديم أية قرابين، أو إحراق أي بخور أو ذبائح» في الهيكل، وتوسلوا إلى «باجوهي Bagohi »؛ ليقوم بالتوسط لهم عند أصدقائه في مصر ليأذنوا لهم بإعادة بناء الهيكل، وفي النهاية أتى هذا التقرب المزدوج لكل من باجوهي Bagohi والسلطات السومرية -التي تربطها بأرساما Arsama علاقات وثيقة والذي كان قد عاد إلى مصر في هذه الأثناء - بثماره، فقد اتخذ أرساما Arsama قراراً حدد الأطر التي سيتم من خلالها بناء المعبد «وإرجاعه إلى حالته السابقة»، ومن ناحية أخرى، فبينما كان من الممكن القيام بمراسم حرق البخور وتقديم القرابين بشكل طبيعي، إلا أن هذا لم يكن هو الحال مع «حرق الكباش والثيران والماعز»، ولقد وافق اليهود على تقديم بعض المال وألف أردب من الشعير إلى بيت أرساما Arsama .

ويشتمل هذا الأمر على صعوبات تفسيرية ضخمة، ويجب علينا أولاً أن ننتبه إلى تركيبة المصادر المتاحة، فالتفاصيل المتوفرة لدينا حصلنا عليها من اليهود أنفسهم، وذلك من خلال الحجج التي قدموها إلى

السلطات، وهكذا فإن المصادر المتوافرة لدينا هي بالتأكيد ناقصة ومتحيزة، حيث نجد اليهود يقارنون بشكل مستمر بين تصرفاتهم التي تنم على الولاء وتصرفات المصريين الإجرامية: «نحن بريئون من أي لوم، حيث إننا لم نرتكب أي فعل ضار من هذا النوع»، أي أن اليهود يقولون إنهم ليسوا متمردين، على العكس من الجماعات المتنوعة من المصريين، ولكن المؤرخ الحديث لا يمكنه استخدام الحجج التي قدمها محامي أحد الطرفين كما لو كانت السجلات التي كتبها موظف المحكمة، ويتهم اليهود المصريين أيضاً بشراء ورشوة ويدرانجا Widranga ، وعلى الرغم أنه من الصحيح أن المصادر الكلاسيكية قد تحدثت عن إدانات الملك للقضاة الذين كانوا يختلسون أموال الدولة، إلا أننا يجب أن نتذكر أيضاً أن دفع البقشيش كان من الأشياء المنتشرة على نطاق واسع في كل من مصر وبابل، وفي هذا المثال قام اليهود أنفسهم بتقديم هدايا كبيرة إلى بيت أرساما Arsama لشكره على خدماته التي قدمها لهم، وفي النهاية فإن طبيعة هذه الوثائق نفسها خطابات ومذكرات لا تقدم لنا صورة كاملة؛ ولذلك فنحن نحتاج إلى المزيد من المعلومات لتوضيحها، ويقول اليهود عن ويدرانجا Widranga في التماسهم الذي قدموه في عام 407 إلى سلطات القدس وسومر: «لقد قامت الكلاب بتمزيق حذائه، وتعرضت كل الثروات التي كان يجمعها إلى الدمار، وكل الرجال الذين أرادوا الهيكل بالسوء لقوا حتفهم جميعاً، ورأينا رغبتنا تتحق فيهم جميعاً»، وعلى الرغم من بعض النقاط غير الأكيدة في القراءة والترجمة إلا أنه يبدو أن ويدرانجا Widranga ومخربي الهيكل الآخرين قد تعرضوا لعقاب قاسٍ، ولكن لا نعرف من الذي قام بعقابهم؟ أو لماذا؟ وخاصة أن ويدرانجا Widranga يبدو أنه قد عاود الظهور مرة أخرى معاق، ويحمل لقب «قائد الحامية» في واحدة أو يحتمل اثنين من الوثائق التي تعود إلى عام 398.

والشيء الذي يبدو واضحاً هو أنه خلال هذه السنوات نشب صراع بين قادة المجتمع اليهودى في جزيرة فيلة وقادة معبد خنوم، ولكن لماذا؟ وتشير إحدى الوثائق الأخرى، والتي للأسف ليست كاملة إلى زيارة إلى منف، حيث تشير إلى حدوث اضطرابات في طيبة، فقد زعم اليهود أنهم «يخشون التعرض لحوادث سطو»، وأن المحققين يأخذون رشاوى من المصريين، وفي أحد النصوص الأخرى يشكو يهودي من أن ويدرانجا Widranga - والذي أصبح الآن قائد الحامية في حصن Syene - قام بسجنه في أبيدوس «بسبب أحد الأحجار الكريمة التي وجدوها، وهي مسروقة في أيدى التجار»، ولكن من الصعب تفسير وربط هذه البيانات الناقصة والمنعزلة بالأحداث التي وقعت في فيلة Syene ، ودعونا نتوقف لبعض الوقت خاصةً عند شكوى ذلك اليهودى المسجون التي أرسلها إلى زملائه في جزيرة فيلة: «أنتم تعلمون أن كهنة خنوم يناصبوننا العداء منذ الوقت الذي كان فيه حنانى Hanani في مصر وحتى الآن»، هل كان هذا صراعاً دينيًّا؟ هل يعنى تدمير الهيكل وبيوت اليهود أن ويدرانجا Widranga والمصريين كانوا يتشاركون في أنهم يكنون مشاعر معادية لليهود؟ يبدو من الصعب تأكيد مثل هذه الافتراضات، وعلى الرغم من أنه كان قادراً على إظهار قدر معين من التفانى والاخلاص للالهة المصرية؛ وذلك لأسباب يتشارك فيها مع كبار الموظفين والضباط الفرس منذ عهد دارا Darius فصاعداً، إلا أنه لا يوجد ما يشير إلى أنه قد تمصر لدرجة أنه انحاز مع كهنة معبد خنوم لأسباب دينية خالصة.

ويجدر بنا الآن العودة إلى الأساسيات، فلقد كان على الحاكم ويدرانجا Widranga أن يفصل في النزاع الذي نشب بين ممثلى المجتمع اليهودى ومديرى معبد خنوم، ولا بد أنه قد عقدت محاكمة طلب على أثرها من نافاينا Nafaina بصفته الرسمية النابعة من كونه قائد الحامية تنفيذ الحكم الذي أصدره أبوه، والذي كان هو الآخر طرفاً

في هذه القضية بصفته الرسمية، ولكن ماذا كان الغرض من هذه الدعوى؟ توضح العديد من الوثائق السابقة أنه كان على القضاة أن يفصلوا في نزاعات حول الممتلكات، وكان من بين هذا النزاعات نزاعات حول بعض الأراضي المجاورة لهياكل يهوه وخنوم، وفي الحقيقة كان الهيكل اليهودى يتاخم الأراضي التابعة لمعبد خنوم، ويبدو أن الصراعات بين المعبدين كانت لا تتعلق سوى بالممتلكات، حيث إن المباني الجديدة التي شيدها كهنة معبد خنوم قد تعدت على بعض الممتلكات الملكية أراضي للقمح وبئر ، بالإضافة إلى بعض العزب التابعة لهيكل يهوه، وعندما وجد الطرفان أنه لا يمكن التوصل إلى حل وسط قاما برفع الأمر إلى الحاكم ليفصل بينهما.

ومثلما يفعل أي قاضٍ آخر، قام ويدرانجا Widranga بالرجوع إلى القوانين والتشريعات التي أمر دارا Darius بجمعها قبل ذلك بأكثر من قرن، وإذا سلمنا بوجود علاقة بين كتاب التشريعات هذا والقانون الاعتيادى المصري الذي كان مستخدماً في الفترة الهلينية، ربما نؤكد على أن جزءاً مهماً للغاية من القانون الثاني كان مخصصاً للفصل في النزاعات التي تتعلق بملكية الأراضي، ولقد تم تخصيص أحد الأجزاء فيه بشكل صريح للقضايا التي تدور حول الصراعات الناتجة عن إنشاء مبانٍ على أراضي يزعم شخص آخر فيما بعد أنها ملكه، وبدون أن تكون عندنا أدلة كاملة على ذلك يمكننا أن نتخيل أن المصريين زعموا أنهم الملاك الحقيقيين لأنهم كانوا الأوائل لقطعة الأرض التي بني عليها معبد يهوه.

ولقد قام اليهود أنفسهم بتأكيد صحة هذه النظرية جزئيًا، حيث إنهم قاموا في الحقيقة في أحد التماساتهم بتقديم أحد الدفوعات، وبالعودة إلى وقائع تدمير معابدهم ذكر اليهود: لقد بنى أباؤنا هذا المعبد بالفعل في أيام ملوك مصر في حصن يب، وعندما دخل قمبيز Cambyses مصر وجد

المعبد قائماً، ومع أنه تعدى على معابد مصر كلها إلا أنه لم يمس هذا المعبد بأى أذى.

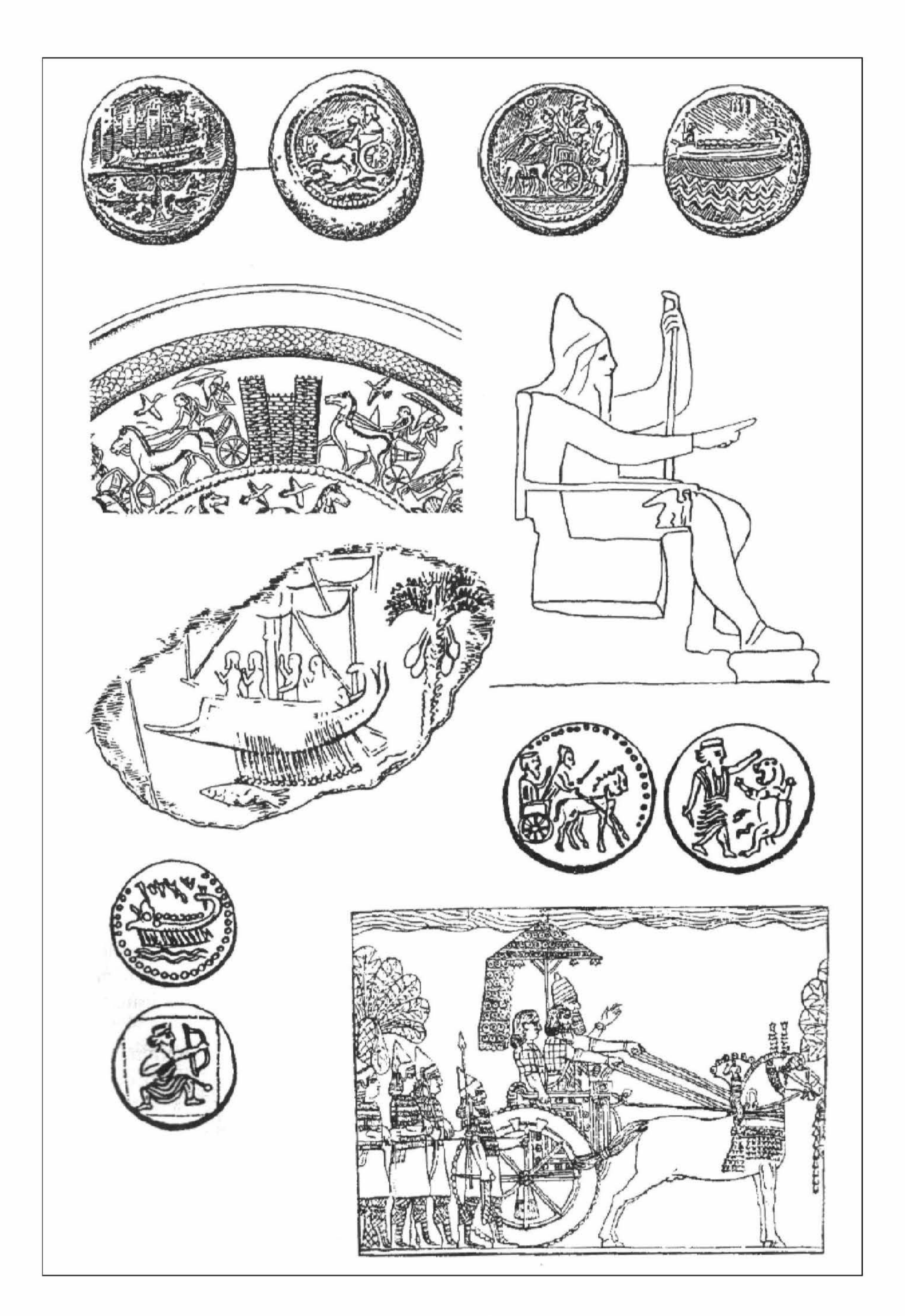
ولأن هذا الدفع قد وجد في التماس قصد اليهود من ورائه عرض قضيتهم على السلطات اليهودية المعترف بها في إقليمي يهودا وسومر، فإنه يجب النظر إلى هذا التصريح على أنه حجة تمت صياغتها في إطار سياقها الإداري، وفي هذه الحالة فإن اليهود كانوا يحاولون إثبات أن بناء معبدهم هذا قد سمح به في البداية فراعنة أسرة سايتي، ثم أكد هذا الإذن قمبيز Cambyses فيما بعد، وهذا هو أحد الأشكال المشهورة للدفوع القانونية، حيث إنه للتأكيد على مدى شرعية حقوقهم كان يشير مدير أحد المعابد أو إحدى المدن إلى الامتيازات السابقة التي تم منحها لهم، والتي تطلب منهم السلطات الحالية تقديم دليل عليها راجع تاسيتوس Tacitus ، الحوليات، الكتاب الثالث، فقرات 63-61 ، ويمكننا أن نسترجع سلوك تاتيناى Tattenai في القدس، أو رسالة دارا Darius إلى جاداتاس Gadatas ، ففي الحالة الأولى أشار اليهود إلى مرسوم قورش Cyrus ، وفي الثانية أشارت السلطات في معبد أبوللو إلى أن امتيازاتهم تعود إلى أسلاف دارا Darius راجع فصل 12-4 ، وقد تكرر هذا الوضع نفسه هنا، حيث ذهب قادة اليهود للمثول أمام محكمة ويدرانجا Widranga ؛ لأنهم واجهوا خصوماً يطالبون بتدمير معبد يهوه، ولقد ذكروا للحاكم أن وجود المعبد قد تم التصديق رسميًّا على شرعيته من قبل قمبيز Cambyses ، وإذا كان اليهود قد خسروا هذه القضية فإنه من المحتمل جدًّا أن هذا يرجع إلى أنهم -على خلاف يهود القدس الذين قدموا استئنافاً إلى تاتيناى Tattenai - عجزوا عن تقديم وثيقة مكتوبة، وإذا كان ويدرانجا Widranga قد حكم لصالح المصريين، فإن هذا يرجع ببساطة إلى أن الوثائق التي تمكنوا من تقديمها كانت متفوقة بدرجة كبيرة على تصريحات اليهود التي كانت شفوية بشكل عام، ولقد كان القرار

والمنطق الذي يقوم عليه هو كما يلي: «لقد أمر اليهود بتفكيك المعبد؛ لأنه قد تم الإعلان أن قطعة الأرض التي تم بناؤه عليها هي ملك لمعبد خنوم».

وهذا المشهد هو تعليمي وإرشادي إلى حد كبير فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الإدارة الفارسية والجماعات الثقافية والعرقية المتعددة الموجودة في الإمبراطورية، وفيما يتعلق بالإجراءات التي حمت حقوق كل من هذه الأقليات، ولا نعرف الأسس التي قام أرساما Arsama بناءً عليها بإبطال قرار ويدرانجا Widranga ؛ لأننا لا نملك نص قرار المرزبان، وكل ما لدينا فقط هو مقتطف ناقص وغير مباشر، ولكن يجب أن نؤكد على أنه في هذه الحالة كان على السلطات في Syene ، ثم في منف الاختيار فيما بين دافعين: أحدهما يعطى الأولوية لأحد القرارات الملكية مرسوم قمبيز Cambyses ، والآخر يقوم على الاعتراف بـ «قانون البلاد المفتوحة» التشريعات المصرية ، ولقد مال ويدرانجا Widranga إلى تفضيل الدافع الثاني؛ وذلك لأسباب ليست لها أية علاقة بتفضيله للمصريين وآلهتهم، وإنما ترجع إلى حاجته إلى المحافظة على النظام، والذي لا يمكن تحقيقه في هذا الإطار المصري سوى بالتوافق مع القانون المصري.

خطاب عمل:

لدينا تصور حي بوجه خاص عن العلاقات اليومية بين الفرس/ الإيرانيين والمجتمعات الأخرى التي تعيش في مصر، وذلك في إحدى أوراق البردى الآرامية غير المؤرخة، والتي تحمل ترجمة خطاب أرسله سبنداداتا Spendadata ابن فرافارتيباتا إلى هوري وبيتيميهو: «إلى إخوتي هوري Hori وبيتيميهو Petemehu من أخيكم سبنتاداتا Spentadata ، أرجو من كل الآلهة أن تمنحكم الرفاهية والرخاء في جميع الأوقات! أما بعد، فلقد أصبح لدي الآن قارب ملكي وملك صاحبه، والذي هو في



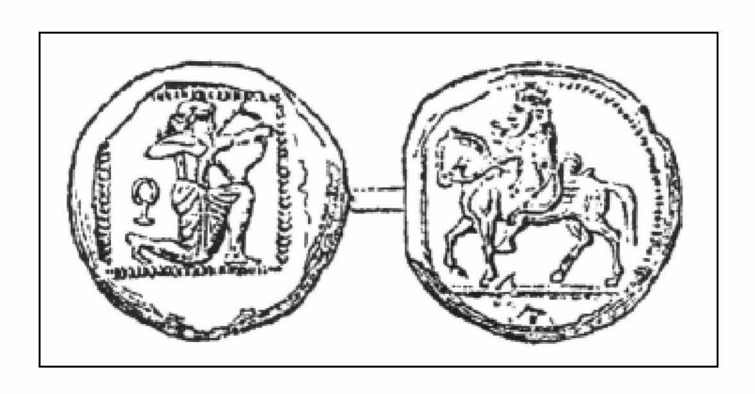
الشكل 50

أيديكم، أحيطكم علماً بأن أرمايداتا Armaidata سوف يخبركم بأنني قد كلفته بقيادة القارب فدعوه يفعل ما يريد، وقوموا أيضاً بإعطائه نصيبي من إيجار هذا القارب والذي هو ملكنا هناك مبلغ 8 شيكل أعطيتها إلى ..... ؛ ليدفعها مقابل الغلال التي سيحضرها لي، وهناك أيضاً مبلغ 1 قرش و8 شيكل من الفضة ، والذي أعطيته لكم لتشتروا به القمح لـ «ياتما Yatma »، وإجمالي المال هكذا هو: 1 قرش و8 شيكل، إذا قمتم بشراء الغلال وأبقيتموها في منازلكم، فحسناً! وإن لم يكن ذلك فأعطوا المال لأرماياداتا Armaidata ليحضره إلى، وإذا ظلت الغلال متوفرة لديكم، أخبروا أرياماداتا بذلك وأعطوها له في شكل يمكنه بيعها به».

وتبدو هذه الصفقة بسيطة إلى حد ما، فقد اتفق شخصان إيرانيان أو فارسيان على شراء ونقل القمح، والذي كانا ينتويان بيعه، ويبدو أن شخصاً ثالثاً وهو ياتما Yatma اسم آرامي قد أسهم في هذه الصفقة بالمال، والبحاران هما مصريان كما في جميع الحالات المعروفة الأخرى، وتنقصنا الكثير من التفاصيل هنا، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا النص يتميز بأنه يزودنا بمعلومات مؤكدة وملموسة عن الأنشطة التجارية لهذين الشخصين الفارسيين/الإيرانيين اللذين من المؤكد أنهما كانا يشغلان مناصب مهمة في فيلة، وعن علاقاتهما مع اثنين من المصريين، وتظهر لنا هذه الوثيقة بوضوح كيف أن الفرس الموجودين في مصر مثلهم مثل الفرس الموجودين في بابل لم تكن عندهم أية مشكلة في دمج أنفسهم بشكل كامل في البيئة التجارية والاستفادة منها، ومن المحتمل أنه كان يهدف من وراء شراء هذا القمح جزئيًّا إلى إطعام الجنود الاحتياطيين في الحامية.

الملك الأكبر في صيدا وفيلة:

في بعض الأحيان يكون التعرف على الوجود الفارسي في إحدى المناطق ممكناً فقط من خلال الصور والرسومات، وخاصةً في المناطق



الشكل 51

التـي لم تـذكر المصـادر الأخـرى فيهـا شـيئاً خـلال فـترة حكـم كـل مـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes ودارا Darius الثاني، وهذا هو الحال مع صيدا، فلقد تـم تصـوير الملـك الأكبر في أشكال عديدة على العملات الأولى للمدينـة التـي تعـود إلى الربـع الثالـث مـن القرن الخامس ق. م شكل 50 أ-ب ، ويظهـر بعضـها إحـدى سـفن صـيدا عـلى الوجـه، والتي تكون راسية أحياناً أسفل أحد الحصون، بينما يظهر على الظهر «ملك فـارس راكبـاً عربته التي تجرها أربعة أحصنة تعدو نحو اليسـار، ويرتـدى عـلى رأسـه كيـداريس ذي خمسة أطراف، ويرتدى زى الكانديس، ويظهر أيضاً وهو يمد يده اليمنى، ويظهر سـائق العربة بجوار الملك وهو يمسك بزمام الأحصنة بكلتا يديه، ويوجد أسفل الأحصنة جسـم تيس»، وعلى بعض العملات الأخرى يظهر أسدان عـلى الوجـه وخلفهـما منظـر ربيعـى، وسفينة راسية عند قاعدة إحدى القلاع، بينما يظهر على الظهر «ملك فارس وهو يصارع أسداً، ويرتدى على رأسه كيـداريس ذي فتحـات، ويرتـدى زى الكانـديس عـلى جسـده، ويلوح بيده اليمنى بسيف قصير أكيناكيس ، بينما يحمل في يده اليسرى أسـداً ممسـكاً به من شعر رقبته، ونتيجة لأن ذراعه أصـابها الإرهـاق نجـد الأسـد يتراجـع أمامـه عـلى قدميه الخلفيتين، مربع فارغ» أرقام 891، 894، 896 ، وعلى عملات أخرى، يظهر واقفـاً يشد قوساً في مواجهة تيس كل ما يظهر منه هو رأسه ورقبته رقم 897 ، أو شـبه جـاثٍ على ركبتيه حاملاً رمحاً في يده اليمنى، وقوساً في يده اليسرى رقم 898 .

وتتوافــق هــذه المشــاهد إلى حــد كبــير مــع الأشــكال المطابقــة لهــا تقريبــاً الموجــودة في الأعــمال الفنيــة المنتجــة في الــبلاط البطــل الملــكي يواجــه

أسداً ، أو على الأختام الملك على عربته ، والعملات الملك كرامى سهام وكرامى رمح، راجع فصل 6 ، ويمكن عرض هذا التأثير في الصور بشكل عكسى أيضاً -إذا كان بإمكاننا وصفه بهذه الطريقة- حيث يوضح ختم على أحد ألواح الخزانة سفينة تشبه إلى حد كبير تلك السفن التي نجدها على عملات صيدا شكل 50و ، ويوضح هذا المثال المحدد أن الصور والأشكال التي كانت تظهر على عملات صيدا قد انتشرت في مناطق أخرى، وإذا بقينا في الفترة نفسها التي نتناولها هنا يمكننا أن نلاحظ على وجه الخصوص أن نماذج الصور التي كانت تظهر على عملات صيدا تم نسخها وتقليدها في فيلة، حيث يوجد على أحد الوجهين سفينة من صيدا واسم Syene مكتوب باللغة الآرامية «سوين» ، وعلى ظهر العملة تم تصوير البطل الملكي وهو يصارع الأسد، وقد تم إقحام ديك بينهما، ونعرف أيضاً عن سك عملات في فيلة تم فيها محاكاة الأشكال الموجودة على عملات مدينة ملطية، والاختلاف بينها وبين العملات التي تحاكى عملات صيدا هو أنه قد تم تصوير رامى سهام فارسي على ظهر العملة، ويمكن أن نجد عملات تحاكي نماذج عملات صيدا في سومر أيضاً شكل 50 د-هـ .

ومن المؤكد أن ملوك صيدا قد قاموا عن قصد باختيار أشكال وصور من مجموعة الأشكال الأخمينية التقليدية عندما قاموا بصك عملاتهم، ولا يوجد أدنى شك حول المغزى السياسي لذلك، وفي الحقيقة تتميز عملات صيدا بأنها فريدة بشكل كامل، حيث إن العملات الخاصة بالمدن الفينيقية الأخرى في هذه الفترة لا تظهر سوى رموزاً محلية، ويعبر هذا التمييز التصويرى عن المكانة الخاصة التي كانت تحتلها صيدا في داخل المنظومة الفينيقية التي لا توجد لدينا عنها في هذه الفترة سوى معلومات ضئيلة جدًّا ، ومن الموكد أنها تعكس تراثاً أقدم، حيث إن النقش على التابوت الحجري لإسمونصر Esmunazar يوضح أنه كانت

توجد علاقات وطيدة بين ذلك الملك الأكبر وبين تلك المدينة انظر فصل 12-3 ، ويوضح وجود ملك صيدا بجوار كونون Conon قبل وخلال وبعد معركة سنيدوس في بداية القرن الرابع بدرجة أكبر أنه ومنذ عهد قمبيز Cambyses حظي أسطول صيدا بمكانة رئيسة في التفكير الاستراتيجي للملك الأكبر ديودورس Diodorus الكتاب الرابع عشر، 79-8 ، ويمكننا أن نؤكد أيضاً على أن الأختام التي تحمل صوراً ملكية أخمينية قد وجدت أيضاً في أراضي «دور» التي قد تم إعطاؤها في السابق إلى إسمونصر Esmunazar .

وفي الوقت الحالي يجب التأكيد على أن ذلك التفسير الذي ذكرناه بأعلى كان دائماً مثار شكوك بسبب المناظرات التي دارت لتحديد هوية الشخص الذي يقف في العربة، حيث يقترح بعض المؤلفين أنه بغل حاكم المدينة وليس الملك الأكبر، وعلى الرغم من أن هذا هو رأى الأغلبية وربما لا توجد أدلة تسانده ، إلا أننا يجب أن نؤكد على أن الحجج التي تم ذكرها حول هذا الموضوع تشبه كثيراً الحجج التي تم تقديمها حول المغزى السياسي للمشاهد التي تم تصويرها على التابوت الحجري من صيدا المعروف بتابوت المرزبان، والذي يعود إلى الفترة نفسها تقريباً أواخر القرن الخامس وبدايات القرن الرابع ، هل الرجل الجالس على العرش شكل 50-ح يمثل المرزبان أو حتى الملك الأكبر نفسه ؟ أو ما هو إلا ملك صيدا الذي تم تصويره في شكل الملك الأكبر؟ ولتقديم هذه المشكلة بصورة أخرى في غياب أي دليل مكتوب، هل تسمح لنا الأدلة المتمثلة في الصور والرسومات بتحديد طبيعة العلاقات السياسية التي كانت توجد بين الحكام المحليين والسلطات الأخمينية؟

حالة إقليم ليسيا:

ويمثل هذا السؤال نفسه لب أية مناقشة تدور حول المغزى السياسي للنصوص الليسية التي تعود إلى نهاية القرن الخامس، فعلى الرغم من أنه

قد تم فك رموزها بشكل جزئي فقط، إلا أن النقوش الليسية الموجودة على دعامة زانثوس والتي تمت كتابتها في بداية القرن الرابع تتكشف عن بعض الأسماء المألوفة مثل أمورجيس Amorges ، تيسافرنيس Tissaphernes ، هييرامينيس Hieramenes ، ياسوس Iasus ، كونوس Caunus ، دارا Darius الثاني، أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وعلى الرغم من أن قدراً كبيراً من الغموض لازال يحيط بالتفاصيل، إلا أنه لا يوجد أدنى شك في أن هذه النقوش تشير إلى الأحداث التي وقعت في ليسيا وجنوب غرب آسيا الصغرى خلال الحرب الأيونية، وتزودنا أيضاً بأدلة حول اشتراك حاكم زانثوس، والذي كان في ذلك الوقت هو جرجيس Gergis / خريجا Kheriga ابن هارباجوس Harpagus ، ومن المحتمل أن ذلك الحاكم قد ساعد تيسافرنيس Tissaphernes ، وخاصة من خلال تزويده بالسفن ثلاثية المجاديف للمعركة التي وقعت في عام 412، والتي قام فيها ذلك المرزبان بمحاربة الخائن أمورجيس Amorges الذي لجأ إلى ياسوس ثيوسيديدس Thucydides ، الكتاب الثامن، فقرة 28: 2-4 ، وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم تقديم أدلة على نشاط تيسافرنيس Tissaphernes في تلك المنطقة من خلال إحدى العملات التي نقش عليها اسمه باللغة الليسية والتي تم ترميمها بشكل جزئي ، والتي نقش عليها أيضاً اسم زانثوس أرنا ، ولكن من الصعب تحديد ما إذا كانت تعود إلى الفترة التي سبقت أو تلك التي تلت وصول قورش Cyrus الأصغر إلى آسيا الصغرى، حيث إن هذا الحدث حد من سلطات تيسافرنيس Tissaphernes وحصرها في إقليم كاريا فقط تحت القيادة العليا لابن دارا Darius الأصغر، ولسوء الحظ فإن هذا الدليل المتمثل في تلك القطعة المعدنية لا يسمح لنا بوصف العلاقة بين تيسافرنيس Tissaphernes وحكام ليسيا -وخاصة حاكم زانثوس- بشكل مؤكد، ويعتمد تحليل العلاقة بين المرزبان وحاكم زانثوس بشكل

أساسي على تفسير الصور الموجودة على بعض عملات معينة قام بسكها حكـام زانثـوس، ولقد تم اشتقاق تلك الفكرة التي تتحدث عن سيطرة فارسية شديدة نسـبيًّا عليهـا مـن فكرة أخرى، والتي تنظـر إلى الصـور الموجـودة عـلى العمـلات عـلى أنهـا تمثـل المرزبـان الفارسي نفسه، ولكن على الـرغم مـن أن هـذا التفسـير قـد يبـدو جـذاباً إلا أنـه لم تـتم الموافقة عليه من قبل الجميع .

ويتسم هذا الغموض الذي يشوب الأدلـة الليسـية بالثبـات والاسـتمرارية، حيـث تكشف الأدلة المتوفرة عن نمو متزايـد للتـأثير الثقـافي اليونـاني في بـلاط حكـام زانثـوس، ويتضح هذا أيضاً من العملات التي سكها حكامهـا، وينطبـق هـذا أيضـاً عـلى المقتطـف اليونـاني الـذي يمجـد ويعظـم التميـز العسـكري لجـرجيس Gergis ابـن هاربـاجوس Harpagus ، ويتجلى في صـورة أوضـح في قصـيدة أربينـاس Arbinas التـي كتبهـا في بداية القرن التالي المتبصر اليوناني سيماخوس Symmachus المنتمـي إلى بيلانـا، ومـن المحتمل أن سيماخوس Symmachus قد وصل إلى كونوس مع الأسطول اللاسـيدومونى في عام 412، قبل أن ينتقل إلى خدمة جرجيس Gergis وابنه أربيناس Arbinas فيما بعد، وموضوع القصيدة هو موضوع داخلي بشكل أساسي، حيث إنها تنقـل إلى الأجيـال القادمة الانتصارات التي حققها حكام زانثوس على أقاربهم وجـيرانهم، وتحتفـى بإعـادة بناء إمارة زانثوس التي امتدت عـبر وادى زانثـوس، ويشـير هـذا الـنص إلى أن الحيـاة في إقليم ليسيا استمرت في ظل السيطرة الفارسية كأن شيئاً لم يحدث.

ولكن سيكون من الأفضل أن نقدم منظـوراً أكـثر اختلافـاً عـن ذلـك، فعندما كان أربيناس Arbinas يحتفل بمآثره هو وأبوه لم يكن هنـاك مـا يدفعه إلى الإشارة إلى الوجود السياسي للفرس، وهذا على العكس تماماً من تـاريخ ليسـيا نقـش الدعامـة ، ولكـن لا يجـب أن نضـع كـلاً مـن هـذين

الافتراضين في تعارض تام مع بعضهما البعض، حيث إنه من الواضح أن الفرس لم يتدخلوا في الشؤون الملكية الداخلية البحتة طالما أن الحاكم المنتصر لم يتحدى مسألة الخضوع إلى الملك الأكبر، وحتى في المجال الثقافي لا يجب أن ننظر إلى التأثير الثقافي اليوناني المتزايد على أنه علامة على زيادة استقلال حكام زانثوس، بل وعلى العكس من ذلك، فقد تم توضيح اعتمادهم المستمر على الفرس على سبيل المثال عن طريق إحدى القصائد التي تحتفى بانتصارات أربيناس Arbinas ، «حيث تظهر أربيناس Arbinas في صورة متفوقة على الجميع في المعرفة البشرية والرماية وفنون الحرب والفروسية»، وتذكرنا هذه القصيدة على الفور بالفضائل الملكية التي قدمها دارا Darius المحارب الجيد والفارس الجيد، ومن المؤكد أن سيماخوس Symmachus مؤلف قصيدة الرثاء تلك لم يقلد نقش نقسى-روستام بشكل كامل، ودعونا نقول بدلاً من ذلك إن المفردات المستخدمة أيضاً تتكشف في هذا الزى اليوناني عن طابع التقاليد الأرستوقرطية الفارسية، والتي ظلت متواجدة في ليسيا منذ بداية القرن الخامس انظر فصل 12-5 ، ولإضفاء الشرعية على حكمهم قام أمراء زانثوس باستعارة الموضوعات الأدبية والصور من كل من إيران واليونان بالقدر نفسه، وباختصار فإن هذا النوع من الأدلة لا يسمح للمؤرخ بتأكيد أو حذف تأثير السلطات الأخمينية في ليسيا خلال العقود الأخيرة من القرن الخامس ق. م، والنصوص التي تزودنا بمعلومات عن ذلك التأثير تنتمي بشكل طبيعي إلى الأدب الروائي ثيوسيديدس Thucydides ، نقش الدعامة ، ويشير هذا النقش إلى أنه عندما كان يلوح خطر خارجى في الأفق كان يتم دمج الأمراء الليسيين في التخطيط الفارسي، وأن هؤلاء الأمراء كان بإمكانهم الاستفادة في الوقت نفسه من ذلك وتحقيق أهدافهم.

حالة إقليم كليكيا:

أما في المناطق الأخرى، فلا توجد لدينا سوى أدلة ناقصة بدرجة

كبيرة، وغير متجانسة، ويصعب تحديد تاريخها، وتنطبق هذه الملاحظة بشكل خاص على إقليم كليكيا، وهي المنطقة التي يوجد لدينا كل الأسباب للاعتقاد بأنها استمرت في لعب الدور العسكري الذي طالما لعبته على مدار التاريخ الأخميني، ولا يوجد لدينا مثال محدد في ذلك التاريخ، ولكن أحد الفصول في الحرب القبرصية التي وقعت بعد ذلك بعدة عقود قضت على أي شك في هذه الفكرة ديودورس Diodorus الكتاب الخامس عشر، فقرة 3: 1-3 ، وبعد أن قام كسركسيس Xerxes بتعيين زيناجوراس Xenagoras في عام 479 هيرودوت Herodotus ، الكتاب التاسع، فقرة 107 أصبحت الوثائق التي تغطى الأحداث التي وقعت في هذه المنطقة بشكل خاص ناقصة، ولم تصلنا أية معلومات عنها إلى أن جاء الوقت الذي شن فيه قورش Cyrus الأصغر حملته، ولقد انضمت إلى قورش Cyrus في كايسترو-بديون إيبياكسا Epyaxa «زوجة الملك سيينيسيس Syennesis ، ملك الكليكيين» زينوفون Xenophon ، الزحف العسكري، 1: 2-12 ، ولقد رفض الملك الكيليكى نفسه الدفاع عن بوابات كليكيا، وتراجع إلى طرسوس حيث كان يقع قصره، وطبقاً لزينوفون Xenophon فقد عقد اتفاقاً مع قورش Cyrus الأصغر أعطاه بمقتضاه مبالغ ضخمة من المال مقابل أن يعده بعدم تخريب أو نهب أراضيه خورا عندما تمر قواته بها 1: 2-2 ، وتتسم إشارات ستيسياس Ctesias وديودورس Diodorus العابرة بأنها كانت غير واضحة أو صريحة في حديثها عن طبيعة سلطة سيينسيس Syennesis وعلاقاته مع الفرس، حيث إن كل ما ذكراه هو أنه كان بشكل أساسي يحترم الملك الأكبر الفارسي.

لقد تعرفنا لفترة طويلة على سلسلة من العملات الكيليكية التي تم النظر إليها تقليديًّا على أنها عملات ملكية، وذلك على الرغم من أنها لا تحمل أي اسم سوى اسم المكان الذي سكت فيه، والذي كان في الغالب

طرسوس شكل 51 ، ويظهر على وجه هذه العملات شخص يعتقد أنـه الملـك، وقـد تـم تصويره وهو راكب على حصانه، وغالباً ما يكون حاملاً رمحين ومرتـدياً الباشـليك، بيـنما يتم تزيين ظهر هذه العملات غالباً بصورة أحد جنـود الهبليـت اليونـانيين أثنـاء خوضـه للقتال بابل، أرقام 504-520 ، وتوجد سلسلة أخرى من هـذه العمـلات، والتـي يفـترض أنها تعود إلى العقود الأخيرة من القرن الخامس، والتـي تتسـم بأنـه يظهـر عـلى وجهها الملك وهو راكباً على صهوة جواده، بينما يظهر على ظهر هذه العملات مشـاهد ملكيـة تم وصفها بالطريقة التالية: يظهر ملك فـارسي كرامـى سـهام، وهـو مرتكـز عـلى إحـدى ركبتيه، وناظر باتجاه اليمين، ويشد قوسـه، كـما يبـدو ملتحيـاً، وعـاري الـرأس، ومرتـدياً كانديس ذات ثنيات تتجمع عند الوسط، ويحمل جعبته الممتلئـة بالسـهام عـلى ظهـره، ويوجد صليب ذو يد في الميدان على اليسار بابـل رقـم 521، شـكل 51 هنـا ، ولقـد تـم تصوير شخصيتين ملكيتين على العديد من العملات الأخـرى: «ملكـين مـن ملـوك فـارس يقفان في مواجهة بعضهما البعض، كلاهما ملتحٍ، وكلاهما يرتدى زى الكانـديس، ويتكـئ كل منهما على رمحه بيديه الاثنتين، ويحمل كل منهما القوس وجعبة السهام على ظهـره ...» رقم 526، راجع رقم 527 ، بينما نجد على ثلاثة من العملات الأخرى صـوراً ملكيـة على كل من الوجه والظهر، حيث يظهـر عـلى الوجـه البطـل الملـكي وهـو يصـارع أسـداً ممسكاً إياه من شعر عنقه بيده اليمنى، وغارساً سـيفه القصـير في خـاصرة الأسـد بيـده اليسرى رقم 528، راجع أرقام 529-530 ، بينما يظهر على الظهر الملك وهو متكئ عـلى رمحه، وتتسم العملات الكليكية بوجود الصليب ذي المقبض، والـذي يظهـر الملـك عـلى العملات التي تلت ذلك، وهو حاملاً إياه في يده اليسرى، كما تتسم أيضاً هذه العمـلات باسم طرسوس الـذي يـنقش عليهـا باللغـة الآراميـة وفي بعـض الأمثلـة نقـش بـاللغتين الآرامية واليونانية: أرقام 528-530 .

وبسبب استمرار وجود بعض الشكوك فيما يتعلق بتحديد التواريخ الدقيقة لبعض العملات، فإنه من الصعب الوصول إلى استنتاجات مؤكدة اعتماداً على هذه الأدلة المتمثلة في صورة عملات، وعلى الرغم من ذلك يمكن أن نقدم ملاحظتين جديرتين بالذكر، فمن ناحية تم نشر الصور الملكية في جميع أجزاء الإمبراطورية المختلفة من صيدا إلى كليكيا، ولقد تم تحقيق هذا الانتشار بطريقة مميزة باستخدام العملات المعدنية والأختام، ومن الناحية الأخرى، فإن تلك الرابطة المتكررة على أوجه وأظهر العملات المعدنية بين صور الحكام المحليين والملك الأكبر أو البطل الملكي تمثل ارتباطاً له مغزى سياسي واضح، ولكنه يخبرنا فقط بشكل غير كامل عن العلاقة بين الاثنين.

الفرس وملوك قبرص:

نتيجة لكونها تقع على بعد مرمى حجر أو اثنين من الساحل الكليكى، والذي استخدمه الفرس لمراقبتها، ظلت قبرص تدور في فلك النفوذ الأخميني، ولقد أخبرنا إيسوقراط Isocrates أن رجلاً يرجع أصله إلى مدينة صور الفينيقية والذي من المحتمل أنه كان أحد الفينيقيين الذين يعيشون في قبرص قام بخلع ملك سلاميس واستولى على السلطة مباشرة بعد عام 450، وفي إطار رغبته لتعزيز التفوق العسكري الهلينى لبطله إيفاجوراس Evagoras ، أعطانا إيسوقراط Isocrates انطباعاً كما لو كانت سلاميس ومدن قبرص الأخرى لم تخضع مطلقاً من قبل للفرس، وفي الحقيقة فإنه يكتب أن السيد الجديد لتلك المدينة أسرع إلى «تسليمها للبربر وأخضع الجزيرة إلى عبودية الملك الأكبر»، وفي الحقيقة، فإنه يبدو أن المدن القبرصية لم تتحرر مطلقاً من سيادة الفرس بعد أن تم سحق التمرد الأيونى راجع ديودورس Diodorus ، الكتاب الثاني عشر، 3-2، 4-2 ، وحوالي عام 415 وصل رجل آخر من «صور» اسمه أبديمون Abdemon إلى السلطة في المدينة، وذلك من المحتمل عن

طريق تجديد ولائه للملك الأكبر دارا Darius الثاني، حيث إن ديـودورس Diodorus اعتبره «صديقاً لملك الفرس» الكتاب الرابع عشر، 98-1 ، ولقد حاول ذلـك الرجـل قتـل إيفـاجوراس Evagoras ، والـذي يقدمـه إيسـوقراط Isocrates عـلى أنـه الوريـث الشرعى للأسرة الملكيـة التويسريـة، ولقـد ذهـب إيفـاجوراس Evagoras للاحـتماء في سولوى في إقليم كليكيا، وهناك تمكن مـن تجنيـد قـوة صـغيرة واتجـه بهـا نحـو قـبرص، ونجـح في طـرد أبـديمون Abdemon ديـودورس Diodorus ، الكتـاب الرابـع عشر، 98-1 ، وعلى العكس مما يقوله إيسوقراط Isocrates فـإن ملـك سـلاميس الجديـد لم يحـاول إعـلان تمـرده عـلى الفـور، حتـى إننـا نجـده يعمـل كوسـيط بـين تيسـافرنيس Tissaphernes وأثينا في عام 410، وهو ما يشير إلى أنـه كانـت تربطـه علاقـات طيبـة بالمرزبـان الفـارسي، ولقـد كانـت مكانتـه خـلال هـذه الفـترة هـي تمامـاً كـما يمكننـا أن نستشفها من مناقشة ديودورس Diodorus التالية: «لقد كان الملك الوحيد لسـلاميس الذي كـان عليـه أن يـدفع جزيـة للملـك الأكـبر الـذي منحـه تلـك الوظيفـة الملكيـة في سلاميس» الكتاب الخامس عشر، 8: 2-3 ، ولقد كان هذا ينطبق أيضاً -وبشكل واضـح- على الملوك الثانويين الآخرين في قبرص، مثلما كان هو الحال مع ذلـك الشـخص المسـمى أجيريس Agyris ، والذي قدمه ديودورس Diodorus بعد ذلك بعـدة سـنوات عـلى أنه كان حليفاً للفرس سيماخوس الكتـاب الخـامس عشر، 98-2 ، وبـالنظر إلى الوضـع هناك من قلب الأحداث يتضح لنا أن تلك التقلبات التي مـرت بهـا قـبرص كانـت تعتـبر شأناً داخليًّا خالصاً، والذي لم يكن له أي تأثير على حقائق السيادة الفارسية عـلى قـبرص، وكما كان الحال في الفترة السابقة، فقد استمر الفرس في الاعتماد بشكل غير محدود على السـكان ذوى الأصـول الفينيقيـة، وتحريضـهم ضـد المجتمعـات اليونانيـة الأخـرى عـلى الجزيرة.

الفصل الخامس عشر

أرتاكسوكسيس Artaxerxes الثاني 405-458

وأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث

359/358-338

1- حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني: المصادر والمشكلات:

من وجهة نظر المـؤلفين اليونـانيين أن توافـق تـولي أرتاكسركسـيس Artaxerxes عنـد مـوت دارا Darius الثـاني قـد فـتح أطـول فـترة حكـم في التـاريخ الأخمينـي Achaemenid ، وعـلى أيـة حـال، فـإن الأمـر يرجـع إلى المـؤرخ عنـد اسـتهلال التأكيـد والتوضيح الخاص بالنقاط التي يجب اسـتكمال بيانهـا، وكـذلك التحريفـات الخطـيرة في إثبات صحتها، والذي يحمـل قبـل كـل شيء طـابع الوضـع السـائد المعـروف مـن خـلال المصادر الكلاسيكية، والتي لا تجذب انتباهاً مناسباً نحو الشؤون السياسية حول الواجهـة الغربية، ولحسن الحظ فإن قـورش Cyrus -لتشـغيل المرتزقـة اليونـانيين المنتمـين إليـه- يمدنا بالعديد من أشكال الوصف لتمرده حتى وفاته في معركة كيوناكسـا 404- Cynaxa 401 ، وقد يمكننا أن نسلط الضوء حول الأمير الصـغير الـذي كـان في طريقـه إلى الهجـوم عـلى بـاكترا Bactra المدينـة الهادئـة وحـول مرحلـة الاسـتقرار النسـبي الإيـراني بعيـداً عن التلميحات والإشارات الضمنية الزائلة إلى الحشـود الصـاعدة ، وقـد يكـون أمـراً مهـمًّا بشكل خاص، وفي مثـل هـذه الحالـة المتقدمـة، فـإن قـورش Cyrus لم يكـن قـادراً عـلى تشغيل المرتزقة اليونانيين وتجنيدهم، وبهذه النتيجة فإننا نرى هذه الأحـداث عبـارة عـن

عبارات قليلة متناثرة مشابهة لتعليقات بلوتارخ Plutarch حول «عصيان وتمرد» آريامينز Ariaramnes ضد كسركسيس Xerxes ، ويعتبر المؤلفون الكلاسيكيون أقل هذراً وثرثرة حول الأربعين سنة القادمة - فترة الحكم الكامل لأرتاكسركسيس Artaxerxes - ولدينا قليل من المصادر الروائية، ولكن ليس منها ما يجيب عن الأسئلة، أو يسد احتياجات مؤرخ الإمبراطورية الأخمينية Achaemenid Empire ، وفي الهلينية Hellenica التاريخ الإغريقي - اليوناني - ما بين القرنين الرابع والأول قبل الميلاد ، استمر زينوفون Xenophon في عهده في إنشاء علاقات بين المدن الإغريقية حتى عام 362-361 ق. م، وحيث إن زينوفون Xenophon ، بالإضافة إلى مؤلفي Helenica of oxrhynchus المجهولين المغفلة أسماؤهم قد حصلنا على المعرفة الخاصة بالصراعات الإغريقية-الفارسية في آسيا الغربية والدور المتزايد للملك العظيم في الشؤون اليونانية، ومن ناحية أخرى فإن زينوفون Xenophon لم يعد مهتماً بدرجة واضحة بالحياة الداخلية للإمبراطورية أكثر من أسلافه، إن مناقشات ديودورس Diodorus المحدودة لمثل هذه الأمور المتعلقة بالنزاعات الإغريقية-الفارسية والتي تنبثق عن إفورس Ephorus ، إذ أن كلاً منهما قد تأثر بموضوع الضعف السياسي والعسكري للملوك العظماء، ويغطي العمل الخاص بستيسياس Cetsias الأحداث التي تمت حتى 382 ق. م، ويعتبر Dinon مؤلفاً آخر لـ Persica الخاصة بتاريخ بلاد فارس، وهو أيضاً مؤرخ نجد الموثوقية الكبرى في تناوله للشؤون الفارسية طبقاً لما ورد عن س. نيبوس C.Nepos ، والذي كتب كتاباً عنوانه «حياة داتامس Life of Datames »، ولكن قد يعطي انطباعاً أنه كان مهتماً وبشكل خاص بالبرتوكولات الملكية، ونحن نعلم أن ستيسياس Cetsias كان مصدراً للإلهام لـ Aelien ، والتي تقع معظم أحداثها في فترة الحكم الفارسي لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني .

وقد تحول بلوتارخ Plutarch عن ستيسياس Ctesias ، دينون Dinon ، زينوفون Xenophon ، وقليل من المؤلفين الآخرين عندما كتب كتابه الخاص «بحياة أرتاكسركسيس Artaxerxes السيرة الذاتية الوحيدة لملك عظيم، والتي قد وصلتنا حتى الآن، وقد تم تخصيص 12 فصلاً من فصوله الثلاثين للعلاقات بين الملك وقورش Cyrus الأصغر 2-13 ، وخمسة فصول قد تم تخصيصها لخلافة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني 26-30 ولم تسترعِ الأمور الدبلوماسية والعسكرية كثيراً من الاهتمام من جانبه، وقد كتب فقط عن علاقات الإسبرطيين 20-22 ، وحملة ضد الكادوسيين 24-25 Cadusians ، وقد صنع تحريفاً زائلاً نحو حملة مصرية 1-24 ، إن الصياغة اللفظية تتركب بشكل أساسي حول الشخصيات والشؤون الملكية، وحول شخص واحد هو باريساتس Parysatis ، وهي تولي قورش Cyrus دعمها غير المشروط، خاصة في الفصول التي تتناول الانتقام الغاشم الذي تم تنفيذه ضد أولئك الذين شكلوا معارضة لابنها المفضل، خاصة أولئك الذين تفاخروا بقتله في ميدان المعركة 14-17 ، وفي الوقت نفسه فقد استخدمت نفوذها لتسهيل القيام بسجن Clearchus ، وقد أصبحت Stateira هدف بارتيساتس في غضب الانتقام، وقد لقيت حتفها مسمومة في مكيدة دبرتها لها حماتها 19 ، وقد اهتم بلوتارخ Plutarch أيضاً بشكل كبير بالشؤون الشخصية والتي تتضمن زواج أرتاكسركسيس Artaxerxes لابنته أتوسا Atossa ، وصراعه مع ابنيه الأكبر دارا Darius بشأن ما يتعلق بـ Aspasia رفيقة قورش Cyrus السابقة، والبلاط الملكي كما يراه بلوتارخ Plutarch وستيسياس Cetsias قد برزت فيه شخصيتان استثنائيتان، ستاتيرا Stateira وباربساتس Parysatis ، واللذين قد كانت الكراهية التي يضمرانها لبعضهما البعض ملتهبة بشكل مستمر، وقد احترقت بارساتس ستاتيرا أكثر من أي شخص آخر لأنها كانت لا تتمنى

أن تكون هناك شخصية ذات نفوذ وسلطة مثلها «وبعد الإطاحة بالكنة زوجة الابن فإن نفوذها السياسي الذي كان قد أصبح بعيداً عن كونه تافهاً قد نما وبشكل ملحوظ»، «وقد حصلت على القوة العظيمة النفوذ الكبير مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد تم تفخيمها وتلبية كل طلباتها، وقد كانت سريعة في استخدام نفوذها وسلطانها لمنح الامتيازات لأولئك الذين يحبون الملك وابنته آتوسا، ولم يستمر غضب الملك بعد مقتل ستاتيرا بعدما قام بنفي باريساتس إلى بابل، وكان قد تصالح معها، وأرسل في طلبها بعد التأكيد على أنها كانت لديها من الحكمة والشجاعة ما يناسب السلطان الملكي، وهناك امرأة أخرى -ابنة زوجة الملك آتوسا- كان يبدو أن لديها رغبة وشهوة قوية نحو السلطة، ويخبر بلوتارخ Plutarch أنها كانت تدعم أوتشس Ochus أكثر من إخوتها الآخرين، بل كانت لها معه شؤون خاصة، وقد تدرج طموحها في النمو لدرجات أعلى بعد صدور حكم الإعدام على الابن الأكبر دارا Darius ، والذي كان قد وضع مؤامرة ضد أبيه لأنه سرق أسباسيا Aspasia ، وكان أوتشس عالياً في آماله، واثقاً في نفوذ وسلطة أتوسا، ومن خلال السيرة الذاتية لأرتاكسركسيس Artaxerxes تظهر أن البلاط الفارسي كان يتم استغلاله واستهلاكه من جانب الطموحات البغيضة والعنيدة من جانب الخصيان والمحظيات، بواسطة الاغتيالات وتنفيذ أحكام الموت التي أضافت رعباً إلى الرعب القائم»، بواسطة الاتهامات المضادة للعامة، وبواسطة المكائد والضغينة التي كان يرجع سببها إلى الغزل والحب، من السهل إذن أن نفهم النهاية الكارثية للرواية، التي تتبع قصة انتحار أحد أبناء أرتاكسركسيس Artaxerxes ومقتل آرساميز Arsames على يد أخيه أوتشس.

وعندما سمع أرتاكسركسيس Artaxerxes بمصير آرسامز لم يستطع أن يصمد حيال ذلك مطلقاً، بل غرق تحت وطأة الحزن والكآبة، لقد كان

حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes ذورة الخطيب الأثيني أُسقراط Isocrates واحداً من أولئك المسؤولين عن فكرة «التدهور الفارسي»، لقد كان أُسقراط بطلاً للهلينية الكاملة، موالياً للفكر والعادات والأساليب الإغريقية القديمة، والحرب ضد بلاد فارس، ولم يتوقف أبداً عن حث الإغريق على مقاومة الاعتداء والاغتصاب الذي حدث على الإمبراطورية، والذي وصفه بأنه متدهور وانحطاطي، ويتجلى هذا الأمر واضحاً في مقطوعات المديح والإطراء الشعرية والنثرية البانجريكس Panegyricus ، والتي قد تمت كتابتها في نهاية عام 380 ق. م، وإذا كان ينبغي تصديق ذلك فإن الفرس لم يعودوا يسيطرون على قطعة أرض غربية واحدة من المضايق البحرية حتى حدود مصر، ومثل الكثيرين خاصة زينوفون Xenophon في كتابه الخامس الخاص بسيروبيديا Cyropedia ، فإن المعلم الأثيني قد وجد سبباً للأمل في إرسال العشرة آلاف عبارة يتم تطبيقها فيما بعد على المرتزقة اليونانيين الإغريق التابعين لقورش Cyrus ، وقد تم عرض الإرسالية/ البعثة وتقديمها كدليل مطلق على العجز الفارسي للدفاع حتى عن قلب إمبراطوريتهم، إن ما يطلق عليه اسم «ثورة المرزبانات العظيمة» في عام 360 ق. م قد بدأ لفترة طويلة مؤكداً أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني لم يمارس شيئاً من السلطة أكثر من السلطة الزائفة على الولايات التي تم تدميرها من خلال الاعتداءات الإغريقية والنزعات الذاتية للحكام، ويجب علينا التأكيد مرة أخرى على أن أهمية فك التشفير الأيديولوجي للنصوص الكلاسيكية لم يكن في حد ذاته يمنح ترخيصاً بإعادة صياغة بسيطة تكون صورة المرآة الحقيقية للمنظور اليوناني، ومن المناسب بمكان إذا أردنا الاستغلال الأمثل لهذه النصوص أن نوجه لهم بعض الأسئلة التي تذهب إلى ما وراء مشكلة/ أزمة العلاقات الإغريقية-الفارسية، وبعبارة أخرى فإذا ازداد الموقف الفارسي سوءاً فإننا في حاجة إلى مصادر إضافية لإثبات

ذلك، ويتضح أن الموقف برمته أكثر تعقيداً لأن الفراغات في التوثيقات/ الوثائق من المنتصف الوسط تتطلب في الوقت نفسه من المؤرخ أن يستخدم السجل الكلاسيكي ذاته لتصحيح الرؤية الإلهامية حيال هذا النص، ولكنه، عندما يتم قول وعمل كل ما يلزم، فإن التناقض يعتبر تضليلاً عقليًّا بسبب المؤلفين الإغريق أنفسهم بشكل رئيس، ويوضح بلوتارخ Plutarch على نقطة ضعف العسكرية للملك العظيم 20، 1-2 ثم إظهار بسالته وبراعته الفائقة كمحارب/ رجل حرب 24، 9-10 ، وينبثق ثاني هذه القطع الإنشائية مباشرة من الدعاية الملكية، ومن واجب المؤرخ أن يحاول التوصل إلى استيعاب على أساس النصوص الأيديولوجية العالية التي تتموج بين تشويه السمعة والاعتذار، ومن الأفضل تسليط الضوء على بعض القطع الصغيرة القليلة المتناثرة من الحقيقة والوضع التاريخي.

الرؤية/ المشهد من صوصا Susa ، وبابل، وبيرسيوليس، إن المهمة تبدو دقيقة؛ لأن المصادر في منتصفها تظل غير ملائمة مقارنة بالمصادر الكلاسيكية، ومع ذلك فتلك المصادر لم يحسم أمرها بعد عن الحضور بشكل كامل، إن معظم المعلومات التي حصلنا عليها تتناول أنشطة الملك كمشيّد وواضع أسس البناء والتعمير بسبب العبارات المنقوشة التي وجدت في مواقع عديدة، وفي الوقت نفسه رغم إن العبارات المنقوشة الملكية تستمر في قالبها غير الروائي، فإنها أيضاً تعرض إبداعات جديرة بالملاحظة، والتي تستحق الفحص -على سبيل المثال- لأول مرة يستشهد ملك عظيم بحماية آناهيتا Anahita ومثيرا Mithra .

وأخيراً، فيجب تذكر أن المصادر الكلاسيكية تنقل في بعض الأحيان بدرجة دقيقة ومناسبة بالزيادة أو النقصان الوثائق والقرارات القضائية التي وردت عن الدُواويشية الملكية، وهناك مثال آخر يعتبر مثالاً مهماً

ومرجعاً جديراً بالاهتمام في بيروسس Berossus لنظام ملكي بشأن ما يتعلق بعبادة آناهيتا في مناطق مختلفة من الإمبراطورية من باكترا Bactra إلى سارديس Sardis ، وأخيراً فإن بلوتارخ Plutarch ومصادره قد حصلوا على معلومات حاول البعض أن يخفيها عن تاريخ البلاط الملكي واللوائح الملكية، والتي يسرت علينا متابعة تنظيم البلاط الملكي في الدولة الوسطى الفصل 7 ، ويرجع الفضل أيضاً إلى بلوتارخ Plutarch الذي يمدنا بالمعلومات عن احتفالات تقليد منصب أو رتبة ملكية في باسارجاداي Pasargadae ، إن فترة حكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني وخلفائه المباشرين تتضح من خلال شهود إثبات محليين، خاصة في آسيا الصغرى، واليهودية، والسامرة، وفي بابل أيضاً.

وهناك بعض الأوراق التي تعرض الصدى الوحيد لحملة قورش Cyrus ضد أخيه؛ لأن النظام الخاص بزينوفون Xenophon لا يمكن أن يكون أكثر من الـ lunuإB المعروف حاليًّا من خلال مجموعة من الأوراق البابلية، وفي الوقت نفسه، فإن التحريفات في وثائق بابلية أخرى تكشف عن جهلنا، وثمة ورقة يعود تاريخها إلى 38 سنة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes ترجع إلى معركة فازت بها «الفرق العسكرية/ جنود الملك وأخرى من الشهر السابع من العام السادس والثلاثين للملك تذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد جمع حشوده وغادر ليحارب في مقاطعة رازآوندا Razaunda في ميديا Media ، ومع توفر بعض النصوص الكلاسيكية التي تذكر أيضاً إرساليات دارا Darius الثاني وخليفته في ميديا زينوفون Xenophon وبين الكادوسيين بلوتارخ 14- Plutarch مقال ، وتسهم هذه الأوراق في استرداد الاتساع والعمق نحو الحضور الملكي الذي يهدف التقليد اليوناني إلى محوها من ذاكرة القارئ، وبشكل يبعث على التناقض، فإن الورقة القرص الفلكية التي تعتبر

واحدة من الأقراص الأكثر معرفة على الأقل في البنود الروائية تتعامل مع الأمور التي تحدث على الواجهة الغربية على جزيرة قبرص.

2- الحرب بين الشقيقين 401-404 من دارا Darius الثاني إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني:

بالإضافة إلى الأشقاء الأطفال غير الشرعيين المولودين لمحظيات خليلات [زينوفون Xenophon Anab 11.4.25] ، فإن دارا Darius الثاني كان له عديد من الأبناء من زواجه من باريساتس، وقد كان الزواج مثمراً إلى حد ما -على حسب ما يذكره ستيسياس Ctesias - من أن دارا Darius الثاني وزوجته باريساتس كان لهما ثلاثة عشر طفلاً، معظمهم قد مات قبل النضج، وقد نجا منهم ابنة تدعى Amestris وأربعة أبناء، الأكبر Arses الذي ولد قبل عام 424، ثم قورش Cyrus ، واستانز Ostanes وأوكسازيرس Oxathres بلوتارخ Plutarch مقال 1-2 ، والآن عندما رقد دارا Darius مريضاً وشك في اقتراب نهاية حياته كان قد تمنى أن يأخذ كلاً من ولديه معه، كان الأكبر منهما معه بالفعل، ولكن قورش Cyrus تم استدعاؤه من مقاطعته التي كان قد ألقى بقبضته عليها، وأصبح حاكماً عليها زينوفون Xenophon 101: 1-2 ، ثم جاء قورش Cyrus مصحوباً بـ Tissaphernes وفرقة من المرتزقة اليونانيين، ويقول بلوتارخ Plutarch إنه قد تم استدعاء قورش Cyrus بواسطة والدته، والتي كانت تفضله عن أخيه الأكبر، ويقول أيضاً إنها حاولت أن تقنع زوجها المريض أن يختار قورش Cyrus ، باستخدام المناقشات نفسها التي ينسبها هيرودوت Herodotus إلى ديماراتس عندما كانت خلافة دارا Darius موضع التساؤل، إن التكرار الواضح للدوافع وراء ذلك كان مشكوكاً فيه، ومن غير المحتمل أن دارا Darius الثاني كان ينتظر حتى نهاية حياته لتسليم الخلافة يصدر مرسوماً يوضح من سيتولى بعده

مهام الحكم ، حتى مع إننا غير قادرين أن نحدد التاريخ المضبوط، فإننا حتماً سنفترض أن تعيين Arses كأمير للتاج قد حدث قبل ذلك مرات عديدة، إن الأسباب الحقيقية لاختيار دارا Darius غير متوفرة لدينا، ولكن من المحتمل أن وضع Arses كونه الأكبر كان في صفه، وعلى أية حال، فبعد موت والده أجلس الابن الأكبر نفسه على العرش، وأخذ اسم أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وفي هذا الوقت كان قد تم تنصيبه في باسارجاداي في احتفال مهيب وصفه لنا بلوتارخ Plutarch المقار 3 1-2/ الفصل 2/13 .

ويذكر التقليد أن آرسيز قد سمع كلمات والده الأخيرة على فراش الموت، وبالطبع يذكرنا هذا السيناريو بمشهد يصوره زينوفون Xenophon في نهاية موسوعة السيروبيديا Cyropaedia باستشعار حماسه المتدني، استدعى قورش Cyrus كلاً من قمبيز Cambysys ، و Tanaoxeres والمسؤولين العظام، وكتب زينوفون Xenophon حديثاً طويلاً للملك، وفي نهاية هذا الحديث لفظ أنفاسه مع آخر كلمة فيه، وفي هذا الحديث قسم السلطات بين أخويه الاثنين، الأكبر فيهما قمبيز Cambysys قد تسلم منصب الملك، والأصغر تسلم حكم مقاطعة فسيحة لكونه مرزباناً، أما قورش Cyrus ، الذي كان واعياً بالمخاطر المحتملة المحيطة بخلافته، واستحلف وناشد أبناءه بأن يعيشوا في تناغم، وبوجه خاص «لا بد أن يكون هناك أثر في المولود الثاني بألا تسمح لأي شخص أكثر استعداداً من نفسك يخضع الطاعة إلى أخيك، أو بشكل أكثر حماسة يدعمه».

والتقليد المسجل بواسطة Athenaeus يمثل عنصراً من عناصر الدعاية الخاصة بالبلاط الملكي، الذي كان قد تم تحديده لبيان شرعية حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني أكثر من قورش Cyrus الأصغر، ويذكر تقليد آخر أن الدافع الحقيقي وراء استدعاء قورش Cyrus كان مختلفاً -إلى حد ما- عن الدافع الذي سرده بلوتارخ

Plutarch ، لقد تم اتهام قورش Cyrus بتنفيذ حكم الإعدام في عضوين من العائلة الملكية Autoboisaces & Mitraeus في سارديس، وطبقاً لهذه النظرية تم استدعاؤه للإجابة عن القضايا التي ارتكبها، وهذه البيانات من غير الممكن التحقق منه أو وجود بيانات محتملة.

ومما لا شك فيه أنه بينما كان قورش Cyrus مخلصاً لوالده، فإنه قد اكتسب تأييداً للربح الذي استطاع عمله من المركز الكبير الذي منحه إياه دارا Darius في ساردیس، لقد تم إصدار مجموعة من العملات أثناء هذه الفترة بما يدل على إظهار ميزة تسلم بها هذه الفترة، ويطلق عليها «البوصات» الأثينية مدموغة بصورة الملك، والذي من المؤكد أن يكون هو دارا Darius الثاني، ومما يزيد الأمر تشويقاً أن بعض الأمثلة الفردية تحمل صورة ثانية، وهذه الصورة الأصغر حجماً تتسم بخاصيتين: أنها لا ترتدي الكيدراس Kidaris الملكية، وغير ملتحية، ومن المحتمل بذلك أنها تمثل قورش، وهذا حتماً ليس نظام سك عملات الثورة، بل إن هذه الصور المحاكية للبوصات الأثينية كانت دون شك مدموغة في ساردیس بواسطة الكارنوس Karanos لدفع الأجور الخاصة بالوحدات البيلوبونيسة العسكرية Peloponnesian units ، ومع ذلك فإنها أيضاً تثبت الرأي القائل بأن قورش Cyrus كان يسيطر/ يحكم قبضته على نفسه، وكذلك اتساع نفوذه، وطبقاً لما ذكره بلوتارخ Plutarch أنه قبيل احتفال تنصيب أرتاكسركسيس Artaxerxes كان يسايزس قد عرض وأفصح عن طموحه بشكل صريح، وقد اعتمد Tissaphernes على شهادة المجوس الذين تنبأوا بتعليم قورش Cyrus ، وإحضار وإلقاء الاتهامات عليه مثل أنه كان على وشك أن يكذب انتظاراً لتولي منصب الملك في المعبد، واغتصاب العرش، بل واغتيال الملك، حيثما كان يؤجل تغيير ثوبه لكي يمنح رداء لقورش Cyrus الأكبر سناً ، والبعض يؤكد أنه قد تم اعتقاله جرّاء هذه الاتهام، وآخرون يذكرون أنه قد دخل المعبد، وأشير إلى وجوده

هناك، حيث رقد مترصداً بجانب الكاهن، «وقد تـم إنقـاذه مـن محاولـة الإعـدام فقـط بواسطة الحجج الفورية التي قدمتها باريساتس، «أرتاكسركسـيس Artaxerxes أرسـله ثانية إلى البحر»، وتظهر اتهامات المجوس Magus شرعية بشـكل خـاص؛ لأنـه كـان مـن المحتمل أن يصاب بخيبة أمل مثله مثل أي رجل لا ينجح تلميذه في الوصول إلى العرش، وحتى إذا كانت هذه القصة تقدم لنا انطباعاً أن قورش Cyrus كان لديه وسيلة دعـم أخرى في البلاط الملكي، فضلاً عن دعم والدته، والذي ظـل أمـراً يصـعب تصـديقه، ومـن الصعب أن نتخيل أن المطالب بالعرش ليس له حـق صريـح فيـه يقـوم بتشـويه سـمعة الحرم المقدس لـ Anahita ، وقد تم اختراع هذه القصة بـلا شـك فـيما بعـد كجـزء مـن الدعاية الملكية، والتي تم تصميمها لمحو الذاكرة عن أخيه المتمرد، ومع ذلك فإن وجـود الصراع في مثل هـذا الوقـت لا يمكـن إنكـاره، ورغـم أن زينوفـون Xenophon لم يكـرر القصة التي تم عرضها بواسطة بلوتارخ Plutarch فإنه يقص لنا أنه بعد اقتراب تـولي/ اعتلاء أرتاكسركسيس Artaxerxes العرش قد تم شـجب قـورش Cyrus مـن جانـب Tissaphernes وأنه مدين بنجاته إلى تدخل والدته.

استعدادات قورش Cyrus واستجابة أرتاكسركسيس Artaxerxes من ممفيس إلى ساردیس:

بعدما تم تنصيب أخيه عـلى العـرش، رجـع قـورش Cyrus إلى سـارديس، ومـع ذلك لم يعد يرضي نفسه ويقنـع بمـا حـدث، لقـد جعلـه بغضـه أكـثر رغبـة في اغتصـاب المملكـة مـن ذي قبـل، وكـان Tissaphernes الـذي كـان يعتـبره صـديقاً كـان بجانبـه دائماً يسانده، وثمة أحداث جديدة قد أثبتت لـه أن Tissaphernes أراد فقـط أن يـتخلص منه، ومن ثم فقد اعتبر قورش Cyrus أنه من الحكمـة أن يقـرر مـا هـو فاعلـه في سريـة تامة حتى يتسنى له أن يأخذ الملـك كونـه غـير مسـتعد تمامـاً قـدر الإمكـان، لقـد اسـتمر

في مراسلة أخيه باستمرار وبانتظام، وكان يستضيف مبعوثيه بشكل فيـه إسراف وتبـذير وبذخ آملاً في أن يضـمهم إلى صـفه، وبالإضـافة إلى ذلـك، فقـد أحـال الـدعوى ضريبـة/ جزية/ إتاوة إلى بلاط الملك بانتظام، وحتى يتمكن من حشد الفرق العسكرية دخل قورش Cyrus في اتفاقيات سرية مع رؤساء المرتزقة الذين كانوا ضيوفاً عليه، وطلب من كل منهم أن يكون مستعداً لأي طارئ، وأن يستجيب بشكل فوري لأية استدعاءات قد يمكن إرسالها، وفي الوقت نفسه تفاوض مع السلطات الإسبرطية، مذكراً إياهم بالخدمات التي قدمها لهـم من قبل أثناء نضالهم ضد المقاطعات الأثينية في آسـيا الصـغرى، وقـد اسـتجاب ليسـديمون Lacedaemon بشكل إيجابي لاتصاله، ويشمل ذلك بشكل رسـمي أن ينصـب Clearchus نفسه ويكرسها لخدمة بلاد فارس، ويصدر أمراً لقائد الأسطول البحري يخضع نفسه فيه إلى أوامر قورش Cyrus في حالة أن لديه أي طلب، ويتضح أن السلطات الليسـديمونية كانـت تحرص على ألا تعلن عن نفسها بشكل صريح، مفضـلة أن تنتظـر نتيجـة المواجهـة المعلقـة غير المفصول فيها بين الشقيقين، وأخيراً فإن كـلاً مـن دارا xiv.35.2 Darius وزينوفـون Xenophon يشيران إلى أن عـدداً كبـيراً مـن المـدن الإغريقيـة ارتـدت إلى قـورش، متخليـة هاجرة Tissaphernes ، والذين كانوا ينتمون إليه في الأصـل بهبـة أو منحـة مـن الملـك»، وعلى الفور فإن قـورش Cyrus قـد حـاصر ميليتيـوس Miletus عنـدما رفضـت أن تقبـل سيطرته عليهـا، وجـاء قـورش Cyrus بكـل أنـواع الأعـذار ليـبرر اسـتعداداته العسـكرية، أولاً ذكر قـورش Cyrus أنـه كـان يسـتعد لشـن حـرب عـلى Tissaphernes الـذي كـان قـد أبعـد المعارضـة لـكي يحكـم قبضـته عـلى Miletus ، وكـان تفسـير ذلـك أنـه قـد قـام بطلـب اثنـين مـن قـادة المرتزقـة اليونـانيين، قـائلاً إنـه كـان ينـوي أن يشـن حربـاً عـلى Tissaphernes بمعاونة ومؤازرة المستبعدين المنفيـين الميلسـيين، ثانيـاً أنـه عنـدما جمـع

قورش Cyrus حشوده العسكرية في ساردیس في فصل الربيع لعـام 401، فـإن الحجـة التي قدمها كانت أنه تمنى أن يجلي كل البيسيدينيين من أرضه بشكل كامل، وهذه الخدعـة كان مخططاً لها من أجل المرتزقة اليونانيين، والـذين لا يهتمـون بالسـير ضـد الملـك العظـيم شخصيًّا، وكان ذلك يعني أن يخفف من شك رجال الملك، حيث إن البعثات العسـكرية ضـد البسيدينيين كانت مجرد عمل روتيني، ولم ينخدع Tissaphernes بذلك؛ لأنه قد لاحظ مثل هذه التطورات، وتوصل إلى أن استعدادات قورش Cyrus كانت توسـعية أكـثر مـن الـلازم حتى تكون موجهة ضد البسيدينيين، ولقد اتخذ طريقه إلى الملك بـأسرع مـا يمكـن بحـوالي 500 راكب خيل فارس ، وعندما سـمع الملـك Tissaphernes عـن تنظـيم صـفوف قـورش Cyrus العسكرية واستعدادها لخوض المعركة نـادى باسـتعدادات مضـادة لمواجهـة ذلـك، وهذا على أية حال، هو رؤية زينوفون Xenophon للشؤون الفارسية في آسيا الصغرى بـين 404-401، وفي روايـة زينوفـون Xenophon أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes لم يمتلـك بصيرة «لقد فشل الملك في إدراك المكيدة ضد نفسه، ولكنه اعتقد أن قورش Cyrus كـان ينفق على فرقه العسكرية؛ لأنه على وشك خوض حرب مع Tissaphernes ، وبالتالي فإنه لم يكن مسروراً أبداً لأن يخوض حرباً ضد أحدهما الآخر»، ومن الصعب تصـديق أن نفـوذ وتأثير باريساتس كان كافياً لأن يخـدع أرتاكسركسـيس Artaxerxes بشـأن نوايـا قـورش Cyrus الحقيقية، وتشير عمليات الذهاب والإياب بـين سـارديس والـقصر المركـزي إلى أن تقارير عديدة وصلت إلى الملك العظيم، ومن الصحيح أن ملحوظة زينوفـون Xenophon يمكن تفسيرها من خلال سياسة ملكية، قـد أشـير إلى انتهاجهـا لموازنـة قـوة المرزبـان مـع قـوة الآخـر، ولكـن مـن الصـعب أن نفهـم لمـاذا اختـار أرتاكسركسـيس Artaxerxes أن يدعم أخاه، والذي كـان طموحـه معروفـاً لديـه منـذ وقـت طويـل حتـى إذا كـان قـورش

Cyrus حريصاً على إرسال الأتاوة الجزية/ الضريبة التي جاءت من المدن التي اختارها إلى البلاط الملكي»؛ لإتاحة فرصة لتملك ما كان ينتمي إلى Tissaphernes ، ولا شيء يقترح أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استجاب بشكل استحساني إلى قورش Cyrus الذي أصر على أن هذه المدن الأيونية Ioniancities يجب أن تُسلم له بدلاً من بقائها تحت حكم وسيطرة Tissaphernes ، وبدلاً من ذلك، يستطيع الفرد أن يحصل على انطباع أن هذه التفسيرات تتكامل قليلاً بشكل أكثر نجاحاً في صورة متعمدة للملك توجد بشكل خاص في الفصول الافتتاحية لبلوتارخ Plutarch ، والذي يجد سروره في مقارنة الشخصية المتحيرة والمضطربة لأرتاكسركسيس Artaxerxes مع طموح أخيه النشيط المستمر، وجلبت قضية أورونتاس Orontas أفكاراً مختلفة جدًّا إلى العقل، وها هو يتضح كيف أن قورش Cyrus نفسه قد صوره فيما بعد لوصف هذا الشخص، والذي كان يحاكمه على أساس اتهامات بالخيانة في صيف 401، «لقد أُعطى هذا الرجل لي من قبل والدي لكي يكون خاضعاً لي ثم في البداية -كما يذكر هو نفسه- من جانب أخي، أن هذا الرجل قد شن حرباً ضدي، محصناً في قلعة سارديس، لقد فضل أورونتاس أن ينخرط في مواجهة بالسلاح ضد أتباع قورش Cyrus الذي اتهمه بهجره وانضمامه إلى الميسيين، ونهب المقاطعة الخاصة لسيطرة قورش Cyrus ، ويوضح المثال بقوة أن الحرب بين أرتاكسركسيس Artaxerxes وقورش Cyrus قد بدأت منذ وقت طويل قبل الارتحال من ساردیس في مارس 401، وأن كلاً من أورونتاس وتيسافيرنز قد تلقيا أوامر من الملك أن يقوضا طموحات أخيه الأصغر، ويقدم إفوراس Ephorus نسخة من تاريخ ومصدر الاتهامات ضد قورش Cyrus تختلف تماماً عن تلك التي قدمها زينوفون Xenophon ، لقد نُقلت عن ديودورس Diodorus ، نيبوس، وبلوتارخ Plutarch ، وبالنسبة لإفوراس فقد تم نفي

واستبعاد Alcibiades من أثينا، وتم اجلاؤه تماماً، فقد اتخذ ملاذاً وملجأ في القصر الملكي لفارنالياذيس Pharnabazus في دايسليم Dascylium الذي أعطاه مدينة جرينم Grynium ، حتى يتمكن من سد احتياجاته، وعند هذه النقطة لجأ Alcibiades إلى تحالف مع الملك العظيم لكي يعيد شن الحرب على إسبرطة، وعندما علم باستعدادات قورش Cyrus ، رأى طريقاً للحفاظ على وكسب تأييد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وأنه قد أزعج فادنابزيس من أجل اتصال سياسي آمن، وقد تعهد الأخير بعمل ذلك، ومع ذلك طبقاً لما أورده ديودوريس Diodorus فإن فارنابزيس قد استغل وظيفة أنه محرر الأخبار ناقل الأحداث ، وأرسل رجالاً موثوقاً فيهم لكي يقصوا الأمر على الملك، وقام أيضاً باغتيال Alcibiades بينما كان في الطريق مع مساعدة صحبة مزربان بافلونيا الغامض، وطبقاً لما جاء في هذه النسخة فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان قد أُعلم بالاستعدادات العسكرية التي يقوم بها أخوه 403-404؛ ولذلك فقد واجهنا مصدرين متناقضين، ومن المحتمل أن واحداً جاء من البلاط الملكي في ساردِيس والآخر جاء من البلاط الملكي في داسيليم، كيف يمكننا إذن أن نختار بينهما؟ قد يمكننا أن نستبعد المصدر الثاني من خلال اقتراح أنه في هذه القطعة -كما هو الحال على الأقل في أية قضية أخرى- أن ديودوريس Diodorus يخلط بين Pharnabazus و Tissaphernes ، ولكن هناك تحليلاً لطريق Alcibiades يؤكد أنه قد ترك وغادر حقًّا داسيليم، ومن هنا نستنتج أن نسخة الداسيليم قد اخترعت فيما بعد لدعم وتعضيد وضع Pharnabazus عن Tissaphernes الذي قد تلقى سلطة واسعة في آسيا الصغرى بعد معركة كيوناكسا.

وهذا الافتراض يعتبر افتراضاً عقلانيًّا بشكل تام بعيداً عن حقيقة أن المنافسة بين الحاكمين المرزبانين تشهد بدايتها على الأقل في أوائل عام 412، ويمكننا أن نضيف أن بعض الأحداث التي أخذها دارا Darius

الثاني عام 447 قد تكون وحدها هي التي أثارت عداوة فارنابازيس ضد قورش Cyrus والذي -كونه القائد العام للفرق العسكرية- قد أحكم السيطرة على Aeolios والمقاطعات المجاورة لها، وهذه المناطق قد تم التنازع عليها بين كل من سارديس وداسيليم، ومن المنطقي أن نفضل نسخة فارنابازيس عن الامتداد الذي تقدمه كصورة للسلطة المركزية، والتي تتناغم وتتسق مع السياسة المنتهجة في سارديس ضد قورش Cyrus ، والمواجهة الدفاعية الواحدة المضادة يقدمها لنا ديودورس Diodorus نفسه، باحتمال أنه يتبع خطوات إيفوراس، بعد وصف تحرك قورش Cyrus نحو بابل، فإنه يقدم موقف أرتاكسركسيس Artaxerxes كما يلي: لقد عرف لبعض الوقت قبل Palai من فارنابازيس أن قورش Cyrus كان يجمع سراً جيشاً يقوده ضده، والآن عندما علم أنه على رأس المسيرة نحو الدولة الكبرى فقد أرسل في طلب القوات الحربية من كل مكان إلى إكباتانا في ميديا، ومع ذكر أن فارنابازيس قد حذر الملك سابقاً، يشير ديودورس Diodorus إلى أنه لم يصنع أي شيء في الفترة الفاصلة رغم أن التعبير الذي قد تم استخدامه يمكن أن يقصد به أن الترتيب والنظام المأخوذ عن ديودورس Diodorus يتكون بشكل بسيط من إصدار الأوامر إلى الفرق والحشود العسكرية المعبأة للتحرك نحو محطات التجنيد الخاصة بكل منها.

وفي الوقت نفسه من الواضح أن القصص الخاصة بالمؤلفين الإغريق قد تم تخصيصها بشكل منفرد لحملة قورش Cyrus العسكرية، وهذا يقودنا إلى نظرية أخرى: تمرر المصادر الكلاسيكية أحداثاً مهمة في مناطق أخرى من الإمبراطورية في صمت، والتي تفسر نقصاً واضحاً من نشاط أرتاكسركسيس Artaxerxes أفضل من سر يقوم بتنفيذه بواسطة قورش، وهذا التفسير يسهل اختياره وإن لم يكن يقيناً كاملاً، وفي الحقيقة -في الوقت نفسه- واجهة أخرى تتطلب انتباهاً كاملاً من

أرتاكسركسيس Artaxerxes وهي مصر، ونحن نعلم أنه بعد وصول قورش Cyrus إلى سيليسيا صيف 401 ، فإن أبروكوماس توجه إلى الفرات، ثم إلى بابل متحولاً عن طريقه في رحلته من فينقيا، والمعنى يصبح واضحاً -كما يحدث في كثير من القصص- تركيز جيش في فينقيا يشير إلى هجوم ضد وادي النيل، وتؤكد الوثائق الألفتينية أنه قد كانت هناك ثورة مصرية، والوثيقة الأخيرة إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في Elephantine يرجع تاريخه إلى نهاية 401.

ويشير آخر سبتمبر 400 إلى السنة الخامسة للملك أميتايس Amytaeous الذي كان قد لقب بالفرعون خلال عام 404، ولا بد أن سليل المتمردين الذين نعرفهم في الدلتا أثناء القرن الخامس -وبشكل خاص ومحدد- حفيد أميتايس، وتوضح الوثائق الأليفنتية الضخمة أنه بين عامي 400 و404 ظل صعيد مصر تحت السيطرة الفارسية، ولكن أميتايس قد أحكم قبضته على كل أو جزء من الدلتا، ومن الواضح أنه حتى يتم قهره وإخضاعه بعد خلافته أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد جمع جيشه في فينقيا تحت قيادة أبروكوماس، ولم تكن هذه المرة الأولى أن الحكام المصريين في الدلتا يحاولون أن يربحوا من خلافة يتم التنازع عليها، ولكن -كما حدث- فقد كانت الأحداث والظروف مستحسنة بالنسبة لهم، ومن غير المستحيل أن قورش Cyrus قد اتخذ عن دراية ميزة كبيرة في الموقف مطلقاً سيادته وسيطرته على وادي النيل، لقد كان بالتأكيد متيقناً من كل مجريات الأحداث والأمور في مصر، ونحن نعرف أن واحداً من قادته المقربين كان شخصاً يدعى تاموس Tamos ، كاريان مصري المولد من ممفيس، وحقًّا فإننا نعلم أنه بعد موت قورش Cyrus قد خشي تاموس انتقام Tissaphernes وهرب إلى مصر مع عائلته وثروته، وقد توقع أن يجد ملجأه ومأواه وملاذه مع أبسماتيك Psammetichus -ملك المصريين- والذي كان سليل

أبسماتيك Psammetichus الشهير، وليس هناك أي منطق في أن نتحدى هذه الشـهادة مـن ديـودورس Diodorus عـلى أسـاس أنـه قـد ارتبـك بـين أميرتـايس Amyrtaeus وأبسماتيك Psammetichus كما حدث في العصور السابقة، ولقد تم تقسيم الـدلتا بـين عديـد مـن الأمـراء الخصـمم، ومـن المثـير أن نلاحـظ أن تـاموس قـد توقـع حمايـة مـن Psammetichus بسبب عمل جليل قد صـنعه للملـك في المـاضي، ولا يقـدم ديـودورس Diodorus أية تفاصيل متعلقة بهذا الأمر، ولكننا قد نتساءل عما إذا كـان تـاموس قـد تلقى تعليمات في السابق من قبل قورش Cyrus كمبدأ في إرساء علاقة مع حاكم مصر على أساس انتهاز فرصة أن يتم الضرب بيد ثقيلـة عـلى اهتمامـات ومصـالح الأخمينيـين Achaemenid في مصر، وعلى أية حـال، فـإن قـورش Cyrus لم يكـن غـير واعٍ أن -مـا سيقرره أبروكوماس من أن يخضع له أو يظل مخلصاً للملك العظيم- الحملة العسـكرية التي كان يقودها ضد أخيه سوف تقطع طريق العودة إلى غزو مصر في المستقبل، ومـن السهل أن نفهم لماذا لم يستخدم الملك بشكل مباشر عام 404-401 المعلومات التـي قـد تم تقديمها بواسطة فارنابازيس، لقد أصدر أوامره في المرة الأولى بتعبئة الجيش والقوات الحربية لغزو مصر مرة أخرى.

ومن ثـم فإننـا نفهـم لمـاذا اتفـق كـل مـن زينوفـون Xenophon وإيفـوراس في هـذه النقطة، لم يكن أرتاكسركسيس Artaxerxes قادراً عـلى المضي قـدماً في اسـتعداداته حتـى إلى وقت قريب؛ لأنه كان منشغلاً بأمور أخرى، ومن أجل خوض معركـة مـع أخيـه بـين عـام 401 و404 فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان قادراً فقط عـلى تأمـل وفحـص الـولاء والإخـلاص من جانب شعبه في آسيا الصغرى مثل Tissaphernes و Orontas ، وبالتأكيـد Pharnabzus على أمل أن يفتح ذلك طريق الحرب في سارديس وفي Iohia سوف يعوق قورش Cyrus مـن الزحف ضده، وهذا يفسر رضا الملـك وقناعتـه عـن رؤيـة النقـاش الحـاد بـين قـورش Cyrus

و Tissaphernes ، ملاحظة قد توسع فيها زينوفون Xenophon إلى تفسير غير كامل ومليئ بالأخطاء، وعندما ترك Tissaphernes آسيا الصغرى في ربيع عام 401 كان من غير الحقيقي أنه عزم أن يخبر الملك عن الاستعدادات المعروفة التي يقوم بها قورش Cyrus ، وبشكل أكثر بساطة منذ أن بدأت رسميًّا ثورة قورش Cyrus فإنه قد قرر على الفور أن يخضع نفسه لسلطة الملك العظيم، والذي منحه مكافأة كبيرة في قيادة الجيش الذي كان قد جمعه .

جيش قورش Cyrus الأصغر:

إن الفرق العسكرية المشتركة التي تم استدعاؤها من جانب قورش Cyrus قد اجتمعت في ساردیس، إذ أن كل قائد مجموعة من المرتزقة قد أحضر رجاله، وقد جاءوا من المدن الآسيوية، ولكن بشكل خاص من الـ Pelopponesus يقرب عددهم من 8100 مجتمعين، وفي كلويديا اجتمع Menon of Thessaly مترئساً 1500 جندي، وفي سيلينا في فريجيا الكبرى اكتظ الجيش من الرجال المستبعدين المنفيين 2000 من Clearchus Lacedaemonian و3000 سويس السيراكيوسان وأجياس الأركادي 1000، وتمت مراجعة الجيش الإغريقي بواسطة قورش Cyrus في عاصمة فريجيا الكبرى حتى وصل عدد الجنود إلى 900,12 رجلاً، وفي أزيس انضم 700 من المحاربين الأثينيين من المشاة مدججين بالسلاح من Spartan Cheirisophus حتى وصلوا إلى قرب البحر، وهذا التجمع الحاشد ظهر في تقليد فيما بعد قد استدل عليه بنزعات اعتذارية يشير إلى العشرة آلاف بشكل جماعي.

وهذه الحشود تعتبر الموضوع الرئيس في رواية زينوفون Xenophon ، بالإضافة إلى العلاقات الخصامية بين قادتها خاصة Clearchusand Menon وتباطؤهم المتعمد في السير وراء أتباع قورش Cyrus وراء نهري دجلة والفرات، وعند القيام بإلقاء النظرة الأولى،

فإن جذب استخدام رجال المشاة الإغريق اليونانيين هبليت أو بلتاستس يتم تفسيره بشكل سهل، فقد كانت لهم سمعة وشهرة جيدة نتيجة خبرتهم القتالية الطويلة، وقد استخدم قورش Cyrus نفسه بعضاً من المعدات اليونانية دروع الصدر - السيوف - الرماح ؛ لكي يعد الصفوة من فرسانه، وفي مقارنة مع أي شيء معروف كان ذلك أول مرة يقوم فيها قائد فارسي باستغلال كبير واستخدام واسع للمرتزقة، وتحتاج رؤية زينوفون Xenophon إلى العديد من التصويبات المهمة، إذ كما يشير فإن جيش قورش Cyrus قد شمل اليونانين والبرابرة، وكان هناك جيشان جنباً إلى جنب، يونانيين وبرابرة، وهناك أيضاً أسطولين، فكان الأسطول البربري تحت قيادة تاموس، وكان هناك نوعان مميزان مختلفان لجهتين تصدران الأوامر العسكرية، رغم أن قورش Cyrus نفسه ظل القائد الأعلى، وفي كيوناكسا اتخذ الجيشان موقعين منفصلين 1000 من الجيش البربري، رجال من فرقة Paphlagonian كانوا قد اجتمعوا على طول Clearchus قائد اليونانيين، وعلى الجانب الآخر كان البافك جونيين، والذين كان فرسانهم مشهورين، وكذلك الفرق العسكرية المستدعاة من فريجيا وليديا؛ بالإضافة إلى 1000 فارس تحت قيادة Ariaeus ، ووضع قورش Cyrus نفسه في منتصف التشكيل محاطاً بالجنود الأكثر شجاعة من الفرس البرابرة، وأيضاً في المنتصف الوسط كانت الفرق العسكرية المشتركة تحت قيادة قادة أمناء مثل Procles حاكم Teuthrania وسليل ديماراتس والذي منحه كسركسيس Xerxes مقاطعة في Aeolis ، وباختصار فإن قورش Cyrus قد حشد كل رجال المقاطعات والقوات الحربية في آسيا الصغرى، فرقاً حربية من المحذومين الخدم ، وفرساناً مجندين من الفرس من الديسبورة اليهود المشتتون في أرجاء العالم بعد الأسر البابلي ، والجنود المدعومون بعائلات قد استقرت في آسيا الصغرى بعد عصر كسركسيس

Xerxes ، ولم يكن قورش Cyrus مقتنعاً بجمع المرتزقة اليونانيين، وقد أصدر أوامره أيضاً بتعبئة عامة في آسيا الصغرى، مما مكنه من تجنيد مجموعة من الفرسان والذين من دونهم لم يكن قادراً على البدء في مثل هذا العمل الخطير.

الدعاية والشرعية:

لكي ينجح مشروعه، فإن الأمير الصغير -بينما يجمع قوة حربية متماسكة- قد اضطر إلى توليد إخلاص شخص قوي بدرجة كافية حتى يكسر الروابط التي أخضعت الفرس إلى الملك العظيم، وبدون الوعي الكامل للحقيقة، فإن كل المؤلفين القدماء قد أبلغوا أن النزاع المسلح قد صاحبته دعاية لخوض الحرب بكل حماس: «أنتم منشغلون أيها الرجال الحزبيون الشقاقيون الذين قد وجدوا سرورهم في التغيير، وأقروا أن الوقت قد حان لمجيء قورش Cyrus ، روح ذو روح كبير، محارب كبير ذو بأس ، محب لأصدقائه، وأن توسيع إمبراطوريتهم قد احتاج إلى أمير مقدام جرئ ومقامر، ورغم أن كلمات بلوتارخ Plutarch تؤكد أنه يفضل الاستقرار والنظام بشكل ثابت، فإن الموضوعات التي ينقلها هي نفسها التي نفذها معسكر قورش Cyrus في الانتشار، وتعتبر القطعة أكثر أهمية لأنها مدمجة داخل مقارنة بين قورش Cyrus وأخيه الذي يظهر كونه معروفاً بتوسعه الطبيعي، والذي أخذه من قبل الكثيرين لأجل الرحمة والرأفة، ولتوضيح ما كان يرمي إليه، فإن بلوتارخ Plutarch يستشهد بالهدايا والبوليدوريا الخاصة بالملك، المقدمة له من جانب الفلاحين البسطاء، وإن لم يكن دون فهم مغزاها، ويلاحظ بلوتارخ Plutarch أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد سمح لأخيه الأصغر أن يقاسمه في مائدته، وأن تسافر زوجته في عربة مفتوحة، ويتناقض قورش Cyrus مع الملك الذي قد انتقد كونه ضعيف الشخصية، بين كثير من الإطراءات ووسائل المدح لنفسه، قال إن لديه الروح الأقوى، وكان أكثر

من فليسوف، وأفضل مجوسي، وليستطيع أن يشرب كمية خمر أكثر من أخيه، والذي - كما يدعى- أنه جبان، ولا يشبه شخص الرجل إلا قليلاً، ولا يستطيع أن يربط حصانه في الصيد، ولا يحمي عرشه في وقت الخطر المداهمة ، ولا يحتاج هذا الاقتباس إلى كثير من التعليق والتوضيح؛ لأنه من الواضح أنه عن طريق الإدعاءات من هذا النوع فإن قورش Cyrus قصد أن يبرر مدى شرعية إدعائه لتولي السلطة من خلال إظهار الصفات التي تؤهل أخاه لذلك في إطار احترام السمات الأيديولوجية الملكية الأخمينية التقليدية، وقد تم تناول هذا الموضوع بشكل منظم من جانب زينوفون Xenophon في مديح تأبين قورش Cyrus ، وكان ينظر إلى قورش Cyrus في شبابه على أنه «الأفضل فيهم»، شجاعاً في كل من الصيد والحرب، وكان مخلصاً في وعوده، غير رحيم بالمقصرين من أي درب أو نوع من الرتب العسكرية، يقرر النظام والأمن في المقاطعة التي يحكمها، ويشدد زينوفون Xenophon وآخرون على أنه كان مجتهداً ومتقناً في مكافأة التفوق، حتى إنه لم يسمح أبداً لأي حماس أو غيره أن يذهب هباءً دون مكافأة، وكذلك فقد عرض Polydoria مرسلاً لأصدقائه طعاماً من مائدته، بل وأكثر من هذا كان قورش Cyrus بستانيًّا جيداً».

وباختصار فإنه ليس هناك رجل -يوناني أو بربري- قد أحبه عدد كبير جدًّا من الناس أكثر من قورش Cyrus ، ولو أن قورش Cyrus عاش فترة أطول لكان قد أثبت أنه الحاكم الممتاز، ورغم المتشابهات الواضحة مع Cyropaedia والتي تشير إلى أن زينوفون Xenophon يرسم هنا صورة لملك مثالي، وما نعرفه عن الأيديولوجية الملكية، يظهر أن المواد المستخدمة في تلوين هذه الصورة كانت الفضائل التي تصفها كل الوثائق الأخمينية بشأن الملك العظيم، ولقد شرع الآلهة أنفسها في تعزيز طموحات المتظاهر المدعي للملكية، وهذا يمكن اكتشافه من قصة تمت روايتها بواسطة زينوفون Xenophon ، وفي يوليو 401 وصل جيش قورش Cyrus إلى

Thapsacus علـى الفـرات، وكـان اتسـاعه حـوالي 700 مـتراً، وفي إطـار تقهقـره أغلـق أبروكوماس الكباري، ومضى قورش Cyrus في تقدمه لعبور النهر، وتبعـه بقيـة الجـيش حتى آخر جندي، وفي العبور لم يبتل أي جندي لأكـثر مـن فـوق الصـدر في المـاء، ولـيس هناك شيء ملحوظ عن هذا الأمر؛ لأنه في مثل هذا الوقت كان النهر عند مستوى تدفق منخفض، وأن الجنود قد خاضوا النهر بالعرض، وما يعتبر أكثر إمتاعاً هو التفسـير النـاتج عن «التقويم - إعاقة النمـو الطبيعـي»، إن سـكان Thapsacus قـالوا إن هـذا النهـر لم يكن أبداً من الأنهار التي يمكن عبورها على القدمين ما عدا في مثل هـذا الوقـت، ولكـن يبدو أن هناك تدخل إلهي حتى إن النهر قـد تقاعـد منبسـطاً قبـل أن يقـدر أن يصـبح قورش Cyrus ملكاً، وفي قصة أخرى في مُؤَلف بلوتارخ Plutarch Life of Lucullus أثناء حملته الأرمينية قد وجد Lucullus نفسه في خـلاف مـع الجنـود غـير المتحمسـين، ولقد وصل الجيش إلى نهر الفرات عند الفيضان «إذ وجدوا أن الماء كان مرتفعاً وهائجـاً من الشتاء وأثناء الليل، وعلى غير المتوقع، انخفض مستوى المـاء في النهـر، وعنـد الفجـر عاد النهر إلى ما كان عليه.

«اكتشف السكان الجزر القليلة الموجودة في النهر، وكان الماء راكـداً بيـنهم، وهـو شيء من النادر أن يحدث، مما أدى إلى انحنائه احتراماً لـ Lucullus ، والذي كـان النهـر له خاضعاً ومطيعاً، وأدى إلى مروره بسهولة وخفة.

لقد وضعت قصة Lucullus في مقاطعة إيرانية عنـد موقـع معبـد آناهيتـا الشـهير، والتي سوف تصير بشيراً مستحسناً إضافيًّا للرومان مع بقرة صغيرة موسومة بعلامـة الآلهـة، لقد ضحى Lucullus بها، والتي بالإضافة إليها قد قدم ثـوراً إلى نهـر الفـرات Euphrates ، من أجل عبـوره الآمـن، ويمكننـا أن ننهـي بروايـة موازيـة مـأخوذة عـن Tacticus : «لقـد وصل كل من Tiridates و Vitellius إلى ضفاف نهر الفرات مع الفرق العسـكرية التابعـة لهـما، فقــدم Vitellius الرومـاني Suovetaurile للآلهـة حسـب عـادة الرومـان، بيـنما

Tiridates قد قدم حصاناً كذبيحة تكريماً للنهر، وقد ادعى السكان أنـه بـدون أي مطـر فإن نهر الفرات قد ارتفع -دون أي جدال- بنفسه فوق المستوى القياسي المعتاد له، وأن زبد الأمـواج قـد شـكل دوائـر كانـت لا تشـبه شـيئاً أكـثر مـن التيجـان، معجـزة لبشـير مستحسن.

وتعكس كل هذه القصـص Topoi التـي قـد تأسسـت في الأدب الملـكي في الشرق الأدنى -وعلى سبيل المثال- كم مرة ادعى/ نادى فيها الملوك الأرسيرينيين Assyrian أنهـم قد عبروا السيول والجرف دون إعاقة! وأكثر من هذا امتازوا بإنشاء علاقات بيـنهم وبـين الملك، والمياه والأنهار قد وجدت أيضاً في هذه القصص، وتظهر هـذه العلاقـات في قصـة تنسب إلى قورش Cyrus الأكبر، كما يقول هيرودوت Herodotus ، الإخلاص والـولاء الشـخصي والمـرتبط بالسـلالة الحاكمـة، مـن الواضـح عـلى الأقـل أن نسـمع زينوفـون Xenophon يرويها، إن الــ Polydoria المتبجحـة لقـورش Cyrus نحـو البرابـرة مـن إمارته الخاصة، يؤكد على أنهم ينبغي أن يكونوا جنـوداً ذوي بـأس وأن يشـعروا بلطـف وحنو نحوه، وليس هناك شك في أن قورش Cyrus قد أحاط نفسه بالرجال الذين كان يثق في إخلاصهم له، وكان غرضه في ذلك هو توكيد وإثارة الـولاء والأمانـة نحـوه، والتـي قد يظهر فيها أي فارسي عـدم الـولاء نحـو ملكـه، ولكـن الدعايـة التـي قـام بهـا قـورش Cyrus تشير إلى أنه كان ناجحاً في ذلك، أو أنه قد احتاج أن يقنعه أولئـك الـذين كـانوا متباطئين لاحتواء الأسباب الخاصة به، وهـذه المسـألة تعتـبر غـير طبيعيـة لأن الإجـابتين المحتملتين ليستا منفردتين بشكل تبادلي، ومع ذلك فالمسألة لهـا أهميـة حاسـمة، والتـي قد أسلموا أنفسهم بشكل صريح إلى واحد قد اعتبر نفسه مساوياً لملك.

ولـيس هنـاك شـك بشـأن الأشـخاص الـذين تبعـوه، والموثوقـون المقربـون لـه كـانوا أولئـك الـذين أطلـق علـيهم زينوفـون Xenophon «الأمناء/ المخلصين»، والذي خضـعوا لـه مـن خـلال الـروابط الشخصـية

التي يرمز لها بمصافحة قبل الآلهة، إن المجموعة التي ظلت مخلصة حتى النهاية كانوا زملاء المائدة Tablemates وهو لقب يشير إلى أن قورش Cyrus قد أعاد تأسيس نظام ملكي للحكم يقوم على أسس وقواعد البلاط الملكي، ومن بين أولئك المخلصين -كما يشير زينوفون Xenophon- Artapates وهو الأكثر إخلاصاً لخدمات بيت المال لدى قورش Cyrus ، وكذلك فإن المتمرد أورونتيس لقد لقي حتفه صدر قرار بإعدامه في خيمة Artapates ، ويذكر أحد التقاليد أن Artapates قد قتل نفسه حزناً على جثة سيده، فكان لديه خنجر من ذهب، وقد ارتدى عقداً وسلاسل وكل وسائل الزينة التي يرتديها نبلاء الفرس؛ لأنه قد تلقى تكريماً من قورش Cyrus بسبب محبته وإخلاصه، لقد كان الذهب هدية ملكية متميزة لدى الأرستقراطيين الفرس الآخرين، والذين كانوا يرتدون ملابس لامعة براقة مرصعة بالجواهر، إن الفرس الذين في آسيا الصغرى، والذين وقفوا بجانب قورش Cyrus يشار إليهم من قبل ديودورس Diodorus كونهم مرزبانات، وبعيداً عن الفرس غير المعروفة أسمائهم، والذين عقدوا قيادات ثانوية في الجيش يشير ديودورس Diodorus إلى أقرباء قورش Cyrus الذين كانوا حكاماً لليديا ولفريجيا، وفي مناسبات نادرة كان ينعم على قليل من الفرس بألقاب من المؤلفين القدامى مثال Artaozusand Mithradates ، والذين كانوا صديقين حميمين لقورش Cyrus ، وكذلك Satisphernes رجل نبيل وصديق حميم لقورش Cyrus ، و Ariaeus حاكم ثانوي مستبد تابع لقورش Cyrus ، وقد كان أحد أصدقائه، وأصدر أوامره للفرسان على الضفة اليسرى في معركة كيوناكسا، وكان الشخص الأكثر تكريماً وشرفاً لدى قورش Cyrus ، وكان بالتأكيد من أصل نبيل، ويذكر زينوفون Xenophon أيضاً Pategyas فارسي جدير بالثقة من العاملين لدى قورش Cyrus .

ولكن تظل المشكلة غير محلولة، هل تشير هذه الأمثلة إلى رغبة عامة للسير ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes ؟ بالنسبة لزينوفون Xenophon ، فإن السؤال يجيب عن نفسه، إن الدليل الأفضل لميزة قورش Cyrus الملكية تلك الملاحظة التالية بالرغم أن قورش Cyrus كان عبداً لم يهجره أحد لكي يرتبط بالملك، ومن ناحية أخرى، فالعديد من الذين مروا ذهبوا من لدن الملك إلى قورش Cyrus بعدما أصبح الاثنان عدوين لبعضهما الآخر، ويقدم ستيسياس Ctasias تأكيداً أن كثيراً من المرتدين تغيروا عن أرتاكسركسيس Artaxerxes إلى قورش Cyrus ، ولكن لم يحدث العكس من أن مرتداً تحول عن قورش Cyrus إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وهنا نجد واحداً من التبريرات التي قدمها الإسكندر Alexander في تحري شرعية سلطة دارا Darius الثالث، والقائد الحقيقي يجب أن يعرف كيف يستلهم الولاء والإخلاص من أتباعه، وما الحقيقة؟ في الحقيقة بالرغم من «عشرات الآلاف» من المرتدين الذين سبق ذكرهم، لم يكن إلا حوالي 400 من المرتزقة اليونانيين التابعين لأبوكوماس قد أمكن تحديدهم، وقد انجذبوا بلا شك على أمل أن يحصلوا على مرتبات مالية عالية أجوراً مرتفعة ، وبالرغم من صعوبة تمثيل ذلك سياسيًا، فإن التغير في التحالف والإخلاص قد عوض بعض الشيء عن عيوب وقصور من قائدي فرقة المرتزقة الاثنين Xennias & Passion والذين بمجرد معرفة مقاصد وخطط قورش Cyrus اختارا أن يعتليا السفينة ويعودا إلى اليونان، وكان قورش Cyrus غير متأكد من رجاله اليونانيين الذين قد اتخذوا احتياطاً وتدبيراً لأخذ زوجاتهم وأطفالهم كرهائن في Tralles ، وربما لهذا النوع نفسه من الأسباب أن السوق الليدي يستطيع الجنود أن يجدوا مؤناً لهم فيها للجيش البربري، وكتحفيز لليونانيين وتشجيعهم على اتباع المكان الذي يريد أن يقودهم فيه لجأ قورش Cyrus كثيراً إلى الخداع وعمل

الحيـل الاسـتراتيجية، وأثبـت الهـدف الــ Pisidian أن ينصـب الشرك بمجـرد أن يصـل الجيش إلى تارسيس، رفض الجنود أن يعودوا إلى الطريق لمدة عشريـن يومـاً؛ لأنهـم قـد شكوا حيال هذا الوقت أنهم كانوا يسيرون ضد الملك»، وثمة مشاغب حقيقـي قـد ظهـر ضد Clearchus ؛ لأن كثيراً من المرتزقة أرادوا أن يعودوا بأنفسهم دون مسـاعدة الغـير لهم، وعند هذه النقطة فإن قورش Cyrus قد نادى أنه كان يسير فقط ضد أبروكوماس على نهر الفرات، وعندما يصلون إلى هناك سوف يرون نهج الأحداث الذي سـيتم هنـاك، وحسـب ما ذكره ديودورس Diodorus فقد أعلن أنه يقودهم ضد حاكم فـارسي في سـوريا»، وحتـى بعدما وصـلوا إلى Thapacacus لم يفصـح عـن خططـه، وهنـاك كـان قـد هـدأ مـن الصـف المستضعف بوعود بدفع أجور مرتفعة، ومن الواضح أن وعود قورش Cyrus قـد فشـلت في إقناع كل اليونانيين، وفي مواضع أخرى ظلت أمانتهم وولاؤهم له مشروطاً كما يتضح ذلك من خلال التصريحات التي ألقاها قورش Cyrus ، فقد وعد بأن يعطي كل رجل خمسة ألمينات فضية عندما يصلوا إلى بابل، ويكتمل دفع الأجـور عنـدما يعـود باليونـانيين إلى Ionia مـرة أخرى، والآن دعونـا نعـد إلى موضـوع الأرسـتقراطية الفارسـية، إن الحقيقـة أن ستيسـياس Ctasias يعطي مثالاً لأولئك المرتدين عن قـورش Cyrus ، فقـد ارتـد وتراجـع Arbarius قبل المعركة الحاسمة بوقت قصير، ولكن لا نعرف عـما إذا كـان هـو الشـخص نفسـه مثـل Arbarius الــذي خــان Secundianus بعــد عشريــن عامــاً لينضــم إلى Ochus أو دارا Darius الثاني، وحتى إذا كان هذا المثال مقنعاً بدرجة نادرة لأن ستيسياس Ctasias يـذكر أن Arabarius هذا كان قد شـجب إشـارة إلى أنهـا قضـية منعزلـة، وحتـى إذا كـان بعـض المواطنين الرفقاء من البلد نفسه قد انضموا إلى صـف قـورش Cyrus ، ويوضـح زينوفـون Xenophon مثال Orontus الذي كان قـد اتهـم بالخيانـة ضـد قـورش Cyrus ، ويضـع

المؤلف القصة وأحداثها في بابل: «كان أورونتس عضواً من هيئة النبلاء، وقد تمتع بنفوذ ومكانة اجتماعية كبيرة «فارسي قد ارتبط بالملك منذ الميلاد وقد حسب ضمن أفضل الفرس في شؤون الحرب والقتال، وتحت ذريعة إعاقة أنشطة الغزاة من الجيش الملكي قد طلب من قورش Cyrus أن يضم رابطة من الفرسان إليه، وفي الوقت نفسه قد أرسل خطاباً إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes يعلن فيه عن تغيير ولائه، ولكنه قد انخدع بواسطة المبعوث، وتم القبض عليه ومحاكمته وإعدامه، وقد عقد قورش Cyrus محاكمة له، وشمل ذلك أيضاً سبعة من الفرس الأكثر تمييزاً بين الخدم، وقد شمل ذلك Clearchus الأكثر ولاءً وإخلاصاً بين اليونانيين، وهذا الحكم قد أشير إليه بطريقة تقليدية، إن كل رجل قد أثار خيانة، وقد أخذه من حزامه، زنارة كعلامة أنه قد حكم عليه بالموت، ويقحم زينوفون Xenophon حتى أقارب المتهم الذين اضطروا إلى أن يقوموا بأداء الإيماءة المصرية، وتشير بعض التفاصيل الإضافية إلى أن أورونتس كانت له شبكة كبيرة من الأصدقاء، ويذكر زينوفون Xenophon أنه حتى بعد إطلاق الحكم عليه عندما رآه الرجال الذين كانوا في الأيام السابقة معتادين أن يوفروا له المأوى قد جعلوا احترامهم ظاهراً له حتى بعدما عرفوا أنه قد حكم عليه بالموت، ونهاية القصة تكشف أنه بعد أن وصل إلى خيمة Artapates فإن الأكثر إخلاصاً لحاشية ورفقاء قورش Cyrus منذ تلك اللحظة لم يرى أي رجل منهم أورونتس حيًّا أو ميتاً، ولم يستطع أحد أن يقول عن معرفة حقيقة كيف تم تنفيذ موته، ولا توجد له حتى مقبرة، إن المصداقية والسرية التي فرضت من جانب قورش Cyrus كانت مقصودة لاتخاذ أي انتخاب رسمي تكريماً للرجل الذي صدر الحكم عليه، ومن الجدير بالذكر أن قورش Cyrus لم يستدعِ القوات العسكرية الفارسية، ولكنه استدعى الفصائل اليونانية التي لم تكن سريعة التأثر بما يحدث حولها،

والتمزق بين أساليب الولاء والإخلاص المتنازع عليها لحماية وحراسة الخيمة التـي سـوف تعقد فيها المحاكمـة، إن ضـم اليونـاني Clearchus بـين صـفوف القضـاة كـان بالتأكيـد بسبب هذه الاعتبارات نفسها.

إن مثول الفرس السبعة الأكثر تميزاً كان مقصـوداً للتأكيـد عـلى الـدعم الكامـل للفرس الأوفياء، من خلال ضم أقارب المتهمين، كان قـورش Cyrus يحـاول أيضـاً أن يجبرهم على أن يعترفوا على الملأ بولائهم الشخصي له، ويمكنه استنتاج أن أورونتس لم يكن الشخص الوحيد الذي يعرض هواجسـه وظنونـه بشـأن قـورش Cyrus ، ودون التركيز على ذلك، فإن زينوفون Xenophon يشير في الحقيقة إلى أنه منذ عدة أسابيع سـابقة في ليكونيـا، أن قـورش Cyrus حكـم بـالموت عـلى شـخص فـارسي يـدعى Megaphernes الذي كان حاملاً ومرتدياً لزي ملكي بنفسجي اللون، ونحـن لا نعـرف المزيد عن هذا الشخص، فقد تكون وظيفتـه قـد سـمحت لـه أن يـقـيـم علاقـة مـع معسكر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويضيف زينوفون Xenophon أن شخصاً مـا قد حكم عليه بالموت في الوقت نفسه، ويصفه بعبارة صغيرة واضحة «صـاحب مقـام رفيع بين معاونيه»، هل يمكن أن يكون واحداً من الضـباط المسـؤولين عـن مقاطعـة؟ كـان قـورش Cyrus يحتـاج في الحقيقـة إلى دعمهـم ومسـاندتهم لـكي يقـترب مـن مواضع الكنوز ومخازن البضائع على طـول الطريـق، ولكـنهم لم يواجهـوا أيـة عوائـق رئيسة، إن السلطات في Celanae لم تعارض مطالبه، وهذا التفسير يمكـن دعمـه مـن خلال الإجراء الذي اتخـذه قـورش Cyrus في ليكونيـا: هـذه الدولـة قـد سـلمها إلى اليونانيين لكي يسلبونها على أساس أنها كانت مقاطعة معادية، وتشير العبارة السابقة إلى قطعة من الأرض يمكن نهبها وإتلافها لأنها لم تخضع، وهـذه أيضـاً كانـت القضـية في Cilicia قبيل خضوع/ استسـلام الــ Synnesis بمجـرد أن استسـلم، وعـده قـورش

Cyrus بأن أرضه لا ينبغي أن تسلب أو تنهب أكثر من ذلك، ويمكنهم استرجاع العبيد الذين تم القبض عليهم في حالة الحرب في أي مكان.

وقبل ذلك رفض الـ Synnesis التحالف مع قورش Cyrus ، ولكنه قد أرغم على فعل ذلك عند وصول جيش وأسطول قورش Cyrus المفاجئ، وحسب ما ذكر زينوفون Xenophon فإن الـ Syennesis قد وافق أن يعطي كميات كبيرة من المال لجيش قورش Cyrus ، ويقدم قورش Cyrus في مقابل ذلك هدايا/ منح شرف وتكريم كما اعتاد الملوك العظام منحها، ومن الواضح أن تحالف Syennesis كان تكتيكيًّا خالصاً، ويشدد ستيسياس Ctastas على ذلك، فيقول: «لقد حارب في صفوف قورش Cyrus ولأجل مساندة أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويوضح تلخيص فوتيس معلومات معطاة من جانب ديودورس Diodorus ، وعندما علم بمعرفة وحقيقة الحرب وافق Syennsis أن ينضم إليه كحليف ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد أرسل أحد ابنيه مع قورش Cyrus معطياً إياه فرقة عسكرية قوية من السليسنيين لجيشه، وبالنسبة لـ Syennesis لكونه مجرداً من المبادئ الأخلاقية بطبيعته فقد قام بتعديل نفسه شخصيته إلى عدم التأكيد والشك في الثورة، وقد أرسل ابنه الآخر سراً للملك لكي يكشف له عن القوات الحربية التي حشدت ضده، ولكي يؤكد له أنه قد أخذ دور Symmakhia لقورش Cyrus للضرورة الحتمية، ولكنه مازال مخلصاً Eunoia للملك، وعندما تتاح الفرصة، فإنه سوف يتخلى عن قورش Cyrus وينضم إلى جيش الملك، لم يكن الـ Synnesis متأكداً من أنه يتبنى موقفاً موجهاً بالنظر إلى المستقبل والتطلع إليه، ويشير ديودورس Diodorus إلى أن الـ Lacedaemonians لم يكونوا بعد قد اشتركوا في الحرب، ولكنهم كانوا يخفون غرضهم، منتظرين دور الحرب، وكان المؤلفون القدامى يشاركون في انزعاج اليونانيين الذين كانوا يشعرون بالرعب من اتساع

الإمبراطورية، إن الكلمة قد قيلت خلال ميسرة أربعة شهور للجيش إلى باكتريا.

ونحن لا نعلم شيئاً عن ردود الأفعال الخاصة بالجيش البربري، ولكنه طبقاً لما جاء به ديودورس Diodorus ، فإن القيادة العليا الفارسية كانت قد أُبلغت عن الهدف الرئيس منذ رحيل قورش Cyrus من سارديس، وتشير صياغة ديودورس Diodorus إلى أن الفرقة العسكرية العادية قد فقدت الثقة والمصداقية تقريباً مثل اليونانيين، «ومن المنصف أن نجيب عن نداء Karanos للسير ضد البسيدنيين، ولكنه كان من الخطر أن نتسلح ضد الملك العظيم»، ومن الواضح أنه لم يكن هناك دليل مؤكد على ذلك، ولكن من الممكن أن بدايات عدم الرضا أو التباطؤ قد رأت ضوء الصباح بين صفوف الفرق العسكرية البربرية، ويذكر زينوفون Xenophon أنه ليس هناك رجل -يوناني أو بربري- قد أحبه عدد كبير من الناس بقدر ما أحبوا قورش Cyrus ، ومن الممكن أنه يشير هنا إلى الدعم الذي تلقاه قورش Cyrus من المدن اليونانية في آسيا الصغرى، وعلى أية حال، فإن الحاشية الخاصة لقورش Cyrus لم تضم أي جندي فارسي، وتظهر العمليات التي أدرج فيها المرتزقة أن قورش Cyrus قد دخل في معاهدات كرم وحفاوة شخصية مع اليونانيين:

Aristippus the Thessalian, Proxenus the Boeotian, Sophaenetus the Stymphalian, and Socrates the Achaean.

وقبل أن تبدأ الثورة أرسل زينياس الأركاديني أمراً بشأن القوة العسكرية من المرتزقة في المدن حول لونيا، وحاول قورش Cyrus أن يجمع حوله كل المشتتين اليونانيين مثل الميلسيين، وكذلك Clearchus الذي قد نفى من Lacedaemon ، والذي جمع فرقة عسكرية من المرتزقة لتنفيذ أغراضه التي كان يرمي إليها، وقد اعتبره قورش Cyrus «الرجل الذي كان يجب تكريمه فوق باقي اليونانيين» والقائد الأكثر إخلاصاً في

قادة المرتزقة، وهذا يفسر فيما بعد كيف أنه تمتع بحماية خاصة من Parysatis ، ونعرف الكثير عن Gaulites وهو رجل سامي كان منفياً هناك، وكان مصدر ثقة بالنسبة لقورش Cyrus ، وخلال الحرب الأيونية Ionianwar كان يعمل بشكل لصيق مع Tissaphernes ، ويمثله Thucydids على أنه كاري كان يتحدث لغتين، ويمكننا أن نذكر تاموس «الصديق الجدير بالثقة «لقورش Cyrus » الذي عينه حاكماً لـ Aeoliss, Ionia والمقاطعات المجاورة قبل أن يرحل، وكان أيضاً قائد الأسطول البحري البربري، وقد شارك ابنه Glos في بعثة ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes .

هل يشير حضور عدد كبير من غير الفرس حول قورش Cyrus إلى صداقة حميمة نامية في العلاقات بين الفرس في آسيا الصغرى وجيرانهم؟ وهل يعكس ذلك سياسة خاصة انتهجها قورش Cyrus الذي كان يساوره القلق لكي يتجنب عداوة بعض الفرس في المنطقة الغربية؟ من الصعب أن نجيب عن هذه الأسئلة بتأكيد جازم لها، إن رجلاً مثل تاموس قد بدأ وظيفته قبل وصول قورش Cyrus إلى سارديس، والمرء لا يمكنه أن يفشل في أن يكون معجباً ومنبهراً بتقسيم السلطات التي قررها قورش Cyrus قبل البدء في حملته، ورغم أن الفرس قد وضعوا في مسؤولية ليديا وفريجيا، إلا أن تاموس كان قد تلقى أمر قيادة وحكم Ionia و Aleolis والمقاطعات المجاورة، وبشكل خاص فمن الملحوظ أنه قد حكم Aleolis وتوابعها، ولكن ليس هناك شك في أن هذا الإجراء يرجع تاريخه إلى عام 407، ومن ناحية أخرى، فإن نسخة إيفوراس تشير إلى أن فارنابيزوس Pharnabyzus قد تم تنصيبه من بين «أمناء» الملك العظيم بعد عودة قورش Cyrus إلى آسيا الصغرى، وإذا كان كما يقول ديودورس Diodorus إن قورش Cyrus قد أعطى فريجيا إلى بعض أنسبائه Syggeneis ، فإن هذا الميل يشير إلى أن فارنابازوس فقد أيضاً المرزبانية، أو أنه قد نقل إلى موضع ثانوي أقل قدراً؛ ولأجل هذا السبب أو غيره فإنه قد ساند الملك.

وعندما وصل قورش Cyrus إلى سيلسيا عانى انقلاباً كبيراً آخر، وأن أبروكوماس بعد أن أودعت أو أسندت إليه مهمة قيادة الحملة نحو مصر فضلاً عن انضمامه لقورش Cyrus الذي كان على اتصال به، فقد تقهقر بدلاً من ذلك نحو الفرات مع جيشه، مشعلاً النار في الكباري في Thapsacus لكي يبطئ من تقدم المتمرد، ولم يكن أبروكوماس الشخص الوحيد الذي ساند الملك، بل إن Belesys قد فعل ذلك أيضاً -وهو حاكم سوريا- كما يتضح في ترتيب ونظام حكم قورش Cyrus أنه قد أفسد الإقامة المرزبانية، وكذلك الفردوس القصر المرزباني اللذين كان يقعان في ينابيع داردس، ويشير ديودورس Diodorus مرة أخرى إلى أن قورش Cyrus قد ضللهم مرة أخرى، وأنه قد كشف عن هدفه في الكلمات التالية في Tarsus فكان يقود الجيش ليس ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ولكنه ضد حاكم معين في سوريا، لقد ادعى الإدعاء نفسه مع الإشارة إلى مرزبان بابل الذي ربما قد يكون Gobryas والذي كان واحداً من القادة في الجيش الملكي أثناء معركة كيوناكسا، ووقف Tiribazus بجانب الملك العظيم، ويمثله زينوفون Xenophon كحاكم لأرمينيا الغربية، Artasyras «عين الملك، كان مع الملك، وفي الحقيقة إن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان والد أورونتس الذي كان حاكماً لأرمينيا الشرقية، وهذا الذي يدعي أورونتس قد أحضر فرقة عسكرية ممتازة إلى الملك.

وحتى إذا كان الدليل جزئيًّا في كلا المعنيين المقصودين السياقين لذات الكلمة، فإن ثمة نتيجة تجذبنا هي أن قورش Cyrus لم ينجح في الحصول على دعم ومساندة الضباط التابعين وراء قضائه الرسمي، ونتيجة ثانية أن عدداً غير معروف من أقرانه ومساعديه قد رفضوا أن يقطعوا علاقات الإخلاص مع من قد اعتبروه الملك العظيم الوحيد، أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وأخيراً فإن بعضاً من التحالفات

الأخرى قد أخضعوا أنفسهم مع توخي الحذر الكبير، وكثير من استعادة مرات التفكير، ولا يؤكد السجل على الآمال والطموحات التي ينادي بها بلوتارخ Plutarch من ازدهار قورش Cyrus في عام 404، أنه سوف يكون قادراً على أن يفوز بتأكيد ليس فقط أولئك القاطنين في مقاطعته بالقرب من البحر، ولكن كثير من أولئك الذين يعيشون في الدول العليا.

مواجهة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes وقورش Cyrus قد حدثت عند وصول قورش Cyrus وجيشه إلى بابل موقفاً سياسيًّا واستراتيجيًّا غير متوقع في تاريخ الأخمينيين، فقد تم تهديد الملك العظيم في قلب إمبراطوريته من خلال عدو وحيداعلى رأس قوة كبيرة قاصداً أن يستولي على السلطة العليا، وكان خطر ذلك أكثر من مجرد كونه أمراً شديداً قد واجهه دارا Darius في عام 522-521 عندما لم يفلح المتمردون غير المنتظمين في توحيد مسيرة في قلب أو وسط الإمبراطورية، وتمثيل بعثة قورش Cyrus نوعاً من التمثيل المسبق لغزو الإسكندر Alexander ، وتماماً مثل دارا Darius الثالث في عام 331 فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد فقد السيطرة على آسيا الصغرى والمناطق الواقعة وراء نهر الفرات، وتشمل مصر، إن استجابته لهذا التحدي قد أثارت بعض الإجراءات التي قد تم اتخاذها من جانب الملك العظيم بعد مضي سبعين عاماً بعد ذلك، ولم يكن لدى أرتاكسركسيس Artaxerxes وقتاً كبيراً للإعداد من دارا Darius الثالث، الذي كان قادراً على جمع وتدريب جيش، بينما يزحف الإسكندر Alexander إلى غزو سوريا وبلاد فينقيا ومصر قبل العودة إلى نهر الفرات في أواخر عام 333 حتى الخريف من عام 331، وتماماً مثل الفرس في عام 331، فإن الملك العظيم قد أصدر أوامره لأبروكوماس أن يقوم بتدمير الكباري والقناطر فوق نهر الفرات حتى يجعل تقدم مسيرة قورش Cyrus بطيئة، وتماماً مثل مازيوس عندما واجه المكدونيين، فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد

قرر أن يطبق سياسة حرق الأسطح قبل تقدم قورش Cyrus نحوه، وفي الوقت نفسه فإنه قد مضى قدماً في إعداد الدفاعات والحصون في بابل، وطبقاً لما جاء على لسان زينوفون Xenophon ، أثناء مسيرة اليوم الثالث في الدولة، فقد جاءوا نحو خندق عميق، اتساعه خمس قامات مقياس لعمق المياه يساوي 6 أقدام ، وثلاث قامات في العمق، وهذا الخندق قد استمر ممتداً أعلى السهل واصلاً إلى سور ميديا، لقد تم بناء الخندق على يد الملك العظيم كوسيلة للدفاع عندما علم أن قورش Cyrus في طريقه للهجوم عليه، وأكثر من ذلك فإن زينوفون Xenophon يوضح أن السور المسمى بسور ميديا قد تم بناؤه من الطوب اللبن، ثم تم وضع الأسفلت له، وكان اتساعه 20 قدماً و100 قدم ارتفاعاً، ويقال إن طوله كان يبلغ 20 فرسخاً وحدة قياس فارسية قديمة تعادل 4 أميال تقريباً ، وهو ليس بعيداً عن بابل، لقد انتشرت أخبار الدعاية عن قدوم قورش Cyrus ، بشأن بناء السور، أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد فر هارباً ورفض المواجهة، وبينما كان هناك كثير من الإبهام والغموض بشأن ما يتعلق بهذا السور، ومن الحقيقي أنه يظهر أن الملك العظيم قد أعاد استخدام البناء السابق بدرجة جيدة، وأنه قد تبنى استراتيجية معروفة جيداً، باستخدام الطرق المائية لقطع الاتصال والاقتراب إلى بابل، ومع ذلك فمن الواضح أن كل هذا لم يحدث بنجاح كبير، ويشدد زينوفون Xenophon على سرعة تقدم مسيرة قورش Cyrus ، لقد توقف الأمير فقط لكي يؤمن الإمدادات والمؤن ويودعها في قرى على طول الطريق، وقد كان قورش Cyrus أحياناً يقوم بعمل مثل هذه المراحل عبر الصحراء منذ وقت طويل، وعندما كان يريد أن يصل إلى الماء، ومن خلال اختيار طريق ومن أجل سرعته قد أجبر الجيش على عبور مقاطعة غير مضيافة تسمى «العربية» بواسطة زينوفون Xenophon قد أحضرتهم إلى حافة المجاعة التي قد أزعجت اليونانيين خاصة، ولم يكن من الممكن أن نشتري أي

حبوب ما عدا ما هو معروض للبيع في سوق ليديا القريب للجيش البربري التابع لقورش Cyrus بسعر أربعة سيجل لكل Capithe من دقيق القمح، أو وجبة من الشعير، وليس هناك شك في أن السعر قد ارتفع كثيراً في مثل هذه الظروف، لقد كان الجنود غير قادرين على الانغماس أو التنعم في مثل هذه الفخامة، وبالتالي قد عزموا أن يعيشوا يطعمون عن طريق تناول اللحوم، ومن المحتمل أن يتم ذلك من خلال الصيد، وقد تم تفسير سرعة تقدم قورش Cyrus واستعجاله -طبقاً لما ذكره زينوفون Xenophon - من خلال حاجته إلى منع الملك العظيم من التجمع وحشد قواته، وقد كان فكره أنه كلما ذهب بشكل أسرع من ذلك، كلما كان الملك غير مستعد لخوض الحرب معه، بينما على الجانب الآخر كلما ذهب بشكل أكثر بطئاً «كلما كان أفضل للجيش أن يحتشد مسانداً الملك»، ومثل كثير من المؤلفين القدامى، فإن زينوفون Xenophon قد اعتقد أنه بينما كانت إمبراطورية الملك قوية في امتداد مقاطعاتها وعدد سكانها، لكنها كانت ضعيفة بالنظر إلى كبر حجم المسافات والحالة المتبعثرة التي تكون عليها قواتها في حالة أن أي شخص يمكن أن يتحول عن مساره للهجوم عليها.

إن استعجال قورش Cyrus يتعارض دراميًّا مع الفراغ المصاحب لمسيرته حتى يصل إلى الفرات، لقد أقام سبعة أيام في كولوسيا، ثلاثين يوماً في سيلانيا، 3 أيام في بلتي، خمسة أيام في Caystru-pedion، 20 يوماً في Tarsus ، وثلاثة أيام في Issus ، وخمسة أيام في Thapsacus ، والجملة 73 يوماً، ومن غير المحتمل أن طول مدة هذه التوقفات يمكن تفسيرها بشكل بسيط، مع زينوفون Xenophon بواسطة الإرادة المريضة المزعومة من المرتزقة اليونانيين الذين تركوا في انتظار رواتبهم، ومع بداية عبور الفرات، تقدم الجيش في مرحلة مسيرة مسلحة حتى إن قورش Cyrus لا بد أنه قد أصبح غير شاعر بارتياح بشأن الإعدادات

الخاصة لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، والتي لا تجسد وتقوي الشائعات في تارسيس المشار إليها أنها كانت جديرة بالاهتمام، وعندما اختار قورش Cyrus أن يسلك طريقاً سريعاً لم يكن به كثير من نقاط لإعادة التمويل، لقد كان ذلك لأن عنصراً استراتيجيًّا حاسماً قد ظهر في الوقت المتخلل، وطبقاً لما رواه زينوفون Xenophon فقد توقع قورش Cyrus أن أبروكوماس لن يعترض طريقه من خلال بوابات السوريين.

ومع ذلك فإن أبروكوماس لم يفعل ذلك، ولكنه بمجرد أنه سمع أن قورش Cyrus كان في سليسيا، أنه عاد في رحلته من فينيقيا وسيره للانضمام إلى الملك مع الجيش، وذلك جرى مع التقرير والخبر بثلاثة آلاف رجل، واستمراراً لما أورده زينوفون Xenophon من أن أبروكوماس قد وصل بعد خمسة أيام بعد معركة كيوناكسا، ولم يكن تأخيره بسبب ضياع الوقت سدى ولكن بشكل بسيط إلى حد ما قد اختار أن يأخذ الطريق الملكي، والذي ربما يكون أكثر طولاً، وقد سمح له أن يعيد تموين الفرق العسكرية الخاصة به، وبعدما ترك نهر الفرات خلفه، فإن قورش Cyrus قد أخذ طريقاً سريعاً كان قد قصد لمنع جيش أبروكوماس من الانضمام إلى الجيش الملكي. وطبقاً لما يورده ديودورس Diodorus فقد استدعى القوات العسكرية من كل مكان إلى إكباتانا في ميديا بمجرد أن سمع برحيل قورش Cyrus ، ولا يشير هذا التفصيل إلى أن الملك لم يكن في إقامته الصيفية، وأكثر احتمالاً أنه كان في بابل، إن ذكر إكباتانا مثل نقطة الاجتماع من السهل تفسيرها: مثلما فعل دارا Darius الثالث فيما بعد أن أصدر أرتاكسركسيس Artaxerxes أوامره بشأن تعبئة القوات العسكرية من السهل الواسع الإيراني مثل بعد المسافة إلى Indus . ويذكر ديودورس Diodorus أن القوات الحربية من تلك الأماكن البعيدة لم تصل في الوقت المحدد بسبب بعد هذه المناطق»، وهذا ما يؤكده زينوفون Xenophon ، حيث إن المرتزقة اليونانيين قد نجوا من المعركة، وقد

عبروا أويس على الـ Tigris وقابلوا الأخ غير الشرعي لقورش Cyrus وأرتاكسركسيس Artaxerxes الذي كان يقود جيشاً كبيراً من صوصا Susa وإكباتانا إلى منطقة الدعم والمساندة كما ذكر عن الملك» أن سرعة مسيرة قوات قورش Cyrus قد منعت أيضاً أرتاكسركسيس Artaxerxes من تنفيذ خططه الأولية التي شملت قوات أبروكوماس، حيث إن أبروكوماس قد لقب باسم زينوفون Xenophon كواحد من القادة الأربعة، بالإضافة إلى Tissaphernes، Gobryas، Arbaces .

إن الجيش الملكي المتمركز في كيوناكسا لم يشمل القوات من آسيا الصغرى الغربية التي تم الاستيلاء عليها من جانب قورش Cyrus ، فإن جيش أبروكوماس مازال على الطريق أو الفرق العسكرية الشرقية الإيرانية، التي سوف تصل بشكل متأخر للغاية، لقد تم حشد الكثيرين بشكل استثنائي من المناطق القريبة، بابل، سوسيانا، ميديا، بلاد الفرس، وكذلك فإن الـ Cadusians قد أرسلوا فرقة من الفرسان كان يقودها Artagerses ، ولأجل الأسباب التي تمت مناقشتها بشأن ما يتعلق بجيش كسركسيس Xerxes من المستحيل تقديم حسابات يمكن الاعتماد عليها بحجم القوات الخاصة والتابعة للملك.

ويمكننا أن نظن، مع زينوفون Xenophon ، أنهم كانوا أكثر قدرة في العدد من قوات قورش Cyrus نفسه، وعلى عكس واحد من الإدعاءات المفضلة لدى المؤلفين اليونانيين، وعلى عكس توقعات المرتزقة، فإنهم كانوا مملوئين من الثقة والازدراء الاحتقار ، ويشدد كل من زينوفون Xenophon وبلوتارخ Plutarch على نظام وترتيب جنود أرتاكسركسيس Artaxerxes ، إن الأسلوب الذي قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بقيادة رجاله به بسرية وببطء قد جعل الـ Grecians يقفون مندهشين لتنظيمه الجيد، والذي قد توقع صياحاً ووثباً غير منتظم، ومزيد من التحفظ والارتباك والانفصال بين رجل وآخر في تلك الفرق العسكرية ذات

الأعـداد الغفـيرة، وتنسـب مصـادر بلوتـارخ Plutarch الهزيمـة التـي لحقـت بقـورش Cyrus إلى كبريائه المبالغ فيه، وإلى نقص التنظيم بين صفوف القوات العسـكرية التـي يقودها Clearchus .

ومـثلما فعـل دارا Darius الثالـث ومشـيروه بعـد ذلـك فـإن أرتاكسركسـيس Artaxerxes قد وضع ثقـة كبـيرة في العجـلات ذات المناجـل، وأن المناجـل التـي كـانوا يحملونها قد وصلت في الطرق الجانبية -من محاور المعجلات- وقد وضعت أيضاً تحـت أجسام العجلات، مشيرة إلى الأرض حتى إنهـا تـتمكن مـن تقطيـع مـا يقابلهـا إلى قطـع صغيرة، وكانت النية أنهم ينبغي أن يقودوا القـوات المسـلحة مـن اليونـانيين، ويقومـون بتمزيق الفرق العسكرية إلى أشلاء صغيرة، ولم يكن مسـتوى النجـاح مرتفعـاً مـثلما قـد توقـع لـه ذلـك، ومـثلما فعـل جنـود الإسـكندر Alexander عنـدما رآهـم اليونـانيون قادمين، فإنهم سوف يقومون بعمل فتحة للعبـور منهـا، وقـد اصـطف اليونـانيون عـلى الضفة اليمنى مع كتيبة عسكرية قوامها 1000 من Paphlagonian الفرسان، وقد قاموا بمطاردة وملاحقة العدو، ونتيجة لذلك فقد هربوا من طوفان الرماح المطلقة التي كـان يطلقها رجال الملك الرامين للرماح وراميي السـهام، إن الشـجار القريـب قـد استحسـنه اليونانيون التـابعون لــ Clearchus والـذين قـد ألقـوا بأنفسـهم بكـل ثقـة في مواصـلة ومطاردة خصومهم، ويخبرنـا زينوفـون Xenophon أن ذلـك قـد حـدث عنـدما هـاجم قورش Cyrus وهـو في الوسـط، خاشـياً أن الفرقـة العسـكرية الممتـازة مـن اليونـانيين سوف يتم محاصرتها، وقد قتل في ظروف معينة حتى إن التقاليد المتضاربة لا تسمح لنـا بمعرفتها، وعلى الضفة اليسرى كان Ariaeus قد أجبر على التقهقر، بعد بعض النجاحات عند سماعه صوت قورش Cyrus ، وكـان خائفـاً مـن أنـه سـوف يحـاط ويحـاصر مـن جانب الفرق العسكرية الممتازة التابعة للملك، وقد حسم موت قـورش Cyrus مصـير المعركة والبعثة العسكرية لخوض الحرب.

3- أرتاكسركسيس Artaxerxes المنتصر:

عملية إعادة التشريع:

بعد موت قورش Cyrus في حقل المعركة في كيوناكسا، أخذ أرتاكسركسيس Artaxerxes على الفور بعض القرارات التي تم تصميمها من أجل محو ذكراه، والذي بعد انتصاراته الأولية كان يحظى بالفعل بكل مبايعة كملك بواسطة أتباعه وخدمه»، وعندما جاء جثة هامدة، وطبقاً لقانون معين لدى الفرس فإنه قد تم بتر يده اليمنى وفصل رأسه عن جسده، وقد أصدر أوامره أن يحضر الأخير، ماسكاً بشعره الذي كان طويلاً وكثيفاً، وقد عرضها لأولئك الذين كانوا مازالوا غير متأكدين، أو أولئك الذين كانوا يتخذون موقفاً وديًّا ومتعاطفاً، وقد اندهشوا عند رؤيتهم لها، وقد قدموا له المبايعة والولاء حتى إنه كان سبعون ألفاً منهم قد سافروا معه ودخلوا المعسكر معه مرة أخرى، ووضع أرتاكسركسيس Artaxerxes أنه كان الرجل الذي فاز بولاء وإخلاص الآلاف، والرجل الذي تعتبر شرعيته قد تم إثبات صحتها من خلال نصره .

وثمة تقليد ملكي نقله Dinon ينادي بأن قورش Cyrus قد قتل بيد الملك نفسه؛ لأن هذه كانت رغبته، إن كل فرد -سواء كان يونانيًّا أو بربريًّا- ينبغي أن يصدق أن في الاعتداءات والمنازعات المتبادلة بينه وبين أخيه، معطياً ومستقبلاً لكلمة، فإذا كان هو نفسه قد جُرح، فإن الأخير قد فقد حياته بأكملها، وهذا يفسر لماذا -كما يقول بلوتارخ Plutarch - كان أرتاكسركسيس Artaxerxes منزعجاً جدًّا من أن يسمع أن جنديًّا كاوينيًّا بسيطاً ورجلاً فارسيًّا صغيراً - Mithradates - قد صنعا هذا الإدعاء أو جعلاه يفهم أن أرتاكسركسيس Artaxerxes هو الذي صنع هذا الفعل، وكان أرتاكسركسيس Artaxerxes قد ثارت ثائرته جدًّا، وأصبح في خطر أن يخسر، وحدث النصر الأكثر مجداً والأكثر سروراً له، وخلال

حكمه لم تكن هناك فرصة لرسم صورة الملك كقائد عظيم تم إثبات كفاءته، وقائد مقتدر قد افتقد منذ زمن بعيد، وفي الوقت نفسه، فإن التوضيحات الضمنية تشير إلى أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد تبع نموذج والده دارا Darius الثاني فقط، ولكنه مثل أسلافه تبع نموذج دارا Darius الأول، وقد أصر على استمرار الحكم خاصة في هذا النوع من الكلام من صوصا Susa ، يقول إن أرتاكسركسيس Artaxerxes الملك العظيم، ملك الملوك، ملك الدول، ملك هذه الأرض، ملك الأراضين، ابن دارا Darius الملك، من دارا Darius الذي كان ابن أرتاكسركسيس Artaxerxes الملك، من أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي كان ابن الملك كسركسيس Xerxes ، ومن كسركسيس Xerxes الذي كان ابن الملك دارا Darius ، ومن دارا Darius الذي كان ابن هيستاسبيس Hystaspes ، رجل إتشيا مينديي، هذا القصر قد بناه دارا Darius جدي الأكبر، وتحت حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes جدي قد أحرق المبنى، ثم أعيد بناؤه .

مكافأة وعقاب:

بعد توقيع المعاهدة الأولى مع اليونانيين، قاد الملك جيشه متجهاً إلى بابل، وفي تلك المدينة أعطى لكل واحد نصيبه اللائق من التكريم؛ لما أبلاه من بلاء حسن، وإظهار أعمال الشجاعة في ميدان المعركة»، أولاً من بين الناس الذين تم تكريمهم كان Tissaphernes ؛ لأنه انضم إلى الملك مبكراً في وقت مبكر يعادل فصل الربيع لعام 401 ، ولعب دوراً حاسماً في كيوناكسا على الأقل في نسخة واحدة، فقد كان يترأس أحد الأربعة أقسام الجيش، ويقال إنه ما إن تولي قيادة الجيش عندما جرح أرتاكسركسيس Artaxerxes لقد أبطأ الأعداد الغفيرة من العدو؛ ولذلك جاء حضوره واضحاً بعيداً عن الملك الذي حكم على Tissaphernes بأنه أكثر القادة شجاعة وإقداماً؛ ونتيجة لذلك فقد كرمه الملك بكثير من

الهدايا غالية الثمن، وأعطاه ابنته زوجة له، واستمر في الإمساك به في منصب المستشار والصديق الأكثر إخلاصاً وثقة، لقد كان بالفعل أحد الأشخاص المفضلين لدى الملك؛ لأنه قد سمح له لفترة قصيرة بعد ذلك بأن يسمح لليونانيين بنهب وسلب القرى التابعة Parysatis في تكريت -ليست بعيدة عن أوبيس- وهناك شخص نبيل آخر يدعى أورونتس -مرزبان أرمينيا- قد تزوج Rhodagune -ابنة الملك- ربما كان ذلك في الوقت نفسه الذي وعد فيه الملك ابنتيه بزواجهما من فارنابيزوس Pharnabyzus وتريبازس، وكان الأخير واحداً من أصدقاء الملك، وقد لعب دوراً كبيراً في كيوناكسا، حيث أنقذ حياة الملك، طبقاً لما جاء في إحدى النسخ، ولم يكن ذلك قد أخذ مجراه الزمني إلا بعد مرور خمسة عشرة عاماً من أن فازنابازس قد حصل على الكرامة والشرف العظيم ليكون صهراً للملك.

وقد حصل أيضاً Tissaphernes على ترقية كبيرة، والآن فإن Tissaphernes الذي قد أثبت نفسه شخصاً ذا قيمة كبيرة لدى الملك في الحرب ضد أخيه قد أصدر أمراً ملكيًّا ليصبح مرزباناً على كل من المقاطعتين اللتين كان يحكمهما من قبل، واللذين كانا من قبل يحكمهما قورش Cyrus ، وقد أسفر ذلك عن استعادة الحصول على الحكم والسيطرة على المدن والنبلاء الذين قد أخذوا صف المتمردين بشكل أسرع ما يمكن، وقد هجر Tissaphernes الناجين من اليونانيين عند أبواب أرمينيا، وعاد إلى ساردیس من خلال الطريق الملكي، لقد جاء كل القواد ما عدا تاموس الذي هرب إلى مصر، لحضور حفل المبايعة بالنسبة للـ Karnas الجديد، وابن تاموس جلوس الذي تلقى عفواً ملكيًّا قد عين مسؤولاً عن القوات المسلحة، وكذلك Ariaeus -رفيق قديم لقورش Cyrus - قد تلقى أمراً بتولي القيادة، على أية حال، فبعد عدة سنوات كان قد أصبح حاكماً لولاية فريجيا، وحوالي عام 394 شغل منصباً كبيراً

في سارديس، ووضعه كعدو سابق للملك قد انعكس إلى ميزة ونعمة لـه؛ لأن المتمـردين سوف يلجأون معه إلى الفرار إلى سارديس، ومن الواضح أنهم كانوا يأملون في أن يتوسط لهم عند الملك حتى يحصلوا على العفو الملكي.

ونلاحظ بـاهتمام شـديد أن الملـك العظـيم لم يـتردد في إعطـاء العفـو لعـدد مـن المتمردين، هل هذه القرارات تتحدث عن عدم التأكد والشك في سلطته بعد الانتصار في كيوناكسا؟ من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، ومن الصحيح أن كل النصـوص القديمـة تصر على «نبل أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وعلى ممارسته لمنح العطايا الملكية، ولكن توزيع الدليل على ذلك قد يكـون خادعـاً، ومـن الممكـن أن الملـك -في موعـد غـير معروف- قد أعلن عن التغاضي عن اللـوائح الخاصـة بـالبلاط الملـكي الخاصـة بشـأن مـا يتعلق بالصيد الملكي الأسرى ، ولكن حتى حول هـذه النقطـة فـإن الشـكوك التاريخيـة تحوم حول هذه الموضوعات، ويمكننا أن نلاحظ ببسـاطة أنـه بعـد معركـة كيوناكسـا لم يكن لدى الملك العظيم أي اختيار بشأن الطرق الخاصـة بـالفوز بنفسـه بـالنبلاء الـذين كانوا يتبعون قورش Cyrus من قبل بالاختيار أو عن طريق الإجبار على ذلك ، وتحت ظروف أخرى فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يتردد في اسـتخدام إجـراءات قمعيـة حتى ضد أولئك المقربين لـه، حتـى إن Tissaphernes لم يفلـت أو ينجـو مـن العقـاب الملكي بعد عدة سنوات بعد خسارة معركة خارج سارديس ضد Agesilaus ، بالرغم من أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استمر في إبقائه كصديق ومستشار وفيّ مخلص له.

الملك العظيم وجيوشه:

وبمناقشة عودة الناجين مـن المرتزقـة التـابعين لقـورش Cyrus إلى البحر نجد أنها قـد أثبتـت نـوع الشخصـية، ويقـدم بلوتـارخ **Plutarch** هذا الفكـر لقرائـه؛ ولـكي يتضـح الأمـر لكـل النـاس، فـإن الملـك الفـارسي

وإمبراطوريته قد كانا عظيمين حقًّا في الذهب والفخامة والنساء، ولكن كان ذلك مجرد عرض لا حائل من إظهاره، وعلى كل هذا فإن اليونان قد أخذت شجاعتها واحتقرت كل البرابرة، وينقل هذا التعليق فكرة كانت عزيزة بدرجة متعادلة لدى زينوفون Xenophon ، سواء في الفصل السابق من الموسوعة لقورش Cyrus أو في الـ Agesilaus ، عمل صغير قد اهتم بغناء المدائح للبطل اليوناني الذي كانت صفاته البشرية تتعارض في كل شيء مع الملك العظيم الذي كان يصور نفسه مستمتعاً بالثراء والكسل، إن تعظيم وتكبير حجم الأفعال التي قام بها العشرة آلاف مقاتل موضوع قديم وشائع في أدب المؤلفين في القرن الرابع، والذين أثبتوا أن كل شخص قد اشترك في الحرب مع الفرس يستطيع -إذا رغب في ذلك- أن يتجول في دولته دون الاضطرار إلى أن يضر بالكلمة»، ويرجع ذلك إلى أن الفرس قد أصبحوا مخنثين بحياة فاجرة وفاسقة، ويستطيعون خوض المعارك فقط بمساعدة اليونانيين، ووجهة النظر هذه قد تم التشديد عليها من جانب Isocrates ، والذي أنهى مناقشاته لتنعم الفرس بأنهم قد جعلوا أنفسهم أدوات للسخرية حتى ظلال أسوار وحوائط قصر الملك.

وحتى إذا أثرنا الذكرى الطقسية في حالة وجود الدليل نجدها قد تركت كل شيء في شك، فإن وضع المرتزقة اليونانيين أثناء معركة كيوناكسا وفي الأسابيع التالية قد فرض مشكلات حقيقية، وفي نسخة زينوفون Xenophon ، فإنهم قد بقوا في المعركة حتى المساء، وفازوا بالعديد من المستعمرات بكتائب من الجيش الملكي، وقد كانوا متأكدين من الفوز، ورفع أثر ذلك قبل العودة إلى معسكرهم، حيث اكتشفوا أن فرقة المشاة الخفيفة التابعة لجيش العدو قد نهبت مخزون الطعام مؤن الطعام ، ولم يكن حتى الشفق أن Procies و Glus قد أبلغوهم بموت قورش Cyrus ، ولقد كانت سطور وصف المعركة متكلفة، حتى إنه من الواضح أن قد كان هناك معركتان مختلفتان على الجانب الأيسر قد

تقهقر Ariaeus ، ومن هناك أرسل Procies و Glus أن يلتمسوا/ يطالبوا أن ينضم إليهم Clearchus واليونانيين إليه، مفترضاً بذلك أنهم سوف ينتظمون رجوعاً وعودة مشتركة إلى أيونيا Ionia ، ولكنه Clearchus رفض حتى أن يضع Ariaeus على العرش الفارسي، وأنه قد أرسل رسلاً أو مبعوثين لإبلاغه بذلك، وأجاب Ariaeus أن هذا الأمر كان خارج المساءلة، وقد تم التوصل إلى اتفاقية -للقسم بالتحالف- وقد وافق Ariaeus أن يقود اليونانيين حتى الساحل وفي الوقت نفسه، فقد تفاوض مبعوثون من Tissaphernes والملك مع اليونانيين مطالبين بأن يضعوا أيديهم معاً، ويتوقفوا عن مواصلة الحرب، ولكن Clearchus رفض ذلك بتكبر وعجرفة، مؤكداً أن قواته كانت على أهبة الاستعداد لخوض المعارك الدامية، حتى قيل إنه لم يجرح رجل واحد في هذه المعركة، «ومع ذلك فإن المرتزقة لم يكونوا على اتفاق تام مع الملك، فإن قليلاً من الجماعات قد وافقت على الاستسلام، ويستمر تعليق زينوفون Xenophon وهو يقول: «إن الملك نفسه كان خائفاً من جيش Clearchus و Ariaeus ؛ ولهذا السبب كان كل من Tissaphernes وأخو زوجة أرتاكسركسيس Artaxerxes يستعرضان بدلاً منه الأوامر للتوصل إلى اتفاقية، وإذا لم يوافق اليونانيون على خوض المعركة، فإن الفرس سوف يساندونهم، ولقد كان اليونانيون على دراية كاملة أنه بدون المرشدين فإنهم لن يتوصلوا إلى التغلب على العوائق، أو يعيدوا تمويل أنفسهم في الدولة؛ ولذلك فمن الواضح أنهم قد شرعوا في التوجه نحو الضفة الغربية من وادي Tigris تحت أعين Tissaphernes ، لماذا إذن فشل الملك العظيم في أن يأمر قواده ببدء المعركة؟ هل ينبغي أن ننظر إلى ذلك كدليل على ضعفه؟ وهذا يتضح في منظور Clearchus ، والذي كان مقبولاً لدى زينوفون Xenophon ، وقد اقتبس من المرتزقة ما قد اعتقده زينوفون Xenophon من أن الملك كان ينتظر حتى يتم استعادة توحيد الصفوف بين القوات العسكرية مرة

أخرى، وليس حتى وقت قليل بعد ذلك، إن استعادة تركيب واستدعاء كل الفرق العسكرية الملكية المتنوعة قد اكتمل، فالفرق العسكرية التابعة لأورونتوس والبرابرة الذين أحضرهم قورش Cyrus معه في مسيرته المتقدمة، وهؤلاء مع شقيق الملك قد وصلوا، وجاءوا لمساعدة الملك، بالإضافة إلى تلك الفرق العسكرية التي كان يقودها Tissaphernes ، وقد أعطاه الملك هذه القيادة، وكانت النتيجة أن جيشه قد ظهر كبيراً للغاية، ومع ذلك لم يقم Tissaphernes بتنظيم جيشه في المعركة، وقد كان مقتنعاً بأن يرتفع فوق الهجمات الوقتية من حين إلى آخر على اليونانيين، ملقياً بظلاله عليهم لبعد المسافة إلى Tigris العليا، وفي أثناء ذلك فإن التغيرات الاستراتيجية الرئيسة قد حدثت، وطبقاً لما ورد عن ديودورس Diodorus فإن Tissapherness قد قدم الخطة التالية لأرتاكسركسيس Artaxerxes : فقد وعده بأن يدمرهم كلهم جميعاً حتى لا يبقى أحد، إذا دعمه الملك بالأسلحة المطلوبة، واتفق مع Ariaeus ؛ لأنه اعتقد أن Ariaeus قد يخدعه ويخونه مع اليونانيين أثناء تقدم المسيرة، وقد قبل الملك على الفور هذا الاقتراح، وسمح له أن ينتقي من كل جيشه كما يحب من الفرق العسكرية الممتازة، وقد كان أول ترتيب للعمل الحربي هو استعادة Ariaeus والقوة كبيرة الحجم من الفرق العسكرية تحت قيادته، والتي كان قورش Cyrus يجندها في آسيا الصغرى، وقد جاء أخوة أرياوس وأقربائه إليه وبعض الفرس المعروفين أيضاً جاءوا لاتباعه، وظلوا يشجعونهم ويقدمون فروض الولاء للبعض منهم من الملك، حيث إن الملك سوف لا يحمل لهم أي قصد سيء بسبب حملتهم مع قورش Cyrus ضده، أو بسبب أي شيء آخر قد حدث في الماضي، وقد نجحت المفاوضات بين الفريقين سريعاً، وقد نصب Ariaeus ورفقائه، Artaozus و Mithradates -اللذين كانا صديقين حميمين لقورش Cyrus - شركاً لليونانيين، وكثير من الاستراتيجيات واللوجاوس تم استدعاؤهم

لمعسكر Tissaphernes وقد تم القبض عليهم وحكم عليهم بالموت، ومن خلال الفوز بالفرق العسكرية التابعة لـ Ariaeus واستبعاد الـ Strategoi اليوناني الرئيس، وحشد جيش كبير، كان Tissaphernes في وضع قوة منذ ذلك الوقت فصاعداً، وقد ترك اليونانيين عند حدود الأرض مع Carduchi ليعود إلى مقاطعته في ساردیس، وعند هذه النقطة يعتبر من المستحيل على اليونانيين أن يعودوا مباشرة إلى أيونيا Ionia ، ويمكنهم فقط أن يتحركوا للسير شمالاً، وليس هناك شك في أن الفرس كانوا متأكدين من أن الناجين لن يستطيعوا التغلب على العوائق الطبيعية أنهار - جبال ، هجمات قاطني الجبال سكان الجبال - المطاريد أو هجمات الفرق العسكرية للقوات العسكرية الأرمينية التابعة لحاكم أرمينيا.

وتقدم الأحداث نتائج متناقضة بالنظر إلى الموقف العسكري لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بعد معركة كيوناكسا، فالتشكيل الذي قام عليه كل من جيش قورش Cyrus وأرتاكسركسيس Artaxerxes يشير إلى أن نظام التجنيد الإلزامي قد استمر العمل به تماماً من حدود آسيا الصغرى إلى الهند، حتى مع تأخر الفرق العسكرية الإيرانية الشرقية، الذي يثبت أنه ليس من الممكن تنظيم تشكيل عام في غضون شهور قليلة، ومن خلال إعطاء التوزيع الجغرافي المحدود نسبيًّا للمجندين الذين حاربوا في Issus ، ولا يوجد أي شك في أن الملك العظيم من جانبه كان قادراً على أن يعتمد على الجنود الذين تم إرسالهم بواسطة Hatrus البابلية بين الآخرين، وأن الاعتماد على الآلاف من المرتزقة اليونانيين في جيش قورش Cyrus قد شكل حبكة روائية تم إقرارها بعيداً عن الدور الذي حدده قورش Cyrus لهم في المعركة، بالاشتراك مع الفرقة الخاصة بالفرسان التابعة له، وليس أقل صحة أن المواجهة في كيوناكسا لم تكن مبارزة بين المرتزقة اليونانيين التابعين لقورش Cyrus والجنود النظامين التابعين لأرتاكسركسيس Artaxerxes .

وكما حدث في المعارك في اليونان وآسيا الصغرى في عام 480-479، فإن جنود المشاة اليونانيين قد بدأوا يظهرون تفوقاً واضحاً على رجال وفرق المشاة التي واجهوها، وتحتاج هذه الملاحظة إلى أن يتم معالجتها؛ ولأجل سبب ما، دعنا نستدعي نعيد إلى الذهن أن بلوتارخ Plutarch وزينوفون Xenophon يشددان على القدرة على المناورة الخاصة بالجيش الملكي، وبسبب آخر فإن الأفعال الخاصة بـ Tissaphernes بعد المعركة يمكن تعليلها بسبب خوفه من الجيش الذي يترأسه Ariaeus ، أو أنه خشي مناورات مشتركة تضم كلاً من جيش مرزباني بيني والجيش اليوناني، ومن ثم فإن القادة الفرس قد اختاروا ببراعة أن يفصلوهم، وقد أجبروا اليونانيين على التجوال حتى إنهم قد زعموا أنه تجوالاً لإنهاء المصير، وبعد النصر الذي حققه Megabyzus على Amyrtaeus لم يسلك بشكل مختلف عما كان يقوم به، وقد توصل إلى اتفاقية مع المرتزقة اليونانيين التابعين لمتمرد مصري، «لن يحدث أي أذى من قبل رجال الملك وينبغي أن يعود اليونانيون إلى وطنهم حينما يريدون ذلك»، وقد سلكوا الطريق إلى Cyrene ، وطبقاً لما ذكره Thucydids «فإن معظمهم قد هلكوا»، ولكن يوجد هناك اختلاف في عام 401 على أن اليونانيين كانوا في بابل، وكان الفرس منزعجين لرؤيتهم خارج قلب الإمبراطورية، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نلاحظ أن الفرس لم يتظاهروا ولم يقبلوا عروض الخدمات التي صنعها قادة المرتزقة لهم عدة مرات، مؤكدين أنهم سوف يكونون نافعين لهم في معركة ضد الشعوب غير الخاضعة، وفي هذا الوقت يتضح أن قادة الفرس لم يهتموا حتى بضم المرتزقة اليونانيين في الجيش الملكي، هل كان الملك العظيم يعتقد أن المرتزقة سيتم استخدامهم من خلال رجل غامض، كما فعل قورش Cyrus ؟ وهذا هو عبء حديث Tissaphernes المعقد إلى Clearchus : «قد يرتدي الملك وحده مستقيماً العمامة على رأسه، ولكنه أيضاً دون مساعدتك قد يرتدي

بشكل بسيط وسهل تلك التي توضع على القلب»، ويبدو أن المرتزقة أنفسهم قد اقتنعوا بأنه يمكنهم أن يصنعوا أو لا يصنعوا ملكاً يقلدوا رجلاً لمنصب الملك ، كما هو واضح من العروض التي قاموا بعملها عبر هذه السطور مع Ariaeus ، «لقد كانوا مقتنعين» -يقول Clearchus- «أنه بالنسبة لأولئك المنتصرين في المعركة لهم وحدهم الحق في أن يحكموا»، ولكن العروض والاقتراحات التي أرسلوها إلى Ariaeus كانت ساذجة، وسمح لهم الفرس أن يعرفوا -في تصريحات ساخرة أنه- كان يوجد كثير من الفرس من الطبقة الأعلى منهم، وأنهم لن يسامحوا كونه ملكاً عليهم، ومن الواضح أنه ليس هناك فارسي واحد كان لديه حرية هجر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، بل على العكس من ذلك، تمنى الجميع الحصول منه على الفضل الجميل أو العفو .

4- الظروف في آسيا الصغرى واستراتيجية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني : 400 - 396

من سارديس إلى ممفيس:

كما رأينا، أنه بعد معركة كيوناكسا واستبعاد المرتزقة اليونانيين فإن Tissaphernes قد عاد إلى حكمه في سارديس، ولقد كان عمله -في الحقيقة- أن يعيد النظام في آسيا الصغرى، ويشدد ديودورس Diodorus على أن المدن اليونانية التي ساندت قورش Cyrus كانت تخشى الموت؛ ولهذا السبب الجيد فإن من أوائل الخطوات التي قام بها Tissaphernes أنه «طلب أن تكون كل المدن الأيونية خاضعة له»، وقد رفضوا ذلك، وطلبوا مساعدة إسبرطة لهم، وبدون تأخير فإن Tissaphernes قد قوض المعاهدة الخاصة التي تم توقيعها في سايرن وفرض حصاراً على المدينة: وفي بداية فصل الشتاء 399-400 قبل الفرس الفديات الثقيلة على المسجونين ورفع الحصار، وفي فصل الربيع التالي لعام 399 استقرت

الفرقة العسكرية الإسبرطية على ساحل آسيا الصغرى، ومن ثم انفجرت العداءات الحروب العدائية الخصومية الفارسية-اليونانية مرة أخرى على ساحل آسيا الصغرى .

وللأسباب نفسها التي قمنا بمناقشتها، اضطر الملك العظيم أن يتعامل مع الجبهة المصرية في الوقت نفسه، عندما عرض المرتزقة اليونانيون خدماتهم على Tissaphernes فإنهم كذلك لم يهملوا في عرض الأمر على المصريين، والذين كان الفرس غاضبين منهم بشكل خاص، وإذ رغب الملك في أن يسير ضد مصر -قال Clearchus- «إنني لا أرى أية قوة يمكنك أن تجندها لمساعدتك في تأديبهم أفضل من القوة التي أملكها».

ويشير بيان إلى أن الفرعون أميراتيس Amyrtaeus قد تم التعرف عليه في نهر الفرات عام 400، وفي عام 398 أسس Nepherites السلالة الحاكمة XXIX ، واستمرت حتى عام 393، ومن المدهش أنه لا توجد مصادر تذكر إعادة الغزو الفارسي، وحتى بلوغ حكم هاكوريس 380-392 Hakoris حوالي 385 أن هناك دليلاً على اجتماع جيش للمسير ضد مصر، وفي أثناء ذلك دخلت مصر في ائتلاف مع إسبرطة ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes كشريك مساوٍ ومكافئ لها، وكما حدث في عام 460، ومن هذه النقطة فصاعداً فإن مصر كانت ضمن جبهة أكثر اتساعاً مع اختلاف مهم وهو أنه في هذا الوقت لم يعد الفرس يملكون قاعدة حربية في الريف .

وعلى سبيل المثال فإن الموقع العسكري الفيلي قد تم نقله، وذهب بكل الأسلحة والمؤن إلى جانب الفراعنة المستقلين، وكانت مهمة أرتاكسركسيس Artaxerxes أكثر صعوبة؛ لأن تاموس -القائم مقام قورش Cyrus - قد هرب إلى آسيا الصغرى في عام 400، واتخذ ملجأً لدى الفرعون، بالإضافة إلى ثروته والأسطول الذي كان يقوده

«خمسين سفينة ثلاثية المجاديف قد تكلفت كثيراً»، ولكن أخذ Prammetichus لخاصته كل من ممتلكات تاموس وأسطوله .

أرتاكسركسيس ARtaxerxes ، حكام ولاياته، والجبهة الخاصة بآسيا الصغرى:

عندما كان Amyrtaeus يتوسع في قوته وسلطانه حتى صعيد مصر استقر Thibron ، القائد المخول الـ Lacedaemonian في آسيا الصغرى فصل الربيع لعام 339 ، وكان يقود قوة صغيرة في قوامها، ولكنه قام بتجنيد وتعبئة الفرق العسكرية في المدن اليونانية، ثم قام بضمها إلى اللاجئين اليونانيين من الـ Anabasis ، واستطاع أن يجذب إليه الفرق العسكرية ضد Tissaphernes حتى على السهول، وأخذ كثيراً من المدن والمراكز القوية في ماسيا، Aleios والـ Troad ، وأسفرت الشكاوى من جانب المدن اليونانية التي قد سلبها ونهبها نتيجة استبداله بـ Dercyllides الذي أقام وبعث ونشر أسلوباً تكتيكيًا قديماً تقليديًا، فقد شجع Tissaphernes أن يحاول المنافسة مع فارنابيزوس Pharnabyzus لكي يحصل على بعض الفوائد من وراء هذا الموقف، وبعد ذلك توجه إلى Aloeis في مقاطعة فارنابيزوس Pharnabyzus دون التسبب في أي ضرر لحلفائه»، وقد كان فارنابيزوس Pharnabyzus غير مسروراً أن يجرد من المنطقة التي كان يحكمها، وقد كان يحسد Tissaphernes على تقلده منصبه كقائد عام بصفة عامة، وقد وافق على هدنة مع Dercyllidas ، معتقداً أن Aeolis قد استخدم قاعدة قوية للهجوم على مسكنه الخاص بفريجيا.

وباختصار فإنهم يعودون إلى موقف يشبه ما كان سائداً في عام 412-407 مع المرزبانات في منافسة دائمة معاً، ومن الواضح أن Tissaphernes لم ينجح في الحصول على كسب تأييد اليد العليا كما نجح في ذلك قورش Cyrus الأصغر في ساردیس من قبل.

وقد ظهر النزاع والخلاف مرة أخرى بعد ذلك، أثناء الاستعداد

لمعركة عنيفة بالقرب من ماجنيسيا، قام كل من المرزبانيين بحشد جنودهما، القوة الفارسية بأكملها التي أتيحت لها الفرصة أن تتصدر، ولكل الفرق العسكرية اليونانية التي كان يملكها كل من الحاكمين والفرسان بأعداد غفيرة، وهؤلاء الذين كانوا أتباع Tissaphernes على الجناح الأيمن، وهؤلاء الذين كانوا أتباع فارنابيزوس Pharnabyzus على الجناح الأيسر. وطبقاً لما أورده زينوفون Xenophon ، فإن Tissaphernes لم يكن متوقاً للمعركة، وعرض أن يتفاوض مع Dercyllidas ، وأحد هذه الأسباب بلا شك كانت الحرب قد هددت بتخريب كاريا Caria ، حيث كانت ممتلكات Tissaphernes ، وأدت المحادثات بين الفرس و Dercyllides إلى هدنة، حيث طلب الفرس أن الفرقة اللاسيديمونية وحكامها الذين قد أقاموا في المدن اليونانية منذ انتصارات Lysander أن يرحلوا وطلب ديرسليداس الحكم الذاتي للمدن اليونانية، وقد قرر كلا الجانبين بدء المشاورات، بالملك العظيم والقيادة الإسبرطية بالتناوب، وتفعيلاً لهذا الأمر كان الفرس يطلبون أن تكون المعاهدات التي يوقعونها مع الملك وممثليه قد ووفق عليها من إسبرطة أثناء الحرب الأيونية قبل خمسة عشرة عاماً من وضع هذه المعاهدات موضع التنفيذ، وكان قد أعلم فارنابيزوس Pharnabyzus أن يكتشف ما عزم الملك أن يفعله بشن خططه، وقد فضل الحاكم/ المرزبان Dascylium ، كما يخبرنا ديودورس Diodorus عن هجوم بحري قوي، وبعد قيام الهدنة الأول مع Dercyllidos ناشد الملك وأقنعه أن يقوم بإمداده وتمويله، وأن يستجيب إلى القانون الأثيني، منذ الهزائم التي لحقت بالأثينيين عام 405، وقد لجأ مع Evagoras of salamis بناءً على أوامر قورش Cyrus ، في الوقت الذي كان يقوم فيه Evagoras بعمل كل شيء يستطيع عمله لكي يزيد من رخاء وازدهار المدينة، وقد عقد من قبل اتفاقيات كثيرة للحصول على الأسلحة اللازمة، وليست هناك إشارة إلى أن

الملك Cyproit كان يحاول أن يهرب من النير الفارسي، فلقد كان هدفه الـرئيس توسـيع سلطانه عبر الجزيرة على حساب الملوك الصغار، ومن الممكن أنه قد استغل الحرب بـين الشقيقين لكي يستمتع ببعض الحريات مع التزامه كخادم أو تابع، وفي عام 398 تم بنـاء اتصالات بين Evagoras وأرتاكسركسيس Artaxerxes وربما مـع ستيسـياس Ctasias ، وقد وافق Evagoras على أن يسـتأنف دفـع الجزيـة Persicas63 ، وتحـت الظـروف الحالية كان يشارك الفرس عداوتهم وكرههم الشديد لإسبرطة، والتي كانت قوتها مرجعاً لطموحاته، هذه كانت الظروف التي وصل فيها فارنابيزوس Pharnabyzus إلى قـبرص حاملاً رسالة من الملك يأمر فيها كـل ملـوك الجزيـرة أن يسـتعدوا بتجهيـز مائـة سـفينة ثلاثية المجاديف، وقبل Canon تعييناً كقائد أعلى للأسـطول البحـري. ثـم توجـه مبحـراً نحو سيليسيا، حيث بدأ استعداداته للحرب التي كانت على وشك أن تبدأ ضـد البحريـة الـ Peloponnesian ، ويعتـبر ذلـك أمـراً مهـمًّا، إذ أن هـذه هـي المـرة الأول للأسـطول البحري الملكي التي يجتمع فيها هذا الأسطول الـ Peloponnesian الشـهير في عـام 412 دون النظر إلى أسطول قورش Cyrus في عام 401 ، ولم يشـمل الأسـطول الملـكي سـفن Cypriot القبرصـية وحـدها، فقـد انضـم كونـون Conon بفرقـة عسـكرية سليسـانية، بالإضافة إلى سرية خيالة فينقية يترأسـها ملـك السـيدونيين، وقـد حصـلت إسـبرطة عـلى أخبار ومعلومات سريعاً عن الاستعدادات البحرية الكبيرة من خلال تاجر سيركوزاني كان في فينقيا في عمل تجاري في هذا الوقت: «نرى السفن الحربية الفينيقية بعضها يبحـر في أماكن أخرى، وبعضها يرسو هناك، مجهزة بأفضل الجنود عليها، ومـازال بعضـها يسـتعد للإبحار، ونسمع بالإضافة إلى كل ذلك أن هناك ثلاثمائة سفينة، وقد أبلغ الليسـيديمونيين أن الملك و Tissaphernes كانا يعدان ويجهزان هذه الإرسـالية العسـكرية، ولكـن هـل تكون على أهبة الاستعداد؟ يقول إنه لا يعرف.

إن الطرق المستخدمة لجمع الأسطول الملكي تشير إلى أن السلطة الفارسية اهتزت من جراء ثورة قورش Cyrus ، وكانت توزع الميزات على رعاياها من الليفانتيين Levantine ، ونحن نرى أنه وكما حدث في عصور سابقة أن ملك سيدون قد لعب دوراً مهماً لأجل رفعة الفرس، ومن ناحية أخرى، فإن النظرية القائلة بأن الـ Syennesis في سليسيا كانت في انحطاط سياسي عند هذا التاريخ يجب تصويرها بقدر من التردد والحيرة، إذ لا يوجد دليل واحد يمكن الاعتماد عليه يدعمها، وفي الوقت نفسه استمر الملك في دعم وتجهيز الفرق العسكرية المطلوبة للحرب في آسيا الصغرى، وقد دعا أيضاً إلى توحيد القيادة، بحيث تتجنب تكرار اقتراف الأخطاء السابقة، وقد تم منح لقب القائد الأعلى عن القوات المسلحة لـ Tissaphernes ، وبالرغم من الكراهية التي كان يكمنها فادنابارس لـ Tissaphernes في آسيا الصغرى إلا أنه لم يتردد من التأكيد على كونه مستعداً لشن الحرب معه، وأن يكون حليفه، وأن يساعده في خروج اليونانيين من مقاطعة الملك، ولكن المنافسة بين فارنابيزوس Tissaphernes Pharnabyzus كانت أكثر تعقيداً من ذلك؛ لأن فارنابيزوس Pharnabyzus تلقى أمراً بقيام بعض العمليات البحرية، ومن ثم إعادة استخدام والاعتماد على كونن Conen الأثيني، ويتضح من ذلك أن الأمر الذي تم استصداره لـ Tissaphernes قد تقلص إلى قيادة الفرق البرية.

ولتنفيذ هدفه، أطلق الملك أيضاً بعض الموارد التي يمكن اعتبارها مهمة، وبعد مرور بعض الوقت نحن نعلم أن حالة من الشغب قد انفجرت في جيش كونن Conen عندما اشتكى الجنود من عدم تلقي أجورهم، ولم يكن جوستين Justin مخطئاً من أن يرى ذلك نتيجة المكائد والتدابير التي قام بها ضباط الملك الذين كانوا عادة يقومون بسلب أجور الجنود بالاحتيال والنصب، ولكي يعالج هذه المشكلة نجد أن كونن Conen لجأ إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes مباشرة الذي عاهده بأن يدمر القوة

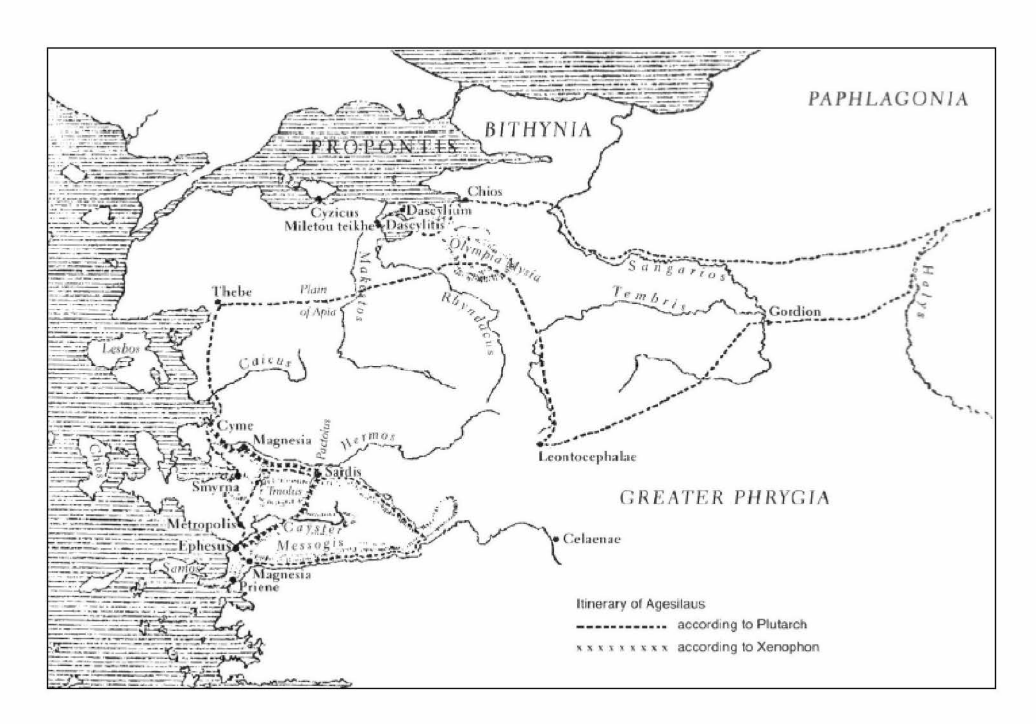
البحرية اللاسيديمونية إذا منحه أرتاكسركسيس Artaxerxes المال الكافي والمعدات العسكرية اللازمة لتحقيق ذلك، وقد استحسن أرتاكسركسيس Artaxerxes ما طلبه كونن Conen ، وكرمه بكثير من الهدايا غالية الثمن، وعينه صرافاً للرواتب الذي ينبغي عليه أن يوفر التمويلات بكثرة، حيث إن كونن Conen سوف يخصصها لهذا الغرض، ومن ذلك يتضح أن كونن Conen قد تلقى السماح بأن يجذب الموارد الملكية دون المراجعة كل مرة من خلال السلطة المركزية في البلاط الملكي، إن القرب من مثل هذه المصادر قد لا يتحاشى أو يتجنب إثارة كثير من الأمل بين الأعداء في إسبرطة الذين كانت أعدادهم غفيرة في اليونان وبحر إيجة، وهذا ما يعلل كيف أن إسبرطة قد اضطرت إلى أن تشن حرباً ضد Elis أثناء الحملة العسكرية التي كان يقودها Dercyllidas ، واضطرت بعد ذلك إلى أن تتعامل مع ثورة الهلوت، وبالرغم من البقاء في سلام مع عدوها الأول، فإن أثينا قد أرسلت سفارة إلى الملك العظيم، وعززت أو دعمت تحصينات سرية بحارة إلى كونن Conen الذي كان وقتذاك في كاونس، ونحن غير قادرين أن نتبين وندرك سر السلبية الغربية في أرتاكسركسيس Artaxerxes التي تنسبها المصادر القديمة، وتلحقها بدارا Darius الثاني، ومن الواضح أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد اتخذ قراراً ثابتاً ونهائيًّا بأن يقاتل بكل همة وعزيمة ونشاط لإعادة حكم ساحل بحر إيجة، وليس هناك شك في أن هدف الملك كان يضم بحر إيجة كلها منطقة الساحل بأكملها ، ومواجهته بهذا التهديد، فإن إسبرطة أرسلت الملك Agesilaus إلى آسيا الصغرى في عام 396، وفي الوقت نفسه فقد أرسلت سفراء إلى الفرعون نفراتيس الذي قدم المعدات بعدد 100 سفينة ثلاثية المجاديف و500.000 شاقل من القمح، والذي سرعان ما وقع بين أيدي كونن Conen ، والذي كان استولى لتوه على Rhodes ، وأدرك الفرعون أن بقاءه قد يعتمد على النصر الإسبرطي، وعلى العكس من

ذلك فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد عرف أن إعادة الاستيلاء على مصر قد فرض مسبقاً إعادة فرض السيطرة على بحر إيجة، والذي قد فقده أسلافه تدريجيًّا أثناء القرن الماضي، ومن وجهة النظر هذه فإن أفعال الملك العظيم بعد كيوناكسا كانت تمثل نوعاً من التحول أو الانقلاب الاستراتيجي ساعة الغزو، وقد كانت قريبة.

5- إيجيسلاوس Agesilaus في آسيا الصغرى بين 394-396 هزيمة Tissaphernes :

واجهت إسبرطة خطراً وشيك الحدوث، وقررت أن تواصل الحرب على نطاق أوسع، وقد أرسل الملك إيجيسلاوس على رأس 12.000 ألف رجل من القوة الحملية، وسرعان ما وصل إلى إفسس في فصل الربيع لعام 396، وكانت البعثة التي ترأسها ذات أهداف واضحة، وهي أن يؤكد على الحكم الذاتي للمدن في آسيا الصغرى: أولاً قد وافق Tissaphernes على الهدنة مع اعتذار أنه مضطر لأن يحصل على إذن من الملك، وفي الواقع كان على دراية كاملة بنية أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ثانياً أنه كان يؤجل أو يؤخر الوقت حتى تصل إليه قوات الملك العسكرية. وكان أيضاً بحاجة إلى الحصول على وقت كافٍ لكي تكتمل القوة الفينيقية التي وعدوا بها كونن Conon Conen ، بالإضافة إلى تحرير الأسطول الذي كان الأدميرال الليسيلايموني فاراكس قد أرساه في كاونس Caunus ، ولقد حقق كل ذلك بالفعل، وعندما انتهت فترة الهدنة كان Tissaphernes قادراً على أن يطلب أن Agesilaus سحب قواته للخلف، أي التراجع من مقاطعات آسيا الصغرى، واستجاب الإسبرطيون على الفور مع أن ذلك يعتبر خارج الموضوع.

وقد قام Agesilaus بحشد الفرق العسكرية الكارية، الأيولونية، والأيونية والهيليسبوتينية في إفسس، وقد اعتقد Tissaphernes أن



خريطة رقم 4

الإسبرطيين قصدوا أن ينهبوا ويخربوا ممتلكاته في كاريا؛ ولذلك أرسل فرقة المشاة التابعة له إلى كاريا، وقد قام بتركيز فرقة الفرسان التابعة له أيضاً على ساحل وسهل الـ Meander الالتواء متوقعاً أن يقطع ويصيب الفرق العسكرية اليونانية بالشرخ الكبير بين صفوفها، وعلى عكس توقعاته، سلك Agesilaus الطريق الفريجي، وحدثت المعركة بالقرب من Dascylium ، فقد فاز الضباط التابعون لفرانابازس Rhathines & Bageus بمعركة للفروسية، لكنهم اضطروا إلى أن يتقهقروا عندما تم إعطاء المسؤولية للهبلولاتيين -محاربين أثينيين من المشاة مدججين بالسلاح- وبعدها عاد Agesilaus إلى إفسس، ولم يكن هدف هذا الهجوم هو غزو المدن والمقاطعة، بل كان كل المؤلفين القدامى يشددون على مقدار الغنيمة التي تم الحصول عليها من جانب الإسبرطيين، ويذكر ديودورس Diodorus أن الجيش كان مصحوباً بعدد

كبير من التجار Agoraios - okhlos الذين قد طلب منهم بشكل واضح أن يجدوا طريقاً لتسويق الغنيمة، ومن الواضح أن Agesilaus قد قرر أن المال هو الوسيلة النهائية لإنجاز وتحقيق أهدافه الحقيقية، ومع هذه التحصينات قرر أن يرسل جيشاً قادراً بنجاح على التصدي للقوات الفارسية، مع إدراك أنه إذا لم يحصل على قوة فارسية مناسبة، فإنه لن يكون قادراً على شن حملة في السهول، فقد صمم أن يتم التزويد بذلك حتى لا يضطر إلى أن يستمر في حالة الحرب المختلسة الخدرة، وطبقاً لذلك، فإنه قد حدد الرجال الأكثر ثراءً في كل المدن في تلك المنطقة التي تقوم بإعداد وتربية الخيول، ومن خلال المناداة توجيه النداء أن الذي كان يقوم بدعم وتوفير حصان أو أسلحة أو رجل كفء لن يضطر إلى أن يخدم بنفسه، لقد عمل على تفعيل هذه الترتيبات حتى يتم تنفيذها من الفرقة العسكرية، والتي كان من المتوقع قيامها بذلك عندما كان الرجال يبحثون عن بدلاء ليموتوا بدلاً منهم، وفي الوقت نفسه، فإن ورش العمل في إفسس كانت تعمل بكامل طاقتها، كان السوق مملوءاً بكل أنواع الخيول والأسلحة المعروضة للبيع، عمال النحاس، النجارين، والحدادين، قاطعوا الجلود، النقاشين، حيث كانوا جميعاً منشغلين بصنع مادة الأسلحة حتى إن الفرد قد يعتقد أن المدينة بأكملها كانت ورشة عمل كبرى للحرب، وكان الجنود أنفسهم يتلقون تدريبات يومية لاكتساب المهارات الحركية.

وقد أعلن Agesilaus أنه كان مستعداً لأن يسير مواصلاً إلى ساردیس فصل الربيع 395 ، وبدرجة فضولية كافية، لم يصدق Tissaphernes كلمة من ذلك، ومرة أخرى أرسل الفرق العسكرية التابعة له للدفاع عن كاريا، والمعركة التي حدثت على ضفاف Pactolus انتهت لصالح اليونانيين، ومن هذه النقطة، تعتبر قصة زينوفون Xenophon تصويرية جدًّا، وطبقاً لما أورده -بعد المعركة- فإن Tissaphernes كان قد اتهم

وتمت مقاضاته بواسطة الفرس في ساردیس، وتـم استصـدار الحكـم بـالموت مـن جانـب أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد أرسـل Tithraustes إلى سـاردیس، وتـم قطـع رأس Tissaphernes ، وتمت مصادرة أملاكه لدعم التمويلات التي من خلالها يتم دفع أجـور الجنود، وأبلغ الحاكم/ القائد الجديد مرة أخرى Agesilaus بمطالب الملك من أن المـدن في آسيا لكي تحصل على استقلالها ينبغي أن تقدم له الجزية القديمة، وتـم الاتفـاق عـلى هدنة تستمر لمدة ستة أشهر، وقد تلقى Agesilaus مؤنـاً مـن Tithraustes قـد جعـل من الممكن عليه أن يسير إلى Hellespontine Phrygia ، وفي هذه اللحظـة فـإن الأمـر الخاص من سبارطا Sparta بأن يتولى القيادة الكاملة للأسطول البحـري قـد وصـل إليـه، وعليه فقد استصدر أوامر للمدن الساحلية أن توفر السـفن، ويثقـون في طلـبهم بتعيـين صهره Peisander .

الزحف العسكري الخاص Agesilaus :

يقدم ديودورس Diodorus تفاصيل أكثر عـن خطـط Agesilaus بعـد معركـة Pactolus ، فلقد كان على وشك الهجوم على الولايات الفارسية في داخـل الـبلاد، ولكنـه قد قاد جيشه للعودة إلى البحر عندما لم يستطع الحصول عـلى التكهنـات التـي يريـدها من الضحايا، وكلما كان التقرير أكثر تفصيلاً في Hellenica Oxyrhynchia ، فإنه يوضح لنا أن هذه الضحايا قد حدثت عندما، صعد Agesilaus إلى وادي كوجامس قبل وصوله إلى ضفاف الـ Meander ، ولقد تم تقديم وعرض الضحايا لاكتشاف إذا كان من المـبشر بالنجاح التحرك ضد Celaenae العاصمة المحصـنة لفريجيـا العظمـى، وعنـدما أعطـت الآلهـة إشـارة سـلبية فقـد رجـع Agesilaus إلى وادي الــ Meander إلى إفسـس، وفي الحقيقة فإن المبشرين قـد أكـدوا بشـكل بسـيط القـرار المبـدئي للسـير ضـد Celaenae والذي سوف يكون محفوفاً بالمخاطر التي لا تحمد عقباها.

وكـان Agesilaus يضـع هـدفاً مزدوجـاً، أن يـترك انطباعـاً بـين السـكان

داخل البلاد، وأن يجمع الغنيمة الكبيرة، وهو يرى أنه قد نجح في تحقيق هذين الهدفين، لقد كان أرتاكسركسيس Artaxerxes يعاني من القلق في النتائج الأولية عند احتلال الأرض؛ لأنه كان قد تلقى معلومات بشأن أشكال النهب والسلب التي قام بها اليونانيون على سهل سارديس -وما هو وراء ذلك- من بين ممتلكات Tissaphernes ، ولا شك أن الفرس في سارديس لم يكونوا حتى مسرورين مع Tissaphernes ؛ لأن هذه هي المرة الأولى منذ الغارة الأيونية في عام 499 التي تحدث مثل هذه الأخبار التي لم يسمع عنها من قبل، وطبقاً لما أورده مؤلف آخر فإن Tithraustes قد وافق على الهدنة بشرط ألا يسلب Agesilaus الريف الأيوني، ويظهر أنه أكثر من أي شيء آخر فإن الفرس كان يأملون في أن يجعلوا سارديس وليديا آمنتين وبعيدتين عن الحرب، وكما ورد في قصص وروايات سابقة فإن قادة سارديس كانوا سعداء أن يروا مسرح العمليات يتغير، بل ينتقل إلى ساحل Hellespontinephrygia ، ولكن لم يتوقف Agesilaus عن خطته في التقدم نحو الداخل، وبينما كان Peisander يعمل على إعداد الأسطول البحري، استمر Agesilaus في التقدم نحو Phrygia ، وقد تمنى أن يكون قادراً على أن يتغلب على الميسيين الذين كان يقال إنهم غير خاضعين أو لا يمكن قهرهم وخضوعهم للملك العظيم، ومن أجل هذا السبب فإنه قد نهب مقاطعتهم، ولكن هذا الحدث لم يكن له نتيجة متوقعة، حيث إن جزءاً فقط من الميسيين قد وضعوا أنفسهم تحت قيادته وجزءاً آخر قد قام بعمل خسارة فادحة بين صفوفه العسكرية، ولم يتوقف Agesilaus عن نهب الأراضي الخاضعة لفارنابيزوس Pharnabyzus ، وكان قد انضم إليه الـ The Persian spith ridates الذين ظهروا مع حاكم Dasylium قبل ذلك: «وعندما قال Spithridates إنه إذا جاء إلى بافلونيا معه، فإنه سوف يحضر ملك البافلونيين إلى مؤتمر، ويقيم معه تحالفاً، وقد شغف Agesilaus بتنفيذ هذه الرحلة؛ لأن ذلك كان يعتبر شيئاً قد

اشتاق إليه منذ زمن بعيد وهو أن يفوز ببعض الأئمة بعيداً عن الملك الفارسي.

ومصطحباً حلفائه الجدد، أخذ Agesilaus الطريق الداخلي إلى فريجيا العظمى، وأعاد الانضمام إلى الطريق الملكي في Leontocephalae ، وبالرغم من أنه كان قادراً أن يستقطع بعض الغنيمة فإنه قد فشل في أن يستولي على المدينة -أحد أكثر المدن أمناً وآماناً في فريجيا- ثم تقدم نحو Gordian » قلعة أو حصن تم بناؤه على هضبة، وكان مؤمناً بشكل جيد، ولكن هناك أيضاً اضطر إلى أن يسقط في وجه المقاومة التي عملها من جانب الـ Rhathines وهو مرؤوس لفارنابيزوس Pharnabyzus ، ثم عاد الإسبرطيون بعد ذلك إلى Cius في ميسيا، ثم إلى فريجيا، وعند هذه النقطة يخصص زينوفون Xenophon ، وكثير من المؤلفين الذين اتبعوا نهجه استطراداً طويلاً للعلاقات بين فارنابيزوس Pharnabyzus و Agesilaus ، وفي بادئ الأمر فاز الفرسان التابعون لفارنابيزوس Pharnabyzus نصراً كاملاً، ولكن اليونانيون تمكنوا من سلب ونهب معسكر الحاكم، إن مؤلف Oxyrhyn chus Hellenica يشير إلى أن Agesilaus قد حاول أن يأخذ Dascylium مكاناً قويًّا جدًّا تمّ تحصينه بواسطة الملك، حيث إنهم قد قالوا أن فازنابازس قد حفظ الفضة والذهب هناك»، وقد أحضر قوارب من الأسطول البلوبونيسيني من الـ Hellespont ، واستصدر أمراً للقائد أن يحمل ويعبئ كل هذه الغنيمة، ويأخذها إلى Cyzicus ، ثم يرسل جنوده إلى مقارهم الشتوية، موجهاً أمراً إليهم أن يعاودوا التجمع في فصل الربيع القادم، لقد كان المرزبان غير قادر على أن يأسر القلعة، وبالتالي أن يستمر في النهب الخاضع للسيطرة لكل المجاورات خاصة الغنية منها، فردوس حديقة غناء تابعة لحاكم الولاية الفارسية، ونخبر بعد ذلك أن فارنابيزوس Pharnabyzus قد اشتكى إلى Agesilaus بهذه الكلمات: «إنني لا أملك

مقدار وجبة في أرضي الخاصة إذا لم -مثل البهائم- ألتقط ما قد يمكن أن تتركه لي»، لقد نطقت هذه الكلمات، يقول زينوفون Xenophon ليجعلنا نصدقها، أثناء محادثة بين القادة التي يتم تنظيمها على يد شخص يوناني قد دعاهم إليها معاً، وبعد اللقاء، ترك Agesilaus الريف، وأقام معسكره في سهل Thebe بالقرب من خليج Adramyttium فصل الربيع 394 ، وأن هذا المكان هو الذي كان فيه عندما تلقى أمراً من السلطات الإسبرطية بأن يعود على الفور إلى اليونان، وطبقاً لما جاء في Hell-Oxyr كان هدفه آنذاك أن يسير نحو كبادوكيا، بالرغم من الخطأ الجغرافي الواضح حول المخطط والرسم الخاص بآسيا الصغرى، فإن البيان يشير بوضوح إلى أن Agesilaus قد قرر أن يستأنف المسيرة نحو الداخل، ويقول زينوفون Xenophon بلا اختلاف «أنه كان يستعد للمسير إلى أبعد ما يمكنه إلى الداخل معتقداً أنه يمكنه أن يبعد عن الملك كل الأمم التي يستطع أن يضعها في مؤخرة ممتلكاته»، وقد وجد تقييم متشابه لدى بلوتارخ Plutarch «قد عزم على أن يبعد الحرب عن شاطئ البحر، وأن يشير لأعلى بشكل أبعد داخل الريف، وأن يهاجم ملك الفرس نفسه في عقر داره في صوصا Susa وإكباتانا Ecbatana غير راغب أن يسمح للملك بأن يجلس عاطلاً في عرشه مكتوف الأيدي، ويلعب دور من يقوم بالفصل في النزاعات الخاصة باليونانيين، ويقدم رشوة لقادتهم المعروفين ، وقد استخدمت هذه الكلمات بواسطة Nepos ، ولم تكن أقل فخامة «كان بالفعل يخطط أن يسير ضد الفرس، ويهجم على الملك نفسه»، ويذكر Isocrates عن الضعف العسكري الملحوظ للفرس أن Agesilaus ، بكل معاونة ومساعدة جيش قورش Cyrus قد غزا تقريباً كل المقاطعة من جانب نهر Halys ، وبملاحظة أنه قد استغل فرصة هذا التعليق لكي يربط Agesilaus مع قورش Cyrus الأصغر، وفي الحقيقة، فنحن نعرف أن الفرارين الخاصين بالقائدين -قورش Cyrus المرتزقة اليونانيين

و Agesilaus - قد تم الاستشهاد بهما في اليونان كأحداث سابقة خاصة كل منهما، وقد أحضرا للملك وهو في أقصى درجات الانفعال والثورة» وبالتشابه بالتناظر نجد أن Agesilaus ، البطل الإسبرطي يتعارض بشكل تنظيمي مع ملك عظيم متدهور، وإذا تتبعنا زينوفون Xenophon في هذا المديح نجد أن Agesilaus كان بطلاً يونانيًّا إسبرطيًّا قد تماثلت مغامراته بشكل واضح مع تلك المذكورة عن أبطال هوميروس، ولا يباشر Agesilaus عملاً أقل من حرب طروادة الجديدة تضاهي Agamemon ، فقد أبحر من Aulis .

وفي كل هذه التعليلات اليونانية يمكننا أن نتعرف على المصفحات التقليدية للفرس والملك العظيم، ولكنه بعد الهجوم الإغريقي العنيف والنزوات الخاصة للملك الليسيديموني، لا يوجد هناك شك في أنه منذ لحظة وصوله إلى آسيا الصغرى، وقد قصد أن يتبع حرباً مختلفة جدًّا عن الحرب التي قد خاضها بواسطة أسلافه الذين سبقوه في القرن الخامس، وباستثناء ظهور مختصر بواسطة الفرق العسكرية الليسيديمونية في وادي الميندر Meander والغارة الأثينية على حقول ليديا، فإن القادة العموم اليونانيين في القرن الخامس قد قيدوا عملياتهم نحو الساحل، واتجهوا إلى سلب ونهب المناطق الخاصة بالمقاطعة الملكية والقريبة من البحر.

ومن الممكن أن يكون المثال الأكثر حداثة الخاص بالعشرة آلاف قد تم تفسيره بالفعل، بل واعتباره في اليونان وآسيا الصغرى دليلاً على النفاذية القريبة للدفاعات الأرضية للإمبراطورية، ولكن من المهم أن نميز بين الحقيقة والواقع الأخميني عن الانطباع الذي تم جمعه من التصورات اليونانية، والتي قد أُبلغت عن حقائق خاطئة عن الجغرافيا، كما هو موضح في الفقرات الإنشائية في الـ Anabasis ؛ ولهذا السبب كان يهتم مؤرخ الإمبراطورية الأخمينية بالعمليات التي كان يقوم بها Agesilaus : «إذ يقدم فرصة سانحة للتفكير الجيد عن السيطرة الفارسية للمقاطعة في آسيا

الصغرى الغربية لتكوين رأي حول هذه المسألة حتى يتسنى إقرار عمل ما حيال ذلك».

الـدفاعات الفارسـية تواجـه الهجـوم الـذي شـنه Agesilaus حكـام الولايـات والعـرقيين ، ويعتـبر تعليـل وتعليـق زينوفـون Xenophon متحيـزاً بـالمعنيين اللـذين تعنيهما الكلمة ، وطبقاً له فإن حملات بطله قـد انـتشرت دون معارضـة كبـيرة، وتظهـر صورة أخرى من Oxyr-Hellen التي، لحسن الحظ، تعتبر أقرب إلى مخطط حملـة مـن نظم أدبي مضلل وموسع وغير مشوق، وإذا كان Agesilaus يمتلك حركـة وقتيـة لإعـادة تتبع تقدم قورش Cyrus فإنه سوف يتبعه بين سارديس وبين حدود فريجيا العظمـى، ولا بد أنه كان متفائلاً جدًّا، وقـد تبنـى القـادة الفـرس وبشـكل واضـح خطـة عسـكرية قديمة لمواجهته، تجنبـاً لإقامـة المعركـة، والسـماح لـه بـالتجوال في الريـف حتـى تجـبره الضرورة على أن يعـود إلى السـاحل، ولم يكـن هـدف Agesilaus الـرئيس أن يكـون أي شيء أكثر من مجرد غنيمة مكدسة لإطعام ودفع أجور جنوده، وكان خوفه الأعظـم هـو نقص المؤن ومواد الغذاء.

ولكي يكون تهديداً للسيادة الفارسية فإنه سوف يضـطر أن يهـاجم مـدناً رئيسـة، وكما حدث ففي كل مرة يشيد فيها صف معركته أمام حصن قد أقامه رجال الملك كـان عندها غير قادر على أن يهجم عليه، سواء كـان ذلـك في Leontocephalae، Gordion أو Miletuteikhe ولا نذكر سارديس، Dascylium ، وهذه السلسلة من أشكال الفشـل توضح عدم الـترابط بـين طموحاتـه وقدرتـه العسـكرية التـي يملكهـا، ومـن الواضـح أن Agesilaus لم تكن لديـه أيـة وسـائل لإقامـة الحصـار، ولم يكـن هنـاك قائـد للقلعـة ذا رجاحة عقل ليهجر الملك.

لقــد كــان Agesilaus يقــدر الفــوز بتحــالف وولاء الشــعوب في الــداخل، والــذين كـان اسـتقلالهم عـن السـلطة المركزيـة يـتم التشـديد عليـه بشـكل أنيـق

من جانب كل مؤلفي القرن الرابع، ولكن قد يمكننا أن نتساءل في هذا الأمر إذا كان الإسبرطيون Spartan هم الضحية لمن أبلغوه -معاونوه- أو ضحية شطحاته وطموحاته ونزواته، وقد رأينا أن الميسيين لم يندفعوا أفواجاً إليه، وأن كثيراً من المجاورين قد عارضوه بشكل صريح، ويمكن تفسير رد فعل الشعب المسيني من خلال رغبتهم أن يحافظوا على أرضهم من نهب وسلب والحرب، أو بمعنى آخر خوفهم من انتقام الفرس الأخذ بالثأر ، إن حاكم Dascylium كان يقود قوات عسكرية بانتظام ضد الميسنيين الذين تمردوا بشكل صريح، وفضلاً عن كل ذلك فإن الميسيين كانوا يخدمون في الجيش التابع لفارنابيزوس Pharnabyzus ، وقد أحرز Agesilaus نجاحاً أعظم مع الملك بالنيابة لبافلونيا، الذي قدم 1000 فارس وألف من الجنود المسلحين يحملون أوقية/ تروساً خفيفة، ويبدو أن هذا النائب قد أفسد العلاقة مع السلطة المركزية، حيث يذكر زينوفون Xenophon «أنه قد تم استدعاؤه من جانب الملك الفارسي، وقد رفض أن يصعد إليه، ودعوة من هذا القبيل لا يمكن أن تبشر بأي خير، إن رفض دعوة الملك كان أمراً معادلاً لأكثر من مرة للتمرد والعصيان؛ لأنه في الأوقات العادية كان مطلوباً من بافلونيا أن تقوم بتجديد وإنعاش فرقة عسكرية ممتازة، يتم استدعاؤها عندما يطلبها الحاكم، وعلى أية حال، فإن Agesilaus أراد أن يوطد الولاء البافلويني بشكل أكثر صلابة؛ ولذلك فقد تفاوض بشأن موضوع زواج بين الحاكم وابنة Spithridates ، ويجب ملاحظة أنه طبقاً لما جاء في Oxyr Hell - أن Agesilaus قد توصل إلى هدنة مع البافلونيين والتي تشير إلى أنه ليست كل الجماعات تعتبر أن الحاكم هو القائد الحقيقي لهم.

ومثل ميسيا فإن بافلونيا لا بد أنه قد تم تقسيمها بين عديد من شيوخ قبائل جماعات متخاصمة، وهذه الحقيقة هي أن بعض المناطق التي يترأسها العديد من الشيوخ المحليين، قد دعوا بالتأكيد إلى مواقع

متنوعة في آسيا الصغرى، وتم توضيح ذلك من خلال حرب أرتاكسركسيس Artaxerxes بعد العديد من السنوات بعد ذلك ضد الكادوسيين، وفي هذه الحالة كان هناك ملكان محليان، وقد كان كل منهما منزعجاً من الحصول والانتفاع بما هو لنفسه ولمصالحه الشخصية بالصداقة والتحالف مع الملك».

ولمزيد من الإيضاح نجد أنه ربما أن الفرس قد ظلوا يراقبون ويضعون أعينهم على ميسيا وبافلونيا بشكل أكثر مباشرة، مما تقترحه بعض النصوص القديمة، وفي سياق الاستعداد بشأن حملة قورش Cyrus الأصغر، يذكر ديودورس Diodorus أن: «حاكم بافلونيا الذي أنعش الـ Alcibiades باتصال آمن قد رفضه فارنابيزوس Pharnabyzus »، ويشير ديودورس Diodorus إلى أورونتس، زعيم المتمردين كونه حاكم ولاية ميسيا Mysia ، وتعتبر هذه التعليقات أخطاء بسيطة قد اقترفها ديودورس Diodorus الذي كان متحرراً من استخدام لفظ «مرزبان»، ولكن المصطلح يشير إلى مسؤول رسمي لحاكم ولاية فارسية Dasyclium أو ساردیس، ولنستدعي حالة التوازي لزينس من داردنس Zenis of Dardanus «المرزبان الذي قد تم تعيينه بواسطة فارنابيزوس Pharnabyzus بدلاً من Aeolis والذي سقط تحت قضائه، وكان مسؤولاً عن الإشراف على ريف الدولة، وفرض الجزية، قيادة القوات العسكرية الممتازة لجيش المرزبان وتنظيم استقبالات فاخرة لمرزبان Dascylium أثناء جولات التفتيش، وباختصار فإن Zenis قد عمل كمرزبان مماثلاً لفارنابيزوس Pharnabyzus ، زينوس الذي نجح عن طريق أرملته مانيا في أن يكون واحداً من الحكام المعتمدين على سلطة فارنابيزوس Pharnabyzus ، وإذا تتبعنا هذه النظرية يمكننا أن نسأل عما إذا كان Ariobarzanes قد حقق الوظيفة نفسها في بافلونيا في عام 407، Ariobarzones قريباً لفارنابيزوس Pharnabyzus ، وكان قد أُصدر إليه أمر

في عام 407 لأن يحضر السـفراء الأثينيـين الـذين احتجـزهم مرزبـان Dascylium لمـدة ثـلاث سـنوات إلى قـورش Cyrus في ميسـيا، وقـد نـتج نـوع مـن الغمـوض والارتبـاك الاختلاط بين المناطق الجغرافية والجماعات العرقية، وقد أشرنا بالفعـل إلى أن ميسـيا لم تتوحد مع بافلونيا، ولا تم توحيد أي مـنهما، وتكشـف العديـد مـن الروايـات أن أحزابـاً معينة في ميسيا كانت خاضعة للفرس بشكل ثابت، وقد تم إقامة العديد من الإنشاءات العسكرية هناك بداية من عصر دارا Darius وكسركسيس Xerxes ، إن البـاقين مـن العشرة آلاف قد عاشوا أوقاتاً صعبة متعثرة، وهناك، وبمجرد أن وصـلوا إلى Pergamum -التي يضعها زينوفون في ميسيا- في سهل كايكس، في المكان نفسه، حيـث تـم التصـديق على عمل أورونتس.

لقد كان الـ Asidates الفرس يملكون ممتلكات ريفيـة كبـيرة جـدًّا مملـوءة بالعبيـد والخدم على هذا السـهل، وقـد تـم تحصـين الملكيـة Anab, Teikhos-Pyrgion-tyrsis ، وإضافة إلى ذلك، فـإن المـدافعين كـانوا قـادرين عـلى أن يتواصـلوا مـع المواضـع الأخـرى في المجاورات -الأماكن المحيطة- باستخدام إشارات نارية للتحذير أو الإرشاد، وهناك جاء إلـيهم Jtamenes مع قوته العسكرية التابعة له للمساعدة، ومن هبلوت كومانيا السوريين وفرسان هيركانيين Hyarian ، وهؤلاء كانوا أيضاً مرتزقة في خدمة الملك، حتى وصل العدد إلى ثمانين، بالإضافة إلى ثمانمائـة مـن Peltabsts ، وأكـثر مـن Parthenium ، وأكـثر مـن Apollonia ، ومن الأماكن القريبة على أن يشمل ذلك الفرسان، وجاء ألفـي Procles للإنقـاذ والمسـاعدة، ومــن Teuthrania & Halisarna جــاء ســليل دامــاراتس Damaratus ، وسرعــان مــا وصل رجـال Gongylus of Eretria ، وقـد أقـام هنـاك في المنطقـة أثنـاء عصر كسركسـيس Xerxes ، وهذا المثال هو توضيح كامل لكثافة الاحتلال الأخميني للمقاطعـات الموجـودة في

المنطقة الميسية، لقد كانت مأهولة بالمستوطنين والحاميات العسكرية، ومنتصبة بحصون صغيرة، وهناك تأكيد في فقرة في الـ Polyaenus في سياق بعثة Thibron العسكرية في Aeolis ، ويبدو أنها قد تغطت بشبكة كثيفة من حصون صغيرة تحت قيادة قائد الحصون العسكرية في Aeolid ، وبالطبع فإن هذه الملاحظات لا تجيب عن السؤال الفرعي عما إذا كان هناك أية حكومات في ميسيا أو بافلوثيا.

وبالرغم من أننا نلاحظ أن المرزبانات يعتمدون في قيادة الفرق العسكرية على الفرسان الفرس من الديسبورة، فنحن نوافق بشكل عام على أن المقاطعات الملكية لم تكن خالية من الدفاعات مثلما يحاول المؤلفون اليونانيون إقناعنا بذلك، أو كما تخيل Agesilaus نفسه، وبالرغم من النصر الذي كان بالقرب من سارديس، فإنه لم يكن قادراً على أن يجد ما هو مناسب لنفسه لأي فراغ استراتيجي أخميني طرق - مخازن - قلاع - معاقل - ... ، وإذا كان قد تعلق بحلم السير العسكري مرة أخرى نحو الداخل في عام 394 فإن فرص النجاح كانت بشكل عملي صفرية أي لا قيمة لها .

المواجهة بين Agesilaus والفرس:

لم يكن Agesilaus قادراً على أن يحكم قبضة قوية على المدن في الداخل، ولكنها إمكانية نظرية لصنع قلق كافٍ، حتى إن بعض الفرس قد هجروا الملك إذا استمر ذلك، ولكن حتى الآمال الخاصة بإمكانية مثل الإيواء واللجوء قد تحطمت، وعندما عاد من بعثته -كما رأينا- أجرى محادثات مطولة مع فارنابيزوس Pharnabyzus ، وطبقاً لما أورده زينوفون فإنه يؤكد للمرزبان «أنه مع توفر قوتك ودعمك ونفوذك للانضمام إلينا لنعيش في ظل التمتع بممتلكاتك دون الولاء لأي شخص أو الخضوع لأي سيد»، ويضيف قائلاً: «إننا نناشدك أن تزيد وتعمل على توسيع -ليس امبراطورية الملك- بل ممتلكاتك، قاهراً ومخضعاً أولئك

الذين يعتبرون عبيداً تابعين لك حتى يصبحوا خدماً ومرؤوسين، وفي سياق النصوص الواردة، كان يقصد من هذا الحديث إقناع فارنابيزوس Pharnabyzus أن يجعل من نفسه أميراً مستقلاً عن طريق نقل الفرس الآخرين من ولايته إلى Bandaka ، ويجيب فارنابيزوس Pharnabyzus بشكل بسيط، أنه إذا نصب الملك قائداً آخر، فإنه سوف يوافق أن يكون صديقاً وحليفاً لـ Agesilaus ، وفي حالة عدم حدوث ذلك فإن اتصاله وخدماته للملك العظيم لا يمكن الاستمرار فيه، وفي الحقيقة لقد تركت إجابة المرزبان المعوّقة البطيئة Agesilaus بلا أي أمل حتى بعدما قد وُعد فارنابيزوس Pharnabyzus بالزواج من إحدى بنات أرتاكسركسيس Artaxerxes .

إن المرتد الوحيد كان شخصاً يدعى Spithridates وكان فارسيًّا من أسرة شريفة ونبيلة والذي لم يستمر في عهده مع فارنابيزوس Pharnabyzus عندما طلب الأخير أن يأخذ ابنته كمحظية، وعندما اقترب Lysander ، هرب إلى Cyzicus ، حيث ترك كل عائلته، وكنوزه، وقيادته لـ 200 من الفرسان، بالإضافة إلى ابنه Megabates قد انضم إلى Agesilaus ، ولم تكن واجباته تحت قيادة فارنابيزوس Pharnabyzus معروفة بشكل دقيق ويلاحظ -Hell Oxyr بشكل بسيط أنه عاش مع فارنابيزوس Pharnabyzus ، وقد خدمه أيضاً؛ ولذلك فقد كان ينتمي إلى دائرة طبقة من الأرستقراطيين المستقرين الذين قد تم استخدامهم من جانب مرزبان Dascylim لأجل مهام تنجز في مواعيد محددة، ونحن نَعلم أنه في عام 410 قد شارك القيادة مع Rhathines من الفرق العسكرية الممتازة، والذين، مع الـ Bithynians ، تم تجنيدهم بواسطة فارنابيزوس Pharnabyzus لمنع الناجين من العشرة آلاف من دخول فريجيا، ولكن المهام التي تم تحقيقها عن طريق أحد مسؤولي الولاية الفارسية أو غيره لم يذكر شيئاً عن عملهم الدائم، وأثناء المسيرة العسكرية لـ Agesilaus ، فإن

Rhathines كان هو نفسه مسؤولاً عن قيادة وحكم Gordion ، ومن الملاحظ بشدة حقيقة أن Spithridates قد وافق على زواج ابنته من النائب نائب الحاكم البافلاجوني، وقد تم خداعنا لنستنتج من ذلك أن Spithridates كان له علاقة طويلة وحميمة مع بافلاجونيا، ولم يستمر التحالف بين Agesilaus و Spithridates .

بعد الهجوم الناجح على ممتلكات وأمتعة وقافلة فارنابيزوس Pharnabyzus ، أخذ Spithridates وحلفاؤه البافلاجونيون الغنيمة، وسرعان ما تحرّروا منها بواسطة ضابط مسؤول لدى Agesilaus مع تقديم عُذْر أن هذه الممتلكات ينبغي أن توضع بين أيدي الضباط المسؤولين عن بيع الغنيمة، وطبقاً لما أورده زينوفون Xenophon فإن هذا العمل هو ما قاد حلفاء Agesilaus إلى أن يهجروه، وفي الحقيقة كانت هذه الشكوى هي الحجة والذريعة، وعلى عكس ما ذكره زينوفون Xenophon ، فإن Spithridates والبافلاجونيين قد استنتجوا من الأحداث الحالية ما قد رأوه بالفعل، مع أن ذلك قلل من حجم الأمل في النصر على الليسديمونيين، وكان اهتمامهم منذ ذلك الحين هو بالحصول على عفو الملك؛ ولذلك اتجهوا مباشرة إلى سارديس للتقابل مع Ariaeus ، الصديق والرفيق الأسبق لقورش Cyrus الأصغر، حيث إنه عندما ترك Ariaeus ليديا، أعطاه Tithraustes أمر قيادة ولاية فارسية أخرى و Pasiphernes ، وقد عرض وأظهر ولاءه وإخلاصه من جديد من خلال مشاركته الفعّالة والنشطة في تنفيذ الحكم ضد Tithraustes ، لقد قرروا أن يضعوا ثقتهم في Ariaeus ؛ لأنه قد ثار على الملك وشن حرباً «ضده»، ويشير زينوفون Xenophon إلى أن هذا الهجر قد أصبح ناقوس الموت لكن آمال وطموحات Agesilaus لم تحدث شيئاً أثناء الحملة التي كانت محزنة بدرجة أكبر لـ Agesilaus من هجر Spithridates و Megabates والبافلاجونيين.

ملخص:

لقد تم استدعاء Agesilaus في عجالة إلى إسبرطة التي قد تم تهديدها بائتلاف من المدن اليونانية تشمل أثينا التي طالبت بالتحرر من سيطرتها، فقد ترك آسيا الصغرى ببيان قصير أقل من أن يكون مؤثراً على أحداث قد حدثت هناك، وبعيداً عن فرقة عسكرية ممتازة تحت قيادة Dercyllidas ، فقد أرسل إلى Hellespont بعد رحيله بفترة قصيرة، ومازالت المواقع العسكرية توجد هنا وهناك، فلقد اضطر إلى أن يهجرهم إلى مصيرهم -لقاء حتفهم- أي إلى المدن التي جاء لتحريرها من وطأة النير الفارسي، إن النقطة الإيجابية الوحيدة هي وجود الأسطول البحري الذي أمر ببنائه القائد الإسبرطي في العام السابق على تلك الأحداث، وقد استأمن صهره Peisander للقيام بذلك، ومن الحقيقي أنه قد أثبت أن الفرس قد سيطروا على الطرق المتجهة إلى سارديس فقط وبشكل غير تام.

وقد وضح أيضاً Thibron الطريق عن طريق شن حملات عسكرية ضد ميسيا، ماجنيسيا، و Tralles ، وقد ذهب Agesilaus إلى أبعد من ذلك؛ لأنه قد استوعب أنه كان في حاجة إلى فرقة من الفرسان لمواجهة الفرس، وقد نجح الإسبرطي Diphridas بعد ذلك في أسر صهر زوج الابنة Strutha ، حيث إنهما كانا ذاهبين في رحلة إلى سارديس، وحتى إذا كان الإسبرطي قد أظهر الجرأة والبسالة من خلال تطوير أسلوب «الزحف العسكري» بالتوجه نحو الداخل، ولم يبدُ أنه يصدق أنه قد يقود الفرس من الولايات مرزبانات سارديس ودايسلايم، وعلى أية حال، فإن هذا الهدف لم يكن مدركاً؛ لأن الدفاعات الملكية كانت قوية وصلبة، وكذلك لأن فكرة نوع من هذه الفرق العسكرية لم تدخل عقل القادة الإسبرطيين، وباختصار، وبالرغم من خلفية طروادة، فإن Agesilaus لم يكن نموذجاً مطابقاً نسخة أصلية من الإسكندر Alexander جغرافيًّا أو سياسيًّا.

6- النجاحات والاخفاقات الأخمينية من آسيا الصغرى حتى مصر 396 - 370 :

هزيمة إسبرطة:

أثناء الفترة نفسها، وبعد الإنعام عليه بلقب أدميرال أمير البحر للأسطول الملكي استكمل كونن Conen استعداداته، وبدأ في هجومه، وكان أول نجاح له، بعد الحصول على تمويلات من Tithraustes والملك العظيم، حث حزب Rhodian على أن يصمد ضد الإسبرطيين والترحيب بأسطوله، ويعتبر هذا انتصاراً عظيماً بسبب الأهمية الاستراتيجية والتجارية بالنسبة للجزيرة، وفي توافق مع فارنابيزوس Pharnabyzus ، قاد كونن Conen الأسطول البحري إلى Cnidianchersones لمواجهة الأسطول الليسيديموني الذي كان يرسو في Cnidios ، وحققت المعركة التالية انتصاراً مذهلاً بالنسبة لسرايا الأسطول، فقد حصل الغزاة على فائدة وربح فوري نتيجة نقل المواقع العسكرية الليسيديمونية من كل من الجزر Teos-Nisyros-Cos Mytilene-Chios والساحل Ephesus-Eruthrae .

لقد قام كل من فارنابيزوس Pharnabyzus وكونن Conen بعمل جولة في الجزر والمدن على ساحل البحر، وأخرجا الحكام الليسيديمونيين، وقاما بتشجيع المدن قائلين إنهما لن يقوما بإنشاء قلاع محصنة داخل أسوارهم، وسوف يتركونهم أحراراً مستقلين، وقد استقبل سكان هذه المدن الإعلان بكل فرح واستحسان، وأرسلوا هدايا الصداقة بحماس إلى فارنابيزوس Pharnabyzus ، وكان Dercyllidas معارضاً لهجوم فارنابيزوس Pharnabyzus عندما عاد إلى مقاطعته، ولكن في فصل الربيع التالي رجع أسطول فارنابيزوس Pharnabyzus وكونن Conen إلى البحر، وكان هدف فارنابيزوس Pharnabyzus إنزال

العقاب والانتقام على إسبرطة، فقد استولى أسطوله على Cuthera ، محرراً الـ Cyclades في المعركة، ثم الإبحار إلى Isthmus في كورنثوس، وهناك حض الحلفاء على مواصلة الإبحار بحماس وغيرة وإظهار وإثبات أنفسهم كرجال مخلصين للملك، لقد ترك لهم كل المال الذي كان بحوزته، وربما قد تم الترحيب بالفرس في أثينا لعقد ميثاق شرف، وكان ذلك يعتبر هو المرة الأولى من نوعها منذ عام 480 أن يأتي الأسطول الأخميني لمساندة ودعم الـ Medizers! ويبدو أن الانتصار الفارسي كان متألقاً ولامعاً.

الفرس الذين تم القبض عليهم بين الأثينيين والليسيديمونيين:

في الحقيقة، فإن الانتصار الفارسي كان سريع الزوال وغير مؤكد الحدوث، فلقد قُهر الفرس مرة أخرى بين رغبة إسبرطة في مواصلة سيطرتها وسيادتها وأمنية أثينا في إعادة إنشاء خاصتها، إن الانتصار في Cnidos وتلك الانتصارات التي تبعت ذلك كانت من عمل كونن Conen ، الذي كان يحلم به منذ عام 405 بأي شيء سوى استرداد المجد لوطنه وبلاده، ونتيجة لاصراره، فإن فارنابيزوس Pharnabyzus قد وافق على أن يترك جزءاً من أسطوله وماله معه، وسرعان ما استخدم كونن Conen هذا المال في إعادة بناء أسوار أثينا و Piraeus التي تم تدميرها على يد الإسبرطيين عام 404، وقد استخدم الليسيديمونيون هذه الفرصة الجديدة في نقض تحالفهم ومحاولة تنظيم معاهدة جديدة مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ضد أثينا، وباللعب على إثارة الخلاف والشقاق بين القادة الفرس، وكان ذلك شيئاً يجيدونه، فقد أرسلوا Antalcidas إلى Tiribazus في سارديس، وفي أثناء ذلك جعل الملك Tiribazus قائداً للقوات العسكرية الملكية في آسيا الصغرى، ووصل Antalcidas ، ووصل بعده مباشرة سفراء من أثينا ومن المدن التي حاربت طول المعركة وعلى طول خط المواجهة ضد إسبرطة أيضاً، وقد خاطب

كل وفد Tiribazus بالتناوب، جاعلين منه حاكماً لهم قاضياً ، وقد عرض Antalcidas السلام الذي رغب فيه الملك وناشد بحلوله، وبالنسبة لليسيدمونيين -كما قال- فلم يقدموا أي ادعاء أو شكوى ضد الملك إلى المدن الإغريقية في آسيا، وأنهم كانوا راضين وقانعين بأن كل الجزر والمدن الإغريقية بصفة عامة ينبغي تحريرها، وكما تظهر أحاديث الوفود الأخرى، فإن العرض الإسبرطي قد شمل وطوّق مشكلات المدن في أوروبا، وقد عارض الأثينيون ذلك بشدة، معتقدين أن مثل هذا السلام سوف يمنعهم من تحقيق أهدافهم الطموحة، ولم يكن كل القادة الفرس، وفي اتفاق حول استراتيجية في هذا الوقت، وقد أحضر Tiribazus كونن Conen موثقاً إلى سارديس وألقاه في السجن، وقد قدم المال إلى الليسيدمونيين سراً لأنه لم يستطع صنع قرار أن يفعل ذلك دون استشارة الملك دون التشاور مع الملك ، ومن الواضح أن Tiribazus لم يكن قادراً على أن يقنع أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي أرسل Struthas إلى ساردیس، والذي كرس نفسه بشكل مواظب للأثينيين، وقد ازداد عداؤه نحو الإسبرطيين، وبعد ذلك فقد قبض الليسيدموني Diphridas على زوج ابنته Tigranes وأمسكه طلباً للفدية، وقد حدث في السنوات التالية تصعيد في حالات العداء بين الأثينيين والليسيدمونيين في آسيا الصغرى، وقد ظهر الفرس بشكل نادر في موضع الفصل في النزاع، وأعاد الليسيدمونيون تعيين الحكام.

ولكن الحقيقة -وبما لا يدع مجالاً للشك- أكثر تعقيداً مما يشير إليه زينوفون Xenophon ؛ لأن كل روايته كانت مخصصة بشكل كامل لأشكال العداوة بين أثينا وإسبرطة، وفي الحقيقة فنحن نعلم من تضمين قد ناقشناه بالفعل أنه أثناء هذه السنوات قد فصل في نزاع Struthas عدم اتفاق حول مقاطعة بين Miletus و Myus ، والتي قدمها للقضاة من اثنتي عشرة مدينة أيونية، وفي هذا الوقت كلن باستطاعة ساردیس أن تفرض

حكمها الخاص وسيطرتها على المدن الواقعة على الساحل الأيوني -معاً مع سطور المعاهدات التي تم توقيعها قبل قرن من الزمان على يد Artaphernes - ومن المحتمل جدًّا أن تغيراً إداريًّا مهمًّا قد حدث أثناء هذه السنوات بين الأعوام 395 و391 ، وفي كاريا -ولاية تابعة لساردیس فارسية مستقلة ذاتية الحكم - قد تم العهد لها إلى Hectomnus بأن يكون وريثاً للسلطة الحاكمة المتمركزة في Mylasa ، عاصمة Koinon اتحاد الكاريين، ومن الممكن أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد فعل ذلك لكي يجعل الحرب على إسبرطة أكثر فاعلية.

من قبرص إلى مصر:

بالنظر إلى ما حدث في صوصا Susa أو Babylon فإن الأحداث لا يمكن أن تقتصر على الطموحات المتناقضة لأثينا وإسبرطة على ساحل آسيا الصغرى، فقد كان الملك مشغولاً بدرجة رئيسة بالأحداث التي تدور حوله، وبسط سلطانه على مصر وقبرص، وفي الحقيقة أنه خلال الفترة الزمنية التي تمتد ما بين عام 390-391 فإن ديودورس Diodorus كان يناقض مخاوف الملك العظيم الذي أوقظ وأزعج من قبل بعض الملوك القبارصة Amathus-Soloi-Kition ، فلقد كانوا يحاربون بدرجة تبعث على اليأس رداً على الهجمات من جانب قوات Evagora وطلب المساعدة الفارسية، لقد اتهموا Evaogra بقتل الملك Agyris -حليف الفرس- ووعد أن ينضم إلى الملك للحصول على جزيرة له، وقرر الملك -ليس فقط لأنه كان يقدر الوضع الاستراتيجي لقبرص وقوتها البحرية العظيمة، إذ يمكن أن تحمي آسيا في المقدمة- أن يقبل التحالف، فقد عزل وطرد السفراء؛ ولأجل مصلحته ومنفعته أرسل رسائل وخطابات إلى المدن الواقعة على البحر، وإلى المرزبانات الموكل إليهم قيادة وحكم هذه المدن أن يقوموا ببناء سفن ثلاثية المجاديف، وبكل سرعة يقومون بتجهيز كل شيء قد يحتاج إليه الأسطول، ومنذ أن وصل إلى السلطة

فقد تابع Evagoras of Salamis بطريقة منظمة هدفه أن يوسع سلطته على المدن الأخرى في الجزيرة القبرصية، وأكثر من ذلك، فمنذ عام 398 فقد تعاون مع أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في حرب ضد القوات الليسيديمونية، ولكن الاختفاء المؤثر للتهديد الإسبرطي للسواحل في بحر إيجه بعد معركة Cnidus قد عمل على تغيير الموقف بشكل جذري.

ويعتبر النص الذي أورده ديودورس Diodorus واضحاً: «لم يأتِ الانفراج من Evagoras الذي لم يعد لديه أي اهتمام أو منفعة هناك، لقد كان قراراً فاتراً ضعيفاً من أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويتفق Isocrates على ذلك 67-68 Evag ، ففي اللحظة التي استعاد فيها السيطرة والحكم على آسيا الصغرى، فإن تكاليف ونفقات الملك العظيم نفقات الدعوى: التي تفرضها السلطة الحاكمة على المدينة الخاسرة لتدفع إلى المدينة المنتصرة أرادت أن تستبعد النظر إلى أن القوة العسكرية والاقتصادية ترتفع من ناحية الجزء الواقع تحت قيادته، والذي هدّد بأن سوف يقلل هذه النفقات إلى لا شيء حسب الاستراتيجية البحرية التي اتبعها بشكل متسق منذ معركة كيوناكسا؛ ولذلك فإن السيطرة، وفرض الحكم على الجزيرة قد فرض أن السلطة هناك سوف يتم تقسيمها وتجزيئها بين عدد من الملوك الصغار الذين سوف يبلغون عن أخبار كل منهم إلى السلطة المركزية، وهناك بيان فينيقي منشور حديثاً يقدم إيضاحات متعددة بشأن ما يتعلق بالمعارك الأولية في قبرص، وهذا البيان الذي يعود إلى السنة الأولى من حكم Milkyaton ابن Baalrom ملك Kition يعيد ذكرى تشييد نصب تذكاري ليبقى رمزاً للنصر الذي تم تحقيقه على يد الملك وكل شعب Lition على أعدائنا ومعاونيهم البافينيين»، وليس هناك شك في أن مصطلح «أعداء» يشير إلى Evagoras وحلفائه، والذين من بينهم البافينيون؛ ولذلك فنحن لدينا صدى مباشر عن حرب مفتوحة بين Kition وحلفائه Amathontes, Soloi من ناحية، وسلاميس وحلفائها من ناحية

أخرى، ومن الجدير بالذكر أنه بعد هذا الانتصار قد أخذ Milkyaton لقب الملك مؤسساً سلالة حاكمة تمتد حتى عام 312، وعلى عكس بيان أقدم في تاريخه من Idalion الذي قد يرجع إلى عام 440-470 فإن الـ Medes لم تذكر عنها شيئاً، ولا يمكننا أن نشك في أن الحاكم الجديد Kition قد تلقى المساعدة والمعونة والدعم من أرتاكسركسيس Artaxerxes ، كما يخبر ديودورس Diodorus ، ومن المحتمل -برغم ما سبق- أن هذا النجاح قد جاء في فترة زمنية قبل التدخل المباشر للقوات الفارسية، ولم يكن ذلك قبل مرور عدة سنوات على ذلك من أن الفرس قد انتصروا في معركة بحرية بالقرب من Kition ، وعلى أية حال، فإن هذا النوع من الآثار للسلالة الحاكمة يبرز التعاون الحميم بين الملك العظيم وكل شعب Kition ، وإضافة إلى ذلك، فكما رأينا في سياق العلاقات الفارسية القبرصية أن المعارك التي كانت ضد Evagoras of Salamis تنتمي إلى تاريخ قبرص في الـ Longue duree : تاريخ لا يقل عن نزعات السيطرة من جانب الملك العظيم.

وهناك عنصر ضروري قد لعب دوراً كبيراً في السياسة الفارسية، من أنه إذا لم يتم الاستيلاء مرة أخرى على قبرص، فإن أي هجوم عسكري على وادي النيل كان محكوماً عليه بالفشل، وفي الحقيقة فإن إعادة غزو مصر كان له الأولوية الكبرى عند أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وبينما كانت المفاوضات بين اليونانيين و Tithraustes في طريقها للبدء، كانت السلطة تتغير في أيدي المسؤولين عن حكم وقيادة مصر، وفي عام 393-394 لقي Nepherites حتفه في اهتياج ذو علاقة بالسلالة الحاكمة. وقد نصب حاكمان/ أميران نفسيهما كفرعونين بشكل تلقائي: موثيس، ابن نفراتيس، وساموثيس Psammuthis ، وتمت تسوية الجدال سريعاً من خلال شخص ثالث Hakoris ، ربما قريب نفراتيس الذي تقلد السلطة في بداية عام 392، وتظهر ألقابه وتوسعه في برنامج التعمير والبناء رغبته في

أن يربط نفسه بالتقليد المجيد للفترة الساياتية Saite ، وأن يواصل الحرب ضد الفرس بشكل عنيد، لقد عرف أنهم لم يتخلوا أبداً عن فكرة الغزو، إن حكم هذا الحاكم الذي يطلق عليه Pako1rios هو الموضوع الخاص بالكتاب الثاني عشر المفقود عن تاريخ ثيوبومبس Theopompus's History ، والذي فيه توجد قصة الأفعال والأحداث التي قام بها اليونانيون والبرابرة حتى وقته.

العمليات الأولية عام 386، 387-391 :

من الجدير بالذكر أنه في عام 390-391 أراد الملك العظيم أن يؤدي أفعالاً بسرعة، ومن المحتمل أنه كان يأمل أن يمنع Evagoras من تلقي أية معونة ومساعدة خارجية، ويدوّن Theopompus عن التحالف بين Hakoris و Evagoras ، ومن الممكن أن Evagoras قد أرسل سفراء إلى Hakoris ، كما فعل ذلك في أثينا، ولكن يبدو من غير المحتمل أن الفرعون كان في وضع يسمح له أن يرسل تعزيزات إليه في هذا الوقت، ومن ناحية أخرى، فإن تحرير إطلاق العنان للعمليات القبرصية يستطيع أن يساعد Hakoris ؛ لأنها قد أعطته الوقت الكافي لمؤازرة وتعضيد سلطته واستعداد دولته للعدوان الفارسي الحتمي، ومن الممكن -كما يقترح- أن Tyre قد أخذ جانب Evagoras ؛ لأنه بعد عدة سنوات منذ ذلك الوقت ناضلت وحاربت السفن التيرانية Tyrian بالإضافة إلى سفنه الخاصة، ولكن ارتداد ورجوع Tyre من بلاد الفرس قد جاء بعد عديد من السنوات من استهلال أشكال العداء والخصام بينهما، ويمكن ملاحظة -من ناحية- أن Evagoras أيضاً قد تلقى المساعدة والمعونة من أثينا في 389-390، وأرسلت أثينا عشر سفن قد كانت تنادي عليها للتفتيش على يد أدميرال ليسيديموني، وبعد مرور بعض الوقت، أرسلت أثينا تعزيزات جديدة إلى Evagoras 10 سفن ثلاثية المجاديف و800 من Peltasts تحت قيادة Chabrias ، ولكن نحن لا نعلم شيئا عن النتيجة، تقريباً في التوقيت

نفسه أن الأثيني Thrasyubulus قد تقدم مع سرية خيّالة من الأسطول على طول الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى كبعد Aspendus عن فم الـ Eurymedon ، حيث حاول أن يفرض الضرائب على السكان، ومع ذلك فقد أصبحوا يشعرون بالضجر والملل مع سلب الجنود ونهبهم، وذبحوا القائد الأثيني في خيمته، وتنتمي العمليات العسكرية الموسمية أكثر إلى تاريخ الصراع الأثيني-الإسبرطي منها إلى شؤون قبرص، وعلى أي حال، فإن السلوك والتصرف الغريب للإسبرطيين والأثينيين، مع الإشارة إلى السفن التي قد تم إرسالها إلى قبرص من أثينا في عام 389-390، قد تم تسليط الضوء عليه من جانب زينوفون Xenophon : «كل من الفريقين كانا يسلكان في هذا الشأن أسلوباً متعارضاً تماماً مع مصالحهم واهتماماتهم الخاصة -بالنسبة للأثينيين- بالرغم أن الملك صديق لهم، كانوا يرسلون معونة ومساعدة إلى Evagoras الذي كان يشن حرباً ضد الملك، و Teleutias ، بالرغم أن الليسيديمونيين كانوا في حرب مع الملك، كان يدمر الأشخاص الذين كانوا يبحرون لشن حرب ضده، وباختصار فإنه في عام 390-391 لم يتمكن Evagoras من الاعتماد على حلفاء خارجيين.

وكان على رأس الفرق العسكرية الفارسية قائدان: Autophradates الفارسي الجيش البري و Hecatomnus النائب الكاريي أدميرال الأسطول ، ونحن لا نعلم أي شيء عن هذه الحملة الأولى، وطبقاً لـ Isocrates لم تكن النتائج متساوية مع الخسائر المالية الضخمة التي كان يوافق عليها أو يقبلها الملك؛ لأنه أثناء الحرب جعل Evagoras سيليشيا Cilicia تثور على الملك العظيم، ما قيمة الكلمات لمجادل أثيني عنيف؟ ربما لأنها تنقل بشكل بسيط أن إحدى النتائج كانت أسر Tyre بواسطة ملك سلاميس، ودعونا نرى رأي المؤلفين القدامى وخاصة ديودورس Diodorus ، الذي يشير إلى أنه بين السنوات 387-390،

386 قد استغل الملك العظيم والقادة العـاملون معـه الوقـت بشـكل رئـيس لاسـتكمال استعداداتهم، فقد تم جمع أسطول بحري قوي في آسيا الصغرى، في Phocaea-Cyme ، وتم حشد الفرق العسـكرية في Cilicia ، حيـث تركـز الجـيش بأكملـه قبـل العبـور إلى قبرص، ويشير التسلسل والأسـلوب المنطقـي لتقـديم ديـودورس Diodorus أنـه أثنـاء هذا الوقت حشد Evagoras تعزيزات بالمساعدة التي وجدها بين جيرانه.

سلام الملك:

حصل Ahtalcidas -الذي قد اصطحب Tiribazus طول الطريق إلى الملك- مـن الملك على «اتفاقية تنص على أن الملك ينبغي أن يكـون حليفـاً لليسـيديمونيين إذا رفـض الأثينيون وحلفاؤهم أن يقبلوا السلام الذي وجهه شخصيًّا إليهم أن يقبلـوه»، إن معظـم المدن اليونانية قد عانـت ويـلات الحـروب المسـتمرة واشـتاقت لإحـلال السـلام؛ ولـذلك عندما أمـر Tiribazus هـؤلاء أن يكونـوا حـاضرين والـذين اشـتاقوا إلى وجـود مسـعى لإحلال السلام الذي كان الملك قد أرسل في التفاوض حولـه، قـد حضروا جميعـاً لمناقشـة أمر إحلال السلام، وعندما اجتمعوا معاً أظهر لهم Tiribazus عهد وضمان الملـك، وقـرأ الوثيقة التالية: «يعتقد الملـك أرتاكسركسـيس Artaxerxes أن المـدن الواقعـة في آسـيا الصغرى ينبغي أن تكون خاضعة له، وتنتمـي إليـه بالإضـافة إلى قـبرص و Clazmenae وأن المدن اليونانية الأخرى -سواء كانت صغيرة أو كبيرة- ينبغي أن تُترك متحررة ما عـدا Lemnos، Imbros، Scyros ، وأن هذه ينبغي أن تنتمي إلى الأثينيين: ولكـن أيًّـا مـن الفريقين لا يقبل هذا السلام، فإني سوف أشـن حربـاً عليـه بالاشـتراك مـع أولئـك الـذين يرغبـون في هـذا التنظـيم بـراً وبحـراً، بالسـفن والمـال»، أقسـم كـل المشـاركين، مـا عـدا Thebans أنهم سوف يصمدون ويثبتون من خلال المعاهدة التـي قـدمها الملـك، وعـلى ذلك فإن الجيوش كانت تسرّح، وكذلك القوات البحرية التابعة للأسطول الملكي.

ومن خلال وجهة نظر يونانية فإن السلام سلام Antalcidas كان يعني نصراً لصالح إسبرطة التي لم تخسر أي وقت في ادعاء أن الجماعات الموجودة في أثينا وطيبة كانت من طراز قديم مُهْمَلة ؛ لأنهم كانوا ضد فقرة ضمان استقلال هذه المدن، ومن وجهة النظر الفارسية، لم يكن النصر أقل اكتمالاً، لقد وضع السلام نهاية لعصر بدأ مع إنشاء جماعة Delian في عام 477-478، حيث عادت المدن في آسيا بأكملها إلى الحضن الأخميني، ووافقت المدن في أوروبا على أنها لن تعود لمحاولة جعلهم يتركونها، والمقاطعات الخاضعة للملك، والتي كانت غالباً مكاناً للسلب والنهب والتهديد منذ عام 477-478 وأنها قد أصبحت آمنة تشعر بالأمان والحماية بعد ذلك، وعلى أية حال، فقد نجح أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في استكمال البرنامج الذي اقترحه Alcibiades على Tissapherres تقريباً منذ أربعين عاماً في أن يشجع اليونانيين على أن يتباروا أملاً في الحصول على ما هو أفضل، ونسب الملك العظيم هذا النصر ليس فقط إلى الضعف الداخلي بين المدن اليونانية أو توزيع العملات Royal-Archer سيكيولي فضة وداركس ذهب ، ولكن نسبه أولاً وقبل كل شيء إلى عزمه وإصراره وثبات سياسته وأفعاله .

حريق عام شامل :

من السهل أن نفهم كيف كانت أشكال العدوان العداء في نهاية عام 390، حيث استطاعت أن تستأنف بشكل أقوى من ذي قبل لبعد عام 387، وطبقاً لما أورده جوستين Justin فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان شغوفاً جدًّا أن يفرض السلام في عام 387؛ لأنه كان منشغلاً بالحرب ضد مصر، فقد خشي أنه إذا أرسل المساعدة والمعونة لليسيديمونيين ضد حكام ولاياته فسوف تظل جيوشه رابضة في اليونان، حتى إذا كان جوستين Justin مهتماً بتوضيح مذهب الكلبيّة عند الملك، فإن الفكر

الذي ينسبه إليه لا ينبغي أن يكون مدهشاً ومذهلاً، لكنه يذكرنا بقرار مقارن قد قام به أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول في عام 460، ويقول ديودورس Diodorus أن السلام الذي فرضه الملك على اليونانيين تركه قادراً على ممارسة فترة حكم حرة، وكان مستعداً بالقوات العسكرية الحربية لخوض الحرب ضد قبرص؛ ولأن Evagoras قد امتلك تقريباً كل الملكية، وحيازة جزيرة قبرص كلها، وحشد قوات عسكرية قوية؛ لأن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان قد انشغل بالحرب ضد اليونانيين، وبالإضافة إلى ذلك، فإن Theopompus يقول إن القتال والحرب على قبرص قد استمر بشكل قوي بعد إحلال السلام عام 386، والنص الذي تمت قراءته على الوفود اليونانية يذكر أيضاً أن قبرص كانت جزءاً من مقاطعة خاضعة للملك.

ولا يجمع المؤلفون القدامى على التأكيد على أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد وجد نفسه يواجه ثورات تمرد وعصيان متعددة، والتي يشخصونها على أنها ليست أحداثاً تلقائية، ولكنها متشابكة ومتسقة، ويقول ديودورس Diodorus إن Evagoras كانت لديه شبكة واسعة جدًّا من الحلفاء؛ لأن ملك مصر Hakoris ، أرسل قوات كبيرة العدد، وكذلك Hecatomnus ، وإلى كاريا، وقد قدم سرًّا كميات كبيرة من المال لإيجار المرتزقة، وقد استولى Evagoras على Tyre وعدد من المدن الأخرى التي عملت على تأسيس السفن، وكما يخبرنا ديودورس Diodorus أن Levant الكاملة كانت تنسحب لأن Evagoras كان قد تلقى معونة ومساعدة من «جهات أخرى كانوا على خلاف مع الفرس سواء كان سراً أو في العلانية، وليس العدد الذي أُرسل من الجنود بواسطة ملك العرب وبعض الآخرين الذين كان يشك فيهم ملك الفرس بقليل، وتوجد رواية أخرى مشابهة في Theopompus ، إذ يخبر كيف تحالف الفرعون Hakoris المصري مع البسيديين، وفي الـ Panegyric يقدم Isocrates نقداً أو عرضاً كارثيًّا

لوضع بلاد الفرس في الـ Levant: هـل مصر وقـبرص ليسـتا في ثـورة ضـده؟ ألم يـتم تـدمير فينيقيا وسوريا بسبب الحرب؟ ألم يتم الاستيلاء عـلى Tyre والتـي كـان يضـع فيهـا مخـازن عظيمة من قبل أعدائه وخصومه؟ «من بين المدن في Cilicia تم الإمساك بعـدد أكـبر عـلى يد أولئك الذين كانوا يساندوننا، أما الباقي فقد كان من الصعب الإمساك بهـم، وأمـا ليسـيا فلم يستطع أي فارسي أن يقهرها أو يخضعها له»، وفي الحقيقة كان Hecatomnus - نائب ملك كاريا- مستاءً وساخطاً، بل وغير موالٍ لمدة طويلة، وأنه سوف يعلن بصراحة عن نفسه عندما نتمنى ذلك، ومـن Cnidos إلى Sinope تـم تسـوية اسـتقرار سـاحل آسـيا عـلى يـد Hellenes ، وهذه التي نحتاجها ليست لإقناع الـدخول في حـرب كـل مـا نحـن مضـطرين لعمله هو ألا نقيّدهم ونكبّلهم.

ولا يحتاج تقديم Isocrates غـير دقيـق -إلى حـد مـا- تاريخيًّـا أن يؤخـذ بشـكل كامل من الناحية الأدبية، لقد كان غرضه هو إقناع اليونانيين بأن يشنوا هجومـاً في آسـيا الصغرى، ووصولاً إلى هذه النهاية كانت تجري محاولات عدة ليثبت الضعف العسـكري الشديد لدى الفرس، والذي قد تم إيضاحه، خاصة من خلال الهزائم التي لحقت بهم في مصر، بالإضـافة إلى عمليـات الاسـتغلال للمرتزقـة التـابعين لقـورش Cyrus والفـرق العسكرية بقيادة Agesilaus .

إن معاصرة القلق وعدم الاستقرار في هذه الفترة موضحٌ جدًّا في السيرة الذاتيـة لـ Datames الذي قد تـم تقديمـه إلينـا بواسـطة Cornelius Nepos ، فلقـد حَكَـم Datames ، ابـن Camisares ، هــذا الجـزء مــن Cilicia الــذي يجــاور يحــاذي كابادوكيا، ومأهولاً بالسكان من الـ Leucosyri أو «السوريين البيض»، لقد كان عضواً في حرس القصر الملكي، وقد استعرض شجاعته وبسـالته كجنـدي لأول مـرة في الحـرب التي شنها الملك ضد الـ Cadusil ، والتـي مـات خلالهـا والـده، وقـد تـم ذكـر حـرب

الـ Cadusian بواسطة ديودورس Diodorus ، في سياق حرب قبرص؛ ولذلك فإنها قد حدثت حوالي عام 384-385، ويبدو أن بلوتارخ Plutarch يشير إلى حرب Cadusian ثانية، وقد وضعها في وقت البعثة العسكرية المصرية الثانية في عام 374، ويذهب Nepas مستطرداً في القول إلى إن البطل الذي ينادي به قد أثبت لمرة أخرى شجاعته وبسالته، عندما كان Autophradates يشن حرباً -حسب أمر الملك- على الشعوب التي قامت بثورات، ولم يذكر Nepos شيئاً عن هوية هذه الشعوب، ومن ناحية أخرى فإننا نعرف أن Datames قد قاد حملة عسكرية أخرى بعد 387، هذه المرة ضد Thuys ، نائب الملك في بافلاجونيا الذي لم يذعن لأمر الملك» بينما لم تكن هناك حالات استقرار، لم يكن هناك مما يتم اقتراحه شيئاً قد يشكل واجهة شائعة كبيرة، يتم تكوينها وصياغتها لتحريض وحث Hakoris أو Evagoras على عملٍ ما، ولا بد أن نشدد على أن المؤلفين الإغريق كانوا مهتمين بهذا النوع من البيان الفهرس المصور ، حيث تم إيضاحه جيداً بشكل خاص من جانب النقد المنظم الذي وضعه ديودورس Diodorus عن أشكال التمرد والعصيان التي أثيرت ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes بعد عشرين عاماً بعد ذلك، ويشير الدليل إلى أن حملات أرتاكسركسيس Artaxerxes في Zagros كانت مسألة وشأناً داخليًّا قد تمّ إدخاله في الـ Longue duree الخاص بالشؤون الكادوسينية، وبينما لا يمكن إنكار التحالف بين Hakoris واليونانيين و Evagoras يتضح وبشكل يثير درجة من الغرابة أن الفرعون سوف يكون مهتماً بالاشتراك في تمثيل المسرحية مع البسيدنيين -كما يذكر Theopompus - أن هذا التضليل يشير أكثر إلى أنه عند هذه النقطة كان البسيدنيون يعارضون ويقاومون القوات الملكية، ويتضح ذلك من خلال التاريخ الأخميني، وبشكل مماثل، لم يكن موضوع Thuys مهملاً، وكان النواب البافلاجونيون غالباً ما يعارضون ويقاومون السلطة الفارسية، كما

هو موضح من خلال Agesilaus و Spithridates ، وهناك معلومات أخرى قد قدمها مؤلفون قدامى يجب تناولها بشيء من الفحص والتدقيق، وعلى سبيل المثال، ليس هناك ما نلاحظه في أن Cilicia كانت في خطر بشكل كبير، بعيداً عن الغارة غير الموفقة التي قام بها Thrasybulus في منطقة Aspendus في بامفيليا، ومن الواضح أن ذلك بدأ منذ هذا التاريخ، وقد تم الانتفاع بـ Cilicia على يد الفرس كقاعدة عسكرية، وقد أشير إلى ذلك بواسطة بعض العملات بـ Tiribazus في عدد من المدن السيلينية Issuss Tarsus، Mallus-Soli ، وأكثر من هذا أن معاهدة السلام التي أبرمت في عام 386 قد منعت اليونانيين من التدخل في شؤون البلاد، ويجب استحضار الذاكرة بشأن أن Cilicia نفسها قد اشتملت على مناطق فرعية متميزة، وكذلك فإن Datames كان قد أمره أرتاكسركسيس Artaxerxes أن يهزم ويقهر Aspis ، حاكم Cataonia الذي كان بعيداً عن الاعتراف بولائه وإخلاصه لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، وقد اجتاح المناطق المجاورة لبلاد الفرس، وقد حمل ما قد أمكنه جلبه معه إلى الملك «وهذا يشير أيضاً إلى مشكلة داخلية صغيرة حاول بها البعض أن يفسر هدفاً خاطئاً قد أعلنه قورش Cyrus إلى بعثته العسكرية في عام 401 لكي يخدع المرتزقة العاملين لديه، لقد كانوا يقودون الجيش إلى سيليسيا ضد الأمراء البيزنطيين الذين كانوا في حالة تمرد وعصيان ضد الملك»، وإضافة إلى ذلك، فمن الجدير بالذكر أن Datames قد استقر في سيليسسا في طريقه من سوريا قبيل المسير ضد Aspis ، وأخيراً فقد ظل موضوع الحاكم الكاريني Hecatomnus أيضاً غير مؤكد، وأثناء الاعتداء الأول في عام 393-392 عهد إليه بأمانة العمليات العسكرية بالتعاون مع Autophradutes -حسب ما ذكره Theopompus - ويضعه ديودورس Diodorus بين حلفاء Evagoras الخفيين في عام 387، الشخص الذي أرسل إليه Evagoras كميات كبيرة جدًّا من المال لاستئجار المرتزقة،

ويعتقد Isocrates -في الـ Panegyric - أنه قد كان ساخطاً غير موالٍ لمدة طويلة، ولكن ثمة دليل رسمي لتمرده وعصيانه غير متوفر بشكل مستقل .

ومع كون المهمة صعبة ما زال من الضروري التمييز بين المشكلات والاضطرابات المحلية عن تكتلات الحلفاء Hakoris\Evagoras و Evagoras-Tyre ، وتلك التكتلات للحلفاء ينبغي أن تشمل الشخص الذي يطلق عليه ديودورس Diodorus ، «ملك العرب»، والذي كان يُذْكر في سياقات مماثلة سابقة في عام 410-411، وربما قد يكون رئيس قبيلة قد انضمت أو جاورت مقاطعات الطريق بين غزة ومصر، ولكن ليس هناك ما يسمح لنا بأن نذكر بكل تأكيد أن الاضطراب وحالة القلق والانزعاج كانت من خلال كل من سوريا - فلسطين، أو كل المناطق الواقعة في فينيقيا، إن قيادة بعثة عسكرية إلى مصر حوالي عام 384-385 يفترض -على العكس من ذلك- أن الفرس كانوا قادرين على مصادرة السفن في فينيقيا، وأنهم قد سيطروا على القواعد السوقية التقليدية صيدون، عقر، غزة ، ومن الصحيح أن موقف أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني في ذلك الوقت كان صعباً ومحفوفاً بالمخاطر؛ لأنه كان يحتاج بشكل تلقائي إلى أن يقوم بتنفيذ بعثات وحملات عسكرية داخلية، وأيضاً جمع قوات عسكرية تمكنه من التغلب على Evagoras و Hakoris .

الهجوم على Evagoras :

بعد استعدادات طويلة تم استيداع قوات بحرية وبرية إلى أورونتس وتريبازس، اللذين قد أُمرا بالخضوع لـ Evagoras ، ويشير اتساع الاستعدادات التي تم تنفيذها في كلا المعسكرين ديودورس 20× v Diodorus إلى المواجهة التي توقع أن تكون حاسمة، ومن جهة قبرص فإن الأسطول الفارسي قد أحرز نصراً في Kition ، ووضع الجيش حصاراً حول سلاميس، وعند هذه النقطة سعى Evagoras إلى Hakoris في مصر، وحثه

على أن يستمر في الحرب بكل همة ونشاط، وأن يعتبر الحرب ضد الفرس تعهداً عاماً، ولم يحضر شيئاً من اتصاله إلا بعض الكلمات القليلة، وكمية ضئيلة من المال، وفرحاً بنصره على الفرس أو ربما في منتصف الحرب معهم اعتبر الفرعون وبشكل واضح أن الواجهة القبرصية موضوع ثانوي.

وبعد مفاوضات طويلة تم إحلال السلام من جانب الملك العظيم تحت الشروط التالية: «ينبغي أن يكون Evagoras ملكاً لسلاميس يدفع الجزية السنوية، ويخضع ويطيع كمنفذ للأوامر التي يتلقاها من الملك العظيم»، ويقدم ديودورس Diodorus أحد إنجازات Evagoras بأنه قد تم تعريفه وتنصيبه كملك على سلاميس، وفي الحقيقة، فعلى المستوى السياسي والاستراتيجي، أسفل الخط الفاصل اضطر Evagoras إلى أن يتقهقر؛ لأن بنود انسحابه واستسلامه قد منعته من أن يقوم بتنفيذ أي هجوم مستقبلي على الملوك القبارصة الآخرين، والذين أصبحوا بعد ذلك الحلفاء المفضلين لدى الملك العظيم على الجزيرة، فلقد اضطر Evagoras إلى أن يخضع إلى السلطات الأخمينية في كل الأمور، وأن يقدم الجزية، ويوفر تدريب الفرق العسكرية البحرية الممتازة، وباختصار فإن الأمور في قبرص قد عادت إلى ما كانت عليه قبلاً منذ عشرين عاماً قبل أن يبدأ Evagoras في التوسع في سلطانه على حساب الممالك الأخرى على الجزيرة، واشتراكاً مع نتيجة السلام الذي تم إحلاله في عام 386، كان النصر القبرصي قاسياً على السلطة الأخمينية بسبب الأهمية الاستراتيجية لجزيرة قبرص بالنسبة للوضع الفارسي في الجزء الشرقي من ساحل بحر إيجة، وبلا شك فقد سمح أيضاً لهم بأن يعيدوا الاستيلاء على المدن الفينيقية التي انضمت لـ Evagoras خاصة Tyre .

الهزائم المصرية:

في الوقت نفسه الذي كان يعاني فيه الملك العظيم من الهزيمة في هدفه الرئيس إعادة غزو مصر يقدم Isocrates في Panegyric عملية غزو ضد مصر عام 380: «لننظر إلى حالة مصر، منذ ثورتها على الملك، ما التقدم الذي صنعه لسكانها؟ ألم يرسل إلى هذه الحرب الفرس الأكثر شهرة: Abrocomas و Tithraustes ، وفارنابيزوس Pharnabyzus ؟ ألم ينسحبوا في خزي بعد أن ظلوا هناك ثلاث سنوات يعانون مصائب أكثر مما قد أصابوا بها أحداً؟ حتى إن المتمردين لم يعودوا قانعين وراضين بحريتهم، ولكنهم كانوا يحاولون أن يتوسعوا في سلطانهم على حساب الشعوب المجاورة أيضاً.

إن تاريخ هذه الحملة العسكرية غير المثمرة غير مؤكد، ويتضح مع ذلك، أنه قد تم تنفيذها في الوقت نفسه الذي كانت فيه الفرق العسكرية الفارسية في سعيها وحربها ضد قبرص، وتظل الحقيقة أن هذه الحملة كانت نكسة كبيرة، إن مصر المستقلة سوف تكون تهديداً دائماً للسلطان الفارسي على أراضي Ebirnari ، وسوف تكون أيضاً حليفاً طبيعيًّا لأي شخص كان يريد أن يسود على الفرس، ويشمل ذلك النواب الخاضعين للملك العظيم، وقد كان ذلك عندما اختار Glus ، صهر Tiribazus أن يتمرد ضد الملك في نهاية عام 380؛ لأنه كان يخشى أن يُجتاح في الاتهامات والاعتداءات ضد حميه، وحيث إنه قائد وزعيم وحاكم للأسطول القبرصي فقد لعب دوراً حاسماً في معركة Kition ضد Evagoras ، وقد مُنح وفرة من المال والجنود وبذلك دخل في تحالف مع Hakoris والإسبرطيين، ولكنه وقع في يدي أحد السفاحين، ولكي نكون متأكدين فقضيته خاصة؛ لأنه كان ابن الكاريي -ممفايت تاموس- أدميرال سايري القديم السابق الذي سعى لطلب اللجوء مع Psammetichus في عام 400 ، ومن الجدير بالملاحظة أيضاً -طبقاً لما ذكره- أن خطط Glus قد أخذت للمناقشة

بواسطة Tachos ، والذي يشير اسمه إلى أن لديه خلفية مصرية، لقد أسس مدينة على البر على حدود Cyme و Clazomemae ؛ ولذلك فهي تظهر أن Glus و Tachos قد حاولا أن يؤسسا -بمعونة الفراعنة- نوعاً من سلالة حاكمة في آسيا الصغرى لا تقع قريباً من Cymae ، القاعدة البحرية المهمة لبلاد الفرس في آسيا الصغرى.

لقد كان الخطر أكثر حجماً في أن Hakoris قد استمر في استعداداته، مستجمعاً عدداً كبيراً من المرتزقة اليونانيين، وقام بتعبئة وتجنيد الطباريوس الأثيني The Athenianchabrias الذي كان مشغولاً بشكل خاص؛ لأنه في مثل هذا الوقت كانت أثينا بعيدة عن القلق والاضرابات لأن تدخل في عداوات وخصام مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وطبقاً لما يذكره ديودورس Diodorus ، فإن الفرعون قد حشد الفرق العسكرية للقيام بحملة المداهمة، وبالرغم من تسريح عدد كبير من الجنود فإنه قد عمل استعدادات كبيرة لملاقاة وخوض الحرب مع الفرس، هل تشير العبارة إلى أن Hakoris قد قرر أن يستمر في هجومه؟ لا يمكننا أن نقول ذلك بكل تأكيد، إن ما هو مؤكد هو أن أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يتخلَ عن خطته لغزو وادي النيل خاصة في ضوء حقيقة أن مصر لم تعد تعتمد على حلفاء خارجيين، ولقد أقام فارنابيزوس Pharnabyzus - الذي كان قد صَدر إليه أمر بالتقدم نحو مصر- قاعدته الحربية في عقر في فلسطين، وقد حشد أسطولاً كبيراً، حيث إنه قد قيل إنه ليس هناك حملات عسكرية ضد مصر سوف يكتب لها النجاح ما لم يكن هناك دعم من الأسطول البحري، وذلك لتجهيز القوات البحرية، وكذلك إبطال تأثير الدفاعات الموجودة في الدلتا، ولا بد أن هناك سفن قد تم بناؤها في فينيقيا، بالإضافة إلى قبرص وسيليسيا، حيث تم التصديق على ابتكار فارنابيزوس Pharnabyzus واعتماده لتسلسل الفرق العسكرية الحربية المشاركة، وأثناء عمليات

إعداد الجيوش والقوات البحرية أرسل فارنابيزوس Pharnabyzus وفداً إلى أثينا طالباً أن يتم استدعاء Chabrias من مصر، وأن يرسل Iphicarates إلى عقر، وقد تم تنفيذ مطالبه، وهذه هي أسباب تدخل أرتاكسركسيس Artaxerxes بشكل مباشر في عام 375 لوقف العداوات والخصام الذي كان يشق ويمزق المدن الإغريقية بعيداً، قاصداً أن يشن حرباً على المصريين، وأن يصبح مشغولاً بدرجة كبيرة بتنظيم جيش كبير من المرتزقة.

وفي عام 373 كانت القوة الكاملة للتدخل والاعتراض الفارسي في وضع الاستعداد في مصر، وبعد فترة ارتباك وشجار واضطرابات بعد موت Hakoris ، تم تنصيب Nectanebo كفرعون على مصر، وتأسيس ما يسمى تاريخيًّا بالسلالة الحاكمة الأسرة الحاكمة XXX ، وقد انتهج استراتيجية Hakoris نحو التهديد الفارسي، فلقد قام المصريون بتحصين الدلتا، متوقعين هجوم فارنابيزوس Pharnabyzus ، وقد تم تشجيع Nectanebsآ بشكل رئيس من خلال قوة الدولة، وأن مصر من الصعب للغاية الاقتراب منها، ولسبب آخر فمن خلال حقيقة أن كل نقاط الغزو من البر أو البحر قد تم سدها بشكل سليم ومدروس، فقد شيد القادة المصريون حصوناً عند كل فم من فموم نهر النيل بالقرب من Pelusiac -النقطة الرئيسة في الدخول- أسواراً قطعت القنوات البحرية، وطرقاً برية قد انغمرت بالمياه لمنع استخدامها؛ ولذلك لم يكن من السهل سواء بالنسبة للسفن أن تبحر فيها أو فرقة الفرسان بخيولها أن يقتربوا منها، أو على فرقة المشاة أن تقترب إليها، وبناء على ذلك فقد قرر فارنابيزوس Pharnabyzus الهجوم من خلال جهة الـ Mendesian ، حيث قامت الفرق العسكرية التابعة له بهدم الحصون، وبعد ذلك بقليل استعاد المصريون، وأحكموا قبضتهم وإقامتهم على المواقع، وقد أجبر الفيضان السنوي فارنابيزوس Pharnabyzus على الجلاء عن مصر وفك الحصار.

وطبقاً لما أورده ديودورس Diodorus ، فإن أحد الأسباب الخاصة بالهزيمة تكمن في طول فترة الاستعدادات الفارسية -سنوات عديدة- لأن فارنابيزوس Pharnabyzus قد سار ببطء، وأعطى قدراً كبيراً من الوقت للعدو لكي يستعد جيداً، ويوضح موقف القائد الفارسي كما يلي: «حقاً إن العادة المتكررة للقادة الفرس، ألا يكونوا مستقلين في النظام العام واتخاذ قرارات الحرب، وأن يرجعوا كل الأمور والشؤون إلى الملك للنظر فيها، واستصدار الأوامر التي عليهم تنفيذها بعد ذلك في انتظار كل التفاصيل حيال هذه الأمور، وهذه ملحوظة قد سجلها كثير من المؤلفين اليونانيين، وبالتأكيد تعكس جزءاً من الحقيقة -لأجل سبب ما- اجتماع لجيش كبير الحجم، تشييد أسطول بحري، وكذلك تدريب الجنود أمر قد استغرق وقتاً طويلاً، ولأسباب أخرى اضطر القادة الفرس بشكل تقليدي أن يلجأوا إلى البلاط الملكي لتغطية النفقات التي تخطت الميزانية التي تم تخصيصها لذلك! ولكن هذا التفسير يعتبر أيضاً عنيفاً وقويًّا في طبيعته، إذ هو يلائم بشكل مريح في تقديم يوناني مهمين للعجز عدم الكفاءة العسكري الفارسي، ومن المشكوك فيه أن فارنابيزوس Pharnabyzus كان عديم الجدوى غير مستخدم بشكل مفيد وملائم خلال هذه الفترة، فإذا انتشرت الثورة المصرية نحو فلسطين كان من المحتمل أن القائد الفارسي قد استغل وجوده في هذه المنطقة لكي يسترد النظام والسيطرة الأخمينية؛ وذلك لتأمين مؤخرة الجيش، وعلى أية حال، فإن بناء الحصون في مصر يرجع تاريخه إلى فترة أقدم عصراً، ونحن نعلم أن Chabrias الذي غادر مصر في النهاية في عام 379 قد باشر ووجّه بناء القواعد الأرضية بالقرب من Pelusia وبحيرة Mareotis ، وفي الحقيقة كان الفراعنة المصريون يستعدون منذ عدة سنوات بالفعل، وهذا يفسر بلا شك فشل فارنابيزوس Pharnabyzus المذكور آنفاً، وبسبب المستوى المنخفض لقواتهم، احتاج المصريون أولاً وقبل كل شيء إلى

أن يمنعوا الجيش الفارسي والأسطول الفارسي من دخول الدلتا، وهذه هي بالضبط الاستراتيجية التي انتهجوها نحو أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث عام 343 مستفيدين من المدة الزمنية الطويلة التي استغرقتها الاستعدادات الفارسية.

ويقدم ديودورس Diodorus ما يصفه بعدم كفاءة في القيادة العليا الفارسية: «فبالنسبة له فإن Iphicrates ، قائد ورئيس المرتزقة اليونانيين في الجيش قد عرض استراتيجية مختلفة، بعد أن كُتب لهم أن يستولوا على الحصن في فم الـ Mendesian ، فقد اقترح الصعود من خلال نهر النيل إلى ممفيس، والتي كانت عند هذه النقطة غير محصّنة بالدفاع مستغلاً ومنتفعاً بموقف محاصرة المدينة بقواته الحربية وإحكام السيطرة عليها، وكان رفض فارنابيزوس Pharnabyzus سبباً في فشل الحملة العسكرية، ولكن من الخطر أن نمنح موثوقية كبيرة جدًّا لقصة قد تم تخصيصها لتعظيم مدائح الاستراتيجيات اليونانية، ونحن نستخلص من خلال الانطباع الأول أن ديودورس Diodorus -تحت تأثير ونفوذ قواته ومصادره- يريد أن يعبّر عن فكرة قد وُجدت في مؤلفي القرن الرابع وهي أن الفرس كانوا غير قادرين على الفوز بمعركة دون نصيحة ومشورة القادة اليونانيين، ويكرر الإيضاح نفسه ليعلل الأسباب وراء هزيمة Necatanebo الثاني على يد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في عام 343، ويوجِد أيضاً موضوعاً للتنافس بين القادة اليونايين والقادة الفرس.

وعلى عكس ما كان يريدنا ديودورس Diodorus أن نصدقه، فإن Iphicrates لم يكن بالتأكيد مكافئاً لفارنابيزوس Pharnabyzus ، فلقد أخذ Iphicrates أمانة تدريب المجندين تحت سلطة وقيادة فارنابازس والقادة الفرس الآخرين، وكان يشرف على الاستعدادات الخاصة بالفرق والقوات العسكرية اليونانية ومناوراتهم، وقد تبعه في ذلك قادة المرتزقة الآخرين، وباختصار فإن تركيب جيش فارنابيزوس Pharnabyzus كان متشابهاً مع تنظيم جيش قورش Cyrus الأصغر في عام 401 ما عدا أن Iphicrates لم يكن يستمتع بالوضع القيادي تحت قيادة فارنابيزوس

Pharnabyzus كما كان يفعل قورش Cyrus مع Clearchus ، ويبدو من نص ديودورس Diodorus وبشكل بسيط أن Iphicrates قد سُئل عن رأيه أثناء مجلس الحرب الذي انعقد بعد الاستيلاء على الحصن الميندسياني، وكان رأيه يختلف عن وجهات النظر الخاصة بفارنابيزوس Pharnabyzus وضباطه الفرس، وتستمر نسخة ديودورس Diodorus موضحة موقف فارنابيزوس Pharnabyzus والقادة الفرس الآخرين على أنه غيرة، فقد كانوا يخافون أن يستأثر Iphicrates بمصر لنفسه، ونادراً ما ينجح هذا التقديم الذي عرضه لنا ديودورس Diodorus في أن يوفر اقتناعاً، وربما كان فارنابيزوس Pharnabyzus يمتلك أسباباً استراتيجية ممتازة لتنفيذ خطته، من بينها الحاجة إلى تبرير اقتراحه نفسه بعد ذلك للملك، وهذا يوضح التفكير الذي قد تم نسبه إليه، لقد استجاب وردّ على Iphicrates في «أنه يستطيع أن يتحكم في كلماته، ولكن الملك وحده هو من يحكم أفعاله» فهو يفضل ألا يخاطر بفقدان كل شيء في غارة قد تقتلعه من كل القواعد الحربية التي أرساها، وذلك -في رأيه- أنه من الضروري الرجوع إلى الملك؛ ليتوج بشكل كامل فرحة الانتصار، وبعيداً عن الخصومة الشخصية التي تم تصويرها بشكل درامي جدًّا بواسطة ديودورس Diodorus ، فإن أبسط تفسير افتراضي أن القيادة الفارسية قد بخست واستخفت بقدرة المقاومة الطويلة بواسطة الدفاعات المصرية في الدلتا، بالإضافة إلى الصعوبات السوقية المرتبطة بانتشار هذه القوات الممتدة في قطعة من الأرض، حيث أولاً العدو، وثانياً قوة الطبيعة الفيضان سوف تؤدي إلى عدم استخدام وسائل الاقتراب والهجوم عن طريق نهر النيل.

ويبدو من الغريب أن جيش فارنابيزوس Pharnabyzus سوف يترك مصر سريعاً، على عكس ما صنعه الفرس حوالي عام 460 عندما كانت الحاجة ملحة إلى إخماد التمرد بعد سنوات عديدة من الحروب والمشاحنات، ومن الواضح أن هذا لم يكن قراراً وليد لحظة الذعر مصحوباً بالهروب الجماعي، ورغم ما قاله ديودورس Diodorus ليجعلنا نعتقد أنه لم يحتج أي فرد للخوف من أن فارنابيزوس Pharnabyzus كان جاهلاً بتوقيت فيضان نهر النيل، ويمكننا أن نتخيل أن السلطة المركزية كانت تخشى من أن جيشها سوف يغوص في مستنقع في حرب طويلة الأمد على بعد خطوات من مصر، ولم يكن كذلك انسحاباً خالصاً نقيًّا وبسيطاً، وعلى العكس من ذلك، فإن الجيش الفارسي قد تقهقر إلى قواعده الفلسطينية، حيث كانوا يستعدون لهجوم جديد، ولكن ذلك لم يحدث حتى السنة الأخيرة من حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، وقد سمعنا عن عودات أسطولية إلى محاولات جديدة في سياق استراتيجي مختلف تماماً، وفي أثناء ذلك كان الفرس يقيمون خياماً ومعسكراً وجهاً لوجه مع المصريين، على حافة الحرب، ولا يمكننا أن نستبعد إمكانية المواجهات التي أريد كتمانها وطمسها بواسطة المصادر الكلاسيكية، ومهما كانت القضية تظل حقيقة أن الجيوش الأخمينية أثبتت أنها غير قادرة على استعادة استقرار وتثبيت أقدامها في وادي النيل، ولقد كان ذلك فشلاً ذريعاً لأرتاكسركسيس Artaxerxes الذي تعلق بالمشروع منذ انتصاره على أخيه قورش Cyrus .

أرتاكسركسيس Artaxerxes واليونانيين:

لقد تم تحقيق نتيجة رئيسة وهي النصر على قورش Cyrus ، حيث ترك النشاط العسكري للجيوش الفارسية في سوريا - فلسطين، والتشويش وحالات الفوضى للمدن الإغريقية في أوروبا، والفراعنة يواجهون القوة الفارسية وحدهم، ولم تسعَ إسبرطة ولا أثينا رغم تواجد Chabrias

مساندا Hakoris إلى تنفيذ عمليات عسكرية في المقاطعات الملكية بعد عام 386، وبعد الحملة المصرية غير المحظوظة أرسل فارنابيزوس Pharnabyzus رسالة إلى الأثينيين شارعاً في تعليل مسؤولية Iphicrates ، وحثهم على محاكمته، ورفض الأثينيون طلب المرزبان الحاكم ، ولكن أرسلوا رداً محترماً ولطيفاً، وحيث إنهم مشغولون بتسوية مشكلة سيطرة دولة على دول أخرى، إسبرطة، أثينا، وطيبة تمسكت بشكل يبعث على الشك ببنود السلام التي وضعها الملك حتى بعد أن شكلت في عام 387-377 التحالف البحري الجديد الذي بدأ ينشأ في عام 380، وأعيد التأكيد على السلام الذي تم إقراره في عام 386 مرتين من جهة مبادرة يقوم بها أرتاكسركسيس Artaxerxes أولاً في عام 375 وثانياً في عام 371، وفي السنة الأولى تم عقد مجلس في إسبرطة بناء على إصرار مبعوثي الملك العظيم، وقد انتهز أحد السفراء الأثينيين الفرصة ليشير إلى فقرة الحكم الذاتي في معاهدة السلام لعام 386 بشكل فردي لشجب سلوك الليسيديمونيين، إن المعاهدة العامة للسلام لعام 386 قد شملت كل المدن اليونانية ما عادا طيبة Thebes ، والتي قد وجهت ضربة عسكرية بعد عدة أسابيع قليلة، وألحقت هزيمة لا تنسى بإسبرطة في Leuctra ، وأصبح أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني حاكماً لليونانيين.

7- أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، أمراؤه مرزباناته ، وشعوبه عام 358، 366-359 :

ديودورس Diodorus و«الثورة الكبرى» للأمراء المرزبانات الإمبراطورية في أشكال ملتهبة من الصراع:

يعتبر السلام العام في اليونان هو السياق الذي يقدم فيه ديودورس Diodorus ما يسمى -بشكل تاريخي- بـ «الثورة الكبرى للمرزبانات»، وهو يؤرخ بدايات الانتفاضات حتى عام 361، وبينما كان يضعها،

كانت الإمبراطورية على حافة انفجار داخلي وكارثة، ففي أثناء حكمهم قام سكان الساحل الآسيوي بثورة على بلاد الفرس، وقام بعض المرزبانات والقادة في الجيش والأسطول بعصيان مسلح، صانعين حرباً على أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وفي الوقت نفسه قرر Tachos الملك المصري أن يحارب الفرس، وقد أعدّ السفن وحشد قوات المشاة من أجل ذلك، وبعد جلب العديد من المرتزقة من المدن اليونانية، أقنع الليسيديمونيين أن يحاربوا معه؛ لأن الإسبرطيين قد ابتعدوا عن أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وأيضاً لأن الميسيين قد انضموا إلى الملك على البنود نفسها مثل اليونانيين في معاهدة السلام العام، وعندما وصلت الانتفاضة الثورة العامة ضد الفرس إلى نسب كبيرة، بدأ الملك أيضاً في صنع وعمل الاستعدادات للحرب، حيث إنه في الوقت نفسه يحتاج إلى محاربة ومقاتلة الملك المصري، المدن اليونانية في آسيا، الليسيديمونيين وحلفاء كل منهم من المرزبانات والقادة الذين حكموا المناطق الساحلية، وقد وافقوا على صنع أسباب للحرب معهم، وقد كان من بين أكثر المرزبانات تميزاً Ariobarzenes -مرزبان فريجيا- والذي عند وفاة Mithridates امتلك واستولى على مملكته، وكذلك Maulous -أمير كاريا- الذي كان مسيطراً على العديد من القلاع والمدن المهمة، والتي من بينها كانت Halicarnassus المدينة الأم والمأوى، والتي كان فيها معبد الأكروبول الشهير قلعة أثينا ، والقصر الملكي لكاريا، بالإضافة إلى المرزبانين اللذين قد ذُكرا هناك أورونتس -مرزبان مايسا- و Autophradates -مرزبان ليديا- وبعيداً عن الأيونيين كان الليسنيون، والليسيدينيون، والبامفيلينيون، والسيليسينيون، والسوريون، والفينيقيون، وكل الشعوب الساحلية مع امتداد الثورة بشكل كبير، وقد تم قطع نصف مصادر الدخل الحكومي الريع-الضرائب ، وما بقي كان غير كافٍ لنفقات الحرب .

ومن الواضح أننا نري هنا أننا في موقف متشابه قد وضعنا فيه Isocrates بالإشارة إلى عام 380، ويواجه المؤرخ بالمشكلة نفسها كما حدث مع السياق السابق، ويثير عرض ديودورس Diodorus كثيراً من التحفظات، فالعبارة الأخيرة من بيان الأعداء والخصوم -بشكل خاص- توضح التحريفات والتشويهات التي جلبتها وجهة نظر Hellenocentric ، وتذكرنا بعلامة وملحوظة Pdyclitus ، والتي ذكرها سترابو Strabo ، ولكن لا يعتقد أحد أن الثورة قد أرهقت خزائن الملك المالية، ومنعته من شن الحرب على المتمردين .

وبعيداً عن التصوير الجصّي المبالغ فيه الذي لديودورس Diodorus ، فليس متوفر لدينا وثائق مستمرة أو كاملة من أي نوع ما عدا تلخيص لعمل Trogus Pompieus ، ويغطي التلخيص الحملة العسكرية لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني ضد الكوروسيين، ويشرح كيف أن الملك العظيم قد اتبع أصحاب المقام الرفيع الذين تخلوا عن أحزابهم في آسيا، وأول الكل هو Datames -مرزبان بافلاجونيا- ثم مرزبان هيلسبونت و Ariobarzenes ، ثم في سوريا: حاكم أرمينيا -أورونتس- كما هاجم وشن غزواً عليهم ومات، تاركاً العرش لابنه Ochus ، ولم توجد هذه المعلومات في جوستين Justin ، والذي -لسوء الحظ- قد قصر معلوماته على الشؤون اليونانية، المكدونية، اليونانية-المكدونية، ولم يعتبر أنه من الضروري أن يوضح ما عداها، فلم ينتهج أسلوب حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني نفسه، ما عدا أنه قام بتغطية الخلافة الملكية قبل الوصول بشكل سريع والاقتراب من دارا Darius الثالث، ولم تقلل طريقة جوستين Justin من قيمة تلخيص Trogus Pompeius ، ولكن من سوء الحظ تشكيل أساس للتركيب التاريخي لفقرات إنشائية تتناول أحداثاً تاريخية.

ويضع Trogus Pompeius القائد Datames بين المتمردين، ولكن

ديودورس Diodorus يحذف دوره بشكل كامل كمتمرد معروف، ويـذكر ديـودورس Diodorus Datames ، ولكنه يعيّن له دوراً شخصيًّا فقط في التمرد أو صد الهجوم المضاد على يد أرتابازوس Artabazus ، ونتعرف على المزيد عن هذا الشخص من السيرة الذاتية لـ Nepos ، والتي تؤرخ خطأً ثورته في عودة الحملة ضد Aspisof Catanoia ، وقد تم تناول حياة وأعمال Datames بواسطة Polyaenus لتوضيح الخداع العسكري والتدابير والاستراتيجيات الأميرية كما مارسها المرزبانات والقادة، ونحن في الـ Polyaenus نجد العديد من القصص القصيرة التي تقدم أورونتس، Ariobarzenes، Autophradates ، وكل منها قصة نادرة بها علة رئيسة، ولا تقع إحداها في السياق التاريخي بدقة، وتنتمي السيرة الذاتية لـ Nepos إلى نوع من الـ Sega وهي مختصة بغناء المدائح للبطل الذي يبرز من خلال إنكار جميل الملك أو أشكال الخيانة من المقربين.

وتزين المراجع الخاصة بالمرزبانات والدول في الثورة العديد من الخُطب التي تم إلقاؤها على يد الساسة والخطباء الأثينيين، والتي تضم ميزة أنها تقع بشكل دقيق تاريخيًّا، وفي عام 354 توسل Demosthenes للمواطنين أن يساندوه ويتحملوا معه العبء المالي، ويوضح أن الأثينيين لا يخشون شيئاً من الملك العظيم، لا يظهر أي شيء يثير الخوف من الحصول على المال، وسوف يجمع عدد كبير من المرتزقة، وأنني موقن أن كثيراً من اليونانيين سوف يخدمون في الدفع والتمويل ضد مصر، وأورنتس وأي بربري آخر، وضد اليونان، فإنني لا أعتقد أن أي يوناني لن يتحرك في مسيرة للانقلاب، وإلا فهل يستطيع أن يذهب بنفسه بعد ذلك؟ «اذهب اذهب إلى فريـچيا وكن عبداً».

وفي خطبة ألقيت في عام 352 يعارض الخطيب نفسه اتفاقاً أو معاهدة تم إصدارها بواسطة Aristocrates الذي قدم إجراءات حماية يمكن من شأنها أن تكون ذات فائدة كبرى لـ Charidemus -قائد

المرتزقة- وفي هذه المناسبة فإن Demothenes قد استدعى العديد من الأعمال الحديثة لـ Charidemus الذي قام بتأجير خدماته إلى Mentor ، و Memnon أخو زوجة Artabazus الذي كان قد أُسر على يد Autophradates ، وبعد ذلك استقبل قائد المرتزقة سلوكاً آمناً من المرزبان، مصرحاً له بالعبور إلى Chersonesus في Thrace ، وفي السنة التالية 350-351 قام Demosthenes بعمل دعوى قضائية مدويّة للتدخل الأثيني بدلاً من الديمقراطيين الـ Rhodian الذين قد تم نفيهم عن مدينتهم بناءً على مبادرة قام بها Mausolus ، وبعمل ذلك، فإن الخطيب قد نادى بأنه قد عارض أولئك الذين تشاوروا مع الجمهورية للعودة إلى المصريين لطلب المساعدة ضد ملك بلاد الفرس، ويقول لهم الأثينيون: «أنتم أرسلتم Timotheus لمساعدة Ariobarzenes ، تراجع Timotheus ، عند رؤية أن Ariobarzenes قد ثار بشكل واضح على الملك، وأن Samos كانت كموقع عسكري بواسطة Cyprothemis تحت قيادة Tigranes نائب الملك، عن نية مساعدة Ariobarzenes ، ولكنه دخل الجزيرة بقواته، وقام بحمايتها، وحتى هذا اليوم لم تكن هناك حرب ضدك من خلال هذا التقنين».

وماذا يمكننا أن نفعل حيال هذه التحريفات؟ أولاً: علينا أن نلاحظ أنهم كانوا يعملون على امتداد وقت الاضطرابات، وهذا التأريخ يؤكد الانطباع مرة أخرى بأن السلطة المركزية في المقاطعات الغربية كانت مشوشة بدرجة عميقة وبشكل دائم، ويتم تأكيد هذا الانطباع من خلال استخدام الكلمة Basileia «مملكة» لوصف سلطة Ariobarzenes في فريجيا، ومن خلال مقارنة بين خطبتين لـ Isocrates -واحدة من عام 380 والأخرى من عام 347- وكما حدث ديودورس Diodorus في عام 361 يبدو أن منطقة البحر المتوسط قد توحدت في التمرد لمعظم القرن الرابع، ويبدو أن إصرار الخطباء كان مشكوكاً فيه؛ لأن هدف مجادلتهم

كان بشكل دقيق لإثبات أن الملك العظيم كـان مجـرد حـبر عـلى ورق، ولتحقيـق ذلـك، فإنهم لم يترددوا أن يعارضـوا أنفسـهم في فقـرات قليلـة أو في سـنوات قليلـة عـام 347، ويُشيْد Isocrates بحكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إلى أعالي السماء على الأقل في مقارنة مع حكم خليفته، فإنه قد سخر منها، حتى إذا قمنـا بفصـل هـذه الخطابـات من السياق الأيديولوجي لها والذي يحملهـا طـويلاً، فإنهـا تقـدم تفاصـيل دقيقـة قليلـة يمكن تكاملها بشكل سهل في إطار عمل يمكن تركيبه وتشكيله بشكل مستقل، والحقيقة تكمن في أن المراجع هي مجرد أحداث وحوادث لا تقدم شيئاً أكـثر مـن بعـض الأسـماء، وقليل من الإشارات، مثل كيـف حـاول الساسـة اليونـانيون أن يصـوروا النتـائج الممكنـة للتـدخلات مـن وقـت لآخـر في اسـتراتيجياتهم أو رؤسـاء المرتزقـة في الشـؤون الداخليـة للإمبراطورية الأخمينية؟

وهناك عبارتان يونانيتان مقتبستان تشـيران بشـكل غـير مبـاشر إلى المرزبانـات، الأولى وجـدت في Argos وهـي الآن مفقـودة ، وتوضـح حالـة الولايـات اليونانيـة المتعددة التي وافقت عـلى سـلام عـادل وشـامل، وتؤكـد الأطـراف والأحـزاب أن حالـة الحرب لم توجد بينهم وبين الملـك العظـيم «إذا لم يـرد بهـم سـوءاً، فسـوف يظلـون في سلام معه»، ومن ناحية أخرى «إذا كان الملك أو أية قوات أخرى قادمة إلى مقاطعاتـه، وتتحرك للمسير ضـد الــ Hellenes فـإنهم سـوف ينظمـون دفاعـاً مشـتركاً»، وتشـمل البداية غير المرتبطة للنص إشارة إلى مبعوث جاء من طـرف المرزبانـات، وبالإضـافة إلى ذلك، فإن عبارة أثينية مقتبسة، مملوءة بمجادلات عن إنشـاء الـنص ووضـع تـأريخ لـه تشير -لسوء الحظ- إلى منح أوسمة الشرف من بينها المواطنـة إلى أورنـتس؛ لأنـه بـاع القمح إلى المدن الأثينية متبعاً أسلوب تبادل السفراء والمفاوضات، ويقدم هذا الاتفـاق علفاً وغذاءً، وينهي جدالاً حول الواجبات التي ينبغـي أن يقـوم بهـا المرزبـان أورنـتس

في ميسيا، ولكنه ربط هذه القصة بقيام ثورته هو أمر غـامض وضـعيف، فـلا يوجـد مـا يشير إلى استصدار اتفاق تقدمت به أثينا من أي نوع من أنواع التحالف العسـكري مـع بلاد الفرس، أو أن بيع القمح إلى المدينة بشكل علني يوضح الميول والنزعات الانفصـالية من جانب المرزبان، ويوضح الاتفـاق الأول -والـذي كـان مشـكوكاً في صـحته- أن المـدن الإغريقية كانت منزعجة جدًّا من إثبات رغبتهـا في السـلام العـام المتجـدد تحـت رعايـة الملك العظيم، ويبدو أن بداية النص تؤكـد أنـه كـان هنـاك مشروع مشـترك بـين الأمـراء المرزبانات في هذا التاريخ -كما يذكر ديـودورس Diodorus في مؤلفـه- ولكـن نتيجـة تهشم الحجر عند القمة، فإن الاتفـاق واسـترداد الـنص والتفسـيرات التابعـة لـه تعتمـد بدرجة كبيرة على نص ديـودورس Diodorus الـذي يحـذف الثقـل الكبـير مـن كومـة الدليل الذي تم إنشاؤه وقيامه.

إن نتيجـة التحقيـق المسـتمر لا تعتـبر مشـجعة، حيـث إن المصـادر الكلاسـيكية مصـادر مشـوهة ومحرفـة ومتنـاثرة، ولم تكـن مهتمـة بالتـاريخ الـداخلي للإمبراطوريـة الأخمينية، ومن الواضح أن هناك نصاً به معلومات أكثر ديودورس Diodorus لكـن تركيبة ودراسة الرموز فيه تجعل المؤرخ متقلقلاً بدرجة كبيرة، وهناك عبارتـان يونانيتـان أخريان مقتبستان، ولكن فحواهما غير مؤكدة، وكلاهـما تاريخيـة، وأخـيراً فـلا توجـد أي مصادر أخمينية، وبعيداً عن وجود عدد كبير من العملات التي تم سكها بواسطة المـدن اليونانيـة والمرزبانـات سـواء كـان هـؤلاء الأفـراد ثـوريين ويبقـى أن يـتم برهـان ذلـك، وبالإضافة إلى ذلك، فإن التـأريخ الخـاص بالأنشـطة لا يمكـن اسـتعادة تركيبـه وتشـكيله بتأكيد كامل، حقاً .. ما المنفعة من العروض الخاصة بسلاسل السـيبية إذا لم يكـن هنـاك بنـاء لنظـام واقعـي للأحـداث؟ ومـن المفهـوم أن اختلافـات كبـيرة بـين المـؤرخين ظلـت مستمرة بشأن تطور، اتساع، امتداد، وأغراض الثورة الثورات .

ويمكننا أن نستعرض هذا الأمر في ضوء وجهتي نظر مختلفتين، إحداهما متطرفة اشتراكية ، والأخرى معتدلة، وتقصد الأولى أن تقدم أشكال العصيان والتمرد كحركة واسعة موحدة لها هدف كبير من رفع الهجوم المباشر على سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes والسير في حملة إليه لتدميره، وبالإضافة إلى ديودورس Diodorus ، فإن أنصار هذه النظرية يلجأون إلى Trogus Pompeius و Polyaenus ، ويذكر الأول أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد هزم أورونتس في سوريا، ويقول الآخران Datames إنه قد سار في حملة عسكرية وراء نهر الفرات أثناء حركة الملك العظيم، وإذا افترضنا أن كل أشكال الهجوم والتمرد المصري مرتبطة بشكل أصيل، فإننا سنحصل على انطباع أن سلطة أرتاكسركسيس Artaxerxes قد تهددت في عقر دارها، ومنذ سنوات قليلة، تم التعبير عن آراء مختلفة ومتعارضة، وكانت تميل هذه الآراء إلى تقليل الثورات المتنوعة وأشكال التمرد وتقليصها إلى الشؤون الداخلية، والتي لم تكن تهدد سلطة الملك العظيم بدرجة فعلية، ولكن الآراء اصطدمت بمشكلات تأريخية صعبة، ألا نذكر هشاشة المناظرات والمناقشات القائمة على الدليل الذي لم يكن فقط قصصيًّا ومتغاير الخواص، ولكنه يضع حجماً كبيراً للغاية في التصورات اليونانية الضعف التركيبي الظاهري للدليل الأخميني ، وفي الاهتمام الذاتي بالولايات اليونانية التي كانت مهتمة خارجيًّا بالمشاجرات والمعارك في آسيا الصغرى، ويعتبر من الجيد أن نذكر أن المناقشة التالية في ثروة جهلنا أفضل بدرجة أكبر من الافتقار إلى تأكدنا من تلك المصادر.

الثورات الأولية: ديتامس Datames :

توضح وظيفة الحياة المهنية لـ Datames مدى اتساع وتعقيد المجادلات التاريخية الخاصة به، ودعونا نذكر أولاً أن ديودورس Diodorus لم يضعه ضمن سلسلة المرزبانات الذين توصلوا لاتفاق

بشأن معاهدة التعاون، وهو يناقش Datames في فصل منفصل، مشيراً إلى أن تمرده قد حدث بينما كان الأمراء والمرزبانات الخائنين المتمردين منشغلين بتلميع أسلحتهم في عام 360 .

ولم يكن هدف ديودورس Diodorus أن يقدم رواية متصلة من الأحداث ولكن بشكل بسيط أن يعطي أمثلة أخرى للخيانة التي اتسمت بها الثورات؛ ولذلك فهو يخبر أن الـ Strategeos الملكي، Artabazus قد اخترق إلى كابادوكيا، حيث كان Datames مرزباناً -رغم خداعه بواسطة حميه Mithrobarazenes - وكان Datames هو المنتصر والغالب في نهاية الأمر، وفي باقي الحياة المهنية لــ Datames قدم ديودورس Diodorus موجِزاً إلى خطأ، فبالنسبة لـ Datames ، بالرغم من أنه قبيل ذلك كان معجباً بقيادته في ذلك الوقت قد فاز بتشجيع وهتاف وتصفيق أكبر لشجاعته وحصافته وذكائه في فن القتال والحرب، ولكن الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes عندما سمع وعلم عن استغلال واستخدام Datames لذلك فرغ صبره، وقرر أن يتخلص منه، وحرّض على اغتياله .

وقد وجدت كل من رواية خيانة Mithrobarazenes ونهاية Datames في سيرة ذاتية كتبها Nepos الذي يقدم قصة أكثر تفصيلاً عن خلفية المرزبان، والجزء الأول من حياته المهنية المتألقة، وبعد انتصاره على Thuys في بافلاجونيا في عام 380، أُرسل Datames إلى عقر بصحبة فارنابيزوس Pharnabyzus و Tithraustes اللذين كانا يجهزان القوة العسكرية المصرية، وبعد استدعاء فارنابيزوس Pharnabyzus بعد هزيمة عام 374 تم تنصيب Datames قائداً للجيش، وعند هذه النقطة أصدر الملك أوامره إليه بأن يضع نهاية لحالات الفوضى والشغب التي أثارها Aspis of Cataonia ، وبعد أن كان ناجحاً، عاد إلى عقر، وحدث ذلك عندما تم قطع العلاقات بينه وبين الملك العظيم، وقد تم تحذير Datames بواسطة صديقه Pandantes -حارس الخزانة الملكية- من

مكيدة دبرها رجال الحاشية الملكية البلاط الملكي ؛ ولذلك فقد قرر وعزم على أن يتخلى عن خدمة الملك دون أن يسمح لأي شيء أن يغير نواياه، ولقد غادر ومعه كل أفراد أسرته إلى كابادوكيا، وجاء سراً إلى Ariobarzenes ، وقد كانا على تفاهم وتوافق، ثم تلت قصة حميه Mithrobarzenes وخداعه وخيانته -ليس أثناء الحرب ضد Artabazus لكن في معركة ضد بعض البسيديين- وقد هجره ابنه الأكبر Sysinas ، ووقف بين صفوف أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ووجد Datames نفسه تحت الهجوم والاعتداء من جانب Autophradates الذي قد تلقى أوامر من الملك أن يتعامل مع Datames ، ولكنه وجد نفسه غير قادر على الانتصار والفوز، فصنع هدنة مع Datames ، وتتبع قصة لصور خيانة وخداع جديدة، الأخيرة منهم كانت تخطيطها بواسطة Mithradates ابن Ariobarzenes الذي أغوى Datames استجابة لأوامر الملك وقتله .

وقد شدّدنا في العديد من المرات السابقة بألا تؤخذ السيرة الذاتية التي كتبها Nepos كقيمة مباشرة وكمرجع مباشر، حيث كان Nepos تماماً مثل ديودورس Diodorus مهتماً بأن يمجّد فضائل بطله، وقد بنى قصته على سلسلة من الدوافع المتكررة، وقد تألق Datames الاستراتيجي في نكران الجميل الخاص بالملوك وسلسلة من الخيانات حموه وابنه الأكبر ، والتي تعلل في الوقت نفسه الصحة والتماسك التاريخي قليلاً، ومن مؤلف لآخر، تتنوع الشخصيات والتأريخ، وهذا هو السبب في أن ترتفع الشكوك الخطيرة حول الظروف وتأريخ الثورة، وطبقاً لما أورده Nepos ، فإن الثورة قد حدثت في نهاية عام 370 في تاريخ يسبق التاريخ الذي قد حدده ديودورس Diodorus بالنسبة للحريق والاشتعال العام والحملات العسكرية الملكية ضد Datames ، ويعتبر التفسير الوحيد الذي يقدمه Nepos عن خطأ وقصور Datames أمراً مثيراً للدهشة عندما كان في ذروة الاستحسان الملكي، حيث كان إعلان مؤامرة الحاشية

الملكية هو الأمر الـذي جعلـه يقـرر أن يوقـف هـذا الاستحسـان؛ لأنـه كـان خائفـاً مـن الهزيمة في مصر، وسوف ينصرف استحسان أرتاكسركسيس Artaxerxes .

إن اعتبار Datames متمرد من جانب البلاط الملكي كـان أمـراً مـن النـادر الشـك فيه، ولكن متى حدث ذلك؟ وتحت أية ظروف تم ذلك؟ طبقاً لما قدمه Nepos فقد تم إبرام معاهدة سرية مع Ariobarzenes -مرزبان فريـچيا- Hellespontine ، ومع ذلك لا يشير شيء ما إلى أن Ariobarzenes قد أعلن عن استقلاله عن الملك العظـيم بشـكل مبكر في مطلع عام 370، وكان يبدو بدلاً من ذلك أن الاتهامـات البديلـة لابنـه Sysinas الذي أقنع الملك العظيم، والذي أمر Autophradates -مرزبـان سـارديس- بـأن يلاحـق ويطارد المتمرد، وإذا قمنا بتأريخ الحملة العسكرية تقريباً إلى عـام 367، فمـن الصـعب أن نوضـح طبيعـة العلاقـات التـي اسـتمرت لتؤكـد ولاء وإخـلاص Datames للسـلطة المركزية من قبل.

إن ندرة المعلومات والطبيعة المتناقضة لها قد أدت إلى تفسيرات متناقضة إلى حد ما، ويمكننا أن نفترض أن حملتـه العسـكرية ضـد البسـيديين -وبشـكل أكـثر دقـة- ضـد الجماعات غير المعروفة هويتها من البسيديين والمرتبطة بالهجمات العسكرية الأخمينية ضد شعب غير مستقر من حيث الاعتقاد المنتقل من جيل إلى جيـل، ولكـن قـد يعكـس ذلك أيضاً رغبة المتمرد في أن يضع البسيديين ضمن قائمة أولئـك الـذين هـم في خدمتـه وخاضعين له، وأكثر من ذلك، فإن العديد من النوادر القصصية والعمـلات تشـير إلى أنـه كانت حملات عسكرية في آسيا الصـغرى الشـمالية في وقـت كـان صـعباً للغايـة أن يـتم التعليق عليها فيه، ويسجل Polyaenus قصة نادرة شيقة: «بيـنما كـان يقـوم بمحـاصرة Sinope ، تلقى Datames من حصونه وحصل على قدر كبير من الغنائم وقام بتقسـيم جزء منها على جنوده، وأرسل جزءاً إلى Datames ، كما فرض سيطرته على العديـد مـن

الحصون والقلاع، وقام بتسليمها للكاريي، ومن خلال الاستمرار في هذا التصرف لمدة طويلة أقنع Datames أنه مهتم بحرب لا يمكن تهدئتها ضد الملك.

ويستخدم Polyaenus الكلمات نفسها Phrouria-Basileos/ KomaiPhoroi و Leia ، فقد أثبتت الهجمات على المواقع العسكرية الملكية والقرى والجزية أنه كان عدواً للملك، وتوضح نصوص كثيرة -وخاصة نص زينوفون Xenophon - أن الواجب الأساسي للمرزبان هو استخدام المعاقل العسكرية Castella-Phrounia لإقرار النظام، وهذا بدوره قد سمح للفلاحين بأن يعملوا وأن يستمروا في الإنتاج دون أن يتعرضوا لغارات حربية حتى يتسنى لهم دفع الجزية، إن سرقة الجزية هو السبب وراء ملاحقة الجيوش الملكية لـ Aspis of Cataonia ، لقد اجتاح المناطق المجاورة لبلاد الفرس، وحمل ما يمكن إحضاره إلى الملك، وقد كان هذا السلوك عكس سلوك المرزبان الجيد، الذي ينبغي من جانبه أن يحمي دويلته من ويلات الحرب، وهذا كان أحد التبريرات المقدمة لذلك بواسطة Arsites في عام 334 لمعارضة الاستراتيجية من إحراق الأرض والممتلكات قبل التخلي عنها للعدو التي تقدم بها Memnon ، وهو لن يسمح بمعاناة منزل واحد وتركه ليحترق في حالة أن هذا المنزل ينتمي إلى أحد مرؤوسيه، ومن الواضح أن تعريف «المتمرد» ليس أقل من كونه جزئيًّا أو منحازاً، وبصفة عامة فإن الشخص الذي يعتبر مذنباً أو غير مستحق هو ذلك الذي لم يذعن للأوامر الملكية، أو قام بتنفيذ مهمة ملكية بشكل سيء، والخط الفاصل بين الإخلاص والتمرد كان معتدلاً ويفيد بذلك خطاب له من أرتاكسركسيس Artaxerxes يأمره فيه بألا يقوم بتنفيذ العملية، وقام على الفور بأداء انحناءة الاحترام أمام الخطاب، وعَرَض الضحية الذبيحة التي تُقدّم عادة مع ورود الأخبار السارة، وقد استخدمت كدليل على ولاء المرزبان -على عكس المنظور

الذي قدمه Nepos تماماً- طالما أن خطاب أرتاكسركسيس Artaxerxes لم يشر إلى تمرد أو عصيان Datames ، وانحناءة الاحترام والإجلال أمام الخطاب الملكي الرسالة الملكية ، وهذا لا يعتبر أمراً مثيراً للسخرية أو التهكم، ونحن نعلم أيضاً أن Datames لم يكن خائفاً من الاستيلاء على ثروة الكابادوكيين لكي يستطيع تمويل حملته، ومرة أخرى فإن هذه الرواية تدعم القراءتين السابقتين، وقد توضح حقيقة عادية، وهي نقص الأموال النقدية، والذي أجبر المرزبانات والقادة على أن يغيروا أو يعدلوا بعض الإجراءات؛ لكي يقوموا بدفع أجور الجنود، ولكن ذلك لا يعد دليلاً على التمرد.

وهذه نقطة جيدة نثير عندها سؤالاً مهمًّا: ما المتمرد بالضبط؟ ما التعريف المضبوط للمتمرد؟ يوجد أحد أفضل التعريفات والأكثر صراحة في نص Nepos ، ويظهر أيضاً في كلمات واضحة في قصة نادرة من قصص Polyaenus ، حيث يقول Nepos : «إن الملك العظيم قد منح Mithradates الراية البيضاء لكي يتخلص من Datames ، وقد حاول Mithradates أن يقوم بعمل تمرد؛ لأنه قد عرف أن Datames حذر ويقظ للغاية؛ ولذلك تبنى Mithradates مواقف معينة، وقام بصنع قرارات تعلن من شأنها عن القطع الصريح لعلاقات الصداقة مع الملك».

لقد قام Mithradates بتجهيز قواته وقام بعمل صداقة مع Datames دون مقابلته، ثم بدأ في الإغارة على مقاطعات الملك واقتحمها، وقد كان الحكم للملك الذي يمكن الاعتماد عليه والرجوع إليه كما هو موضح من ظهور Tiribazus عندما انتقده أورونتس الذي كان غيوراً من Tiribazus ومكانته المرتفعة، ويثبت هذا المثال أيضاً أن دور الاتهامات الرسمية التي قد تأتي من السكان المحليين الذين كانوا غير مسرورين وراضين عن مطالب المدير أو شخص مكلّف بتصفية أملاك شخص آخر أو من المفتشين والمندوبين الملكيين أو من زميل غيور، وهكذا بقي الملك

على علم ومعرفة بما يحدث في المقاطعات، وباختصار، بينما يجب أن يُؤرَّخ تمرد Datames بلا شك منذ سنوات قليلة مضت قبل عام 361، فإن تأريخها وظروفها المحددة ظلت غامضة متعذر فك طلاسمها.

الاضطرابات في آسيا الصغرى الغربية عام 361-366 :

وقد انفجر صراع في آسيا الصغرى الغربية قبل عام 361، وطبقاً لما ذكره Nepos فإن حليف Datames الأول كان Ariobarzanes ، ويشير البيان المصور لديودورس Diodorus إلى أن Ariobarzanes هو مرزبان فريچيا، وفي الحقيقة فقد فرض Ariobarzanes حصاراً حول Dascylium ، وطبقاً لـ Demosthenes ، فقد أعلن بشكل صريح عن نفسه في حالة تمرد وعصيان عندما أُرسل الأثيني Timotheus ليساعده عام 366، وقد تلقى أيضاً المساعدة من الإسبرطي Agesilaus ، وربما يكون هذا السياق الذي تلقى فيه Ariobarzanes ابنه واثنين من اليونانيين المواطنة الأثينية، وقد أرسل الملك أسطولاً وجيشاً لمواجهة المتمرد، وكان Mausolaus يقود الأسطول - وهو نائب حاكم كاريا- وكان الجيش قائده هو Autophradates -مرزبان سارديس- بعد عودته من الحملة العسكرية غير المثمرة ضد Datames ، وبعد مرور الوقت، أمر الملك بأسر المتمرد واحتجازه، وقد تم صلبه عام 364 ، ويبدو أنه قد خُدع من جانب ابنه Mithradates .

ونحن نعلم أيضاً أن إمارة الحكم في Dascylium قد نُقلت إلى Artabazus ابن فارنابيزوس Pharnabyzus و Apame حفيد أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وكانت إحدى حملات المرزبان الجديد أثناء رحلته البحرية إلى Dascylium لمقاتلة Damates لم تكلل بالنجاح ، وفي أثناء ذلك خسر ملاحقة طريق Ariobarzanes حتى دُعي بواسطة ديودورس Diodorus في البيان المصور للمرزبانات المتمردين في عام 361، وربما في هذه السنوات أن أورونتس قد بدأ يؤكد ويوطد

قوتـه وسـلطانه في ماسـيا في منطقـة Pergamum ، ولكـن المصـادر تعتـبر مفتقـرة إلى الموثوقية، وما نحن متأكدين منه تماماً أن أورونـتس كـان مرزبـان أرمينيـا في عـام 401، وأنه في حوالي عام 384 قد شارك في حملـة قـبرص العسـكرية، وكـان ذلـك عنـدما اتهـم زميله ورفيقه Tiribazus بتنفيذ عمليات خاصة، واستحسن الحكـم Tiribazus ، فلقـد منح الملك Tiribazus أرفع الأوسمة الشرفيـة كـما كانـت العـادات متبعـة حينهـا، وقـد حُوكم أورونتس كما لو أنه قد لفق اتهاماً مزيفاً، وقد طرده من قائمـة أصـدقائه، وأذلـه، وأنزل به أقصى درجات الانحدار التجريد من الرتبة واللقب ، وقد اختفى أورونتس عن الأنظار حتى عام 361 عندما أطلق إليه ديودورس Diodorus «مرزبان ماسيا»، ومهما كانت السلطة التي تم منحها إليه حقه كمرزبان، حاكم ملكي ، فلا بد أن أورونـتس قـد انتقل من أرمينيا إلى آسيا الصغرى الغربيـة في تـاريخ غـير معـروف لـدينا، ربمـا كارتـداد لعدم التأييد والاستحسان الذي قد حـل بـه بعـد مسـألة قـبرص، وقـد تـم التأكيـد عـلى نشاطه الخاص في مايسيا بـالقرب مـن Pergamum في العبـارة اليونانيـة المقتبسـة، ولم يعطينا التاريخ، ولكن يُوصف الرجل بشـكل لا يثـير الشـك عـلى أنـه متمـرد ضـد الملـك العظيم، ويظهر ابتكاره في Adramyhium و Cisthenes أنه كان يدرج المرتزقة الـذين قد يسّروا عليه أن يستولي على Cyme بالرغم من إرسال فرقة من الفرسـان مـن جانـب Autophradates لمعارضته، وهناك قصة نادرة تقـرر أنـه كـان يقـود عمليـات مرهقـة ومُغيرة باستمرار بالقرب من سارديس، ويتضح أن هذه الاعتـداءات والمصـادمات يجـب تأريخها قبل عام 361-362، بالإضافة إلى ذلك، فهي تشير إلى أن أورنتس -رغـم معارضـة Autophradates وقادة آخرين للملك- كان يحاول أن يوسع القواعد للسـلطة الخاصـة بالمقاطعات الخاضعة له.

وحيـــث إن المعلومـــات التـــي نحصـــل عليهـــا غـــير مؤكـــدة، فـــإن ذلـــك

يعطينا مزيداً من شكوكنا حول نسخة ديودورس Diodorus ، فالهياج المرزباني لم ينفجر فجأة في عام 361، لكنه يعكس حالة عدم الاستقرار التي كانت مستوطنة ومتمركزة، بالإضافة إلى مشاركة بعض قادة المتمردين، والذين يصورهم ديودورس Diodorus في نصوصه بشكل مؤقت، ولا نعرف الكثير عن Autophradates سوى فقرة مؤرخة بشكل سيء عام 361-362 ، والتي يذكر فيها Demosthenes أنه عندما وصل Charidemus إلى آسيا الصغرى قد تم القبض على Artabazus وأخذه سجيناً بواسطة Autophradates ، ثم أطلق سراحه بعدها فترة قصيرة، وهذا ما شأنه أن يشكل لمحة ضعيفة جدًّا، وأخيراً، وحسب ما جاء على لسان ديودورس Diodorus فإن ثورة أورنتس قد انتهت بشكل سريع كما بدأت أيضاً بشكل سريع، وبعد جمع المال من الفرعون sآTach قام أورونتس بتغيير خططه بشكل مفاجئ، ولقد استمر في خيانة الثقة الممنوحة به من أجل إثارة الشك حول ذلك، فإنه سوف يحصل من الملك ليس فقط على هدايا ومنح عظيمة، ولكن سينجح في استخلاف الحكم لكل المنطقة الساحلية إذا قام بتسليم المتمردين لأيدي الفرس، لقد قبض أولاً على أولئك الذي أحضروا الأموال، وأرسلهم إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ثم قام بتوصيل الكثير من الجنود الذين قد استؤجروا إلى الضباط القياديين الذين أرسلهم الملك، لقد اتبع مثاله Rheomithres ، الذي -عندما عاد من مصر- قام بعمل مرساة في Leucae مع أسطوله، وبالنسبة لهذه المدينة، فقد استدعى كثيراً من قادة المتمردين هؤلاء، والذين قبض عليهم وأرسلهم مكبلين بالسلاسل إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes رغم أنه كان يوماً متمرداً، من أجل الامتيازات التي نقلها من خلال خيانته فإنه بذلك قد صنع سلاماً مع الملك.

ويبدو هذا السلوك غريباً، ومن المحتمل أن ديودورس Diodorus

قد أوجز تأريخه إلى حد الكاريكاتير، ومع ذلك فإن استسلام وخضوع أورونتس قد تم التأكيد عليه تماماً في تاريخ Pergamum ، والذي يذكر أيضاً موت المتمردين الخارجين، ولكن كيف يتم تعليل الأسباب حيال هذه الأفكار والآراء الخاصة بـ Pergamum ؟ هل يمكن أن تضعنا أحداث مؤقتة تحدث في جبهات أخرى في الطريق الصحيح؟ بالطبع فإننا نعتقد أن مصر هي الطريق المقصود؛ لأن أورونتس وفرقته قد أصبحوا على اتصال مع Tachos .

الجبهة المصرية:

قرر Tachos -حاكم مصر في عام 359 منذ عام 361- أن يستمر في هجومه ضد الفرس، وقد بدأ استعدادات كبيرة مستكملاً ما قام به أسلافه، والتي -حسب ديودورس Diodorus - تشتمل على جمع مائتين من السفن ثلاثية المجاديف، والتي قد تم تزيينها وزخرفتها بتكاليف باهظة، وقد تم اختيار عشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين، بالإضافة إلى ثمانين ألفاً من جنود المشاة المصريين، وقد أرسل مندوبين إلى أثينا وإسبرطة لتجنيد هؤلاء المرتزقة، وكانت لدى أثينا رغبة ضعيفة في أن تقطع العلاقات مع الملك العظيم، وألا تبرم أية اتفاقات مع الفرعون، ومع ذلك فقد أوكلت Chabrias إليه أن يدخل في خدمة Tachos بشكل خاص، وصنعت إسبرطة -من ناحية أخرى- مع الفرعون، ولقد استأجر Agesilaus المرتزقة بتمويلات مصرية، وتقابل مع Tachos مصطحباً ثلاثين من المستشارين و1000 جندي من إسبرطة من الـ Hoplites ، وقد وضع Chabrias في قيادة الأسطول، وتلقى Agesilaus أمراً بقيادة المرتزقة، واستأثر Tachos لنفسه بالإشراف العام على العمليات العسكرية، وقد ظهر أنه يوّلد نوعاً من الاحتكاك بين القادة اليونانيين.

ومعارضة لنصيحة Agesilaus ، فقد قرر الفرعون أن يثير الهجوم بعيداً عن أرض الوطن، وأقام معسكره بالقرب من فينيقيا، بينما أصدر

أمراً إلى الضابط Nectanebo ابن أخيه أن يحاصر المدن في سوريا، وعند هـذه النقطـة بدأت المؤامرة تنكشف عن العودة إلى الوطن، فلقـد غـادر Tachos في مسـؤولية أخيـه Cha-hap-imu ، والد Nectanebo ، وقد فاز Cha-hap-inu واستأثر بـالجنود الـذين وضعهم Tachos تحت أمـره لـكي يحـاصر المـدن في سـوريا، وطلـب مـن Agesilaus و Charbrias أن يساندوه، وقد فعـل Agesilaus ذلـك؛ لأن إسـبرطة أعطتـه زمـام الأمـر، وقد أطلق Nectanebo على نفسه لقب «فرعون»، ونتيجة لذلك فقد لجـأ Tachos إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الذي لم يكتفي بتبرئته من التهم الموجهة إليه، ولكـن قـام بتعيينــه قائــداً في الحــرب ضــد مصر، ويوضــح ديــودورس Diodorus أن وفــاة أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كانت مـا بـين نـوفمبر لعـام 359، وأغسـطس لعـام 358، واعـتلاء ابنـه Ochus العـرش باسـم أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث، وفي الوقت نفسه، فقد استمر القتال في مصر؛ لأن قائداً آخر من Mendes قد صعد لتحـدي ومعارضـة Nectanebo ، وبعـد هـذه الأحـداث نجـد ديـودورس Diodorus يسـلط الضوء على الدور القيادي الذي لعبه البطل الإسبرطي Agesilaus في نصرة Nectanebo الثاني على خصمه.

أورونتس والجهة المصرية:

دعونا نعود إلى مشكلة التعاون مع العدو المحتل بين متمردي آسيا الصـغرى و Tachos ، ويمكننا أن نلاحظ ببسـاطة أن الفرعـون قـد وافـق عـلى أن يقـدم الأمـوال والسفن إلى Rheomithres ، الذي أرسل مـن قبـل ذلـك بواسـطة المتمـرد إلى الملـك Tachos في مصر لأجـل هــذا الغـرض، وأن Rheomithres قـد تـرك زوجتـه وأولاده رهينة في البلاط الفرعوني، وتماماً مثل أسلافه فقد سعى Tachos -لأنـه كـان في حالـة حرب مع بلاد فارس- إلى التحالف مـع المـدن اليونانيـة في أوروبـا، وقـد دعـم أولئـك الذين كانوا في ثورة ضد الملك العظيم من ماله الخاص، ولكن هل قـام بوضـع خطـط

لعمل مشترك ضد أرتاكسركسيس Artaxerxes موضع التنفيذ؟ ويعتبر المصدر الوحيد هو قطعة إنشائية محيّرة، وتبعث على الارتباك في مجمل الأحداث لعمل Trogus Pompeius المجلد الخامس مشيرة إلى أن أورونتس، مرزبان أرمينيا كان من بين الأعداء الذين قهرهم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والذين ألحق بهم هزيمة غرّاء في سوريا بعد الانتصار على Ariobarzenes ، والنتيجة التي يمكننا الحصول عليها هي أن أورونتس قد قام بالفعل بالسير جنوباً لكي ينضم إلى جيش الفرعون، وأهمية المشكلة المطروحة تتضح بشكل كبير؛ لأن سلسلة كاملة من الاستنتاجات التاريخية للأهمية القصوى لها تسقط من الإجابة التي يجب أن يختارها، فإذا وجدت مثل هذه الخطة فإن التضمين يدل على أورونتس مع متمردين آخرين كان لا يفكر في شيء أقل من التقدم ضد بابل بابلونيا في مسيرة عسكرية حربية، ومع ذلك فسياسة الكبح تبدو أفضل السياسات في اعتبار إذا كانت ثورة Tachos قد امتدت إلى سوريا، ولا يمكننا أن نذكر بكل تأكيد أن الهجوم المصري قد أثار كل المدن الفينيقية وحرضها على الثورة، ونحن نعلم أن أثينا قد أصدرت مرسوماً على ضوء شرف الملك ستراتون ملك صيدون أثناء هذه السنوات، تشكره فيه على تسهيل الطريق أمام السفراء الذين كانوا يسافرون إلى الملك العظيم، ونعلم أيضاً أن Tachos ، قبل الانضمام إلى بلاط الملك العظيم وقد لجأ وطلب الملاذ في صيدون، ولا تسمح لنا أي من هذه البيانات أن نذكر أن ستراتون كان من بين الأعداء المعلنين للمك العظيم في هذا الوقت، وعلى عكس نص تمت كتابته لاحقاً يبدو أنه يذكر أن ملك صيدون قد أفسد معاهدة التحالف مع الملك العظيم، مشيراً بذلك إلى أن عصر الصداقة والود تم الحصول عليه مع مصر، ومع ذلك يوجد تشويه لديودورس Diodorus حول حصار Nectanebo للمدن في سوريا بأمر من Tachos ، ومن الممكن أن Tachآs قد أمر Nectanebo بأن يتجه نحو الداخل، وربما

بذلك يحدد مواقع للحصون والقلاع الأخمينية مثل Arad أو بئر شبعا، ولكن لم تكشـف عمليات التنقيب عن الآثار عن أي تدميرات في هذا التاريخ، والمشكلة الحقيقيـة تكمـن في أنه من الصعب أن نفهم ما يقصده ديـودورس Diodorus بمصـطلح «سـوريا»، وفي موضع آخـر يتحدث عن «سوريا الفينيقية»، والتي فيها يضم أيضـاً عقـر Acre ، والتـي يميزها عـن سـوريا التـي يضـم فيهـا جنوبـاً Joppa والسـامرية وغـزة، وإذا أخـذنا هـذا التوضيح بشيء من الجدية، فإن بعثة Nectanebo كانت لقهـر الحصـون والقـلاع التـي أقامها على ساحل سوريا الفينيقية، ولكـن يظـل الأمـر مجـرد تخمـين، ومـن الواضـح أن المعلومات القليلة المتاحة غير كاملة قاصرة ورديئة النوع ، ولكن لا يوجد ما يـدل عـلى أن الحملة التي قام بها Tachos و Nectanebo قد وضـعت فينيقيـة السـورية في عـلى حافة الحرب.

وأكثر من أي شيء، آخر فإن الروايات اليونانيـة الجزئيـة في كـلا الاتجـاهين تتركنـا تماماً في الظلام بعيدين عن الاستجابة الممكنة مـن الملـك العظـيم بعيـداً عـن الاتفاقيـة اللاحقة بين أرتاكسركسيس Artaxerxes و Tachos ، ولا يعـود ديـودورس Diodorus إلى المسرح المصري حتـى عـام 351-350 ، ولكـن فقـط بارتجـاع فنـي غـامض ومشـكوك في صحته يعود إلى العجـز الـدائم لأرتاكسركسـيس Artaxerxes Ochus الثالـث، وهنـاك مصدر آخر يـذكر باختصـار أن Ochus قـد قـام بعمـل حملـة عسـكرية ضـد مصر، بيـنما كان والده على قيد الحياة، وهـذا بـلا شـك مصـدر خطـأ Trogus Pompeius أو الصـورة المصغرة التي تنسب النصر إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ويمكن تـأريخ هـذه الحملـة ونسبها إلى عـام 360-359 ، ومـن الواضـح الارتقـاء فيهـا إلى مقاومـة الهجـوم الـذي قـاده Tachos ، وتعتبر هذه الحقائق هي تلك التي يشير إليها Lyceas في تاريخـه المصري أيضـاً، عندما يكتب: «قام المصريون بتنفيذ حملة ضد Ochus -ملك بلاد الشام- ولكـنهم تعرضـوا

للهزيمة، وتم القبض على ملكهم وأسره كسجين، ولكن Ochus عامله بعطف، بل إنه قد استدعاه لتناول العشاء معه، وهذا الملك المصري من الواضح أنه Tachos ، مقارنة بقصة نادرة قد رواها Aelien توضح ذلك، ومن المحتمل أن هذا هو سياق طلب الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني من أن تستدعي أثينا Chabrias ؛ ولذلك قام أرتاكسركسيس Artaxerxes بتكرار سياسته التقليدية عند مواجهة الفوضى الداخلية في مصر، فقد قدم الدعم واحد من المتظاهرين المتنافسين Tachos ضد الآخر Nectanebo ، وقد يمكننا أن نلاحظ -طبقاً للمؤلفين القدامى- أن فشل الحملة العسكرية لـ Tachos كان بسبب المشكلات الداخلية في مصر، ولا يمكن تحجيم مقدار هذه المشكلات، إن المتطلبات الملكية التي تم فرضها بواسطة Tachos لبناء درع الحرب الخاص به قد أبعدت الفصائل الإدارية المصرية، وبلا شك فقد أيقظت أيضاً عداوة الفلاحين العاديين، ولكن يمكننا أن نتساءل عما إذا كان تمرد Cha-hap-imu وابنه Nectanebo لم يكن قد أطلق بعد الخسائر العسكرية التي تم إحداثها على يد القوات الفارسية الخاصة بالأمير Ochus ؟

وباختصار فإن المؤرخ قد يواجه مشكلة عامة -لسوء الحظ- وهي الاضطرار إلى تفسير وتأويل المعلومات المقدمة له من جانب Trogus Pompeius على سبيل الخطأ، فالتلخيص في عجالة قد دمج حدثين عالجهما Trogus Pompeius على أنهما متتابعين، وهما: تولية أورونتس في آسيا الصغرى، وحملة Ochus في سوريا، ولتبرير ذلك يمكننا أن نقول إن مسيرة أورونتس تظهر على أنها من المتعذر تفسيرها من الناحية الاستراتيجية؛ لأنها تتطلب افتراضاً بأن كل القادة الفرس في آسيا الصغرى سوف يأتون لمساعدته، ولكن لا يوجد دليل على ذلك، ومن الأيسر أن نتخيل أن أخبار الصعوبات التي يواجهها Tachos قد أقنعت أورونتس بأن الثورة لم تكلل بالنجاح، وأن فرصته الفضلى في أن يحاول

أن يفوز بعفو الملك، ومن المحتمل في أية حالة أن أورونتس قد كان يحصل على معلوماته من Rheomithres ؛ لأن خداع القائدين كان مرتبطاً أحدهما بالآخر .

تقدم أورونتس وجيوشه نحو سوريا، حيث وصلوا بعد هزيمة واستسلام Tachos إلى Ochus ، وقد وافق أورونتس على مساندة Ochus ، وهذا الحل يشمل نقطتين في تأييده: الأولى أنها لا تحذف نصاً مشوهاً أو محرفاً، والثانية أنها تقدم تفسيراً لقطعة إنشائية غير مفهومة كتبها ديودورس Diodorus عن خيانة أورونتس و Rheomithres ، ومن الواضح أن ديودورس Diodorus قد قام بتكثيف التأريخ بشكل متزايد، ويمكننا أن نعيد صياغة وترتيب الأحداث كما يلي:

أ إرسال مندوبين إلى مصر وعودة Rheomithres .

ب أصبحت هزيمة Tachos معروفة.

ج اجتماع أورونتس وريوميثرس مع بعض المتآمرين وقرارهم بأن يسيروا في حملات عسكرية ضد الملك ألا يقاتلوا، بل فقط يقدموا الإخلاص والأمانة الجديدتين فيهما، واللتين ستفسران كيف أنهما كانا قادرين على العبور خلال امتداد آسيا الصغرى دون مقاومة أو تحدي .

د عندما وصلوا إلى سوريا ذهبوا إلى Ochus ، مع Tachos في موكبه، وأظهروا الولاء والإخلاص لـ Ochus ، وحيث إن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد مات ما بين نوفمبر عام 359 ونوفمبر عام 358، فمن الممكن -تبعاً لهذه النظرية- أن تكون المواجهة قد حدثت في لحظة انتقال السلطة، وقد قدم الثاني مساعدته إلى Ochus في ذلك الوقت، أو أن أخبار موت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني كانت بدقة هي ما قاد أورونتس إلى أن يغير ولاءه إلى Tachos ، بسبب خداعه ومسيرته إلى سوريا لمقابلة الأمير.

وبينـما يقـدم هـذا الافـتراض ميـزة وضـع Trogus Pompeius في عـين الاعتبـار بتأويله وتصالحه مع ديودورس Diodorus نستطيع أن نرى أن الأمـر لا يشـير إطلاقـاً إلى أن أورنتس قـد فكـر في المسـير إلى بابـل لخلـع وعـزل أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني، بل أقل من ذلك، أن تشير إلى أن هـذه المبـادرة التـي تـم تركيبهـا مـع الخطـط - أحياناً- تنسب إلى Datames ، ويناسب سلوك أورنتس جيداً المصاعب الأميرية الخاصـة بالسـلالة الحاكمـة المعروفـة بأنهـا قـد أحاطـت بارتقـاء أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث Ochus ، وكان أورونتس من بين هؤلاء الذين ساندوا وعضدوا Ochus .

العودة إلى Datames :

في سـياق غـير معـروف تاريخيًـا، يصـف Polyaenus هجومـاً عسـكريًّا بواسـطة Datames عبر نهر الفـرات لاسـتكمال ومواصـلة الحـرب ضـد الملـك العظـيم، وقـد تمـت ملاحقته بواسطة جيش جرّار، وعاد لعبور النهر بصـعوبة قبـل أن يصـل الملـك إلى الضـفة الشرقية، آخذاً ومستولياً على ممتلكات أعدائه سريعاً، هـل هـذا يعنـي أن Datames قـد قرر أن ينهي استراتيجية هجومه في مقاطعاته كابادوكيا ويطلق هجوماً واسع النطاق ضـد بابل؟ والذي يعتقد بعض المؤرخين أنها قد تراكبت مع الخطط المبالغ فيها التي نُسبت إلى أورنتس؟ لقد شدد كل المؤلفين القدامى على رغبة الملك في أن يتم تنفيـذها مـع خصـم أو عدو، والذين قدموا عـلى أنهـم أكـثر رقيًّـا وارتفاعـاً في الشـأن بسـبب السـمات الشخصـية والـذكاء الاسـتراتيجي، ولكـن بعثـتهم الاعتذاريـة قـد أبعـدتنا عـن وضـع جُـلّ المصـداقية في الروايات، والتي كانت تكتمل وتُخصص لإظهار الفضـائل الخاصـة بـالمتمرد، وتشـجب حـالات إنكار الجميل بالنسبة للأمير، وليس هنـاك اختيـار سـوى الموافقـة عـلى أن القصـة النـاردة لــ Polyaenus لم تسمح لنا بالإجابة عن هذا السؤال بشكل إيجابي، ودعونا نقول إن العديد من

التفسيرات والتأويلات الأخرى كانت ممكنة -على الأقل- وتمكن أيًّا منها من أن تقلل العمليات العسكرية إلى ضربة صغيرة على رسغ اليد دون استمرار التسلسل والتتابع .



الشكل 52

وماذا عن المصادر الأخرى التي لها علاقة بدراسة أو جمع قطع العملات النقدية، بالإضافة إلى العملات التي تم سكها من قبل Datames في ساينو لـ Simope وآميسس Amisus فإن سك العملة السيلسينية المنسوب له قد تم اكتشافه، متخفياً بالاسم اللوفياني Tarkumawa ، إن بعض العملات الكارانيكية Karanic ليست لها ملامح مميزة عند مقارنتها بالعملات من النوع نفسه، والتي تم سكها بواسطة قادة فرس آخرين أثناء الاستعدادات العسكرية التي تم تنفيذها في سيليسيا بين عام 390 وعام 380، وتحمل بعض العملات مشاهد أكثر أصالة وقدماً، وهي تعرض شخصاً مرتدياً لباساً إيرانيًّا، جالساً على عرش، وقد استراحت قدماه كرسي القدمين، يفحص سهماً ويمسك قوساً في يده وفي القمة يوجد قرص آهورا-مازدا Ahura-Mazda ، وتعرض عملة أخرى معبداً وشخصين أحدهما عارٍ وملتحٍ يومئ إلى الآخر، الذي يرتدي حسب الموضة اللباس اليوناني، ويقوم بعمل إيماءة محترمة نحو الأول، والعملة لها أسطورة آرامية تقرأ آنا Ana أو Anu ، وقد اقترح عالم حديث التفسير التالي: توضح كل من العملتين وضع Datames كمتمرد، بينما يرجع تاريخ الأولى إلى الجزء المبكر من الثورة عندما لم يقم Datames بتعريف خططه بعيداً عن الاحتفاظ واستبقاء الرموز الفارسية، والتلميحات الأخرى في الدعاية باستحضار،

والمناشدة، والتضرع إلى الإله البابلويني Anu ، ويمكن تفسير ذلك من خلال القطعة التي سردها Polyaenus والتي يعبر فيها Datames نهر الفرات، والإشارة توضح أن Datames قد نادى بتحرير بابلونيا باسم الإله Anu .

ومع ذلك فهذا التأويل يثير بعض التحفظات، من بينها فكرة أن المناقشات والمجادلات المشتقة عن عملة Datames والنص الذي قدمه Polyaenus يعتبرا مؤيدين بشكل متبادل لبعضهما البعض في فكرة غير حقيقية؛ لأنه ليس هناك جزء من دليل يعتبر غير قاطع أو حاسم، ولسبب آخر حقيقي هو أن شخصاً في زي فارسي كان ممثلاً باسمه الحقيقي يمكن أن يعتبر دليلاً قاطعاً على رغبته في الخلافة، ويمكن تقديم المجادلة المضادة بالاحتمال نفسه نحو الدقة والصحة، وبالنسبة للعملة الأخرى، إذا كانت قراءة الكتابة المنقوشة بالآرامية صحيحة، فحينئذ تعتبر أسطورة Anu مزعجة ومثيرة للنزاع، وفي الحقيقة فنحن نعلم أن هناك تعضيداً يمكن ملاحظته عن وضع الإله Anu في البانيتون في القرن الرابع في يوريك، وهذا يمكن ملاحظته بشكل خاص في الأسماء الشخصية، ولكن أسباب هذا التغير تظل غامضة؛ ولذلك يصبح الارتباط المنطقي مع عملة Datames مسألة تداول وتشاور وتأني، وعلى أيه حال، فمن الصعب تفسير لماذا اختار المرزبان رمزاً بابليًّا مقدساً مفضلاً عن آهورا-مازدا Ahura-Mazda في قتال أو حرب مع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وحسب المعطيات المقدمة في هذه النظرية فقد كان غرضه هو الفوز على الارستقراطية الفارسية، وهل يمكننا أن نقول إن الاعتدال الافتراضي لأصله، وكذلك الأساس اللوفيني اللوفياني الافتراضي Tarkumawa قد منعه من الأمل في مساعدة طبقة النبلاء الفارسية؟ ولكن باسم الاهتمامات العامة والقواعد والأسس الأيديولوجية: هل استطاع أن يأمل أن يعبئ يسرح الشعب البابلي حوله؟ ولذلك فمن الأفضل ألا

نولي اهتماماً أكبر من اللازم إلى الفقرة التي قدمها Polyaenus ، والتي تبرر تفسيراً للدليل العملي النقدي ، والذي كان بدوره يقوم على المقدمات المنطقية التي قد قمنا بمناقشتها.

ماوسولس Mausolus والثورات:

يجب أن نقول الآن قليلاً من الكلمات عن ماوسولس في كاريا الذي كان سيداً لكثير من القلاع والحصون والمدن المهمة، والذي ضمنه ديودورس Diodorus بين المتآمرين، لقد ورث هذا الرجل النبيل -كريم الأصل- لقب مرزبان من والده Hecatomnus في عام 377.

ولقد كان مكان Hecatomnus في الإمبراطورية الأخمينية أصيلاً، حيث إنه كان مرزباناً، ومن السلالة الحاكمة أمير حتى إن وضع المرزبان قد انتقل داخل الأسرة، ومع ذلك فالمثال ليس فريداً، وعلى سبيل المثال، فقد ورث كل حكام السامرية أيضاً مناصبهم، إن عدداً قليلاً من المعاهدات التي صدرت بواسطة المدن الكاريية تشمل ميلاسا، مركز السلطة والقوة الأصلي لـ Hecatomnid أو بواسطة الكاريني Koinon لا تعتبر دليلاً على وجود الولاية الأخمينية، بينما تحمل الآخرين رداءة الصياغة، وفي السنة N لحكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes أصبح Mausolus مرزباناً، وقد عبرت هذه الصياغات عن الطبيعة المزدوجة لامتيازات Mausolus ، وهذا دون شك هو السبب الذي من أجله أعلن -على لسانه- أنه يرسل هدايا إلى الملك العظيم لكي يحافظ على السلطة السلفية السابقة ، هل يمكن أن تشير هذه الحادثة إلى الهدايا إلى الملك العظيم في مناسبة اعتلاء وارتقاء أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث العرش؟ والتي بعدها أكد الملك أو طرد وعزل المرزبانات والضباط القياديين من مناصبهم؟

من المحتمل أن Mausolus كان أيضاً يناضل من أجل تعزيز سلطته ووضعه الاجتماعي الخاص، بينما كان استمرار الحفاظ على الحكم

والنظام الأخميني هو شغله الشاغل، وقد تم إثبات ذلك جيداً بشكل خاص من خلال نقل عاصمته إلى Halicarnassus ، حيث أقام قصراً ملكيًا اتبع نموذج القصور المرزبانية والأناتوليانية والأخمينية معاً، ومن الثابت من خلال المبادرات الخارجية أنه قد تمت إقامته مقابل الجزر والمدن في تواريخ غير معروفة بشكل واضح، ولكن المعلومات التي بين أيدينا حول الأنشطة الخارجية لمرزابنية سارديس وداسيلايم لا تسمح لنا بأن نقول إن سلوك Mausolus كان فريداً بشكل أساسي بدرجة أقل من أن مرزبان Halicarnassus قد عرض اتجاهات انفصالية من خلال استمرار هذه الأنشطة؛ لأن طوحاته في بعض الأحيان تستطيع أن تتشابك بشكل تام مع المصالح والاهتمامات الأخمينية، وبعد كل ذلك ليست البعثة التقليدية للمرزبانية أن يقوموا بتوسيع المقاطعات الملكية، وبالرغم من الطريقة التي يقوم بها مؤلفو القرن الرابع اليونايين من عرض وتقديم معلوماتهم بشكل متكرر، لم يكن Mausolus بشكل مؤكد حاكماً مستقلاً، ولدينا قدر ضئيل من المعلومات حول أنشطته كمرزبان، ولكنها على الأقل توضح أنه قد استؤمن بواسطة السلطة المركزية على أن يواصل استمرار النظام الحاكم في كاريا، فقد قام بتأثيث السفن وبنائها، وكذلك الوحدات العسكرية، وكذلك جمع ونقل الجزية وضرائب أخرى، واستمر في تشييد الطرق الملكية، وقد فرض أيضاً الضرائب مع توفير التشريع الملكي لها، مقارنة بالرسوم الملكية مثل الهدايا المطلوبة التي يعبر بها سكان الدول من خلال قافلة المرزبانات أو من قوافل أحد مرؤوسيه الذين اضطروا إلى تقديمها، وكثير من النوادر التي وُجدت في علم الاقتصاديات توضح الصرامة المالية الأسطورية لـ Mausolus ، وهذا هو السياق الخاص بالعديد من النوادر التي تشهد على علاقاته مع الإدارة المركزية، وعلى سبيل المثال فقد تلقى أمراً من الملك كي يرسل ضريبة منحة - عطية - هدية بشكل ودي، وقد انتخب على أنه الأكثر ثراءً بين أصدقائه، وأمر

بأن ترسل كل هذه المجموعات إلى الملك العظيم، وتوجد تفاصيل أكثر دقة في نص تصويري يرجع تاريخه إلى خليفته Pixodarus ، وقد منح سكان Platasa إعفاءً ضريبيًّا لواحد Dion ، وأحفاده وتنص الاتفاقية على أن هذا الإعفاء يقتصر فقط على الضرائب المدنية، فمازال ديون Dion وسلالته مضطرين إلى أن يدفعوا الضرائب الملكية، وهذا البيان تم التأكيد عليه من جانب عدد من المعاهدات والاتفاقيات الأخرى، ومثل أية إمارة أو عاصمة، فإن كاريا قد اضطرت إلى أن تدفع الجزية والهدايا وسلسلة من الضرائب الأخرى متراكمة على الضرائب المدنية، وكان من الواضح أن Mausolus وخلفاؤه الذين كان مطلوباً منهم أن يقدموا الكمية اللازمة من الضرائب للإدارة الملكية، ويمكننا أن نفرز من السجل التصويري اتفاقاً شيقاً للغاية من ميلاسا يرجع تاريخه إلى السنة التاسعة والثلاثين لحكم أرتاكسركسيس Artaxerxes عام 367-366 ، وتقول: «حيثما قد أُرسل Arlissis ابن Thyssolos إلى الملك بواسطة الكاريين، فإنه قد اتُهم بخرق ونقض الثقة أثناء انتدابه، وحيث إنه قد تآمر ضد Mausolus الذي كان مُحْسناً لمدينة الميلاسيين مثل والده Hecatomnus وأسلافه، وحيث إن الملك قد رأى أن Arlissis مذنب، وحكم عليه بالموت، وحيث إن المدينة قد اعتنت بممتلكاته، حسب القوانين القديمة وتخصيصهم لـ Mausolus ، فقد أعلن عن شقائهم وبلائهم على المخدوم المرؤوس أنه لم يتم اقتراح أي شيء أو الإعلان بصوت مرتفع وجهوري بتفعيل ما هو منافٍ ومضاد، وإذا حاول أي شخص أن يقوم بتصعيد ذلك فإنه سوف يُحكم عليه بالموت، هو وذويه».

ونحن لا نعرف مادة الاتهامات الموجهة إلى Mausolus ، فلا يوجد شيء يمكن إثباته، إذ يمكن اتهام المرزبان بالتمرد والعصيان في هذا التاريخ، حتى إذا شعر Arlissis أنه يستطيع أن يقدم الاتهامات من هذا النوع في جو من الحساسية، ولا بد أن ذلك يعد أمراً داخليًّا، ربما

يرتبط بالاهتمامات الملكية لـ Mausolus ، وهناك العديد من النصوص الأخرى التي تشير إلى مثل هذه المكائد والمؤامرات، والتي يُحكم فيها على المذنبين بالموت ومصادرة ممتلكاتهم، ومما يعتبر أكثر تشويقاً بشأن Arlissis هو توضيح وتفسير العلاقات بين عدد من أجواء السلطة، أمير مرزباني، الـ Koinon الخاص بالكاريين، الذي أرسل بعثة إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، مدينة ميلاسا التي صنعت القرار ، والملك العظيم، ومن الجدير بالذكر أن أرتاكسركسيس Artaxerxes هو الذي أصدر حكمه بالموت على Arlissis ، ومن المحتمل والمرجح أن يكون ذلك مرجعه إلى حكم سابق كانت فيه الاتهامات التي استُحضرت بواسطة المبلّغ المُخْبر عن الجريمة قد استصدر حكماً بشرعيتها.

لقد كان دور مجلس نواب ميلاسا -الذي كان بلا شك يسيطر عليه Mausolus - هو تسجيل أوامر الملك وأحكامه واستصدار عقوبة أكبر لمصادرة البضائع التي كانت محلية خالصة في طبيعتها، ولم تسقط هذه العقوبة الأخيرة تحت طائلة القانون الخاص بالسلطة المركزية، والتي لم يكن لها معرفة بالسلوك المؤسساتي الكاريني بصفة خاصة، ولقد دلت على ذلك المحاكمة الجديدة في ميلاسا، وقد اشتملت على اتهام الـ Parapresbeia -وهو اتهام شائع في المدن الإغريقية- فقد كانوا يحكمون على السفراء الذين يتم إرسالهم إلى القصر الملكي الخاص بالملك العظيم الذي كان يوافق على قبول الهدايا -متّبعاً العادات الأخمينية- والتي قد اعتبرت عند رجوعها رشاوى، ولأجل كل هذه الأسباب يناسب النص تماماً السجل البسيط للعلاقات التي تتضمن الأحكام القضائية والتشريعية بين السلطة المركزية والمجاورات الخاضعة للسلطة المركزية.

ومع ذلك فليس هناك اختيار سوى أن نعرف أنه ليس هناك دليل يؤكد عبارات ديودورس Diodorus عن مشاركة Mausolus الفعّالة والنشيطة في

الثورات، ولدينا عبارات قليلة في الـ Agesilaus الخاص بزينوفون Xenophon وهنـاك نعلـم أنـه أثنـاء الحملـة العسـكرية ضـد Ariobarzenes في عـام 366 قـد تلقـى Autophradates مسـاعدة مـن أسـطول Mausolus كنـوع مـن التعـاون بـين القـوات البحرية والقوات البرية، كما كان هو الحال في عام 391 أثناء العمليـات العسـكرية ضـد قبرص، إن عمليات الحصار لـ Assos و Sestos قد تم تنفيذها بشـكل مشـترك بواسـطة القوات العسكرية الخاصة بهما، ومن الواضح إذن أنـه -في هـذا الموقـف- كـان يـتصرف Mausolus على طـول جانـب القـوات المواليـة المخلصـة في إطـار بعثـة كانـت مهمتهـا مواصلة واستمرار النظام والحكم الملكي، ويبدو أن النتيجـة العاقبـة الخاصـة بـالاعتماد على هذه الفقرة كانت غامضة بـالنظر إلى كـل مـن الـنص نفسـه وتفسـيره، لقـد تخـلى وهجر Mausolus حصار Assos و Sestos بنـاءً عـلى إصرار Agesilaus بعـد الحصـول على المال من كلا الجانبين، ثم قدم تمويلات إلى الإسبرطيين وأخيراً قام كل من Tachos و Mausolus بتنظيم عودة Agesilaus في موكب عظيم، ودون التطرق إلى هـذه النقطـة والدخول في تفاصـيل، فإننـا يمكننـا أن نلاحـظ بشـكل بسـيط أن أيـة علاقـة ثلاثيـة بـين Mausolus و Tachos و Agesilaus كانـت مُثبتـة قـد أثـارت مشـكلات وصـعوبات تأريخية لا يمكن حلها أو إيجاد حلول لها بشكل واقعي وعملي.

ودعونا نجمع النقـاط التـي تعتـبر أكـثر أو أقـل درجـة في الاعـتماد عـلى صـحتها ومصداقيتها لا يمكن اكتشاف أي دليل يمكن التنازع عليه من نزعة انفصالية مفترضـة في أعمال Mausolus ومبادراته، وعلى عكس ذلك، فإننـا نلاحـظ أن العمـل الوحيـد الـذي نرى أنه يشاركه فيه قد تم توجيهه ضد المتمرد Ariobarzenes ، في تعـاون قريـب مـع القوات الملكية، والتي تكاملت معها الفرق العسكرية الكاريـة الممتـازة، وتظهـر مسـألة أمـر Arlissis ، أنـه حتـى في كاريـا نفسـها، كـان هنـاك العديـد مـن الأعـداء الـذين

كانوا مستعدين لنقد Mausolus والوشاية به إلى الملك العظيم، وتوضح بشكل بليغ أن متهمين بارعين وعديم الضمير قد استطاعوا أن يقذفوا ويرشقوا الاتهامات في وجه المرزبانات لدوافع نزاعية، واضطر الملك إلى أن يصدر قراراً قائماً رغم قناعته الداخلية.

من كاريا إلى ليسيا:

يحسب ديودورس Diodorus الليسيين بين الشعوب الساحلية المتمردة أو التي اشتركت في التمرد، وهي حقيقة تستدعي إلى الذاكرة الإعلان الفصائلي الذي قدمه Isocrates في عام 380، في واحد من استطراداته الكثيرة حول نقطة ضعف الإمبراطورية الأخمينية: «قد تستطيع ليسيا أن تخضع أي فارسي لها أبداً»، ومع ذلك، فحقيقة أن ديودورس Diodorus وآيسوقراطس قد اتفقا على ألا يمنحوا أية سلطة لتفسيراتهم العامة، ولكي نكون قادرين على أن نحكم بشكل عادل، فإننا نحتاج إلى أن نرجع إلى عقود عديدة ماضية، وذلك لوضع هذه الفترة القصيرة في الـ Longue duree للتاريخ الليسيني، وفي إطار العلاقات بينهما وبين بلاد الفرس بعد نهاية حكم دارا Darius الثاني.

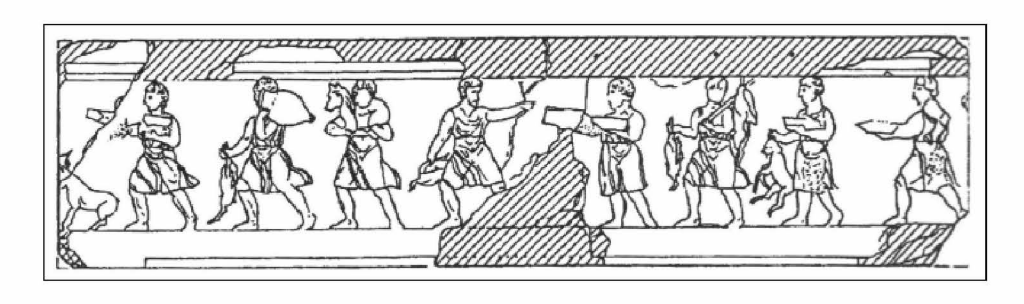
وفي هذا الوقت تم تقسيم ليسيا بين عدد كبير من الأمراء والحكام، ولكن كما هو الحال في فترات سابقة يستطيع الفرد أن يلمح محاولات السيطرة من جانب بعض منهم، وبدايات حكم النائب تسمى البريكليسات والتي تعود إلى عام 380 تقريباً، وقد سعى في توسيع مقاطعته بعد رحيله من قاعدته العسكرية Limyra في ليسيا الشرقية، ولقد كان معروفاً بشكل كافٍ أنه من الجدير بالذكر أن نخصص فقرة له في الكتاب الثاني عشر لتاريخه، والذي منه قد حصلنا على التلخيص التالي: «لقد صنع الليسيون حرباً تحت قيادة ملكهم Pericles ، على Telmessos ، ولم يتوقف عن القتال حتى أطاحوا بسكانها داخل أسوارهم، وأجبروهم على التفاوض، وقد نجح Pericles سريعاً في بناء

إمارة صغيرة منظمة جيداً، كما تم التأكيد عليها بواسطة مدن الموتى المقابر المحفورة في الصخر، وحطام مكن إقامته في ليميارا، والتي هيمنت على البحر بشكل كبير، وأكثر من ذلك، فإن الألقاب الملكية التي تم منحها إليه بواسطة Theopompus تم التأكيد عليها خلال وثيقة يونانية وجدت في الموقع ذاته، وتذكر أن Pericles ، الذي أرسى حكمه على ليسيا، قد رفع راية التغيير في شرف Zeus Hypatos ابن Chronos و Rhea .



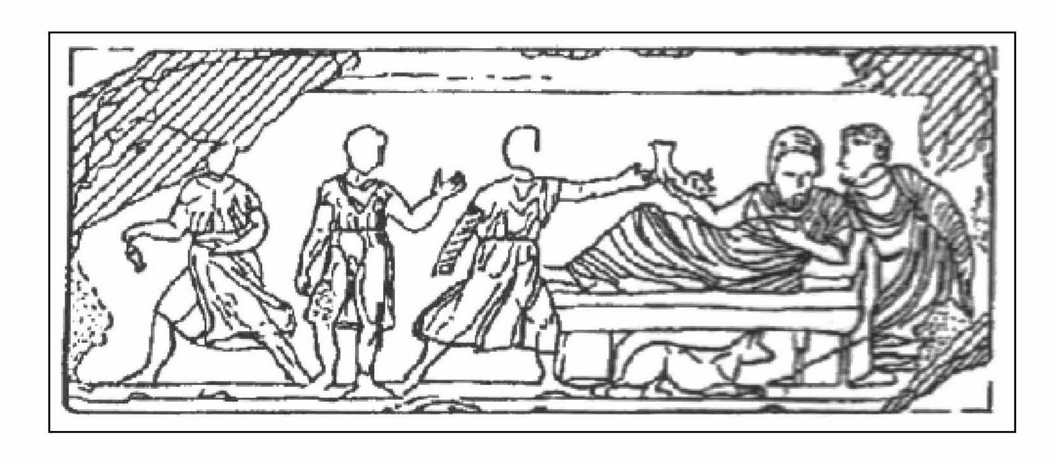
الشكل 53 أ

ومن المحتمل أن برنامج التمدّن والتصريحات المتفاخرة من Pericles لم يكن يقصد بها الاستجابة إلى إنجازات أمراء Xanthus الذين كانوا دائماً يتقلدون مناصب ممتازة في السياسات الليسينية بعد الغزو الفارسي، يعكس الدعم بوثائق Xanthus بشكل خاص كلاً من الاضطرابات الداخلية وازدهار إمارة Xanthus في أعوام 360-400، وترجع الوثيقة التذكارية إلى عام 400، وينسب تأليفها إلى Kheriga ، ورغم أن النص الليسيني لم يتم فك شفرته بشكل كامل، فإن نصوصاً يونانية موازية تقدم ثروة من المعلومات، ويحفل أحد التضمينات التذكارية على شجاعة في القتال ووسائل الاستغلال في الحرب الخاصة لـ Gergis ، و Kheriga ابن Harpagus ، من سلالة Karikas ، فقد غزا العديد من القلاع والحصون، وأعطى أقرباءه نصيباً من حكمه وسيادته الملكية، وتوضح هذه الصياغة الأخيرة والإيماءات العبارات المنشورة لخليفته Arbinas أن حالة عدم الاستقرار كانت هي



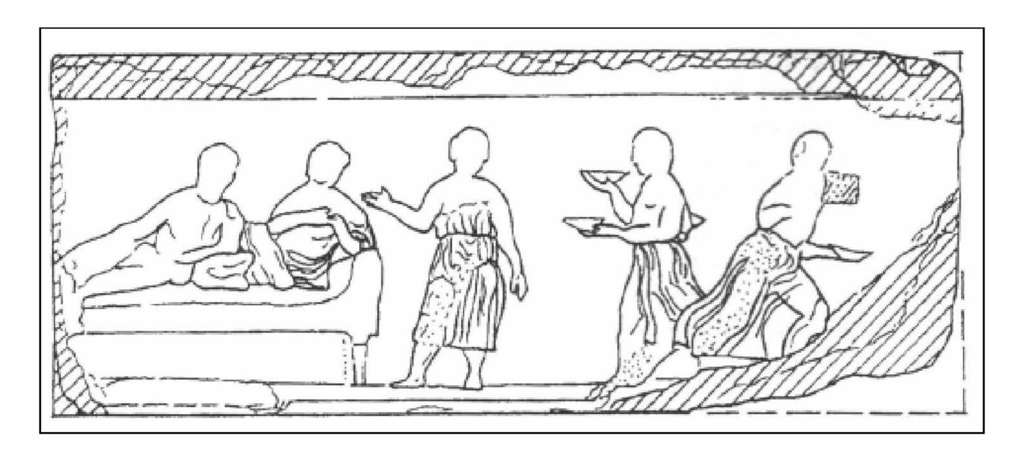
الشكل 53 ب

العرف السائد، مما شجع على ممارسة توزيع السلطة بين عدد من أعضاء الأسرة، ويقول Erbbina/Arbinas -الذي يقدم نفسه بكونه ابناً لـ Kheriga - أنه قد اضطر إلى أن يهاجم Xanthus نفسها في شبابه، بالإضافة إلى Pinara و Telmessus ، وتذكر قطعة أثرية أخرى كيف أنه أقام سلطته ونفوذه في Lycia ناشراً الخوف بين التكتلات الليسية، وفارضاً نفسه كسيد عليهم، وتذكر باقي الوثيقة فضائله أو صفاته العقلية والخلقية والبدنية، وقد كانت Kheriga مسؤولة تقريباً وبشكل لا يدع مجالاً للشك عن إنشاء أثر Nereids بنات إله البحر ، ودون الوصف بأكثر تفصيلاً للتركيب الرمزي التصويري لهذا الإنشاء الملحوظ، فإننا سوف نشدد على وحدتها الموضوعية الواضحة، والتي توضح الأيديولوجية الأميرية للسلالة الحاكمة بشكل جيد، وبينما تظل السمة اليونانية واضحة في التصوير الرمزي -كما هو الحال في الكلام المنقوش على الصرح المبنى الضخم نفسه- فقد يمكننا أن نلاحظ أهمية الموضوعات التي تعتمد على Persepolts بشكل خاص، وعلى فن البلاط الملكي الأخميني بشكل عام، ويشتمل على مشاهد الجمهور، مشاهد الصيد، الولائم، جلب الهدايا، الحرب والحصار، والصور المذكورة أخيراً يبدو أنها تصور بشكل مرئي التأكيدات المكتوبة عن الحاكم أو الأمير، ولكي يعظّم من قوته ونفوذه، فإن أمير Xanthus كان يطلب معونة الآلهة الإغريقية ذكريات الحروب الفارسية تكراراً لعبارة منقوشة في شرف



الشكل 53 ج

النصر في Eurymedon ، والمواكب البهية للمشاهد المعروضة في النحت الفارسي البارز، وكذلك الأختام، ويمكن تأريخ هذا الواقع الأثري تقريباً في عام 380-390 وهي فترة تسبق بدء Pericles في تعزيز وتعضيد قوته وسلطته في Limyra وشروعه في تعميم مجده الخاص، باستخدام الموضوعات والطرق الموازية لتلك التي كانت تستخدم بواسطة Arbinas في Xanthus ، وأكثر من ذلك، فإن الرجلين كادا أن يتصادما يتقاتلان -حسب ما ذكر Theopompus - وكان Pericles قد شن غزواً وهجوماً على Telmessus -المدينة التي قد استولى عليها Arbinas في بداية حكمه- وكلاهما أراد أن يتم تنصيبه ملكاً على الليسيين، وعلى أية حال، فإن التنافس بينهما يمكن مقارنته بالمنافسة القوية التي جعلت الخصمين Straton of Sidon و Nicocles of Paphos كلاً منهما محبطاً ويائساً؛ لكي يتغلب على الآخر في فخامة وشروق وبهجة الحياة رغد العيش في نظامهما الملكي، وعلى عكس ما ذكره Theopompus عن Athenaus XII.531a-e Alien VH V112 ، فإن هذه Tryphe لم تكن بشكل بسيط الرغد والسرور، بل كانت صورة للسلطة التي لم يكن يستطيع هذان الملكان أن يظهراها من خلال عرض رموز القوة والسلطة التي تم



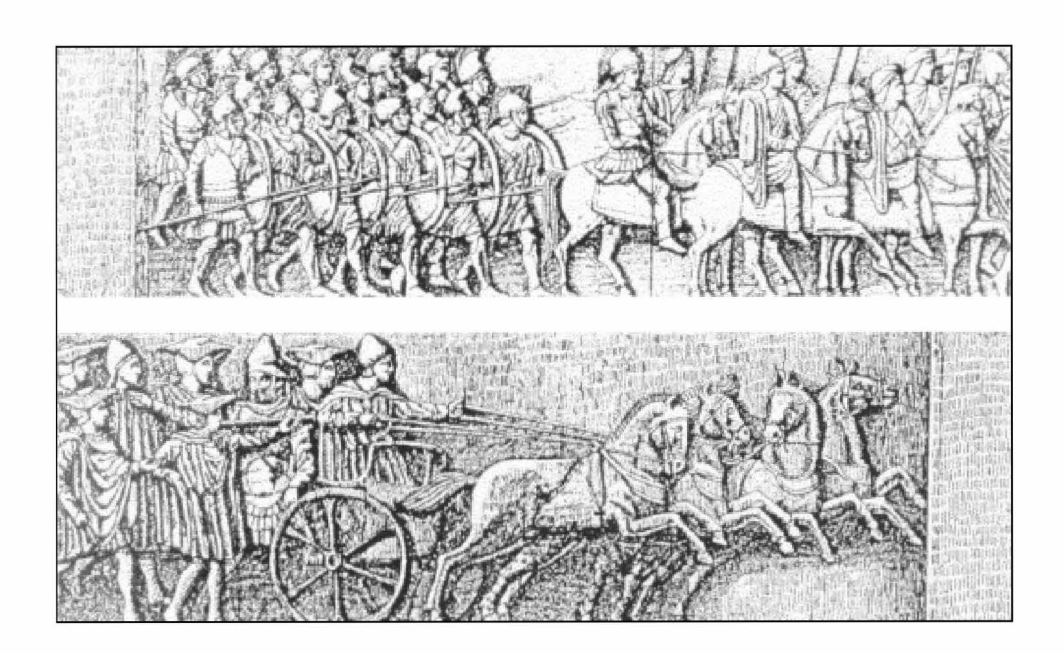
الشكل 53 د

إلهامهما بها بقوة من خلال الأكواد الأيديولوجية، وكذلك الأكواد الرمزية التصويرية التي تصوغ البلاط الملكي وقانون ولائحة القصر الملكي للملك العظيم.

إن العديد من الاستعارات العميقة من القصر الملكي الأخميني لا تشير بالضرورة إلى أن الأمراء كانوا يعترفون ويعلنون خضوعهم للسلطة المرزبانية، وفي الحقيقة فإنه من الحذر أن نبني ارتباطاً سياسيًّا سليماً على أساس برنامج رمزي تصويري، فأمراء Xanthus و Limyra كانوا منزعجين من توسيع منصبهم القيادي والسيادي في Lycia ، وسوف نلاحظ أن أمير أو حاكم Xanthus كان بعيداً عن محاولة إطراء وتملق الفرس بالإشارة إلى النصر في الـ Eurymedon لمنفعتهم الخاصة ، ومن الصحيح أن القصيدة قد تمت كتابتها بواسطة شخص يوناني يدعى Symmachus of Pellena ، ولكن من المؤكد أنه قد قام بعرض النص على سيده مقدماً، وعلى أية حال، وبشأن ما يتعلق بالعملات، فإن إحدى المشكلات كانت هي التعرف على الأشخاص الذين يظهرون في المشاهد النظارية الجمهورية ، المرزبان أم الحاكم الأمير ؟ ولحسن الحظ فإن أثر Xanthus ويسمى Sarcophagus of Payava يخفف من وقع الصعوبة،

وتعتبر الاستعارات الفارسية مهمة وواضحة في مشهد النظارة، أشخاص كثيرون يرتدون الزي اليوناني يظهرون أمام صاحب المقام الرفيع، الذي يرتدي الزي الفارسي، الامتيازات الفارسية الفرعية Kandys، Alinakes، Tiara، Bears ، اللحية وشخصين آخرين يقفان خلفه، وعلى القمة كلام ليسيني منقوش يعطي اسم Autophradates -المرزبان الفارسي- ويصف توصيل شيء ما إلى شخص اسمه مفقود، ولكن لا يمكن ألا يكون Payava سواء كان هو أو شخص آخر يظهر أنه قد أسر قبض على قائد ليسيني، ولا يعتبر وجود Autophradates في Xanthus أمراً مثيراً للدهشة على مستوى مؤسساتي؛ لأن Lycia كان بلداً تابعاً مرزبان ساردیس في ذلك الوقت، وهناك كلام منقوش خاص بدفن Phellos يأخذ تأريخاً من عبارة «تحت القيادة» من Autophradates ، ومن الجدير بالذكر أن نرى Autophradates ممثلاً على قطعة أثرية ليسينية، تشير إلى أن Payava كان الشخص الذي اعتمد عليه أمير Xanthus في ذلك الوقت ، ونحصل على انطباع بأن مشهد التابوت الحجري يصور شخص الاحتفالات حول وصول المرزبان إلى مقاطعته، ولكن ماذا يكون تاريخ هذا المشهد قبل، أثناء، بعد الثورات؟ إن دراسة الناووس التابوت الحجري لا تسمح لنا بتأريخها بشكل أكثر دقة من حوالي عام 370 إلى حوالي عام 350، هل يقودنا الدليل إلى عمل تمييز بين ليسيا Lycia الغربية الموالية أو التي أعيد غزوها بواسطة الفرس وليسيا الشرقية والوسطى التي قد خضعت لحكم أمير في ثورة مفتوحة والذي من المرجح أنه كان Pericles ؟

لقد أجاب عدد من النقاد عن هذا السؤال بالإثبات، حتى مع اقتراح أن هناك تعاوناً بين Pericles و Datames ، ولكن السجل المفتقد للتأريخ لا يرخص أو يسمح بمثل هذا التدخل، ويمكننا أن نلاحظ أولاً النصوص من زمن الإسكندر Alexander ، والتي تقترح أن الفرس قد عسكروا بحملاتهم العسكرية في Lycia في هذا الوقت، وأخذ المسجونين والذين



الشكل 54

تم ترحيل بعضهم إلى Persepolis ، ثم نلاحظ أن Theopompus يذكر هجوماً على Telmessus بواسطة Pericles والذي يفترض أنه كانت هناك حرب ضد حاكم Xanthus على أن Arbinas قد اعتبر Telmessus من بين تلك المدن الخاضعة لسلطانه وسيادته، وبالإضافة إلى ذلك، تم التأكيد على التوسع الإقليمي لـ Pericles من خلال الكلام المنقوش الذي قد وجد في العديد من المواقع في ليسيا Lycia الشرقية والوسطى.

وتشير عبارة منقوشة من Limyra إلى انتصار Pericles على Artumpara واللذين قد وجدت عملاتهم في مواقع ليسينية متعددة، ولكن لا يمكننا أن نؤكد على علاقته بـ Autophradates ، ويعطينا المقدار الضئيل من الدليل الصلب انطباعاً عن التلميح إلى النزاع والشجار بين الأمراء الليسينيين، دون ربط يمكن الاعتماد عليه بثورة المرزبان، وحتى إذا أمكننا اقتراح أن الثورة قد قدمت بعض المزايا إلى الأمراء، ولا تسمح لنا الشكوك التاريخية بأن نستنتج أن Autophradates قد تدخل بشكل

مباشر، وتتساءل وثيقة تم نشرها مؤخراً عن الدور المنسوب إلى Pericles ، وتوضح أن أسرته وأحفاده -بعد موته- قد استمروا في احتلال منصب ذي مقام رفيع في Limyra ، وهي علامة واضحة على أن سلطانه لم يتم تدميره بعد، ويمحو هذا النص كل النظريات التي تم تأليفها بشأن مصيره المحفوظ من جانب الملك العظيم لأمير متهم بالتمرد والعصيان.

تلخيص المناقشة:

بينما لا يمكننا أن ننسى الشكوك المستمرة التي قد أشير إليها يمكننا أن نذكر بكل تأكيد أن فرضية ديودورس Diodorus لم يتم التأكيد عليها في باقي الدليل، حيث إننا لا نتعامل مع الحريق العام المشترك على الجهة الغربية في عام 361، ولكن مع مجموعة وسلسلة من الثورات المحلية المحدودة على مدار عقد من الزمن، ورغم الدوافع التي تُنسب إلى أورونتس وديتامس، فليس هناك دليل على أن المرزبانات قد قرروا وخططوا لأن يوحدوا قواتهم مع القوات المصرية في محاولة لعزل وتنحية أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني عن العرش، وعلى أية حال، فإذا كانت هناك أية خطط لعمل موحد ومشترك على المدى الطويل، فإنها لم توضع موضع التنفيذ، وإذا تم الاعتراف بأورونتس كونه مدبر الائتلاف، فنحن لا نراه على رأس جيش مشترك يواجه جيش الملك، ومن المدهش أن نلاحظ أن العمليات العسكرية الوحيدة التي تم ذكرها كانت في Aeolis و Troad من ناحية، وفي المناطق الخاضعة لحدود Datames من ناحية أخرى، وفي الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغرى، وقد اختصت حالة عدم الاستقرار بالسياق التاريخي الطويل للصراع والنزاع بين سارديس و Dasiylium ، ونحن نرى القادة الفرس في آسيا الصغرى لا يتعاونون مطلقاً، ما عدا عند الحملة الموالية لـ Autophradates و Mausolus ، وقد انخرط Datames في عمليات عسكرية فردية، بعيداً عن الاتفاق الذي أبرمه مع Ariobarzenes ، ولكن

لا يمكننا أن ندرك ونتمعن في بقائها ومدة حدوثها، وكذلك فاعليتها العملية، إن الجيش الملكي هو تلك القوات العسكرية التي قادها الأمير Ochus إلى النصر على Tachos في الأشهر الأخيرة من حكم والده، ونتيجة حصوله على المعلومات التي وصلت إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes من آسيا الصغرى، فقد اعتقد أن قوات المرزبانات المخلصين له كانت كافية لإخماد أي نوع من أنواع عدم الاستقرار أو الهياج.

وتعتبر نهاية ثورة الـ Pissuthnes السابقة -كما أبلغها ستيسياس Ctesias - مهمة، فلقد خدعه قائد المرتزقة الذي حارب في صفه، وهو قائد أثيني، فقد تسلم قيادة مدن وأراضي كبيرة شاسعة كمكافأة على خداعه وخيانته، وفي الحقيقة، فإن هذا المثال ليس فريداً، ويجب أن نؤكد أيضاً عن تكرار موضوع الخيانة في المصادر القديمة، وتعتبر قضية Datames قضية جديرة بالذكر؛ لأنه قد عانى من أشكال خداع متتابعة ومتلاحقة، بواسطة حميه وابنه الأكبر، والعديد من رفقائه، وأخيراً على يد Mithradates الذي تظاهر أنه ينضم إلى حالة التمرد والعصيان وكان الأفضل في خيانته والأكثر دهاءً، ولكن لم تكن قضيته منفردة ومنعزلة عن غيرها من القضايا؛ لأن Ariobarzenes قد خدعه ابنه، وكذلك أورونتس و Rheomithres ، فقد قاموا بتسليم كثير من المتآمرين إلى السلطات الملكية، وظهرت حالة انعدام الثقة هذه في بعض القادة الفرس الآخرين بالتأكيد بالنسبة لكل أبطال الرواية، ومن الخطأ أن نعتبر الموضوع كأنه لا شيء إلا Topos للتسريح، مهما كانت نوايا ومقاصد المؤلفين الكلاسيكيين، والدوافع المنسوبة لكل من أورونتس و Rheomithres واضحة، فالأول رغب في مكافآت عظيمة من الملك وخاصة السلطان القضائي الموسع، وأراد الثاني أن يصنع سلاماً مع الملك، وهذا يعني أن الفرس قد استمروا في تشكيل إطار لأنشطتهم،

وعمل حدود لها داخل التركيب الأيديولوجي لنظام الولاء الملكي تبرهن عليه كثير من النصوص خلال التاريخ الأخميني Achaemenid History .

ومن الضروري أن نذكر أن هذه الملاحظات ليس المقصود منها إنكار وجود الاضطراب وأشكال التمرد والعصيان، ومن هذه النقطة يصبح الموقف مضاعفاً، فالمشكلة تكمن في تفسير أشكال التمرد والعصيان بالنظر إلى السيادة الإقليمية للملك العظيم، من ناحية فنحن نشدد على أن الفرس -رغم عزم الملك واستعداداته العظيمة- أثبتوا أنهم غير قادرين على إعادة الاستيلاء على وادي النيل، إضافة إلى أن الفرعون قد بادر بالهجوم، ومن الصعب فهم هذا العجز رغم أن نظرية التدهور العسكري الفارسي لا يمكن الدفاع عنها أو الاحتفاظ بها، ويمكننا أن نؤكد على عدم كفاءة السيطرة الإقليمية الفارسية، وبالفعل لم يبدُ أن الفرس -في القرن الماضي- كانت لديهم سيطرة عبقرية على الدلتا بأكملها، بالإضافة إلى ذلك، فإن سلطة Hakoris التي كانت قائمة في مصر، وفي شبكة الحلفاء قد أجبرت الجيوش المرزبانية على أن تحارب في واجهات متنوعة في الوقت نفسه، ومن ناحية أخرى يبدو من الصعب أن نؤكد أن الثورات المرزبانية المشهود بصحتها في آسيا الصغري توضح تدهوراً وانحطاطاً لا يمكن إلغاؤه، وتدهوراً عميق الأثر في السلطة التي مارستها السلطة المركزية على الحكام، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يكون فيها المرزبانات غير قانعين، فقد استخدموا الأسلحة مثلاً في ثورة Megabyzus ، أو الثورات التي قام بها Arsites و Pissuthnes ، ثم بعد ذلك ابنه Amorges ، ولم تشكل أي من هذه الثورات الوقتية أي تهديد كبير بالنسبة لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول أو دارا Darius الثاني رغم المساعدة الخارجية التي كانوا يتلقونها أحياناً الدعم الأثيني من Amorges ، وعلى عكس هذا التفسير يصوّر أورونتس أنه صورة لقورش Cyrus الأصغر، وهو لم يتعرض لأي من أرتاكسركسيس Artaxerxes أو

المملكة الأخمينية، وفي الحقيقة لم يكن هناك أي بديل عن استمرار المملكة الأخمينية، ولا نجد أي متمرد فارسي يعرض القواعد الملكية للخطر بمحاولة إقامة نظام خاص للإمارة، لكنه فقط قيام مملكة مستقلة على عكس الانطباع الذي استخدمه ديودورس Diodorus في المفردات Basileia بما قد ينشأ فريچيا Hellespontine ، ومن الواضح أنه كان يتوقع الوضع الذي ستصبح فيه الفترة الهلينية.

وباختصار، وبالإضافة إلى إمكانية إعادة صياغتها، تقدم أحداث عام 360 الدليل على أعراض العجز الملكي الثورات المرزبانية و الهجوم على Tachos فرعون مصر ، فالمعلومات محدودة ومتناقضة حول السقوط الداخلي للثورات، الصراع على العرش في مصر ، والمقدرة الفطرية للوسط للتغلب على هذه التغيرات من خلال عمليات الهجوم التي كانت عسكرية انتصارات Ochus في سوريا ، أو سياسية الارتداد عن Ochus وكذلك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني .

8- في قلب السلطة/ داخل القصور الملكية:

كما شددنا مراراً وتكراراً فإن لفت الانتباه إلى الشؤون في الجهة الغربية في الصفحات السابقة ليست من اختيار المؤلف، إذ أنها تنبع من طبيعة الدليل، بالإضافة إلى أن التعامل مع الثورات وأشكال العصيان المسلح وإعادة الهجوم والغزو قد شكل واحداً من الوسائل التي عرضت الكفاءات الوظيفية القابلة للتطوير للهياكل الوظيفية الملكية، وإننا فقط نقوم بتنفيذ وإجراء استبيان مفصل بدرجة متساوية في قلب أو مركز الإمبراطورية.

لقد أُخبرنا عن مشروعات البناء الملكي بشكل أفضل مرة أخرى، إذ نعرف أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد أصدر أمره ببناء معبد Apadana في إكباتانا Ecbatana .

ومن المحتمل أنه كان أيضاً مؤسس القصر الأخميني الجديد في بابل، ولكن كان نشاطه واضحاً في صوصا Susa ، ونحن نعرف أنه قد أعاد بناء الـ Apadana الخاصة بدارا Darius الأول، التي قد دمرتها الحرائق والنيران أثناء حكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، وتثبت أعمال التنقيب والعبارات المنقوشة أنه قد بني قصراً جديداً على ضفاف نهر الـ Shaur ، ولم يمكن نسب المبنى ولا التزيين الخاص بأي قصر إليه في بيرسبوليس Perspolis ، ومن ناحية أخرى، فقد كان الأول يبني مقبرته فوق السطح، وقد تبعه في ذلك خيلفته على العرش، وهذه هي المقابر التي كان يشير إليها ديودورس Diodorus سيكوليس، ولكن -ولسوء الحظ- فإننا لا نعرف كل الأسباب التي أدت وجعلت أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني يهجر الموقع القريب من Rustam Naqsi ، ويوضح قرار الملك حقيقة أنه على طول Pasagadae ، قد حددت Perspolis وأعلن عن تعيينها عاصمة أميرية للإمبراطورية، وعلى أية حال، يمكننا أن نلاحظ أن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث قد استمر في تنفيذ عمل من سبقوه هناك، وأضاف طابعاً غربيًّا لقصر دارا Darius ، بخاصة إعادة استخدام آثار حاملي الهدايا من تماثيل وزخارف فنية.

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ميثرا Mithra ، وآناهيتا Anahita : المصادر والمعلومات:

مثل أسلافه، فقد استشهد واستحضر أهورا-مازدا Ahura-Mazda على سبيل المثال لتكرار الصياغات لدارا Darius الأول، ولكن ما يعد جديراً بالذكر حقيقة أنه قد استحضر الإله العظيم للإمارة مشتركاً مع آناهيتا Anahita وميثرا Mithra في العديد من العبارات، ولأول مرة، يتم الاستشهاد بالآلهة الأخرى بشكل مترادف بواسطة دارا Darius الأول وخلفائه، لقد تم فحص المغزى التاريخي لهذه الفكرة بشكل مستمر،

وبشكل تقليدي فإن أحد مراسيم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني قد تم الاستشهاد بها والتصديق عليها، ويذكر Berossus أن هذا المرسوم وجوهره قد تم نقله من خلال مؤلف لاحق Clement of Alexandria ، وبعد المناداة بأن الفرس والميديين لم يقدموا الثناء والإجلال لتماثيل من الخشب أو الحجر، يقول Berossus : «بعد مرور كثير من السنوات بدأوا يعبدون التماثيل في شكل بشري آدمي ، وقد أدخل أرتاكسركسيس Artaxerxes ابن دارا Darius ، ابن Ochus هذا الفعل، وقد كان يريد أن يقيم ويشيد صورة لـ Aphrodite Anaitis في بابل، وأن يطلب مثل هذه العبادة من السوسيانيين والأكيتانيين والفرس Persepolis والباكتريين Balkh ومن دمشق وسارديس.

وهذا النص الذي يشتق من مصدر رسمي بالتأكيد دون شك يتعلق بدور يخص الملك العظيم بشكل تقليدي، منظم العبادة الفارسية، وهي تقول: إن بعض المشكلات الخطيرة المتعلقة بالترجمة والتفسير تظل قائمة، ولا تعتبر العبارات المنقوشة الملكية في حد ذاتها غير غامضة، ويمكن للصياغة أن تختلف في العبارة المنقوشة الواحدة عن صياغة تالية لعبارة أخرى منقوشة، ويستمر أهورا-مازدا Ahura-Mazda في دائرة الاهتمام واحتلال المقام الأول، خاصة في العبارة المنقوشة التي تشير إلى بناء قصر جديد في صوصا Susa ، وبفضل أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، فإن هذا القصر الذي بنيته لي عسى أن يحميني كل من أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، وميثرا Mithras وآناهيتا Anaitis من كل الشرور والمكائد والمصائب، وتقال بشكل مختلف في العبارة المنقوشة التي تصف بناء الـ apadana الخاص بدارا Darius الأول في صوصا Susa ، وبفضل أهورا-مازدا Ahura-Mazda ، وآناهيتا Anaitis ، وميثرا Mithras فإنني قد أعدت بناء هذا القصر.

ومع ذلك لما تقرأ العبارة المنقوشة الوحيدة لخليفته في

بيرسـبوليس Persepolis بشـكل بسـيط «عسى أن يقـوم أهـورا-مـازدا Ahura-Mazda والإلـه ميـثرا Mithras بحمايتـي، والدولـة التـي قمـت ببنائهـا، وكـذلك مـا قـد بنيتـه وشيدته»، لماذا لم تعد تُذكر آناهيتا Anahita أكثر مـن ذلـك؟ ولمـاذا لم يقـل Berossus كلمة واحدة عن ميثرا Mithas ؟ يبدو أن حـذف كلمـة Mithra أمـر أكـثر غرابـة لأنهـا وحيدة بالنسبة للعبادة العامة، Mithra التي ليست لدينا أية معلومات موثّقـة حولهـا، ونعرف من سترابو Strabo -أثناء العصر الأخميني- أن مرزبان أرمينيا قـد اضـطر إلى أن يرسـل 20000 مُهْـراً حصـاناً صـغيراً كـل عـام إلى الملـك العظـيم عنـد حلـول وقـت Mithriaka ، وهي الاحتفالات الرسـمية لتكـريم Mithra ، وتعـرض بعـض الفقـرات في زينوفـون Xenophon أن هـذا العمـل كـان يمـارس عـلى الأقـل في بدايـة حكـم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؛ لأن كل قرية في أرمينيا اضطرت سنويًّا إلى أن ترسل المُهر كهـدايا ملكيـة Dasmos ، وأن بعـض هـذه المُهُـر كانـت تخصـص لإلـه الشـمس، ونتعلم أيضاً من هذه الاحتفالات الرسمية المقامة مـن أجـل تكـريم الإلـه Mithra مـن جانب ديوريس، الذي يشدد على الدور المركزي الذي لعبـه الملـك أثناسـيوس الخـامس، ومعظم المراجع الكلاسيكية الخاصة بـ MIthra يرجـع تاريخهـا تقريبـاً إلى حكـم الملـك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن هل من الضروري أن يشير ذلك إلى أنـه كـان هناك ارتباط تاريخي قريب بالتغير في الصياغات الدينيـة الملكيـة التـي ظهـرت في عصر الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني؟ ليس هناك ما يمكن أن يكون أقل تأكيداً مـن ذلك.

وتكمن خلف هذه الأسئلة مشكلة رئيسة فرضها النص المعروف لبلوتارخ Plutarch حول تنصيب أو تولي أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني العرش في Pasargadae في معبـد مخصص للآلهة Anahita ، وتسمى «آلهة الحـرب»، وبشـكل أكـثر دقـة، مـا مـدى حداثـة البدعـة التـي قـدمها أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني؟ ومـا المقصـود مــن تمييـز

Berossus بين المدن بابل، صوصا، إكباتانا التي تلقت أمر تشييد تماثيل مقابل مدن أخرى بيرسبوليس، باكترا، دمشق، سارديس والتي من الواضح أن العلامة النقطية قد وضعت بشكل منفرد على العبادة كما لو أن التماثيل توجد بالفعل، أو كما لو أن المرء يستطيع أن يعبد الإله دون وجود تمثال له، ولو أن هذه التماثيل توجد هنا وهناك، فكيف يمكننا حينئذ أن نقيّم حداثة هذا المرسوم؟ وإذا لم يذكر Berossus الآلهة Mithra ، فهل يرجع ذلك إلى أننا نملك فقط اقتباساً وحيداً جزئيًّا من المرسوم الملكي؟ أو لأن عبادة Mithra لم تكن مهتمة بالتماثيل المقدسة حتى إذا كانت هذه التماثيل تمثل الحداثة الأكثر جدارة واستحقاقاً للتسجيل والملاحظة بالنسبة لـ Berossus نفسه؟

وهذه الملحوظة بدورها قد أبرزت مشكلة أخرى، حيث لم يتفق نص Berossus تماماً مع ما جاء في نص كتبه هيرودوت Herodotus قائلاً إن: «تشييد التماثيل، المعابد، الهياكل لم يكن عملاً مقبولاً بين الفرس، فقد كانوا يذبحون على قمم الجبال»، ولكن هل تعتبر هذه العبارات النهائية شرعية؟ ويمكننا أن نفحص توكيد سترابو Strabo على أنه قد تم نقل تماثيل Anahita و Omanus بموكب وآلهة عظيمة أثناء الاحتفالات في أماكن الحرم الفارسية في كابادوكيا، ويشير أحد التعليقات إلى فترة لاحقة، وهناك قطعة إنشائية أكثر أهمية قد كتبها Dinon ، كما استشهد بها Clement of Alexandria ، وقد كتبت في القرن الرابع، بمعلومات عن تنوع واختلاف ما ذكره هيرودوت Herodotus ، وطبقاً لما ذكره Dinon ، رغم أن الفرس والميديين كانوا يقدمون الذبائح على المرتفعات، إلا أنهم كانوا يعبدون إلهين في صورة تماثيل، ويتعبدون لإله النار وإله الماء، ولا يسمح لنا تاريخ Dinon أن نحدد أنه يصف تغيراً قد بادر أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بالبدء فيه، ومع ذلك فهو لا يذكر Mithra أو Anahita ، إلا لاقتراح أن إله النار يدل الأول على وإله الماء يدل

على التمثال الثاني، والذي تبدو غير محتمل أن الماء والنار إلهين منفردين بشكل واضح، واللذين لهما مكانة وسطى في الممارسة الذبحية الفارسية التقرب - تقديم القرابين والذبائح للآلهة ، والتي تم التأكيد عليها من جانب سترابو Strabo ، ولنعد إلى السؤال الرئيس بشأن البدعة التي أدخلها أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني.

دروافيرنز Droaphernes وتمثال سارديس:

من السهل أن نرى المعوقات في المشكلة، فنحن بشكل تام غير قادرين على أن نجد التأثير أو التوضيح في أي مكان آخر للتغير الذي تم اقتراحه بواسطة العبارات الملكية المنقوشة، والذي اتضح في اقتباس Berossus ، وللتأكيد على هذا التغير، فإننا نحتاج إلى القيام بتأريخ الدليل بشكل أكثر دقة، والذي سيسمح لنا بأن نثبت أن المقدسات القرابية للآلهة Anahita سوف تكتمل مع التماثيل الطقسية، وقد تم تشييدها في المدن التي تمت كتابة قائمة بها على يد Berossus بداية من زمن أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ومع ذلك، فليست هذه القضية رغم انتشار المعابد المقدسات للآلهة الفارسية Anahita، Anaitis في آسيا الصغرى الغربية ويرجع تاريخها بالتأكيد لزمن بعيد من عهد Tacitus ، ولسنا نملك دليلاً مباشراً على وجود معبد Anahita في المدينة نفسها قبل عام 322، ويوجد نص قد نُشر حديثاً من ساردیس اعتبر نصاً موازياً، وهي وثيقة يونانية منقوشة يمكن التعرف فيها على ثلاثة أجزاء: إهداء الكتاب، تخصيص، وجزأين آخرين للتحريمات والمحظورات:

5-1 : في التاسعة والثلاثين لحكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes أهدى Droaphernes ابن Hyparkhos of Lydia - Baraces - تمثالاً إلى زيوس ملك Bradates .

11-5 : أمر خدام معبد زيوس Zeus الذين كان لهم الحق في أن

يدخلوا الموضع المقدس في المعابد القديمة، والذي يتوجه فيه الإله- بألا يشاركوا في الأسرار الغامضة لـ Sabazios من أولئك الذين يحضرون الذبائح الأضاحي لكي يتم تقديمها قرباناً، والأسرار الغامضة لـ Angdistis والتي أيضاً لـ M ؟.

13-11 : قد أصدروا أمراً بالـ Heocore - دوريتس Dorates أن يمتنع عن الاحتفاظ الأسرار الغامضة.

وقد تمت إعادة النقش والحفر أثناء فترة الإمبراطورية الرومانية لعدة أسباب، والتي ظلت غير واضحة، وتفسر هذه الخصوصية الألغاز المتعددة التي بقيت، وبشكل رئيس فإن النص يسجل قراراً تم عمله بواسطة Droaphernes الذي كان غير معروف في مكان آخر سوى أنه يحمل اسماً إيرانيًّا، ولا بد أنه كان شخصاً مهمًّا في الإدارة المرزبانية في سارديس رغم أن كلمة Hyparkhos لا تسمح لنا بأن نحدد موضعه ومنصبه بالضبط ، وكما تشير الصيغة الخاصة Zeus of Baradates ، فإن القرار يتضمن العبادة العائلية المقارنة بـ «رجال فارنسز Men of Pharnces »، المعروفة في بنتس Pontus من سترابو Strabo -ويعتبر Baradates الجدّ الأكبر لـ Droaphernes ابن Baraces - طبقاً لهذا الافتراض.

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن Droaphernes قد أوصى بعمل تمثال، ولكن هل من الضروري رؤية تعبير السياسة العامة التي كان لها هدف مضاعفة تماثيل فرقة دينية عبر الإمبراطورية؟ ولكي يتخيل أن التمثال قد كان حتى تمثالاً لإله، استنتاج لا يمكن السماح به باستخدام الكلمة Andrias تمثال لجسم إنسان بشري، إذ أن هذا ليس أمراً مدعوماً في أي موضع -في المقام الأول- فإن تاريخ العبارة المنقوشة ذا مشكلة صعبة ومعقدة، وبعيداً عن المقارنة المقترحة مع Berossus ، فليست هناك سمة واحدة تسمح للنص بأن يتم تخصيصه لأرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني

[366-365] عـن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الأول عـام 427 منـذ النسـخة التـي حصلنا عليها منذ عدة قرون بعد ميثاق Droaphernes ، وبالنسبة لـ Zeus الـذي يـتم تكريمه، فليس هناك شيء يسمح لنا بتفسير يدعو وينادي بظهور أهـورا-مـازدا -Ahura Mazda في النسخة الأصلية، ومن المحتمل جـدًّا أن Zeus يشـير هنـا إلى معبـود أو إلـه محلي، والذي قد يكون بشـكل بسـيط Thelydianzeus قـد تـم الاستشـهاد والتصـديق عليه في ساردیس من بداية القرن السادس، ومع توفر كل هـذه العنـاصر، فلـيس هنـاك سبب لتسليم عبارة منقوشة إلى مقارنة قريبة مع القرار الذي ينسـبه Berossus للملـك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني.

أناهيتا Anahita واستار Istar :

من المثير للتضارب والتنـاقض أنـه لـيس هنـاك نـص واحـد يشـير إلى أي احتفـال رسمي لتكريم Anahita ، وقد تمت إقامة مثل هذا الاحتفال بشكل دقيق في زمن حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكي نكون أكثر دقة، فإن لدينا دليـل واحـد بـدون مشكلة تفسيرية خاصـة، ويـذكر بلوتـارخ Plutarch أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes قد أخذ الإجراء التالي ضـد Aspasia الرفيقـة السـابقة لقـورش Cyrus الأصـغر، «لقـد خصص كاهنته إلى ديانا في إكباتانا، والتي قد أطلقوا عليهـا Anaitis ، والتـي قـد تـقضي باقي أيام حياتها في طهارة وعفة، أولاً: تشير القطعة إلى الحرم المقـدس لــ Anahita of Ecbatana ، المعروفة من نصوص أخرى، والتي كانت توجد بالفعل عـلى الأقـل في عصر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وتعطي انطباعاً أنه قـد تـم تأسيسـها وبناؤهـا في وقـت سابق، ومن الملفت للنظر أن نقارن الدليل الذي يقدمـه بلوتـارخ Plutarch مـع نـص أسبق -أقدم زمناً- من العصر الآشوري Esarhaddon ، ويطلق اسـماً عـلى امـرأة تحمـل لقب المنـذور الملـكي [شـخص مخصـص لخدمـة دينيـة دون الانتظـام في سـلك الرتـب الدينية] في معبد Istar of Arbela .

ولكي نكون متأكدين، فنحن لا نعرف إذا كـان لازال يوجـد معبـد Istar في أربـيلا الأخمينية، ولكن أهمية ذكر المدينة قد يجعل الافتراض محتملاً.

ويظهر أن المقارنة تسير يداً بيد مع التمثيلات لـ Anahita بالنسبة لأشـياء رمزيـة تصـويرية متعـددة أختـام - خـواتم قـد تـم تقـديمها بالفعـل، وتعـرض هـذه الأشـياء التوفيقـات بـين المعتقـدات الدينيـة المتعارضـة بـين Anahita وIstar ، الآلهـة الميسوبوتامينية Mespotomian ، والتي كانـت بـلا شـك مـؤثرة وفعالـة لوقـت طويـل جـدًا، هـل يجـب علينـا أن نسـتنتج أن الآلهـة التـي تماثيلهـا وعبادتهـا والتـي يقصـد أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني بنشرهـا في كـل أنحـاء الإمبراطوريـة لم تكـن إلا Anahita البابلية، ومن الصعب تصديق مثل هذه النظرية، بالطريقة نفسـها فإنـه مـن الصعب التصديق بنظرية مرتبطة بالموضوع نفسه تطالـب «البابليـة للإمـارة الأخمينيـة أثناء القرن الرابع، والتي عادة مـا كانـت تـرتبط بنصـف الأصـل البـابلي لـدارا Darius الثاني، وكذلك Parysatis ، ويمكننا أن نلاحظ أيضاً أن Istar ليست الآلهة الوحيدة التـي تم تخصيص امرأة لخدمتها، بل على العكس كانت هناك عـادة منـتشرة في ذلـك الحـين، ويذكر سترابو Strabo أن ذلك قد تمت ممارسته في معبد Anahita في كبادوكيا، ويـذكر ممارسات مشابهة في Zeleia في معبد الحرم المقـدس Anaitis الـذي قـد تـم تأسيسـه وإنشاؤه على يد الفرس، وقد وجد أيضاً الكثـير مـن العبيـد في الخدمـة الدينيـة خدمـة المعابد في معابد أخرى مخصصة للآلهة الفارسية، وتصدق عبـارة يونانيـة منقوشـة مـن كبادوكيا على تخصيص وتعيين خدام لمعبد الآلهة العظيمة: Anaitis Barzochara .

مـا المغـزى مـن وراء هـذه الاتفاقيـة لشـعوب إيـران الشرقيـة إلى آسـيا الصـغرى الغربيـة؟ والـذين لم يتـأثروا بـأدنى حـد مـن التوفيـق بـين المعتقـدات الدينيـة بـين Anahita و Istar ، وقـد تضـمنت عمليـات التمثيـل والتوفيـق الإلهـين

Anahita وأرتاميس في ليديا، هـل يمكـن أن يكـون هـذا الأمـر قـد عمـل بدقـة بسـبب شخصـيتها المتقلبـة؟ إن Anahita كانـت آلهـة الاختيـار بالنسـبة للملـك الـذي أراد أن ينشرها بين شعوب عبادة آلهة يمكن لكل شـعب مـنهم أن يتعـرف عليهـا بكونهـا آلهـة خاصة لمدينتهم ولهم شخصيًّا.

العودة إلى Berossus :

بينما لا تبدو الطبيعة السياسية للعهد الملكي أنها تعرض أية مساحة للشك، ظلت المشكلة الأساسية باقيـة، إلى مـن كـان اتفـاق أرتاكسركسـيس Artaxerxes موجهـاً؟ ويبدو من غير المحتمل أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني قـد هجـر سياسـة مـن سبقوه، وحاول أن يفرض عبادة الآلهـة الإيرانيـة عـلى المنـاطق التـي ذكرهـا Berssus ، وأكثر من ذلك، رغم أن Anahita كان المصدر الرئيس للتوفيق بين العبادات، فقد كانت نية الملك العظيم أن يثير ارتباكاً وحيرة في العبادة الرسمية للآلهة مع آلهة محليـة، بيـنما كانت توجد مثل هذه العمليـات التوفيقيـة بـين العبـادات بالفعـل، إلا أن غـرض الملـك العظيم كان نقل العبادة والصور الخاصة بالآلهة الإيرانية كاملة، وتقدم قائمـة Berssus مفتاحاً يمكننا من أن نتعرف عليه كقائمة للمراكـز الخاضـعة للسـيادة الأخمينيـة، بابـل، صوصا، إكباتانا، بيرسبوليس، باكترا، دمشق، وسارديس، ومـع تـوفر مثـل هـذه الحقـائق، فإن التفسير الأكثر احـتمالاً عـلى الأقـل، والـذي يمكننـا أن نقبلـه هـو أن أرتاكسركسـيس Artaxerxes كـان يخاطـب ويوجـه مرسـومه أو قـراره إلى الفـرس الـذين اسـتقروا في المنـاطق المختلفـة للإمبراطوريـة، ومـن خـلال تعظـيم وتفخـيم الآلهـة التـي تمـنح شرعيـة ملكيـة كـان يسـعى أرتاكسركسـيس Artaxerxes إلى أن يـربط الديسـبورة الفارسية الملكية بشكل أكثر قربـاً لنفسـه، لقـد خـدم إعلانـه في تعضـيد الوظيفـة التـي كان ينسبها زينوفـون Xenophon إلى القصـور المرزبانانيـة، فقـد كـان الحـراس رعـاة للأخـلاق الفارسـية والعـادات والعـرف، وكـذلك موضـع الخلـود الأيـديولوجي للطبقـة

الاجتماعية الأخلاقية الوثنية - العرقية السائدة ، وهذا يعني أن بلاد فارس في آسيا الصغرى خاضعة لملك واحد، وهو تكرار العبارة الملونة الخاصة بالشاعر Bianor مشخصاً ساردیس، ويبقى سؤال آخر: متى ولماذا؟

هل يسمح وجود مرسوم لنا بأن نقترح أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان يستجيب ويرد على كارثة داخلية في الإمبراطورية لنشر هذا المرسوم؟ وما الظروف التاريخية التي تظل خلف المرسوم؟ طبقاً لهذا الافتراض قد يكون المرسوم نتيجة لسباق أيديولوجي مع أخيه قورش Cyrus الأصغر، أو ربما يكون مرتبطاً ومتعلقاً بعدم استقرار المرزبانية، ومع ذلك فإن استدعاء وذكر كسركسيس Xerxes السابق والـ Daira فيجب أن نشير أيضاً إلى أن تفسيراً آخر من الممكن استنتاجه، وكان أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني بعيد النظر بشأن الطبيعة المقدسة للسلطة الملكية، والتي كانت مرتبطة بحماية الآلهة بشكل أبدي، ولا يمكن الفكاك منه، وتنتهي هذه الأطروحة بالتسليم بمعلومات معينة، ويترك التفسير الذي قمنا بتقديمه كثيراً من الأسئلة معلقة دون إجابة عنها، وأننا غير قادرين على تقديم إجابات قائمة على أساس معرفي تاريخي جيد.

المملكة الاستبدادية:

يعتبر نص Berossus شيقاً من ناحية أخرى، وسوف نتأمل فيه باختصار عالم الإدارة، وتضم قائمة المواقع الخاصة به نوعاً من البيان المفضل لمملكة إمبريالية يتم تنظيمها حول أماكن الإقامة التقليدية بيرسيبوليس، صوصا، بابل، إكباتانا وعواصم المناطق الشاسعة مثل Bactra السهل الإيراني ، ودمشق عبر نهر الفرات ، وساردیس آسيا الصغرى وأناطوليا ، إن حذف Memphis يؤكد اختلافاً في دقة المعلومات التي يقدمها Berossus ، رغم أن أهمية دمشق أو سارديس قد

تكون بالفعل معروفة في مصادر أخرى، فإننا سوف نشدد على أنها أول ذكر واضح لـ Bactra منذ الحملة العسكرية لأرتاكسركسيس Artaxerxes الأول هناك في بداية حكمه، ويؤكد مرجع Berossus ما قد عرفناه بالنسبة للدور المنسوب إلى Dadarsi في عام 522-521 ، وكذلك بالنسبة للموقف الذي يبدو أنه قد ساد في عصر دارا Darius الثالث، وهو المسؤوليات الخاصة بمرزبان باكترا قد امتدت إلى ما وراء أفق الطقس الديني لـ Bactria ، ويمكن أن يرتبط هذا الموقف المذكور بمعلومات أخرى يرجع تاريخها إلى فترات الحكم الخاصة بكل من أرتاكسركسيس Artaxerxes وخليفته، ونسترجع عندما اضطر أرتاكسركسيس Artaxerxes إلى أن يواجه تقدم المسيرة العسكرية أو الهجوم عليه بقيادة قورش Cyrus الأصغر، فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد قام بتجنيد وحشد الفرق العسكرية في إكباتانا رغم أن هذه الكتائب العسكرية قد وصلت بشكل متأخر جدًّا، وقد تمت قيادة هذه القوات من خلال الأخ غير الشرعي للملك، وهذا يثبت أن السهل الإيراني وآسيا الوسطى قد استمرا في تجهيز وإعداد الجنود عندما تم استصدار أمر بالتعبئة العامة للجنود، وهناك تأكيد آخر على صحة ما نقول من أنه يوجد في تنظيم وترتيب الفرق العسكرية بواسطة دارا Darius الثالث.

وبالطبع فإن هذه النصوص بعيدة تماماً عن الفصاحة والبلاغة، وبالتالي فإن تفسير البعض منها أمر غير مؤكد، ولكنهم يذكروننا وبشكل مناسب بأن الإمبراطورية قد توسعت وامتدت لما بعد آسيا الوسطى، ولم تكن الهند نفسها غائبة من الدليل الذي يرجع إلى حكم أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والعمل الذي خصصه ستيسياس Ctasias لهذه المنطقة يمتلئ بالقصص الرائعة التي بالطبع كانت تؤثر على سامعيه، ومع ذلك، فإننا سوف نشدد إذا كنا نعرف أن ملوك الهند وجب عليهم أن يرسلوا هدايا وعطايا للملك العظيم بشكل مباشر أو من خلال

Aelian ، وربما قد يكون ذلك ما قد تم عمله ليحصل دارا Darius الثالث على الأفيال الهندية، ودعونا نضيف أنه في عمل ستيسياس Ctasias المفقود المخصص للطرق الملكية قد اتبع دليلاً إرشاديًّا من إفسس إلى Bactra والهند، وتظل هذه المعلومات غامضة، ويشير ذلك إلى أن العلاقات بين صوصا Susa والساحل الهندي لم تنقطع، وأن الملوك الهنود قد استمروا في إظهار خضوعهم للملك العظيم.

من أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث:

طبقاً لما ذكره بلوتارخ Plutarch ، فإن السنوات الأخيرة لحكم الملك السابق قد تغطت بالمؤامرات والمآزق والأشراك، ويروي بلوتارخ Plutarch أن أرتاكسركسيس Artaxerxes كان له ثلاثة أبناء شرعيين من زواجه من Stateira ، دارا Darius الأكبر - Ariaspes ويسميه جوستين Ariarathes Justin و Ochus الأصغر، وقد أنجبت له محظياته عدداً كبيراً من الأطفال غير الشرعيين حوالي 115 طفلاً كما يذكر جوستين Justin ، من بينهم Arsames ، ولكونه راغباً في أن يقحم آمال ابنه Ochus في وقت مناسب لئلا تبلي الحروب والنزاعات مملكته، وقد أطلق/ أنعم الملك على دارا Darius بلقب أمير التاج أمير العرش ، وسرعان ما حملت الكراهية الشديدة دارا Darius - والتي أشار إليها Tiribozus - على أن يدبر مكيدة ضد أبيه، وقد توقع الأمير أن كثيراً من رجال البلاط الملكي سوف يتبعونه، طبقاً لما ذكره جوستين Justin -خمسين من إخوته غير الشرعيين- ولم يتم الكشف عن المؤامرة خلال المعلومات التي تم تقديمها وعرضها بواسطة الخصيان، فقد قدم دارا Darius للمحاكمة أمام القضاة وحكم عليه بالموت، بالإضافة إلى زوجات وأطفال المتآمرين، وباتباع ذلك، في نص بلوتارخ Plutarch ، يعتبر ذلك تعليلاً للتدابير والمكانة الوضيعة التي قام بها Ochus ، الذي قد

سنده ودعمه نصيرته Atossa ، وقد كانت في مقـام أختـه، وكـذلك زوجـة أبيـه، وخـلال الخدع الحربية، وكذلك الاتهامات التي استطاع Ochus أن يقود أخاه الشرعي Ariapes إلى الجنون، إذ اختار أن يستولي على حياتـه الخاصـة، وقـد قـام بتـدبير قتـل أخيـه غـير الشرعي Arasmes الذي كان مفضلاً لـدى الملـك، هـذه كانـت الظـروف في زمـن حكـم أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وعند موته عند عمر متقدم، بعد حكم طويل بـين شـهر نوفمبر عام 359 وأبريل لعام 358 طبقاً لما تذكره أوراق مغراة في بابل.

وراء الرومانتيكية الخيالية شديدة الاهتياج الخاصة برواية بلوتـارخ Plutarch ، فيمكننـا أن نلاحـظ حقـائق عديـدة، أولاً باتبـاع نمـوذج أسـلافه، كـان أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثاني حريصاً على أن يسمي أمير التاج أثناء حياته لابنه الأكبر كما حدث.

ثانياً: لم ينتج اختيـار أمـير التـاج عـن مشـاركة السـلطة، وأخـيراً كنتيجـة طبيعيـة للنقطة الثانيـة، إذ كـان وضـع أمـير التـاج نفسـه أمـراً غـير مسـتقر، ولا يلفـظ بلوتـارخ Plutarch كلمة واحدة عن تعيين وريث جديد بعد مـوت كـل مـن دارا Darius ثـم أرياسبس، ويعتبر بلوتـارخ Plutarch نفسـه مقتنعـاً وراضـياً بـأن يلاحـظ ويسـجل أن الملك قد أظهر تفضيلاً لواحد من أبنائه غير الشرعيين أرسامس، وفي الحقيقة يقودنـا كـل شيء إلى أن نصـدق أنـه عنـدما مـات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني فـإن كـل شيء كـان معـداً وجـاهزاً لنقـل الملكيـة والإرث، وإذا افترضـنا أن Ochus قـد نصـب بواسطة والده على رأس الجيش الذي أرسل لمحاربة Taches ، بينما لا يزال والده عـلى قيد الحياة ، وهـذا التخصـيص يزيـل كـل الشـكوك، ودون الاعـتماد عـلى ذلـك، يلاحـظ ويسجل ديودورس Diodorus أنه عنـدما مـات أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثـاني، فإن Ochus خلف والده على العرش، وهذا ليس لأجـل القـول بـأن هـذه الخلافـة أمـر يرحـب بـه جميـع النـاس، ويـذكر مؤلـف آخـر موافقتـه وإضـافته أن أرتاكسركسـيس

Artaxerxes الجديد قد دفن Atossa حية، والتي كانت بمثابة أخته وابنته زوجة أبيه ، وقد حبس عمه، وأكثر من 100 ابن وحفيد في فناء البلاط الفارع، وأمر بقتلهم جميعاً بوابل من السهام، وهذا التقديم يناسب تماماً الصورة الخاصة بأرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في الأدب القديم، ومع ذلك، حتى إذا افترضنا أن التقليد الذي قد نقله Valerius Maximus دقيق في معلوماته، فكل ما يمكن استنتاجه منه أن Ochus قد قام بصنع أعداء في البلاط الملكي قبل خلافته، وأكثر من هذا فإن بلوتارخ Plutarch نفسه يلاحظ أن -كما حدث في وقت الخلافة الخاص بدارا Darius الثاني، من أن البلاط الملكي الملك ومستشاروه وكبار رجاله ، قد كان ممزقاً وواقعاً في الفوضى من خلال رجاله- أنشطة معارضة الأحزاب لتفضيل دارا Darius و Ochus .

9- حروب أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث عام 338-351 :

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وأرتابازوس Artabazus ، يظهر أن الملك العظيم الجديد قد وجد نفسه يهاجم بالاضطرابات في آسيا الصغرى بعد ترقيته إلى منصب الملك بوقت قصير، أو أن الاضطرابات قد كانت هناك في صورة مستترة، وفي سياق مناقشة ديودورس Diodorus لحرب من أثينا ضد حلفائها المتمردين بين عام 357 وعام 377 يذكر أن رجل التدابير الحربية الأثيني Chares الذي كان يأمل أن يخفف من وطأة العبء المالي للعمليات العسكرية قد دخل في اتفاق مع مرزبان Hellespontinephrygia ، أرتابازوس الذي كان في ثورة ضد الملك، وبمساعدة Chares استطاع أن يحقق المرزبان النصر على الجيش الملكي، ومواجهة للتهديدات من جانب أرتاكسركسيس Artaxerxes ، حيث توقفت أثينا عن التدخل لتسوية النزاع القائم.

إن سلاسل من هذه الأحداث يمكن أن توجد في مقطوعات قصصية

تقدم تفاصيل إضافية قليلـة، كانـت القـوات الملكيـة يقودهـا Tithraustes الـذي كـان وضـعه غـير واضـح، إذ كـان يشـغل منصـباً في فريجيـا، وقـد فـاق Chares في سـلطانه ونفوذه، وبعـد الرحيـل الأثينـي تلقـى أرتابـازوس Artabazus المسـاعدة والإعانـة مـن Thebans الذي أرسل قوة عسكرية يقودها Pammenes ، وبمساعدته قـد اسـتطاع أن يحقق النصر على «المرزبانات الذين قد أعدموا أو قتلوا بواسطة الملك».

ورغم أن أرتابازوس Artabozus لم يتلقّ مساعدة من المرزبانات الآخرين في آسيا الصغرى وتظل الأسباب وأصول تمرده مصحوبة أو مخفية بشكل كبير في غموض، وطبقـاً لـ Scholia على Demosthenes فقد أصدر الملك أمراً للمرزبانات بأن يشـتت أو يسرح الجيش المكون من المرتزقة، ومع ذلك وبعيداً عن بعـض المشـكلات التـي فرضـتها هـذه المعلومات، وهذا لا يفسر شـيئاً غـير سـلوك أرتابـازوس Artabazus ، وبـدلاً مـن ذلـك، يجب علينا أن نتخيل -كما حدث في الفترة السابقة- أن أرتابازوس Artabazus قد اتهـم بواسطة أحد رفقائه؛ لأسباب تهرب منا جميعها، ولكنهـا أقنعـت الملـك، وتحـت ظـروف غير معروفة، فإن أرتابازوس Artabazus قد اختـار النفـي في بـلاط فيليـب الثـاني ملـك مقدونيا، ومعه أسرته كلها.

الفشل في مصر السقوط : الثورة في فينيقية وقبرص 345-351 :

بينما كان يتم إخـماد هـذه الانفجـارات العامـة مـن الغضـب في آسـيا الصـغرى، فقـد كـان الملـك منشـغلاً ومسـتحوذاً بشـكل أسـاسي عـلى الموقـف في عـبر منطقـة الفرات ومصر، حتى في زمن ارتقائه واعتلائه العرش، فربما قد خمـن أن لـه يـداً حـرة في التعامل مع مصر، ولم يعرف شيئاً عن الآثـار المـدمرة لتمـرد Nectanebo الثـاني أو عـن الصعوبات التي واجهها المتظاهر عندما حان وقت محاولته للتأكيـد عـلى سـلطته التـي كانـت تواجـه نوعـاً مـن التحـدي، ولا نعلـم الكثـير عـن نوايـا ومقاصـد أرتاكسركسـيس

Artaxerxes الثالث، وفي قطعة إنشائية مقالة تثير الشك، والتي قد قصد منها توضيح جبن الملك العظيم، والذي كان متباطئاً من أن يستأنف قيادة العمليات العسكرية بنفسه، ويلاحظ ديودورس Diodorus أن القادة الفرس قد ذاقوا مرارة الهزيمة مرة أخرى عندما حاولوا أن يستعيدوا وضع الموثبة موقع تتخذ منه القوات العسكرية قاعدة لتقدم عسكري هجومي إضافي ، في مصر أثناء الفترة بين 361 إلى عام 351، ولكن ليس لدينا قطعة صغيرة أو شق من الدليل الموثق عن الهجمات على مصر تسبق تلك اللحظة التي استدعى فيها أرتاكسركسيس Artaxerxes بنفسه جيشه، وقد عانى مرارة الهزيمة في عام 351، لكنه انتقم الإهانة بعد سنوات قليلة بعد ذلك التاريخ.

وفي عام 347، يوجه Isocrates تقديراً مفعماً بالمديح للملك فيليب الثاني ملك مقدونيا، وقد وعد الملك بأنه سوف يحقق الانتصار تلو الآخر؛ لأن الإمبراطورية الفارسية كانت تحتضر عند اتباعها طريق الفشل والسقوط الذي قد عانى منه الملك العظيم في مصر عام 351 ، وقد كانت قبرص، وفينيقيا، وسيليسا، وتلك المنطقة التي استخدمها البربر لتجنيد وإعداد أسطولهم في الوقت ذاته تخضع لسلطان الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، ولكن الآن قد ثارت هذه المناطق عليه أو اشتركت في الحرب والاضطرابات المرافقة، بالإضافة إلى أن أحداً من هذه الشعوب غير ذي نفع بالنسبة للملك، بينما بالنسبة لك، إذا كنت ترغب في أن تشن حرباً عليه، فسوف تكون هذه الشعوب في الخدمة وذات نفع، ولنلاحظ أن Idrieus حاكم كاريا، والذي يعتبر أكثر الحكام الحاليين ثراءً، يجب أن يكون أكثر عداءً بالنسبة لمصالح الملك من هؤلاء الذين يشنون حرباً علنية عليه، ولكن إذا قمت بعبور الأراضي الأصلية للبلاد فسوف تستميل الكثيرين من المرزبانات الآخرين، بالإضافة إلى Idrieus والذي حاول أن يتخلص من سلطة وهيمنة الملك بوعدهم

بالحرية، ونشر وإذاعة هذا الأمر في آسيا كلها، تلك الكلمة التي قد فرقت بين كل من إمبراطورية أثينا والإمبراطورية الليسديمونية عندما زرعت بين الهلينيين.

وفي هذا الحديث نجد أحد الأحاديث الخاصة بالدول التي لم تخضع للملك العظيم، والتي كان معجباً بها الخطيب الأثيني، وبهذه المناسبة فإنه لم يتردد في أن يقدم تناقصاً على ذلك من خلال رفع مدة حكم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثاني، والتي قد سخر منها في خطبة ألقيت في عام 380، وخلف هذا التفكير الغاضب يشير Isocrates إلى حقائق لا يمكن إنكارها قد تناولها ديودورس Diodorus في الكتاب رقم XVI .

وطبقاً لديودورس Diodorus فإن الدافع وراء الصراع المصري قد جاء من الصيدونيين، الذين استمالوا وأقنعوا الفينيقيين الآخرين ليعدوا الأسلحة ضد الفرس، وقاموا بعمل معاهدة مع الفرعون Nectanebo قبل الانخراط في مجهود وحرب واسعة، وقد بدأت الحرب رسميًّا عندما قام الصيدونيين بتدمير الجنة الفردوس الفارسية الواقعة بالقرب من مدينتهم، ودمروا المخازن الخاصة بعلف الماشية، والتي تم تخزينها على يد المرزبانات مع بقاء الحرب المصرية في العقل، وقد قاموا بتنفيذ حكم الإعدام في كثير من الفرس القياديين، وفي الوقت نفسه، فإن ثورة مرتبطة بالتمرد السابق على الجزيرة قد اندلع في قبرص مع إعلان الملوك التسعة استقلالهم، وبينما كان أرتاكسركسيس Artaxerxes يحشد جيشاً في بابل، فقد أمر Idreius حاكم كاريا أن يقود جيشاً وأسطولاً إلى قبرص، كما أن Mazaeus -مرزبان سيليسيا- و Belesys مرزبان سوريا، كانا يقودان العمليات العسكرية الأولى ضد فينيقيا، وقد اكتسب Tennes «ملك صيدون» تعزيزات عظيمة من خلال فرض الضرائب على الشعب الصيدوني، ووصول فرقة من المرتزقة قد أرسلها الفرعون وترأس قيادتها Mentor ، وقد أجبر كلاً من Mazaeus و Belesys على الرجوع

والعودة، وقد قاما بجمع قواتهما مع الجيش الملكي الذي وصل من بابلونيا، وطبقاً لما جاء في نصوص ديودورس Diodorus ، فإن الملك العظيم لم يضطر إلى أن يخوض معركة أو يحارب Tennes «ملك صيدون» والذي انضم إلى Mentor قد فضل أن يخدع رفقاءه المواطنين، حيث قام بتسليم مائة من الفينيقيين إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، ثم فتح أبواب المدينة، وقد حكم عليه بالموت، واختار الصيدونيين أن يقتلوا أنفسهم نساءهم وأطفالهم ، ويشعلوا النيران في منازلهم، مرعوبين من حاشية الملك، وقد استسلم الفينيقيون الآخرون، وبعد ذلك بفترة وجيزة تم الاستيلاء على وأسر المدن القبرصية، وخضوعها، واستسلامها، وقد حاول Pnytagoras ملك سلاميس وحده أن يصمد، لكنه سرعان ما أعلن خضوعه واستسلامه في نهاية الأمر.

ورغم أن رواية ديودورس Diodorus رواية شيقة ومليئة بالتفاصيل، إلا أنها قد فرضت كثيراً من المشكلات، أولاً أن التاريخ غالباً ما يكون مائعاً غير دقيق كما هو الحال في الكتاب رقم XVI ، والدليل التاريخي الخارجي الوحيد يعتبر قطعة من التاريخ البابلويني، والتي يرجع تاريخها إلى السنة الرابعة عشرة للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، وهذا يشير إلى إرسال المسجونين الصيدونيين إلى القصر الملكي في بابل في أكتوبر من عام 345، ونستنتج من ذلك أنه قد تم الاستيلاء على صيدون قبل بضعة أسابيع، أو ربما في عام 346، وفي الوقت نفسه الاعتراف بأن Isocrates يشير إلى ثورة لا تزال في مهدها في عام 347، وقد استمرت الثورة والانتفاضة لفترة من الزمن؛ لأن كلاً من Mazaeus و Belesys قد صدر أمر لهما بأن يخمدا ويئدا هذه الثورة أولاً، ولكن ليس ممكناً أن نثبت تاريخاً دقيقاً، أو أن نذكر بما لا يدع مجالاً للشك أن الثورة الفينيقية قد اندلعت بعد الهزيمة على يد المصريين في عام 351؛ لأن عبارات ديودورس Diodorus تقودنا إلى تصديقه.

ومن الواضح أن الفرس قد بدأوا في إعداد قوة كبيرة جدًّا، بعد الانكسار الذي قـد تعرضوا له على يد المصريين في وادي النيل، حيث إن الملك قد عزم عـلى أن يضـع نهايـة واحدة لأشكال الانسحاب والانعزال من جانب الفرعون، لقد كان غـرض أرتاكسركسـيس Artaxerxes الحقيقي من وراء مغادرة بابلونيا هو التقدم نحو مصر، وكانـت صـيدون إحدى القواعد المهمة للاستعدادات السوقية الفارسية نقل الجنود وإيوائهم وتمـوينهم ، لقد اجتمعت القوات العسكرية وكذلك الأسطول.

وقصـــة دارا Darius تشـــير بوضـــوح إلى أن الإســـتعدادات الفارســـية كانـــت استعدادات جيدة وذلك عند اندلاع الثورة، وبشكل موجز، فإنه لم يكن يبـدو أن الثـورة قد استمرت من 351، وحتى 346 كما كان يذكر أحياناً.

إن استعدادات الجيش كانت -إلى حد ما- توضح بعض أسباب بدايـة العـداء، حيـث يشير دارا Darius إلى أن حـاكم سـيدون كـان يعتمـد عـلى المقاومـة الشـعبية الموجـودة بالمدينة، بالإضافة إلى اعتماده على المرتزقة اليونانيين، والذين قد تم إرسال بعضهم بواسـطة نجتانيبو، وذلك بأمر الناصح، وقد ذكر أيضاً أنه بسبب الثروة غير المتوازنـة لسـيدون، فإنهـا كانت في الموقف الذي فيه تقوم بجمع السفن ثلاثية المجاديف والمرتزقة وكل أنواع الأسلحة وكل ما هو جيد، مشـيرة إلى أن الحـاكم كـان قـادراً عـلى أن يسـتفيد مـن بـطء الاسـتعداد الخاصة بالملك العظيم، وبدون أن ننكر القوة الخاصة بسيدون، فإننا مع ذلك لا بد أن نؤكد على أن قائديها كانوا قادرين على الاستفادة من حقيقة أن الفرس قد اختاروا مـدينتهم لـكي تكون مكاناً لاستعداداتهم للحملة المصرية، وأنه من الواضح أن السيدونيين كانوا قد استولوا على بعض الإمدادات الإمبراطورية، وبإعطاء هذه الخلفية يكون لزاماً علينـا أن نفكـر في أن

المائة سفينة ثلاثية المجاديف وخماسية المجاديف قد كونت الفريق المطلوب للاستعداد للحرب في مصر، وقد قام المواطنون بحرق سفنهم بعد خيانة الحاكم، ومن الممكن أن يكون الهدف من هذه الفعلة هو إضعاف البحرية الملكية بصورة أكبر، ومنع بعضهم من الانطلاق، وبمعنى آخر -وكما يقول أريستاجوراس في 499 انظر: ص135 - إن قادة سيدون قد قاموا بحرمان الفرس من الوسائل التي كانت تساعدهم في الهجوم الذي كان يقوم بإعداده الملك للهجوم على مصر.

ونحن لا نملك إلا معلومات ضئيلة فيما يتعلق بأصول وأسباب الثورة بقدر ما نعلم القليل عن تاريخ سيدون وفينيقيا في الفصول السابقة، فنحن نعرف فقط القليل عن مشاركة البحرية السيدونية في حرب كانون، والسلوك المريب لأستراتون أثناء هجوم تاخوس منذ عشر سنوات، وقد ركز دارا Darius على البغض والكره الذي أظهره قادة الفرس الذين كانوا يعيشون في المدينة، وذكر أن الأوامر والطلبات المتكبرة والمتغطرسة قد قامت بخلق جو قوي من السخط فيما يتعلق بضرائب الحرب الإمبراطورية، والتي كانت تستنفد بشدة الأرباح التي كانت تجنيها المدينة جراء أنشطتها التجارية، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي أجبرت فيها سيدون على الإسهام في ذلك، فلقد عانوا من الناحية المالية منذ حملة قمبيز Campysis المصرية الأولى في 525، هل المدى الضخم للاستعدادات والتي ركز عليها دارا Darius كافية لتوضيح قرار قادة سيدون بحرق أبراجهم عندما قاموا بتدمير الروضة الملكية وإعدام موظفين من الفرس ذوي مكانة عالية؟ لا بد أنهم قد علموا أن الحرب التي كانت سيشنها الملك العظيم ضدهم ستكون حرباً بلا رحمة، هذا وهناك مجموعة من الأسئلة الأخرى التي تبقى بلا إجابة في الحقيقة، فإنه من الصعب توضيح سبب اختيار الحاكم خيانة المدينة عندما تلقى أخباراً بوصول جيش أرتاكسركسيس Aeraxerxes ، وطبقاً

لديودورس 43.1 Diodorus ، فإنه وبمجرد أن تم إخباره بحجم قوات الجيش الملكي، فإن ملك سيدون «اعتقد بأن المتمردين سوف يكونوا غير قادرين على المواجهة»، ونحـن لا نسطيع أن نوضح هذا التغيير المفاجئ للاتجاه بواسطة التسليم بـأن الحـاكم -بصـورة مسبقة- لم يكـن عـلى وعـي باسـتعدادات الملـك، ومـن الواضـح أن هـذه الفرضـية غـير مدعمة، هل كان اتجاهه يكشف عن وجود نزاع داخلي في المدينة؟ وعـلاوة عـلى ذلـك، فإننا لا نرى أبداً مدناً فينيقية أخرى قد اشتركت في التمرد، بالرغم مـن أن دارا Darius -وبدون إيضاح لهذا القول- يبدو أنه يقترح أن السـيدونيين كـانوا متحـدين مـع أردوس وتاير 5,41-1,41 ، وفي الحقيقة فإن سيدون هي الوحيدة التـي كـان يبـدو عليهـا أنهـا تعارض الفُرس، فقد كانت الوحيدة فقط من ضـمن ثـلاث مـدن التـي لا بـد أن تعاقـب بشدة، وبشكل موجز فإنه من الصعب توضيح تهور القادة السيدونيين، وربمـا أن الأمـل في مساندة نيكتانيوا لا بد أن تؤخذ في الاعتبار، هل وعدهم بالتدخل بصورة مباشرة؟

لم يكونوا -بصورة عامة- شديدي البخل بمثـل هـذه الوعـود، فالسـيدونيون لا بـد أنهم أيضاً قد قاموا باستعادة هجوم تافوس الحديث -وبالنسبة لدارا Darius على أية حال- فإنه من المؤكد أن المثال المصري والذي أجبر الفينيقيين -وفيما بعد القبارصة- على التمرد 5,42-5,41 .

وأخيراً، فإنه وبشكل مماثل، أثناء الفترة التي كان يقوم فيها الملك العظيم بإعـداد جيشه في بابليون، فإن القوات الفارسية في فينيقيا لم تكن كثـيرة، وهـذا مـن الممكـن أن يوضح كيف أن القوات السيدونية والمرتزقة الذين يعملون معهم قد نجحـوا في مقاومـة الهجوم المعاكس الذي كان يقوده مازيوس وبيليسيس.

من سيدون إلى أورشليم وجيريكو:

إنه لمن المثير جدًّا اكتشاف ما إذا كان السيدونيون والقبارصة وثوراتهم قد امتدت إلى الدول المجاورة، وهي نظرية من الممكن أن تساعد في توضيح مظهر السيدونيين المتفائل، وعلى كل حال، فإنه لا بد أن يتم إدراك أننا لدينا دليلاً متناقضاً وضئيلاً عن هذه النقطة، وهناك مجموعة متعددة من المؤلفين القدامى والذين أشاروا إلى ترحيل اليهود إلى هيترانيا منفذين الأوامر الصادرة من الملك العظيم، وهناك مؤلف آخر يدعي سورينوس تحدث عن تدمير جيريكو في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث أثناء عودته من مصر ، ولكن بصرف النظر عن حقيقة أن هذه النصوص قد يكون مشكوكاً فيها، أو تكون متناقضة على المستوى الزمني ، فإنه لا يوجد دليل خارجي للتأكيد على وجود ثورة، والتي كانت سوف تثير يهودا وسماريا.

إعادة غزو مصر:

كجزء من استراتيجية الملك العظيم، والتي تدعو بشكل مطلق إلى أهمية مسألة فينيقيا وقبرص، ومع هذا فإنه قد ظل قلقاً بشأن المشكلة المصرية، وقد قام ببدء مجموعة متعددة من الاستعدادات للتعامل معها قبل سنوات السادس عشر 6,40 ومصاحباً لأسطول الحرب الصغير وطرق المواصلات، فإن الملك العظيم استطاع أن يبدأ رحلته إلى مصر في نهاية عام 343، وبعد عدة أشهر استطاع أن يدخل ممفيس، وعندئذٍ هرب نيكتانيبو إلى صعيد مصر، ثم بعد ذلك إلى النوبة، ومن وجهة نظر التاريخ الأخميني، فإن أحد الأسئلة المهمة هو: لماذا نجح أرتاكسركسيس Artaxerxes فيما قد فاته من ملاحظة العديد من الجيوش الأخمينية منذ بداية القرن الرابع؟ وفي إجابة هذا السؤال نقول إنه لا يتوافر لدينا أي شيء للاعتماد عليه في هذا إلا التقرير المفصل

المعطى من قبل دارسيكولوس الذي من الممكن وبسهولة أن تتم مقارنته ببعض النقاط مع بعض حساباته من بعض الحملات التي قادها فرنابيزوس وبرونيكاس ضد بطلميوس Ptolmey الثامن عشر، 33-36 وحتى حملة أنتيجونوس ضد بطلميوس Ptolmey 306 العشرون، 73-76 ، وإنها لفكرة جيدة أيضاً أن نذكر -وذلك قبل العودة إليها الفصل 3/18 - أن عبور دارا Darius قد تم إفساده بواسطة الأهمية الكبيرة التي يعيرها دارا Darius للمرتزقة اليونانيين خلال هذه الحملة.

وقد ذكر دارا Darius أن الجيش الأخميني قد عانى من المعوقات نفسها التي قد ركز عليها بالفعل في وصف الحملات السابقة، وحتى قبل الوصول إلى وادي النيل فإن جنود العدو قد قاموا بالتغلب على بعض العقبات، أولاً: كان عليهم أن يخوضوا المنطقة المرعبة بدون مياه والتي امتدت إلى جنوب غزة ونحن نعرف أن قمبيز Campysis كان لديه مصدر لخدمات ملك العرب عندما عبر هذه المنطقة هيرودوت Herodotus الكتاب الثالث 9-5 فقط مثلما فعل إيسارهادون في عهده أنيت 292 وأنتيجونوس 306، ديودورس 20-3,73 ونحن لا نعرف ماذا حدث في عام 343، وتأتي بعد ذلك منطقة الرمال المتحركة التي تدعى باراشرا ديودورس، 3,73، 20,7-4.30.1 ويوليبوس 1,80 ، والتي فيها فقد أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث مجموعة من الجند 16046.5 على حد قول ديودورس بأنه لم تكن لدى الفرس أية فكرة عن طبوغرافيا المنطقة وصف أو رسم دقيق لأماكن وسماتها السطحية ، ويذكر في موضع آخر أنه عندما دخل Tennes حاكم صيدون في مفاوضات مع أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث، فقد كان بكل تأكيد هو القائد الذي قاد الجيش الملكي، ومرة أخرى نجد أنفسنا مندهشين من أن الفرس لم يسعوا أو يطلبوا مرشدين محليين، وفي هذه الحالة يصبح لدينا انطباع بأن ديودورس Diodorus كان يعيد استخدام دافع قد تم توضيحه مسبقاً من

خلال الدور الذي أسنده هيرودوت Herodotus إلى Phanes ، زعيم المرتزقة الذين رافقوا قمبيز Cambysys في عام 525 .

والميزة الوحيدة التي يمنحها ديودورس Diodorus لأرتاكسركسيس Artaxerxes تعتبر التفوق العددي الساحق لجيشه، فلقد كان Nectanebo يضم حوالي 000,20 عشرين ألفاً من المرتزقة، وعشرين ألفاً من الليبيين، وستين ألفاً من الجنود المصريين يواجهون جيشاً ملكيًّا ذا عدد كبير لا يمكن حصره، كما أشير إلى الأعداد التقليدية التي استشهد بها 000,30 من جنود المشاة، 000,30 من الفرسان، 300 سفينة ثلاثية المجاديف، 500 مركب آخر للنقل .

وقد ذكرت كل الروايات الأكثر شيوعاً -على الأقل في نظره- فرقة عسكرية، وقد تمت مساعدتها بواسطة القادة المصريين، وتمكنت من عبور النهر، وإقامة رأس الجسر تحصينات تصون طرق الجسر الأقرب إلى العدو ، وهذا ما كان يخشاه Nectanebo ، وقد أسرع إلى ممفيس لكي يعد دفاعاته .

وقد أثار هذا التقهقر عدم الموثوقية في المعسكر المصري، وقاد بعض المرتزقة اليونانيين إلى أن يتفاوضوا حول بنود الاستسلام، وقد نتج ذلك عن سقوط Pelusium التي أصبحت تابعة بالاستيلاء على Bubastis ومدن أخرى محصنة، ومن ثم فالطريق إلى نهر النيل ووادي النيل كان مفتوحاً، وقد استطاع الأسطول الملكي أن يبحر في النهر حتى ممفيس .

ويشدد ديودورس Diodorus على أن الجيش الملكي قد بدأ تحركه متأخراً في موعد متأخر جدًّا ؛ بسبب طول فترة الاستعدادات، والتي سمحت لحاكم مصر بأن يستمر في بناء وتشييد الدفاعات والحصون لحماية دولته، وخلف هذه التعبيرات المستخدمة بشكل يزيد عن الحاجة إلى استخدامه، تظل حقيقة أن الهجوم ضد مصر لم يحدث حتى فصل

الشتاء لعام 342-343، وتوضيح ذلك، أولاً: بعد غزو صيدون، فمن المحتمل أن الملك قد انتظر استسلام المدن القبرصية. ثانياً: لا شك في أن استعدادات أكثر قد اكتملت في مع بعض الارتباك الناتج عن سبب الثورة الصيدونية وتحطم السفن، ويذكر ديودورس Diodorus أيضاً قبل الرحيل من بابليون أو عندما وصل إلى فينيقيا أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد أرسل رسلاً إلى اليونان لتجنيد المرتزقة، وقد تدهورت كل من أثينا وإسبرطة بشكل ليس به أي تحدٍ أو مواجهة، ولكن أرسل كل من Thebes و Argos فرقاً عسكرية تمثل بلادها في عمل عسكري مشترك، وقد كانت هذه الفترة عندما كانت تنضم الفرق العسكرية من دول أخرى خاضعة للسلطان الملكي في آسيا الصغرى إلى الجيش الملكي، وبعد سقوط صيدون رحب الملك العظيم بالقائد Mentor والـ 4000 أربعة آلاف جندي التابعين له .

وقد شجعت هذه التأخيرات Nectanebo أن يستخدم التدابير العسكرية التقليدية، ومثل كل الفراعنة فقد لجأ إلى الاستفادة من الطبوغرافيا السمات السطحية مثل الهضاب والوديان والبحيرات والأنهار والجسور ، ولكي يجعل النهر وسيلة عبور، وكذلك لمنع تشييد أماكن لرسو سفن الأعداء على شواطئ الدلتا، فقد تم وضع تحصينات على مداخل نهر النيل خاصة فرع Pelusian الذي كان يشمل ويضم العديد من الشواطئ، وكذلك تم جمع كمية كبيرة من القوارب المناسبة لصراع النهر على طول نهر النيل، وقد نقلت هذه القوارب أيضاً الفروق العسكرية من نقطة إلى أخرى لمنع الفرق العسكرية للعدو من الرسو على شواطئ النيل، وتم أيضاً تحصين ضفاف النهر بالطريقة نفسها لمنع العبور والمرور، ويبدو الأمر كما لو أن الملك العظيم قد اختار فصلاً سنويًّا مفضلاً -كما فعل Antigonus - والذي يعد ذلك في عام 306، عندما ترك فلسطين في انتفاضة الثورة الخاصة بـ Pleiades في بداية شهر نوفمبر، وهو الوقت

الذي لن يتعرض فيه الجيش لمخاطر من نهر النيل وفيضانه، ولكن لم يكن هذا الاختيار الموفق في حد ذاته علامة على النجاح، إذ لازال Antigonus يواجه الفشل، وقد اقترح التقهقر والرجوع «لاستعداد أكثر تدريباً واتقاناً، وفي وقت يكون فيه نهر النيل أقل انخفاضاً في منسوب المياه»، وقد أوضح فشل فارنابيزوس Pharnabyzus أيضاً أن المقاومة المستمرة من جانب الدفاعات والتحصينات المصرية تستطيع أن تجبر المعتدي على أن يتخلى عن اعتدائه وهجومه أو يرجئه لوقت طويل، وقد نتج عن ذلك سقوط وفشل الهجوم، فهل يعكس تصوير ديودورس Diodorus غير المستحسن لـ Nectanebo مشاعر المصريين بدرجة أكبر أو أقل؟ من المستحيل الإجابة عن مثل هذه الأسئلة، حيث إن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد استخدم بعض القادة المصريين، وهذا لا يخبرنا بأي شيء محدد عن موقفهم نحو الفرعون حتى إن Nicostratus قد أخذ كل الرهائن كجزء من استراتيجيته، ويمكننا أن نلاحظ بشكل بسيط مع ديودورس Diodorus أن انسحاب Nectanebo إلى ممفيس قد أضعف معنويات جنوده، وأخيراً فقد Nectanebo الأمل سريعاً، وأيضاً فقد فضل التخلي عن الدفاع عن ممفيس عن استسلامه للموت، مفضلاً بذلك أن يهرب إلى بلاد النوبة Nubia اعتقاداً منه أن كثيراً من المدن كانت مستعدة لأن تخونه وتغرر به، ويمكننا أن نتساءل إذا لم يكن الضعف الداخلي للسلطة الفرعونية موضوع المراسيم العسكرية خلال القرن الرابع واحداً من الأسباب المهمة للفشل في الاستيلاء على مصر، ولكنه قد يعتبر ذلك بشكل بسيط تخميناً، ولا يسمح لنا الدليل الموجود بأن نصل إلى استنتاج مؤكد حول هذه النقطة، ويذكر ديودورس Diodorus أن Nectanebo لم يكن راغباً في تحمل المخاطر المطلوبة لمواصلة السيطرة، ويبدو أن هذا الموقف مضاد للأفكار أو الآراء التي ينسبها ديودورس Diodorus إلى أرتاكسركسيس Artaxerxes ، الذي

عزم على أن يقود الجيش بنفسه لكي يخوض المعركة شخصيًّا؛ للحفاظ على مملكته ومنصب الملك، وحتى إذا كان تقديم ديودورس Diodorus والمفردات العدائية تعبر عن الدعاية الملكية، فهناك شك قليل في أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد صنع هدفه الشخصي بألا يعيد إرساء النظام والاستقرار في فينيقيا فقط، ولكن أيضاً لغزو والهجوم على مصر، لقد وصل إلى السلطة في ظروف مضطربة غير مستقرة، والآن تحتم عليه أن يثبت شجاعته وبراعته العسكرية، والتي ستقدم التبرير لبقائه في السلطة ومنصب الملك، وتوضح فقرة إنشائية في Theopompus الأهمية المرتبطة بالمسير نحو مصر، فقد كانت مناسبة مهمة عندما استدعى الملك العظيم ممثلي ومندوبي الشعوب الخاضعة له، عندما كان يمر ببلاد هذه الشعوب، وقد جاءوا إليه مقدمين الهدايا والتذكارات الملكية، وهذا يعني أن ديودورس Diodorus كان قادراً على أن يكتب بشكل صحيح أنه عندما عاد من مصر محملاً بالغنائم، فقد حصل الملك العظيم على شهرة عظيمة بسبب انتصاراته التي حققها، لقد عزز الملك العظيم سلطته ومكانته الرفيعة بين أفراد عائلته وشعوبه، وفي هذه المناسبة تم نقش ختم ملكي يعظم الانتصار الشخصي للملك على المصريين .

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث في مصر:

وهكذا عادت مصر إلى الإمبراطورية الأخمينية بعد ستين عاماً تقريباً من انفصال Amyrtaeus ، وقد تم إعادة تشكيل إدارة فارسية تحت إشراف وتوجيه Pharandates ، ومع ذلك فلا يمكننا أن نؤكد بأن Pharandates كان سليل المرزبان بالاسم نفسه من عصر دارا Darius الأول، وبشكل تقليدي فقد كان أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث يحظى بشهرة مروعة في كل من التقاليد المصرية والمصادر التقليدية الكلاسيكية، وبذلك فهو يشبه قمبيز Cambyses ، والذي عادة ما يتم مقارنته به في النصوص القديمة، ويوجد أصل هذه الشهرة السلبية في ضوء الأفعال التي قام

بها، وتم إبلاغها بواسطة ديودورس Diodorus كالآتي: بعد هدم أسوار المدن الأكثر أهمية بواسطة سلب ونهب المواضع المقدسة قد جمع كمية كبيرة جدًّا من الفضة والذهب، وقد أزال السجلات المنقوشة في المعابد القديمة، والتي -حسب المصادر التي يذكرها Bagoas - ترجع إلى الكهنة المصريين حول دفع كميات كبيرة من الأموال والعطايا كنوع من الفدية.

وقد اتهم أرتاكسركسيس Artaxerxes قمبيز Cambyses أيضاً، بقتل الثور المقدس Apis -طبقاً لما يذكره Aelion - فإنه قد اغتال Bagoas الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes لكي يعاقب الملك على أفعاله المشينة، وتظهر العملات أن المعتدي الجديد قد حمل لقب الفرعون .

منتور Mentor في آسيا الصغرى:

عندما رجع أرتاكسركسيس Artaxerxes ، أرسل Mentor المعلم الناصح الخاص إلى آسيا الصغرى، وبعد أن توسط أو لعب Mentor دور الوساطة مع الملك، سأله أن يسمح لـ Artabazus وعائلته بالعودة، فقد كان هدفه الرئيس السير الهجومي ضد هيرمياس Hermias ، «المستبد وطاغية Atarnaeus » والذي قد ثار على الملك، وقد كان سيداً وقائداً لكثير من الحصون والقلاع والمدن «وبدون الاستغراق في تفاصيل يكتب ديودورس Diodorus أن Mentor قد أحضر قادة آخرين قد قطعوا علاقاتهم مع الفرس بعد عودتهم إلى أحاسيسهم ومشاعرهم، بواسطة التدبير الحربي، حيث خضعوا جميعاً لحكمه وسلطانه».

وتشير هذه العبارة بشكل واضح إلى الاضطرابات المحلية والتي لم تحظَ بأهمية كبيرة، وقد حقق Mentor المهمة التقليدية والمتعلقة بمواصلة النظام والاستقرار في وجه الحكام المحليين الذين تم التعرف عليهم وتنصيبهم في مواقعهم الرفيعة بواسطة السلطة الأخمينية، ولكن أيضاً قد اضطر إلى أن يقدم الولاء الراسخ في كل مناسبة، ورغم أن نص ديودورس Diodorus لا يسمح لنا بأن نصل إلى نتيجة أكيدة، ولكن تبدو الحقيقة في

أنه بعـد استسـلام وخضـوع Hermias ، أن أنشـطة Mentor قـد تركـزت عـلى محـيط السـيادة القديمـة للطاغيـة في Aeolis والـــ Troad والمنـاطق المحكومـة تقليـديًّا مـن Dascylium .

أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وفيليب الثاني:

يرجـع تـاريخ العلاقـات الدبلوماسـية والعسـكرية الأوليـة بـين أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالث وفيليب الثاني إلى السنوات التي تلت غـزو مصر، ولكـن هـل كـان يملك البلاط الملكي رجال الملك وكبار مستشاريه سياسة مقدونية، وإذا كان الأمر كذلك، ففي أي تاريخ حدث ذلك؟ ومتى تم تحقيق الاتساق والانسجام؟

ولنشدد من البداية عـلى أن الإجابـة عـن هـذا السـؤال تحظـى بمخـاطرة لكونهـا انعكاساً وتأملاً فقط -كما يحدث ذلك في مرآة مشـوهة- عـن صـورة جـاءت مـن تـاريخ نبوي أو تاريخ يتعلـق بالآخرويـات البعـث، والحسـاب، والدينونـة الأبديـة ، أي تـاريخ يفترض أن غزو الإسكندر Alexander كان ضرورة وأمراً حتميًّا.

في الوقت نفسه دعونا نشدد على أننا لسنا نملك أي دليل مبـاشر يسـمح لنـا بـأن نعيد الصياغة بالتفصيل لصورة تقدم فيليب في اليونان و Thrace كـما رأتهـا السـلطات الأخمينية، فأول إشارة للعلاقات المباشرة بين الإمبراطورية الفارسـية والمملكـة المقدونيـة هي نفى Artabazus وعائلته إلى فيليب الثاني، وليس هناك سبب لكي نستنتج من ذلك أن فيليب الثاني أرادا أن يظهر الحقد والعـداء نحـو أرتاكسركسـيس Artaxerxes في هـذا الوقت، خاصة أن أرتاكسركسيس Artaxerxes قد جاء حـديثاً إلى السـلطة تحـت ظـروف غير مستقرة بدرجة كبـيرة جـدًّا، وقبـول فيليـب لنفـى فـارسي لا يشـير بـالضرورة إلى قطـع العلاقات أو شن الحرب على الملك العظيم، ومن النادر أن يجد لاجئ فارسي من Dascylium مـلاذاً ومـأوى في أي مكـان سـوى في أوروبـا، ويمكننـا أن نـذكر اسـمين لشخصـين فارسـيين

مختلفين قد طلبا اللجوء والملاذ إلى أثينا أثناء القرن الخامس لكي يهربوا من العقوبة الملكية.

إن اختيار Artabazus لمقدونيا كمكان للاستقرار كان مناسباً -إلى حد ما- لمنطقة تقع على حدود إمارته، ورغم الهزائم في عام 479 فقد كانت العلاقات بين Dascylium و Thrace ومقدونيا ماسيدون بلا شك غير متقطعة، وإضافة إلى ذلك، فإن الشخص الفارسي النبيل يستطيع أن يجد شكلاً وطريقاً للحياة والمعيشة بين طبقة الأرستقراطيين في Macedon مما قد اعتاد عليه، ونحن الآن على دراية -على الأقل- شخص فارسي آخر يدعى Amminapes الذي وجد ملاذاً ولجوءاً في بلاط وكنف فيليب الثاني لأسباب غير معروفة لنا، وقد أخذ سياق عودة Artabazus إلى الملك العظيم كإشارة لأنشطة فيليب في الإمبراطورية، وفي خطبة ألقيت في عام 341 قدم Demosthenes لسامعيه مناقشة لسياسة التحالف مع الملك العظيم الذي قد أيده وفضله. ثانياً: أنه قد تم انتزاع عميل -والصديق المؤتمن- من كل استعدادات فيليب العسكرية الحربية ضد الملك، وسوف يسمع الملك بتطور الأمور -ليس من مدعين أثينيين- والذين قد يعتبرهم يتحدثون من منطلق مصالحهم الشخصية، بل من الوزير العامل نفسه.

وقد كان العميل يدعى Hermias الذي قدمه ديودورس Diodorus في سياق البعثة التي أرسلت إلى Mentor بأمر الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث بعد انتصاره في مصر، وهناك اتجاه لأخذ Demothenes بشكل حرفي، واستنتاج أن فيليب من خلال وسيطه Hermias قد خطط لتمزيق وضع السلطة الأخمينية في آسيا الصغرى الغربية، وتستحق هذه النظرية قدراً ضئيلاً من الموثوقية، ومن الملحوظ أن ديودورس Diodorus لم يلفظ بأية كلمة عن احتمال حدوث صدام مقدوني مع هيرمياس -مرزبان Atarnaeus - ويقلل من دور بعثة Mentor

إلى مجرد استرجاع النظام الملكي الذي كان قد تزعزع في بعض البلدان، وقد جاء ذلك من المصدر نفسه -ديودورس Diodorus - الذي لم يتردد في موضع آخر أن يذكر ذلك، عندما انتصر ملك مقدونيا في دليفي Delphi في عام 346-345، حكم بأنه سوف يتم تنصيبه كـ Strategosautokrator كحاكم مستبد على اليونانيين، وسوف يقود مسيرة ضد الفرس، ورغم غموض السياسة الفارسية لفيليب مثل السياسة المقدونية لأرتاكسركسيس Artaxerxes ، فليس هناك في سلوك فيليب ما يؤكد أنه كان مستعداً أن يتخذ إجراءً حول الهدف الذي نادى به Isocrates في عام 347 من أن يتقدم لقيادة حملة عسكرية إلى آسيا الصغرى.

وفي الخطبة نفسها يؤكد Demosthenes لجمهوره أن ظرفاً آخر غير مستحسن لدى فيليب قد حدث، إن أولئك الذين يثق بهم الملك، ويعتبرهم محسنين، هم بالفعل على عداوة وحرب مع فيليب، ويشير هذا بشكل واضح إلى أشكال العداوة التي من المنتظر حدوثها في Perinthus كما هو واضح في رسالة من فيليب، لقد ألقى مرزبانات آسيا لتوهم في فرق المرتزقة من أجل راحة Perinthus ، ويؤكد ديودورس Diodorus على وجود مثل هذه العداوات.

لقد تم نشر أخبار صعود وارتقاء فيليب في السلطة في آسيا، وأن الملك الفارسي شاهد هذه السلطة بانزعاج، وساوره القلق، وقد كتب إلى حكامه في الساحل بأن يقدموا كل المساعدة الممكنة إلى سكان Perinthus ، وقد تشاوروا في الأمر، وأرسلوا إلى Perinthus قوة من المرتزقة، وتمويلات وفيرة، ومخزونات كافية من الطعام، والقذائف، ومواد أخرى مطلوبة للعمليات العسكرية.

ويضيف Pausanias تفاصيل مهمة: «لقد كان Arsites -حاكم Helles Pontine Phrygia - هو الذي قام بتنسيق العمليات العسكرية، ويبدو أن هذا الأمر منطقي من خلال توفر الموقع الاستراتيجي لمقاطعات Dascylium ،

وأكثر من ذلك أنه في عام 334 نجد الشخص نفسه وهو Arsites يقوم بتوجيه وقيادة العمليات العسكرية ضد الإسكندر Alexander ، وأيضاً في استشارة مع رفقائه.

إن المساعدة أو المعونة المقدمة إلى Perinthus كانت من بين الاتهامات التي قام بتسويتها الإسكندر Alexander في خطاب أرسله بعد معركة Issus ، وطبقاً لما جاء في النص المحفوظ بواسطة Arrian ، فقد اتهم Ochus بإرسال جيش إلى Thrace ، وقد ذهب الملك المقدوني بعيداً حتى يحمل البلاط الملكي الفارسي مسؤولية قتل والده، ويذكر دارا Darius أنه قد كانت هناك معاهدة صداقة وتحالف بين أرتاكسركسيس Artaxerxes الثالث وفيليب الثاني، وقد فتح غياب أي دليل موثق لأي نوع من المعاهدات الطريق إلى التأمل والإمعان، والخاصية المهمة لهذه التأملات أنها تتعارض إحداها مع الأخرى، ولن يكون مفيداً أن نضيف بنداً آخر إلى هذا البيت المسمى ببيت البطاقات، إنها لمعجزة أنه لم ينهار بالفعل، ويجب أن نكون قانعين بملاحظة أنه قد تم تبادل البعثات والرسل بين البلاطين الملكيين الفارسي والمقدوني .

ورغم أنه لم يمكننا أن نتعرف على مهماتهم وبعثاتهم التي ربما كانت محددة عند حد التجاور الجيد أو التجاور السيئ، وبالتأكيد لم تكن العاصمتان بيلا Pella وصوصا Susa غير مألوفتين لإحداهما الأخرى، ويحتوي السجل على حقيقة مؤكدة وهي أن أشكال العداوة الفارسية-المقدونية قد ظهرت في Perinthus التي تمت محاصرتها حوالي عام 341 على يد فيليب الثاني، ولكن يجب أن نلاحظ أن Demosthenes قد حاول أن يصنع نقاشاً أو جدالاً من الموقف في Perinthus الذي سوف يغري أو يقنع المواطنين التابعين له بأن الملك العظيم كان مستعداً للدخول في تحالف معهم، وإرسال الأموال اللازمة للحرب إليهم، ولكن هل جعل هذا من الخطيب ملاحظاً أو مراقباً موضوعيًّا للسياسة

المقدونيـة الخاصـة بأرتاكسركسـيس Artaxerxes ، حيـث إنـه عنـد قـول وفعـل كـل الإجراءات، على الأقل طبقاً لما ذكره Aeschines فإن أرتاكسركسيس Artaxerxes كـان سريعاً وحازماً في أن يسمح للأثينيين بأن يعرفوا أنه لن يرسل إليهم أية أموال.

تلخيص:

ليس هناك شك في أن أرتاكسركسيس Artaxerxes -مثله مثل أسلافه- قـد اتبـع سياسة نحو المدن اليونانية تضمنت إرسـال بعثـات ملكيـة متكـررة إلى حـد مـا، وفـوق شبهة الشك في أن معارضاً لـ Macedon مثل Demothenes قد اعتقـد أن دعـم الملـك العظيم قد مثل البديل الوحيد الذي يمكن الوثوق به، والذي من خلالـه يمكـن التصـدي لتقدم فيليب الثاني، وأخيراً، فمـن المؤكـد أن وصـول الجيـوش المقدونيـة إلى الـ Straits المضايق قد أثار القلق والانزعاج والاضـطراب لـدى مرزبـان Dascylium الـذي شـارك اهتمامه مع الملك العظيم، وقد أخذ الملك خطوات دفاعيـة محـدودة، فقـد قيـد نفسـه بإرسال الإسـعاف النجـدة الحربيـة إلى Perinthus ، هـل أرسـل الملـك مجموعـة مـن المرتزقة إلى Thrace ، كما يذكر ذلـك في اتهـام للإسـكندر Alexander ، ولا يمكننـا أن نقول: أليس هذا نوع أكثر من الإطناب أو الحشو الأسلوبي؟ وباختصار، فإن البلاط الملكي كان على معرفـة بالعمليـات العسـكرية لفيليـب، ومـن الصـعب أن نـذهب وراء هـذه الملاحظات؛ لأن من الواضـح أن نوايـا فيليـب كانـت أكثر وضـوحاً لـدى الملـك العظـيم ومستشاريه مقارنة بنا في هذه الأيام، ولا بد أن المستشارين ذوي الخبرة بالشأن الفارسي حول سياسة منطقة البلقان قد تحيروا نتيجة التناقضات في القوى الأوروبيـة، ويجـب أن نتوقع انتصار فيليب في Chaeronea وتأسيس رابطة الكـورنثيين قبـل أن تصـبح الأمـور واضحة كلها، وفي أثنـاء ذلـك تـم اغتيـال أرتاكسركسـيس Artaxerxes الثالـث واعـتلى العرش بعده أحد أبنائه ويسمى أرسيس Arses .

فهرس محتويات

المجلد الرابع